

العلاقات السياسية
بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي
(٧٤١-٨٢٠م / ١٢٤-٢٠٥هـ)

دكتور
وديع فتحي عبد الله
كلية الآداب - جامعة بنها

تقديم
الأستاذ الدكتور
جوزيف نسيم يوسف
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٠

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي

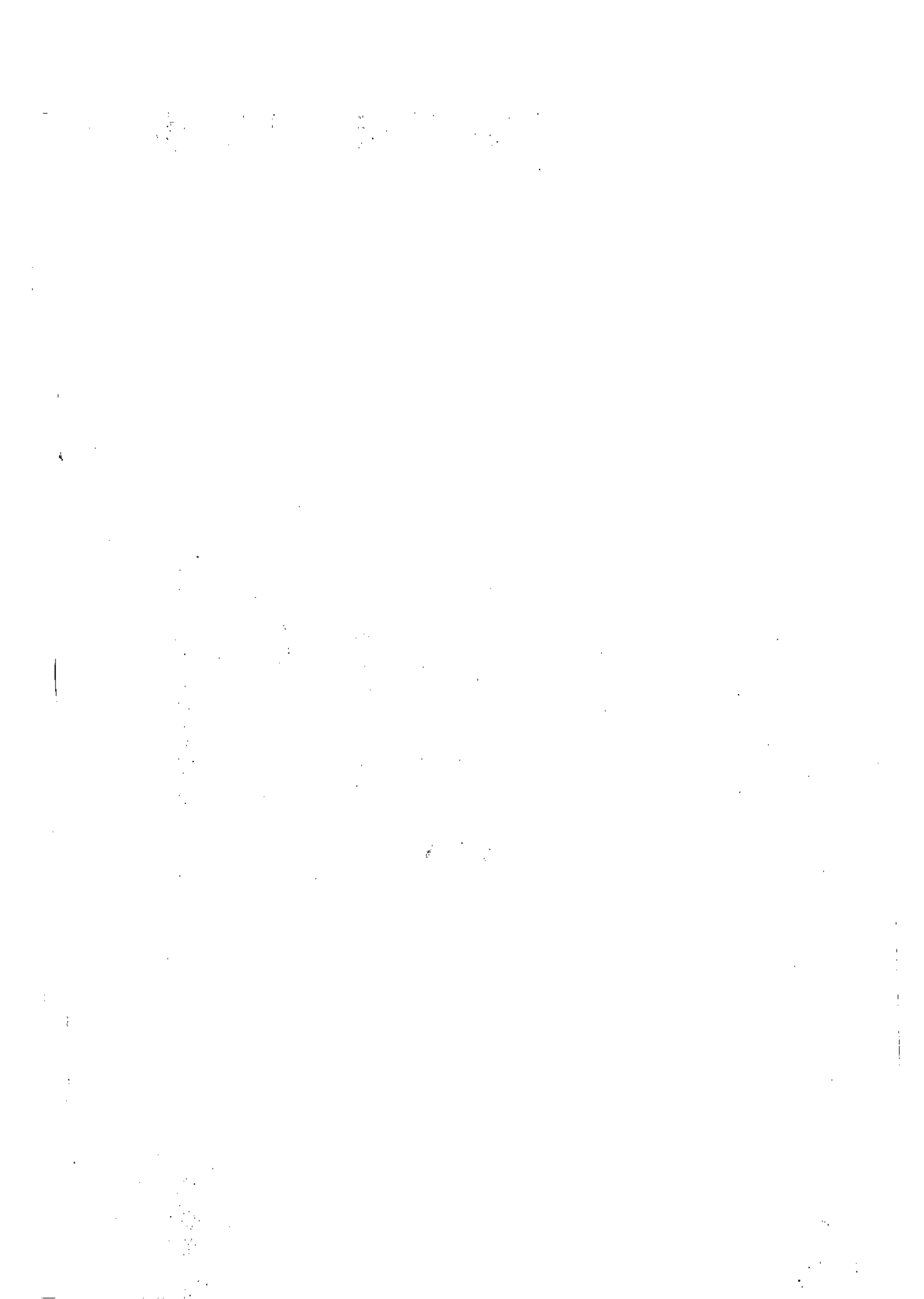
دكتور وديع فتحي عبد الله

١٩٩٠

الناشـــــر

مؤسسة شباب الجامعة

ت: ٤٨٣٩٤٧٢ إسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء

إلــى أبــي وأمــي.

إلى مـنْ ربّيانـي صغيـراً، وأحاطاني برعايتهما كبيراً.

تقديراً وعرفاناً.

تقـــــــديم

يسعدنى أن أقدم لقراء العربية الكرام باحثاً متميزاً فى تاريخ العصور الوسطى الأوربية بوجه عام وتاريخ العلاقات البيزنطية الإسلامية على وجه الخصوص، هو الدكتور وديع فتحى عبد الله مدرس التاريخ الوسيط بكلية آداب بنها، والباحث من أبناء كلية الآداب بجامعة الاسكندرية. حصل فى مايو ١٩٧٢ على درجة الليسانس فى الآداب من قسم التاريخ . وفى مارس ١٩٨٢ حصل على درجة الماجستير فى الآداب تحت إشرافى فى موضوع "العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الإمبراطور ثيوفيل (٨٢٩ - ٨٤٢م/٢١٤ - ٢٢٨هـ)" بتقدير "ممتاز". وفى نوفمبر ١٩٨٧ حصل على درجة الدكتوراه فى الآداب، تحت إشرافى، فى موضوع "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والشرق الأدنى الإسلامى (٧٤١ - ٨٢٠م/١٢٥ - ٢٠٥هـ)" بمرتبة "الشرف الأولى". وهذه الرسالة هى التى يقدمها اليوم فى شكل كتاب مطبوع لتكون باكورة إنتاجه العلمى فى سلسلة تتناول تاريخ العلاقات البيزنطية الإسلامية.

والكتاب يحتوى على مقدمة، ودراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث، وخمسة فصول، وبآخره خاتمة، والملاحق، ثم قائمة المصادر والمراجع، وبيان بالخرائط.

وفى المقدمة تحدث المؤلف عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره له، وحدوده الزمنية والجغرافية. ثم قدم دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم المنابع والأصول البيزنطية والأرمينية والسريانية والعربية. فأشار إلى محتوياتها، وقيمتها التاريخية، ومنهج مؤلفيها. وأوضح إن كانت مصادر ثقة أو لا، وإن كانت قد أوجزت أم أسهبت فى سرد الأحداث، أم مرت عليها مر الكرام، أم أغفلتها تماماً، معللاً أسباب ذلك. كما حدد المصادر التى انفردت بذكر معلومات لم ترد فى غيرها من الأصول. وعن طريق المقارنات والموازنات التاريخية توصل إلى العديد من الآراء والأفكار التى تتسم بقيمتها التاريخية الواضحة. وتعتبر هذه الدراسة التى زودنا بها المؤلف إضافة لها وزنها إلى الدراسات الوثائقية والببليوجرافية المتعلقة بتاريخ العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين.

وجعل عنوان الفصل الأول "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الأموية قبيل الفترة الزمنية موضوع الدراسة (٦٥٠ - ٧٤٠م/ ٣٠ - ١٢٣هـ)". وهو يعتبر مدخلاً طبيعياً وضرورياً لبقية فصول الكتاب، تحدث فيه عن نوعية هذه العلاقات التي تأرجحت بين الحرب والسلم والعداء والصفاء وفقاً لمقتضيات الظروف والأحوال في العالمين البيزنطي والإسلامي. ومن القضايا التي عالجها دور جماعة المردة في الصراع بين الطرفين، وانعكاس هذا الصراع على الأدب خاصة قصص البطولة والملاحم.

أما الفصل الثاني وعنوانه "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والشرق الأدنى الإسلامي في عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م/ ١٢٥ - ١٥٨ هـ)". فقد تناول فيه المؤلف بالدراسة الجادة عدة نقاط هامة توصل فيها إلى آراء جديدة. من بينها إختلاف استراتيجية الخلافة العباسية عن سياسة الأمويين تجاه بيزنطة وأسباب ذلك؛ وأيضاً دور كل من الخزر والترك والأرمن والبلغار في الصراع البيزنطي الإسلامي، وانعكاس ذلك على طبيعة العلاقات بين القوتين العظميين وقتها. ومن الآراء الجديدة التي توصل إليها أن الخليفة العباسي المنصور عقد اتفاقية لتبادل الأسرى مع بيزنطة، ولكنه رفض عقد هدنة معها، خلافا لما هو متعارف عليه في المراجع الحديثة. كما حالفه التوفيق في تحديد الجزيرة التي كانت هدفاً للحملة الإسلامية عام ١٤٨هـ/ ٧٦٠م بأنها صقلية وليست قبرص كما ذكر بعض المؤرخين.

وعنوان الفصل الثالث "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية في عهد الامبراطور ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠م/١٥٨ - ١٦٤هـ)". واستعرض فيه أحوال كل من بيزنطة والخلافة العباسية وقتها، ومدى تأثيرها على العلاقات السياسية بينهما. وتوصل من دراسته أن تلك العلاقات قامت على أساس الأفعال وردود الأفعال من كلا الجانبين، مستشهداً بالأحداث التي كانت المنطقة مسرحاً لها. ومن الآراء الجديدة التي توصل إليها المؤلف، تعمد المؤرخ البيزنطي ثيوفان تشويه صورة القائد البيزنطي ميخائيل لاخانودراكون بدون وجه حق، مبيناً دوافعه في ذلك. كما ناقش رأي بعض المؤرخين القائل بأن نشاط كل من المهدي وهارون كان من أجل السلب

والنهب، مدللاً بالأسانيد أن هذا النشاط كان جهاداً فى سبيل الله، وأنه كان يمثل ضرورة سياسية وحربية، وإستراتيجية بعيدة المدى اقتضتها سلامة الدولة العربية الإسلامية وأمنها، بهدف تأمين حدودها ضد جارتها الدولة البيزنطية المتاخمة لها.

أما الفصل الرابع فقد جعل عنوانه "العلاقات السياسيةبين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الإمبراطور قنسطنطين السادس (٧٨٠ – ٧٩٧م/ ١٦٤ – ١٨١هـ)". وأوضح فيه تأرجح ميزان القوى فى الصراع بين العباسيين والبيزنطيين، والأسباب المؤدية لذلك. ومن النقاط الهامة التى عالجها، حقيقة الدور الذى قام به القائد العباسى عبد الكبير فى عام ١٦٤هـ/٧٨١م عندما لحقت به الهزيمة فى ميلوس، مبيناً أن المؤرخ الطبرى لم يعطه حقه. كما توصل إلى تحديد شروط الصلح الذى عقد بين البيزنطيين والعباسيين عقب حملة الخليفة المهدى فى البسفور عام ١٦٥هـ/٧٨٢م.

وفى الفصل الخامس والأخير وعنوانه "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية (٧٩٧ – ٨٢٠م/١٨١ – ٢٠٥هـ)"، تحدث المؤلف عن الهزائم التى لحقت ببيزنطة فى عهد هارون الرشيد، مع بيان أسبابها والآثار المترتبة عليها. كما كشف عن طبيعة العلاقات التى قامت بين هارون الرشيد وشارلمان، ومدى انعكاسها على العلاقات العباسية البيزنطية. وأثبت صحة الخطابات المتبادلة بين هارون الرشيد والإمبراطور البيزنطى نقفور، مع استعراض محتوياتها وما يمكن استخلاصه منها. كذلك أوضح النتائج الوخيمة التى عادت على الدولة البيزنطية من جراء سياسة نقفور القائمة على عدم الالتزام بتعهدات السلام التى عقدها مع العباسيين، وأثر ذلك على العلاقات بين القوتين. وفى الخاتمة ألقى نظرة موضوعية شاملة على مسرح الأحداث، ودور القوى المتصارعة فوقه إبان الفترة الزمنية موضوع الدراسة. ثم استعرض أهم القضايا التى تعرض لها، وأ برز الآراء والنتائج التى خلص إليها. وذيل الكتاب بعدة ملاحق تتصل بموضوع البحث اتصالاً وثيقاً، وتلقى المزيد من الأضواء على بعض جوانبه وخباياه. وكلها مستقاه من المصادر البيزنطية، وقام المؤلف بنقلها للمرة الأولى من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية، مع التقديم لها والتعليق عليها. وتضمن

الكتاب عدة خرائط توضيحية يبدو فيها مجهوده واضحاً.

وخلاصة القول إن هذا الكتاب يغطى فترة هامة فى تاريخ العلاقات البيزنطية الإسلامية، أغفلها عدد غير قليل من المؤرخين الحديثين المتخصصين، بينما مر عليها البعض الأخر مر الكرام دون أن يعطوها حقها من الدراسة، ودون الاعتماد على مختلف مصادرها وأصولها. وعلى هذا تعتبر الدراسة التى بين أيدينا أول عمل علمى متكامل فى هذا الموضوع اعتمد فيه مؤلفه على مختلف أصوله ومنابعه، من عربية وبيزنطية وأرمينية وسريانية وغيرها، سعياً وراء الحقيقة التاريخية المطلقة التى نجح فى إثباتها. لقد جاءت معبرة، فى دقة وحيدة وأمانة، عن مختلف وجهات النظر. وساعد المؤلف على ذلك دراسته للغتين اللاتينية واليونانية البيزنطية فى السنة التمهيدية للماجستير وأثناء إعداده لدرجتى الماجستير والدكتوراه بآداب الإسكندرية.

وأخيراً، إن المتصفح للكتاب سوف يجد عشرات القضايا القيمة التى تصدى لها المؤلف، متناولاً إياها بالتحليل والتعليل والتفسير والنقد. وعن طريق المقارنات أمكنه التوصل إلى العديد من الآراء والأفكار والنتائج التى تتسم بعمقها وجدتها وأصالتها، الأمر الذى يجعل من هذا العمل إضافة طيبة إلى مكتبة التاريخ البيزنطى بصفة عامة، ومكتبة الدراسات البيزنطية الإسلامية على وجه الخصوص.

دكتور جوزيف نسيم يوسف

استاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

الإسكندرية فى ٤ إبريل ١٩٨٩

مقدمة المؤلف.

تعتبر العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والشرق الادني الإسلامى من الموضوعات الهامة، سواء العلاقات السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية. ولاتزال بعض جوانب هذه العلاقات بحاجة إلى دراسات جاده مستفيضة تسد العديد من الفجوات والثغرات. وكان العالمان البيزنطى والاسلامى أعظم القوى السياسة فى العالم فى ذاك الوقت. وقد فرضت ظروف الحدود المشركة بينهما الاحتكاك المستمر. فقد كانت بيزنطة هدفا للاغارات الإسلامية منذ وقت طويل يرجع الى القرن السابع الميلادى (الاول الهجرى) ولكنها تصدت لها بسبب حصانتها ودفاعاتها القوية. واستمر الصراع بين القوتين طوال العصر الوسيط، يخبو تارة ويتفجر تارة أخرى، وفقا لمقتضيات الظروف والاحوال لدى كل منهما.

وقد دفعنى لإختيار موضوع العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والشرق الادنى الاسلامى (٧٤١-٨٢٠م/١٢٤-٢٠٥هـ) أنه يعالج فتره محددة من تاريخ العلاقات بين بيزنطة والعالم الاسلامى، لم تأخذ حقها من الدراسة. فكل ما كتب عنهاعبارة عن نتف وشذرات مبعثرة فى كتب المؤرخين المحدثين المعنيين بالتاريخ البيزنطى من عرب وأجانب على السواء. وبمعنى آخر أنه لاتوجد مؤلفات قائمة بذاتها تناولت الموضوع الذى عالجناه من واقع المصادر المختلفة من عربية وغير عربية. ومن هنا تأتى أهمية الموضوع وجدته. وارجو من الله التوفيق من اجل مزيد من الدراسات فى هذا المجال.

على أى حال، إذا كانت المرحلة الأولى من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية تمتد - وفقاً لرأى فريق من المؤرخين- من عصر دقلديانوس فى أواخر القرن الثالث الميلادى، وتنتهى بظهور هرقل فى مستهل القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى)، تعتبر العصر المبكر لتاريخ هذه الإمبراطورية، أو العصر المتأخر للإمبراطورية الرومانية، فإن المرحلة التالية، والتى تمتد من أوائل القرن الثانى عشر الميلادى تعتبر الحقبة المتوسطة للإمبراطورية البيزنطية أو بمعنى أدق تعتبر صميم التاريخ البيزنطى. وهى تعد أزهى عصور بيزنطة التى كانت الوريثة الشرعية للامبراطورية الرومانية. وقد ارتكزت بيزنطة على دعامات قوية ثابتة، حتى بدت خلال عمرها الطويل صلبة متماسكة. فعلى الرغم

مما كانت تتعرض له بين وقت وآخرمن أزمات فى الداخل والخارج تجعلها تبدو وكأنها على وشك الأستسلام، الا أنها عادة كانت تتغلب عليها وتتخطاها. وكان يعقب تلك الفترات فترات أخرى من القوة والازدهارمثلما حدث إبان حكم الامبراطو ليو الثالث الأيسورى وحكم خلفه الإمبراطور قنسطنطين الخامس،فبيزنطة إلى جانب واجبها الدينى كحامية المسيحية فى الشرق، قامت بدور المدافع عن أوربا ضد هجمات اعدائها وبصفة خاصة المسلمين. ولم يكن انتقال مركز القوة فى العالم الاسلامى من دمشق الى بغداد أثر فى وضع حد للعداوة بين الخلفاء المسلمين وأباطرة بيزنطة. فاذا كان خلفاء دمشق قد حاولوا ثلاث مرات الاستيلاء على القسطنطينية: الأولى فى عهد عثمان بن عفان والثانية فى عهد معاوية بن أبى سفيان والثالثة فى عهد سليمان بن عبد الملك مستغلين قوة بحريتهم ولم تحقق هذه المحاولات أهدافها، فقد استمر الخطر الإسلامى أيضا بعد ذلك ولم ينته الا بسقوط عاصمة بيزنطة فى قبضه العثمانيين. وإذا كانت الكفاءة البحرية العباسية قد قلت عما كانت عليه من قبل، فانها احتفظت بقوتها البرية نشطة متأهبة. لذلك أخذت فى مواجة الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية بعنف فاق فى بعض الاحيان عنف أسلافها الأمويين . هذا، فى الوقت الذى عجزت فيه بيزنطة عن المحافظة على مكانتها العسكرية فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادى (أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجرى) بسبب الصراع حول موضوع عبادة الصور والأيقونات. واضطر بعض أباطرة بيزنطة إلى تقديم الجزية لخلفاء بغداد على النحو الذى سنعالجه فى موضعه.

وبصفة عامة، فقد كان خط الحدود بين القوتين المتحاربتين فى أخذ ورد مستمر دون أن يسيطر أحد الفريقين تماما على هذه المناطق، كما أن نجاح بعض الحملات كان متوقفا على الاحوال الداخلية للفريقين ومن هنا كان من الضرورى استعراض هذا النشاط تفصيلا. فلم يكن الأمر مجرد كسب سياسى أو دبلوماسى وانما كان أبعد من ذلك.فالتسرب الثقافى والاقتصادى كان أوقع أثرا، وما كان ليحدث لولا هذا الاحتكاك الحربى وكان هذا التسرب يتم عبر آسيا الصغرى لينتقل من وإلى البيزنطيين والمسلمين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان صراع الشرق والغرب كان سمة العصر

العصر الوسيط الذى كان عصر عداء حربى، وتزمت دينى. وقد استمر هذا الصراع مع استمرار هذا التزمت(١). وكان كل من الطرفين المتحاربين يستفيد بعظات ودروس من صراعه ضد الطرف الآخر.فقد أوضحنا فى هذه الدراسة أن النشاط الحربى بين العالمين البيزنطى والإسلامى كان صورة صادقة لقوة الدولة، كما أن هذا النشاط ارتبط بأنواع أخرى من العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وعلى حد قول بعض المؤرخين المحدثين إنه يجب أن تحتل السياسة الخارجية للعصر العباسى الأول-على سبيل المثال-مكانها من الدراسات الجادة، وأن تظفر بتقييم جديد يكشف من حقيقة الموقف الدولى وقتها، وجهود الخلفاء فيه.فقد بذلوا جهودا ضخمة تضعهم فى صف واحد مع أوفر المجاهدين المسلمين عملا وأكثرهم إخلاصا .إذ تحقق نتيجة لذلك ما يعرف باسم السلم الإسلامى Pax Islamicus (٢) .

هكذا كانت طبيعة العلاقات بين القسطنطينية ودمشق ثم بغداد من بعدها شديدة الاضطراب لاتكاد تستقر على حال. فقد كانت حربا حينا، وسلما فى بعض الأحيان. ولكن القاعدة الأساسية لهذه السياسة كانت الحرب، أما السلم فكان حالة عارضة، لذلك كثيرا ماكانت فترات الهدوء القصيرة تسمى "هدن" أو فترات صلح. وكثيرا ماكانت هذه الهدن ضرورة حتمية يلجأ إليها حكام الدولتين إذا دعت الظروف إلى ذلك بغرض التقاط الأنفاس. واذا كان المسلمون قد انتصروا فى بعض المواقع، وتمكنوا من ضم بعض المساحات إلى أراضيهم على حساب جارتهم، الا أن البيزنطيين احتفظوا برايتهم على مناطق أخرى. وبمعنى آخر انه لم تكن أى من القوتين تستطيع تحقيق النصر المطلق على الأخرى، أو أن تصبغ الأرض التى استولت عليها بصبغتها. فقد كانت كفتا الميزان فى الصراع بينهما آنذاك متأرجحة؛ فهى لصالح أحد الأطراف تارة ثم فى صالح الطرف الآخر تارة أخرى، الأمر الذى لم يعكس التفوق الحاسم لأى منهما .

---

(١) Youssef,Joseph,N., Studies on the History of the Middle Ages,Alexandria,1985, P.182.

(٢) حسن محمود، وأحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، القاهرة بدون تاريخ، ص ١٦١.

فقد كان لكل جانب من طرفى الصراع عناصر قوة وعناصر ضعف. فالخلافة العباسية كانت تحارب على حدودها عدوا واحدا، هو الإمبراطورية البيزنطية، بينما كانت تحارب في الداخل أكثر من عدو، فهناك التناحر بين القادة، والتمرد على السلطة أيضا، علاوة على الفتن التي أثارتها الطوائف المختلفة. كل هذه الأمور ساعدت فى الحد من مواجهة المسلمين للإمبراطورية ألبيزنطية فى بعض الأحيان، أما بيزنطة فلم تكن أقل تأثرا بالأوضاع الداخلية، فقد شهدت هذه الفترة فتنا ودسائس بين كبار رجال الدولة وموظفى البلاط، ورغم ما أبدته من مقدرة على تجاوز هذه المشاكل، إلا أنها تأثرت بها مما ترك بصماته على علاقاتها بالمسلمين.

وفوق ماتقدم، ترجع أهمية هذا الموضوع إلى أنه يعالج فترة حيوية من تاريخ العلاقات بين الإمبراطورية والشرق الأدنى الإسلامى، فضلا عن خلو المكتبة العربية من بحث قائم بذاته يلم بكل نواحيه. وفى نفس الوقت فان ماكتبه المؤرخون الغربيون المحدثون لايعبر فى معظمه إلا عن وجهة النظر الغربية فحسب، مغفلا فى ذلك وجهة النظر الأخرى. أما القليل منهم الذين تظاهروا بالحياد، لم يستطيعوا التخلص كلية من ميولهم وأهوائهم، لتتخذ موقفا منصفا فى تحليل الأحداث.كما أن هؤلاء المؤرخين لم يتناولوا موضوع هذه العلاقات الا من خلال دراستهم الشاملة لتاريخ بيزنطة، وكتاباتهم العامة عن أحوالها، ولهذا فقد جاءت إشاراتهم عن هذه العلاقات فى الفترة التى نحن بصدد دراستها، اشارات مقتضبة مبتورة وفترة تاريخية كهذه مليئة بالأحداث والتقلبات هى فترة جديرة بالدراسة لما تزخر به من الوقائع والحروب والاتصالات الدبلوماسية التى تركت آثارها على العالمين البيزنطى والإسلامى. كما توافرت فيها شخصيات بيزنطية وإسلامية تركت بصماتها على مسرح الأحداث.فعلى الجانب البيزنطى الأباطرة قنسطنطين الخامس وليو السادس وايرين ثم نقفور. وقد اختلف الدور الذى لعبه كل منهم حسب مقتضيات ومعايير شخصية وزمنية. وفى الجانب الإسلامى أدى الخلفاء المسلمون دورا كبيرا وبصفة خاصة المنصور والهادى وهارون الرشيد. لقد اسهموا بدور بارز أثناء صراع الخلافة الإسلامية مع بيزنطة.

ونظراً لأن مثل هذه الدراسة تقتضى الرجوع إلى المصادر الأصلية، وكلها

مصادر بيزنطية بلغاتها القديمة، سواء اليونانية أو اللاتينية، فضلا الأصول عن العربية، فقد قمنا بدراسة هذه المنابع دراسة تحليلية مقارنة. وإذا أمعنا النظر فى مصادر البحث سوف نلحظ أن المصادر البيزنطية تناولت موضوع هذه الدراسة من وجهة النظر البيزنطية، ولذلك اتسمت أحيانا بسمة التحيز، أما بالنسبة للمصادر العربية فقد بعدت أيضا عن الحقيقة فى بعض الروايات. لذلك كانت مهمتنا التعرف على وجهتى النظر البيزنطية والعربية من واقع المنابع والأصول المعاصرة للفترة موضوع البحث وأيضا المتأخرة عنها زمنيا. وعن طريق المقارنات والموازانات التاريخية، وعن طريق التحليل المانع الجامع لمختلف الروايات يتسنى رسم صورة صحيحة لأحداث الفترة التى نحن بصددها.

وقد اتخذنا فى بحثنا منهاجا خاصا يتفق وطبيعة الموضوع وحدوده الزمنية. فرغم أنه يتناول العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والشرق الأدنى الإسلامى، إلا أننا لم نغفل دور الأطراف الأخرى سواء التى ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر فى هذا المجال. فقد حدث الإشارة إلى البلغار وهجماتهم التى أثارت الاضطراب على الحدود البيزنطية؛ وحينما تحولت بيزنطة إلى حربهم فى الشمال أعطى ذلك للمسلمين الفرصة للهجوم على الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى. كما أشرنا إلى دور الترك والأرمن والخزر فى الصراع الدائم بين العالمين البيزنطى والإسلامى. وكيف وقفت هذه العناصر بجانب أحد الاطراف ضد الطرف الآخر وماترتب على ذلك من آثار. وفى ذات الوقت حدث تحول فى تأييد هذه العناصر من جانب إلى جانب آخر ثم العودة للجانب الأول وهكذا، حسبما كانت تقتضيه مصلحتهم الخاصة والظروف السياسية السائدة فى العالم فى ذاك الوقت. ولا نستطيع أن نغفل ما حدث من تطلع الفرنجة وبابوية روما إلى الوثوب على مجد بيزنطة ومحاولة الاستيلاء على الأراضى البيزنطية فى جنوب ايطاليا، مما فتَّ فى عضد بيزنطة وأثر على موقفها فى علاقاتها بالمسلمين. ولايمكن أن نغفل فى هذا المجال ظهور شارلمان على المسرح السياسى بشخصيته القوية وتتويجه امبراطورا وإقامته علاقات طيبة مع الخلافة العباسية فى عهد هارون بصفة خاصة الأمر الذى ترك بصماته على العلاقات

العباسية البيزنطية.

وعن الحدود الزمنية للموضوع، وهى الفترة الممتدة بين عامى ٧٤١-٨٢٠م/١٢٤-٢٠٥هـ أى قرابة الثمانين عاما. فقد عاصرها من الأباطرة البيزنطيين قنسطنطين الخامس وليو الرابع وقنسطنطين السادس وايرين ونقفور الأول وستوراكيوس وميخائيل رانجابى وليو الخامس الارمينى. وعاصرها من الخلفاء المسلمين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وابنه وابراهيم المهدى، ومروان الثانى من الخلافة الأموية ثم السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون من الخلافة العباسية. ولهذه الفترة دلالات مختلفة. ففيما يتعلق بالجانب البيزنطى نلاحظ أن الحدود الزمنية تشمل الفترة التالية لحكم ليو الثالث الأيسورى وبقية حكم هذه الأسرة حتى اعتلاء ميخائيل الثانى العمورى العرش ليبدأ عهد أسرة جديدة فى تاريخ بيزنطة هى الأسرة العمورية.

وبالنسبة للجانب الإسلامى فقد شملت هذه الفترة الزمنية السنوات العشرة الأخيرة من حكم الدولة الأموية ثم معظم حكم الدولة العباسية الأولى، إذ توقفنا عند عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م أى بعد انقضاء سبع سنوات من حكم الخليفة العباس المأمون.

أما عن الحدود الجغرافية للقوى التى ساهمت فى هذا الصراع، فهى الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية التى تمتد املاكها لتضم اليونان وايطاليا الجنوبية وآسيا الصغرى حيث توجد بعض الثيمات الأوربية الشرقية المنتشرة فى مواجهة الحدود الإسلامية. وعلى الجانب الآخر حدّدنا الشرق الإسلامى على أنه ايران والعراق والشام ومصر وماحول هذه البلاد، وكانت هذه المناطق تحت الحكم الأموى ثم العباسى أثناء الفترة موضوع هذه الدراسة. وركزنا فى هذه العلاقات على الشام التى كانت اكثر جوارا لبيزنطة من مصر والعراق وايران. وهذا لايمنع من اننا لم نغفل أى نشاط للعلاقات بين هذه المناطق جميعا وبين بيزنطة. وبمعنى آخر فقد قصدنا بالشرق الأدنى الإسلامى القوى الإسلامية المجاورة لحدود بيزنطة وهى الخلافة الأموية ومن بعدها الخلافة العباسية وهى القوى التى اشتركت حدودها مع حدود بيزنطة. وقد أدى هذا التجاور إلى قيام علاقات بين العالمين المتصارعين.

واقتضت طبيعة هذا الموضوع تقسيمه إلى فصول خمسة، تسبقها مقدمة

ودراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم مصادر البحث، وبأخرها خاتمة وعدة ملاحق، ثم قائمة المصادر والمراجع

وجعلنا عنوان الفصل الأول "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الأموية قبيل الفترة الزمنية موضوع الدراسة (٦٥٠-٧٤٠م/ ٣٠-١٢٣هـ)" وعرضنا فيه للمواجهة العسكرية بين بيزنطة والخلافة الأموية خلال حكم الأباطرة هرقل وقنسطانز وقنسطنطين الرابع ثم جستنيان الثانى، وأثر تدهور أحوال بيزنطة الداخلية فى تفوق الأمويين وبيّنا كيف أن بيزنطة عن طريق ثلاثة أباطرة عظام هم هرقل وقنسطنطين الثانى والرابع، قد تمكنت من مواجهة حماسة الأمويين بقوتهم العسكرية خاصة البحرية.إلا أنه باختفائهم انتهت مرحلة التحدى لتبدأ مرحلة الضعف التى كادت تفتك بالإمبراطورية، واستمرت هذه المرحلة من ٦٨٥إلى٧١٧م/٣٨-٩٩هـ. ثم انتقلنا إلى عرض نشاط القرن الثامن الميلادى (نهاية القرن الأول الهجرى) والذى بدأه الأمويون باغارات مكثفة على بيزنطة طيلة السنوات الممتدة من ٧٠٥ إلى ٧١٥م/ ٨٦-٩٦هـ. وأعقبه الحصار الأموى الشهير على القسطنطينية فى ٩٨هـ/٧١٧م. وعرضنا لهذا الحصار من حيث أسبابه والتجهيز له والنتائج التى ترتبت عليه. وفى هذا الإطار عالجنا دور ليو الثالث فى حياة بيزنطة الخارجية المتعلقة بصد الخطرالأموى، وكيف أنه نجح فى فتح جبهات جديدة على المسلمين مع الأرمن والترك والخزر مستفيدا من الضعف الذى بدأت تعانيه الخلافة الأموية. وأوضحنا أن الخلافة الأموية تأثرت سلبا من جراء فشلها فى غزو العاصمة البيزنطية. فقد تخلت عن فكرة الغزو وأصبح النشاط العسكرى قاصرا على مناوشات الحدود واقامة التحصينات فى آسيا الصغرى وحمايتها. إذ ألحق بهم هزيمة فى اكرونيون عام١٢٢هـ/٧٣٩م ترتب عليها نتائج هامة بالنسبة لكل من الطرفين البيزنطى والأموى.أما الأحوال الداخلية لبيزنطة فتتمثل فى سلسلة الاصلاحات التى بدأها فى مختلف المجالات خاصة العسكرية والاقتصادية. ونجح فى هذا إلى حد كبير حتى انه ترك لابنه قنسطنطين الخامس امبراطورية قوية الأركان امكنها الصمود فى منطقة الحدود الآسيوية مع جيرانها المسلمين.

أما الفصل الثانى وعنوانه: "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية

والشرق الإسلامى فى عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م/١٢٤-١٥٩هـ)". فقد تناولنا فيه كيف وصلت المواجهة السياسية بين بيزنطة فى عهده وبين الأمويين إلى الذروة. فبدأ بغزو ملطية فى عام٧٤١م/١٢٣هـ، ورد الأمويون بغزو بافلاجونيا فى العام التالى. ثم حللنا الثورة التى واجهت الإمبراطور فى السنة الأولى من حكمه وكانت بقيادة ارتفاذوس من حيث أسبابها ونتائجها، وكيف فشل العرب فى استغلالها ثم انتقلنا للحديث عن نشاط الأمويين فى هذه الفترة منتهزين فرصة الثورة، سواء فى تحصينهم لزبطرة أو بغزوهم قبرس فى ١٢٩هـ/٧٤٦م، ثم استرداد حصن مرعش فى عام ١٣٠هـ/٧٤٧-٧٤٨م.

ثم انتقلنا بعد ذلك للحديث عن سقوط الخلافة الأموية، وقيام الخلافة العباسية، واختلاف الاستراتيجية العسكرية بين الخلافتين، وأثر ذلك على طبيعة الصراع مع بيزنطة. وانتقلنا إلى شرح توازن القوى بين الفريقين المتحاربين مع بداية حكم العباسيين. فقد بدأ قنسطنطين الخامس عهده باستيلاءه على كل من ثيودوسيبوليس وكمخ وملطية فى٧٥١م/١٣٤. وردت البحرية الإسلامية بالاغارة على صقلية وسردينيا فى ١٣٤هـ/٧٥٢م. وهزم قنسطنطين الخامس فى موقعة دابق فى عام ١٣٧-١٣٨هـ/ ٧٥٥م. وأمطنا اللثام عن النتائج التى ترتبت على هذه الهزيمة، وآراء المؤرخين حول الهدنة التى اعقبتها وماتعنيه. ثم القينا الضوء على أحد الأطراف التى ساهمت بشكل غير مباشر فى الصراع بين العالمين الإسلامى والبيزنطى، وهو البلغار فقد كان صراع بيزنطة مع البلغار طويلا ممتدا، واستمر منذ عام ٧٥٥م/١٣٨هـ وحتى موت قنسطنطين الخامس. فقد ساهم البلغار بدور فى هذا الصراع ، فإذا انشغل الامبراطور بالبلغار، شغل عن المسلمين، والعكس صحيح ولهذا تركز النشاط البيزنطى تجاه الحدود الشرقية الإسلامية فى السنوات الأولى من حكم قنسطنطين الخامس وحتى عام ٧٥٥م/١٣٨هـ. ثم تناولنا طبيعة العلاقات بين العالمين البيزنطى والإسلامى فى فترة الخمس عشرة سنة التالية. وعرضنا لأراء المؤرخين حول خلو السنوات ١٤٠-١٤٦هـ/٧٥٧-٧٦٣م من الصوائف وأسباب ذلك كما ذكرنا أن بيزنطة قد اطمأنت على أن النشاط الإسلامى لن يؤثر على أمنها رغم كثافته، مثلما كان الحال فى عهد الخلافة الأموية، فاقامت نظاما

دفاعيا يحول دون توجيه ضربات قوية إليها إذا قامت قواعد عسكرية قوية في مناطق الحدود لمواجهة المسلمين، كما واجهت حركة ترميم وانشاء الحصون التى اقامها الأمويون، وتمكنت من وقف هذه الانشاءات خلال أزمة سقوط الدولة الأموية. وأشرنا إلى تكريس العباسيين الجهد لاعادة بناء هذه الحصون مما يدل على أن استراتيجية مواجهة بيزنطة لم تتوقف. وأكدنا على أن حركة التراجع العباس بنقل العاصمة الى بغداد، قد جعل بيزنطة في مأمن على حدودها المباشرة والقريبة.ثم أشرنا إلى ما تعرض له كل من طرفى الصراع من أخطار داخلية وخارجية كان لها الأثر الكبير على النشاط السياسى والدبلوماسى فى الفترة من ١٤٦-١٥٥هـ/٧٦٣-٧٧١م. ثم انتقلنا للحديث عن آخر نشاط عسكرى تم فيه مواجهة بين الخليفة العباسى المنصور والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس قبل وفاتهما، وهو الحملة البحرية الإسلامية على قبرص فى عام ١٥٧هـ/٧٧٣م. وعرضنا لأسبابها وأحداثها ونتائجها ومدلولاتها واختتمنا الفصل بالحديث عن المتغيرات التي جدت على المسرح الدولى، وكيف تزايد القوى التى تعمل فوق هذا المسرح بظهور دولة الفرنجة فى الغرب كقوة جديدة منافسة للإمبراطورية البيزنطية فى العالم الأوربى، والأمويين فى الأندلس كمنافسين للعباسيين. ومع هذا الشقاق بين أقسام كل من العالمين الإسلامى والمسيحى تظهر تحالفات المصالح وتستمر مناورات الحرب وتتداخل الخيوط وتتشابك القوى.

أما الفصل الثالث وعنوانه "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الإمبراطور ليو الرابع ٧٧٥-٧٨٠م/١٥٨-١٦٤هـ "، فقد تناولنا فيه أحوال بيزنطة الداخلية والخارجية عند اعتلاء هذا الإمبراطور للعرش، وأثر ذلك على العلاقات بين بيزنطة والمسلمين. ولاحظنا أن الظروف هيأت الفرصة لمحاربة المسلمين بشكل أفضل مما تم لسلفه قنسطنطين الخامس. ففى الداخل ساد الاستقرار النسبى البلاد، وفى الخارج أمن ليو الرابع خطر البلغار. وأشرنا إلى أنه أصلح من أحوال جيشه الذى خرج منهكا بعد سلسلة من الحروب الطويلة فى عهد سلفه.ثم تعرضنا لأفعال بيزنطة والرد العربى على ذلك فى السنوات الثلاث الأولى من حكم الإمبراطور ليو الرابع. فبينما هاجم ليو حصن سميساط فى ٧٧٥-٧٧٦م/١٥٩هـ، رد

الخليفة المهدى بالاستيلاء على حصن كاسن فى العام التالى. وقد حللنا دوافع هذا النشاط، وبيّنا أن الإمبراطور حاول من خلال هجومه أن يعرف المسلمين أنه سيسير على نهج سلفه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو يستعرض القوة البيزنطية معتمدا فى ذلك على قادته الأوفياء الذين سبق لهم الخدمة فى عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس. وبصفة عامة استهدف تحقيق نصر يرفع الروح المعنوية لجنوده فى بداية توليه العرش. وحللنا دوافع الرد العربى الذى قام به الخليفة المهدى الذى حاول هو الآخر تحقيق نصر فى عمق الحدود البيزنطية فى آسيا الصغرى، وليبلغ بيزنطة أنه سيسير على نهج سلفه المنصور. ثم هاجم ليو الرابع مرعش والحدث فى عام ٧٧٨م/ ١٦١هـ ، فرد المهدى على ذلك فى عامى ١٦١-١٦٢هـ/٧٧٨م، إذ هاجم حصونا عديدة أهمها دروليوم وعمورية. ثم عرضنا للحملة العباسية الكبيرة التى سيرها المهدى فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م إلى بيزنطة بقيادة ابنه هارون ونجاحها فى الاستيلاء على حصن سمالو، ثم تناولنا بالتحليل نتائج هذه الحملة ودلالاتها. وذكرنا ان المهدى حسم -إلى حد ما- كفة الصراع المتأرجحة لصالحه. ثم تناولنا فكرة الجهاد عند المسلمين، والحرب المقدسة عند البيزنطيين من خلال الصراع البيزنطى الإسلامى فى تلك الفترة، وبينا أن الصراع السياسى بين العالمين البيزنطى والإسلامى أصبح مرة أخرى مرتبطا بالدوافع الدينية. وآخر ماعرضنا له فى هذا الفصل الحديث عن العلاقات بين العباسيين والفرنجة فى أطار المتغيرات الدولية التى أشرنا إليها فى الفصل السابق، وأثرها على العلاقات البيزنطية العباسية.

وجعلنا عنوان الفصل الرابع "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الإمبراطور قنسطنطين السادس عام ٧٨٠-٧٩٧م/١٦٤-١٨١". وبدأنا بالحديث عن السياسية الداخلية والخارجية للإمبراطورة إيرين الوصية على العرش، وأثر ذلك على الصراع البيزنطى الإسلامى.إذ كانت ايرين المحرك لسياسة بيزنطة طوال هذه الفترة وأدى طموحها للحكم بمفردها إلى تدهور أحوال بيزنطة حتى تعددت المشاكل والاضطرابات الداخلية. وكانت المشاكل الدينية الخاصة بعبادة الصور قاسما مشتركا لهذه الأحداث بشكل أو بآخر، هذا علاوة على تفاقم المشاكل المالية

والاجتماعية. وأشرنا إلى سوء حظ بيزنطة التى حرمت من كفاءة الحكام فى تلك الفترة، حتى ان ايرين ارتكبت أفدح الأخطاء فى حق البلاد، حينما استغنت عن القادة العسكريين الاكفاء من ذوى الخبرة، واحلت محلهم مجموعة من الخصيان معدومى الخبرة.ثم تحدثنا عن الهزيمة التى لقيها الجيش العباسى بقيادة عبد الكبير فى ميلوس فى عام ١٦٤هـ/٧٨١م، وأشرنا إلى الآراء التى اثيرت حول هذه المعركة.ثم تناولنا بالتفصيل الظروف التى عاشتها بيزنطة آنذاك، والتى أدت إلى خروج حملة الخليفة المهدى إلى البوسفور فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م، وأحداث هذه الحملة ونتائجها ودلالاتها .ثم عرضنا لظروف اعتلاء هارون الرشيد العرش، واصلاحاته الداخلية، وأثر ذلك فى تقوية الجبهة الإسلامية التى حققت ميلا لصالحها فى صراعها مع بيزنطة نتيجة ماتعانيه من ضعف عام. يعزز هذا انتصار هارون على الجيش البيزنطى فى الاناضول عام ١٧٢هـ/٧٨٨م، ثم حملته على قبرس عام ١٧٤هـ/٧٩٠م، ثم استيلاء العباسيين على حصن ربسة فى عام ١٧٦هـ/٧٩٢م، وعلى كمخ عام ١٧٧هـ/٧٩٣م. ونتائج ذلك، وبيّنا ان قنسطنطين السادس لم تسمح له الظروف بمواجهة هذا النشاط المستمر، اللهم إلا نجاحه فى صد حملة عباسية على الساحل الغربى على البحر الأسود فى عام ٧٩٥م/ ١٧٩هـ وأشرنا إلى الهجوم الذى شنته القوات العباسية على كل من عمورية وأنقرة فى عامى ١٨٠-١٨١هـ/ ٧٩٦-٧٩٧م. وقلنا إنه حصل على أسرى ومخطوطات يونانية قديمة، وعرضنا للنتائج المترتبة على هذا. ثم انهينا الفصل بالحديث عن موقف الغرب الأوربى من حكم ايرين. وذكرنا إلى أن ايرين قد جلبت على بيزنطة ونفسها مشكلة خطيرة حينما سملت عينى ابنها. فقد اعتبرت البابوية والفرنجة ان عرش بيزنطة أصبح شاغرا بعد اختفاء قنسطنطين السادس، فقامت بتتويج شارل العظيم إمبراطورا على الفرنجة والغرب والرومان فى عام ٨٠٠م/١٨٤هـ .

أما الفصل الخامس فقد جعلنا عنوانه "العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية (٧٩٧-٨٢٠م/١٨١-٢٠٥هـ)" . وقد ضمت هذه الفترة من الجانب الإسلامى هارون الرشيد وبعض سنوات من حكم المأمون ومن الجانب البيزنطى كلا من ايرين، ونقفور وميخائيل الأول رانجابى وليو الأرمينى. وبدأنا هذا الفصل

بالاشارة إلى نشاط هارون الرشيد ضد إيرين وانتصاره على جيشها فى بلاخينيا، وفى ثيم الأوبسيكيون عام ١٨٢هـ/٧٩٧-٧٩٨م ونتائج ذلك.ثم أشرنا إلى أحوال بيزنطة الداخلية والخارجية عند اعتلاء الإمبراطور نقفور العرش فى عام ٨٠٢م/١٨٦هـ ، وأثر ذلك على العلاقات بين بيزنطة والمسلمين. وتعرضنا بالتفصيل لنشاط هارون ضد بيزنطة فى عهد نقفور الذى لقى عددا من الهزائم فى عمورية وباب هرقلة فى عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م ثم فى مدينة هرقلة فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م. ثم فى ريسة وروِدس وكريت فى عام ١٩١هـ/٨٠٦م. وحللنا هذه المعارك وأسبابها ودوافعها، ثم عرضنا للنتائج المترتبة عليها. وكان أكثرها مهانة لبيزنطة حينما وافق على دفع جزية عن نفسه وابنه، ليميل ميزان القوى بشكل لايدع مجالا للشك لصالح العباسيين. وأوضحنا فى هذا المجال أن الخلافة العباسية لم تهدف إلى التوسع، فقد حرصت على ردع القوة البيزنطية، وتحقيق التفوق والصيت كقوة كبرى فى العالم آنذاك. ثم تحدثنا عن شخصية الخليفة هارون كواحد من أعظم رجالات عصره، وكيف أنه ارتقى بالخلافة العباسية إلى مكانة عالمية تركت بصماتها على العلاقات العباسية البيزنطية. وأخيرا عرضنا لأحوال المسلمين بعد وفاة هارون، إذ بدأت مجموعة من المشاكل الداخلية تهدد أمن الدولة كان أخطرها فتنة الأمين والمأمون. وأيضا أحوال بيزنطة بعد موت نقفور، إذ غرقت بيزنطة هى الأخرى فى مشاكلها حتى تعاقب على حكمها أباطرة من أصول مختلفة قليلى الكفاءة. وهكذا تنتهى فترة دراستنا للعلاقات السياسية بين العالمين البيزنطى والعباسى بظروف تكاد أن تكون متشابهة فى كلا العالمين.

وفى الخاتمة استعرضنا أهم القضايا التى عالجناها وأهم النتائج التى توصلنا إليها وكذلك زيلنا البحث بعدد من الملاحق ترتبط بالموضوع ارتباطا وثيقا. وهى كلها مستقاه من الأصول اللاتينية واليونانية القديمة التى لاتزال بلغتها الأصلية. وقد قمنا بنقلها للمرة الأولى إلى اللغة العربية مع التقديم لها والتعليق عليها.كما زودنا البحث بعدد من الخرائط الجغرافية والتوضيحية ساعدت فى القاء الضوء على تحديد الحدود الجغرافية لكل من العالمين البيزنطى والإسلامى، وكذلك مراكز الصراع ومواقع الاشتباكات العسكرية التى دارت بينهما.

وأخيرا وليس بآخر، فإذا كان هذا البحث قد أنجز على هذا النحو، فأقرر أنه ماكان له أن ينجز سوى بما توافر من مساعدات حصلت عليها من كافة اساتذتي وزملائي بجامعة الاسكندرية ، فلهم مني تحية اعزاز وتقدير وشكر. ويأتي في مقدمتهم استاذي الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف، الذي شرفت بالتلمذة على يديه منذ السنوات الأولى من مرحلة الليسانس وحتى الآن، وأرشدني إلى طريق العلم، وشجعني في تجاوز كل الصعاب. فهو بالنسبة لي، ولجميع طلابه رمز العطاء المتدفق بلا حدود. فجزاه الله عني وعن العلم كل الخير والصحة والعمر الطويل لخدمة العلم والمشتغلين به.

والله ولي التوفيق

وديع فتحي عبد الله

دراسة نقدية تحليلية مقارنة لأهم مصادر البحث

أولا : المصادر البيزنطية

أ - المعاصرة لفترة البحث.

ب - المتأخرة نسبيا عن فترة البحث.

ثانيا : المصادر الأرمينية والسريانية.

ثالثا : المصادر العربية.

نظرا لأن موضوع هذه الدراسة يتناول موضوع العلاقات السياسية بين الامبراطورية البيزنطية والشرق الأدني الإسلامى، خلال فترة معينة من تاريخ بيزنطة هى المده الواقعة بين عامى ٧٤١و٨٢٠م (١٢٤-٢٠٥هـ)، لذا كان على الباحث أن يرجع الى الاصول البيزنطية والعربية على حد سواء، لمناقشة مختلف الروايات ومقارنتها بعضها ببعض، بغية سد الفجوات والإجابة عن التساولات والقضايا المطروحة، سعيا وراء الحقيقة التاريخيه، والوصول إلى أسلم النتائج التى يسفر عنها البحث .

ولما كانت المدة موضوع الدراسة بالنسبة لتاريخ العصور الوسطى مبكرة نسبيا، فقد قلّت المصادر البيزنطية المعاصرة لها، بينما كانت المصادر العربية جميعها غير معاصرة لتلك المدة التى سبقت التدوين التاريخى العربى بقرن من الزمان . ولهذا كان على الباحث الرجوع إلى المصادر الروائية وكتب الحوليات، والمؤرخين المعاصرين والمتأخرين زمنيا عن المدة موضوع الدراسة، للحصول على المعلومات التى تخدم الموضوع.

ومن أهم المصادر البيزنطية التى اعتمد عليها الباحث،ذلك المصنّف الذى وضعه المؤرخ ثيوفان، الذى توفى فى عام ٨١٨م/٢٠٣هـ، وعنوانه : "Chronographia" أى الحولية مسجلا فيه الأحداث اعتبارا من عام ٨١٣م/٢٤٨هـ (١). وهو واحدا من أهم ثلاثة مصادر بيزنطية معاصرة تم الاعتماد عليها وقد امدنا بمعلومات طيبة افادتنا إلى حد بعيد. كما انفرد بعدد من الروايات الهامة التى لم ترد فى غيره من المصادر، والتى ألقت الضوء على كثير من الحقائق،

١- Theophanes The Confessor, Chronographia, Ed Migne Patrologia Graeca, Tome CvIII, paris, 1863, Cols.9-1010

وقد رجع الباحث إلى تلك الطبعة . وتجدر الاشارة إلى أن هذا الكتاب له طبعة آخرى صدرت فى بون عام ١٨٣٩م، ضمن المجموعة التاريخية المعروفة باسم Gorpus Scriptorum Historia Byzantinae وقد ظهرت ترجمة حديثة لهذه الحولية باللغة الانجليزية، ولكنها لم تغط إلا المدة من عام ٦٠٢م إلى عام ٨١٣م،انظر: Harry turtl edove, The Chronicle of Theophanes, (A.D.602- 813), with Introduction and Notes, U.S.A., Pensylvania, 1982.

وسدت العديد من الفجوات، منها على سبيل المثال تشبيه موقعه ذات الصوارى فى عام ٦٥٥ م/٣٥هـ بموقعة اليرموك الفاصلة التى وقعت فى عام ٦٣٦م/١٥هـ مما يعكس حاسة تاريخية تميز بها. كما أوضح أهمية جماعات المردة Mardaites الذين اتخذت منهم بيزنطة فى عهد الإمبراطور قنسطانز الثانى (٦٤١-٦٦٨م/٢٠-٤٨هـ) خطا دفاعيا لحماية آسيا الصغرى من النزوات الإسلامية. ولم يذكر أحد من المصادر البيزنطية هذه الرواية، بينما ذكرها من المصادر العربية المؤلف المجهول صاحب كتاب العيون كما ذكر موضوع المفاوضات بين القائد سليمان وبين ليو ستراتيجوس ثيم الأناضول،اثناء حصار المسلمين للقسطنطينية فى عام ٩٩هـ /٧١٨م، وأشار إلى الهدف الحقيقى لهذه المفاوضات. وفى هذا الصدد نجد أنه عرض الأسباب التى أدت إلى فشل هذا الحصار. وقد تعرض المؤرخ نقفور البطريرك لنفس هذه الاسباب ، وان اختلفا فى سبب تدخل البلغار لمساندة بيزنطة ضد المسلمين. فيرجع ثيوفان سبب هذا التدخل إلى حاجتهم إلى الكلأ، بينما يرى نقفورأنهم تدخلوا لخوفهم من خطورة المسلمين فى المستقبل. كما انفرد ثيوفان بتوضيح استراتيجية الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز تجاه بيزنطة. وأكد أن الخليفة أرسل إلى الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى يدعوه إلى الإسلام. وجدير بالذكر أن كلا من المؤرخ الأرمينى جيفوند والمؤرخ العربى أجابيوس قد اشار إلى هذه الرواية . وبينما أهملت المصادر العربية الإسلامية رواية تتعلق بالهجوم البيزنطى على تانيس فى مصر عام ٧١٩م/ ١٠١هـ ، فقد أمدنا ثيوفان بهده المعلومات وأخذها عنه المؤرخ كدرينوس .

كذلك يحســـب له تأكيده لسماحة الإسلام، عندما انفرد برواية عن غارة عباسية على قبرص فى عام ١٢٥هـ/٧٤٣م، أسرت عددا من أهالى الجزيرة، ونقلتهم بعيداعنها ثم أعادتهم إليها مرة أخرى، لأن قضاة الخلافة العباسية لم يوافقوا على حرمان الأهالى من بلدهم. وفى مجال المناظرات التاريخية نجد أن اليعقوبى لم يذكر أى صوائف فى السنوات من ١٢٥هـ إلى ١٣٨هـ (٧٤٣-٧٥٥م) بينما ذكر ثيوفان رواية عن صائفة أموية برية فى عام ١٣٢هـ/٧٤٩م. وقد شاركه فيها الطبرى من المصادر العربية، ونقفور من المصادر البيزنطية. وانفرد ايضا بما يفيد أن ارتفاذوس، الذى

قام بثورته ضد الإمبراطور قنسطنطين الخامس فى عام ٧٤١م/١٢٤هـ، قد حاول الحصول على تأييد المسلمين له ضد البيزنطيين. وأوضح موقف الإمبراطور البيزنطى من الهجوم على صقلية وسردينيا فى عام ١٣٤هـ /٧٥٢م .

وانفرد بذكر رواية عن تبادل الأسرى بين القوتين طرفى الصراع فى عام ١٥٢هـ/٧٦٩م، وذكر أن الخليفة اشترط ان يطلق المسلمون لحاهم ويغطوا رؤوسهم بأغطية تتدلى حتى نصف الكتف. وقد عرض الباحث هذه الرواية مشيرا إلى رأى ثيوفان فى الدوافع التى جعلت الإمبراطور يوافق على هذا الفداء.

وانفرد من بين المصادر البيزنطية الأخرى برواية عن حملة المهدى للثأر من بيزنطة فى عام ١٦١هـ/٧٧٨م، تتعلق بهجوم على درواليوم فى ثيم الاوبسيكيون التى حاصرها مدة سبعة عشر يوما(١)، والتكتيك العسكرى للجيش البيزنطى فى هذه المعركة، ونتائج ذلك. كما اعاننا فى تحديد مدة حصار حصن سمالو فى عام ١٦٣هـ/ ٨٧٠م. وانفرد برواية تتعلق بحملة إسلامية فى عام ١٦٣هـ/ ٨٧٠م، انتهت إلى الهزيمة على يد القائد لاخانودراكون. ولعل كراهية ثيوفان لهذا القائد على النحو الذى عرض له الباحث هى السبب فى تأكيد صحة هذه الحملة.

كما اشار إلى سياسة إيرين فى ادارة الجيش، وكيف أنها تخلصت من القادة القدامى الإكفاء، وعينت بدلا منهم أقاربها الأقل كفاءة. كذلك اشترك مع كل من الطبرى وابن الأثير فى وصف تراجع القائد العباسى عبد الكبير فى حملته ضد القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون عام ١٦٤هـ/٧٨١م، وقالوا أنه كان تراجعا مهينا بسبب خوفه من القادة البيزنطيين، مما عرّضه لغضب الخليفة العباسى وأشار ثيوفان من بين المصادر البيزنطية، والعينى من بين المصادر العربية. إلى مواجهة عسكرية خاضها هذا القائد، وهزم فيها العباسيون ونجح عبد الكبير فى قتل أحد القادة البيزنطيين، مما يدحض عنه تهمة الانسحاب المزرى الذى اشار اليها الطبرى كما أشار

١- أخطأت الترجمةالانجليزية فى تحديد مدة هذا الحصار، إذ تذكر أنه دام خمسة عشر يوما، بينما يشير ثيوفان إلى أنه دام سبعة عشر يوما. انظر:

Theophanes, Chronographia, col.912;cf. also: Turtledove, the chronicle of theophanes, P.138.

إلى حمله الخليفة المهدى على البوسفور فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م، من حيث تجهيزها وأحداثها وخط سيرها، والحصار الذى تعرض له هارون أثناء هذه الحملة، وكيف خرج من هذا المأزق الصعب، بينما أغفلت المصادر العربية هذه التفاصيل الأخيرة بشكل خاص. كذلك تناول دور القائد البيزنطى البيديوس الذى هرب للعباسيين واشترك معهم عام ١٧٨هـ/٧٩٤م فى حملة وصلت إلى البحر الأسود، ولكن تسبب البرد فى قتل أربعة الاف رجل. وقد اشتـــرك معـه فـى هذه الرواية كل من ميشيل السريانى وابن العبرى، كذلك أشار إلى حرص ايرين على تحقيق السلام والصلح مع المسلمين فى عام ٧٩٧-٧٩٨م/١٨٢هـ ، وانفرد بتفاصيل عن السفارة البيزنطية التى توصلت إلى الصلح، ولكنه لم يذكرشروطها لذا اعتمد الباحث على ابن خلدون مع ثيوفان.

وأمدنا ثيوفان بمعلومات جيدة انفرد بها تتعلق بفترة حكم الإمبراطور نقفور، وجهوده فى تطوير النظام الدفاعى للإمبراطورية، وربطه بين النظام المالى الذى أدخله وبين نظام الخدمة العسكرية.كما انفرد بتفاصيل عن حملة هارون ضد نقفور عام ١٨٨هـ/٨٠٤م، وكيف أن نقفور هُزم فى ثيم الأناضول وكاد أن يقتل لولا شجاعة رجالة، إلا أنه لم يذكر خسائر بيزنطة فى هذه المعركة ونظرا لأن المؤرخ نقفور أغفل هذه الرواية كلية، وأن المؤرخ جورج همرتوليس لم يشر إليها إلا بقوله انها وصلت عمورية، وإنها كانت فى العام الثالث من حكم نقفوردون أى تفاصيل، لذا فقد اعتمد الباحث لسد هذه الثغرات على كل من الطبرى وابن خلدون والنويرى حتى اكتملت الرواية على النحو الذى عرضها فى هذه الدراسة.

كذلك ذكر أخبار سفارة نقفور إلى هارون طلبا للسلام فى عام ٨٠٦م/١٩١هـ، وأسماء أعضائها، وأورد نصوص الاتفاقية بين الطرفين ويقول إن هارون فرح ببنودها، كما لو كان حكم بيزنطة اصبح خاضعا له. ثم يشير بعد ذلك إلى خرق نقفور لهذه الاتفاقية بعد سنة واحدة.

واذا كانت هذه بعض نماذج لروايات انفرد بها ثيوفان، فهناك روايات أخرى ذكرها مؤرخون أخرون، ولكنه تميز عنهم بأنه أسهب فى ذكرها . مثال ذلك تناوله لحملة هشام بن عبد الملك فى عام ١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م فى آسيا الصغرى، التى قتل فيها

القائد العربي عبد الله البطال، وكذلك الحملة البحرية الإسلامية على قبرس فى عام ١٥٧هـ/٧٧٣م، وموقف الجيش البيزنطى منها، ورغم نجاح هذه الحملة فى اقتحام الجزيرة وأسر حاكمها، إلا أن المصادر العربية لم تتعرض لها. وأسهب ثيوفان فى حديثه عن حملة ٧٧٨م/١٦١هـ البيزنطية ضد المسلمين، التى تستهدف الاستيلاء على مرعش. ورغم تفوق القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون فى هذه المعركة إلا أن ثيوفان يروى ما يفيد أنه ارتشى من المسلمين حتى يترك مرعش، على النحو الذى سنبينه، وقصد به تشويه سمعة هذا القائد، كما أوضحنا الأسباب التى دعت ثيوفان إلى ذلك. كذلك اسهب ثيوفان فى حديثه عن حملة الأمير هارون التى خرجت فى عهد الخليفة المهدى فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م، وكيف انتهت هذه الحملة إلى عقد معاهدة سلام بين القوتين طرفى الصراع. وقد شاركه فى بعض هذه التفاصيل المؤرخ جورج همرتولس.

ولكن هناك روايات أوجزها ثيوفان، ولم يقدم لنا عنها مادة تاريخية وافية كالمصادر الإخرى. مثال ذلك أنه أوجز فى حديثه عن الهجمات البحرية الأموية على قبرس فى عام ١٠٧هـ/٧٢٥م بشكل عام، وعلى مناطق أخرى لم يحددها فى أعوام٧٢٧م/١٠٩هـ و٧٢٩م/١١١هـ و ١١٧هـ/ ٧٣٥م على التوالى بشكل خاص. ومن ناحية أخرى فقد أوجز فى ذكر شروط معاهدة صلح عام ١٦٦هـ/٧٨٢م عقب حملة هارون على البوسفور، بينما حدد الطبرى ستة بنود للصلح عرض ثيوفان لثلاثة منها فقط . كذلك أوجز فى تفاصيل أحداث حملة هارون ضد نقفور فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م وحصاره لهرقلة، فلم يذكر سوى القليل عن فتح هارون حصنى الصقالبة وربسة وحصون هامة أخرى .

ورغم المادة التى أمدنا بها المؤرخ ثيوفان، إلا أنه أغفل عددا من الوقائع التى لم يذكرها فى الفترة موضوع البحث، فلم يذكر هجوم الأسطول البيزنطى على دمياط فى عام٧٠٨م/٩٠هـ، ولم يذكر حجم قوات القائد مسلمة لحملة عام ٩٧هـ /٧١٦م، بينما أمدنا نقفور بما يسد هذا النقص فى الروايتين. وأغفل الحملة الأموية الفاشلة من الإسكندرية إلى قبرس فى نهاية ١٢٩هـ/٧٤٦م، مثلما أغفلتها المصادر الإسلامية.

ولكن معلوماتنا عنها مستقاه من مؤلَّف المؤرخ نقفور. وأغفل أمر الهدنة التى عقدت بين الإمبراطور قنسطنطين الخامس والخليفة المنصور، وما صاحبها من عملية تبادل للاسرى بين بيزنطة والمسلمين، وقد أمدنا بها الطبرى وابن الأثير.

كذلك أغفل المحاولات الدبوماسية التى أبداها الإمبراطور ليو الرابع بعد أيام من اعتلائه العرش، مع الخليفة المهدى حينما أفرج عن الأسرى المسلمين وأرسل له سفارة وهدايا لكسب وده. وقد أمدنا بهذه المعلومات كل من ميشيل السريانى وابن العبرى من المؤرخين السريان، والعينى من المؤرخين العرب. كما أغفل -مثل بقية المصادر البيزنطية- مبادرة الإمبراطور ليو الرابع بالهجوم على سميساط فى عام ٧٧٥-٧٧٦م/ ١٥٩هـ مثلما أغفل رد فعل المهدى تجاه هذه الحملة. وقد رجع الباحث إلى كل من اليعقوبى وأجابيوس وجيفوند لسد الثغرات واستكمال الرواية. ثم أغفل، مثل بقية المصادر البيزنطية، ذكر أعداد الأسرى والقتلى نتيجة معركة البوسفور فى عام ١٦٦هـ /٧٨٢م سواء فى الجانب العباسى أو البيزنطى. وإن أوردت المصادر الإسلامية الخسائر لدى الجانب البيزنطى، فقد بالغت فى هذا على نحو الذى سيعرضه الباحث. كذلك أغفل أنشطة السنوات من ١٦٩- ١٧٢هـ/ ٧٨٥-٧٨٨م وكذلك نشاط سنة١٧٧هـ/ ٧٩٣م. وقد أمدتنا بأنشطة هذه السنوات المصادر العربية مثل مؤلفات ابن خياط والطبرى وابن الأثير. كما أغفل ثيوفان هجوم هارون الرشيد الأول على باب هرقل فى أواخرعام ١٨٨هـ /أواخر عام ٨٠٤م ونتائج هذا الهجوم. ونلاحظ ان ثيوفان خلص احيانا إلى آراء اختلف فيها عن غيره من المؤرخين فعلى سبيل المثال، فقد حدَّد حصار مسلمة بن عبد الملك للعاصمة بثلاثةعشر شهرا، بينما حدَّده نقفور باثنى عشر شهرا، وحدده كدرينوس بأربعة عشر شهرا. كذلك أختلف مع المصادر الإسلامية فى تحديد القواعد التى جرد منها المهدى حملته إلى بيزنطة فى عام ١٦٣هـ/٨٧٠م فحددها بدابق، بينما حددتها المصادرالإسلامية بحلب. وقد أخذ الباحث برأى المصادر الإسلامية للأسباب التى عرضها فى الفصل الثالث من البحث. ولقد أخطأ ثيوفان فى تحديد اسماء بعض الاعلام .فعلى سبيل المثال ذكر أن قائد صائفة سنة ١٦١هـ/٧٧٧م هو عثمان بن قاقا، والصحيح أنه ثمامة بن الوليد بن القعقاع وقد لوحظ أنه يعتمد على

اسم الجد حينما يذكر الأسماء فهو يذكر قاقا ولعله يقصد جد هذا القائد (القعقاع). ومرة أخرى يشير إلى أحد قادة حملة البوسفور فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م وهو الربيع بن يونس، فيقول إنه بونيسيوس Bunusus وهو تحريف لاسم الأب هذه المرة. ولعل السبب فى ذلك أن الأوربيين يذكرون عادة أسم العائلة.

وهناك أخطاء واضحة وقع فيها ثيوفان، منها أنه أخطأ فى تحديد نسب ليو الثالث لأيسورى على النحو الذى أشار إليه الباحث فى الفصل الأول. كما أنه تعمد مجافاة الحقيقة التاريخية، حينما ذكر أن الحصار الذى تعرض له هارون فى حملته على البوسفور عام ١٦٦هـ/٧٨٢م، هو الذى دفعه إلى طلب السلام. وقد أخذ عنه هذا القول كل من همرتولس وزوناراس وجيفونك.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، بالغ ثيوفان فى بعض أحكامه بشأن عدد من المواقف، منها على سبيل المثال مبالغته فى تحديد خسائر الحملة الأموية التى حاصرت القسطنطينية، فيقول إنه نجت حوالى عشر سفن، بينما كان عدد الأسطول الأصلى ١٨٠٠ سفينة. كما بالغ فى تحديد خسائر الأسطول الأموى فى حملته على قبرص فى عام ١٢٩هـ/٧٤٦م، إذ يقول إنهُ لم ينج منه سوى ثلاث من مجموع الحملة التى بلغت ألف سفينة. هذا، بالاضافة إلى مبالغته فى مواقفه من الأباطرة البيزنطيين. وقد ارتبط هذا بمواقفهم من عبادة الأيقونات.مثال ذلك أنه تعرض بالنقد للإمبراطور قنسطنطين الخامس اللاأيقونى، فى حين أن ثيوفان كان من كبار رجال الدين، حتى أنه وصل إلى وظيفة راهب. وقد ألصق العديد من الأوصاف السيئة بالإمبراطور، كما سنعرض له. وقد حذا حذوه فى هذا المجال كل من نقفور وكدرينوس، ولكن رغم كراهية ثيوفان لهذا الإمبراطور إلا أنه تميز بالأمانة، إذ قال عنه حين وافته المنية أنه من أعظم شخصيات العالم التى شغلت الجنس البشرى نظرا لقوته وسياسته فى ذاك الوقت.بينما نجده يبالغ فى محاولاته الدفاع عن ايرين–المعروفة باتجاهاتها الأيقونية–خاصة فى صراعها ضد ابنها، فيقول إنها وقعت فريسة الوشاية التى نجحت فى الوقيعة بينها وبين ابنها.

وأخيرا بالغ فى ذم الإمبراطور نقفور، حتى أنه وصفه "بميله للطغيان والاستبداد وافتقاره إلى الذكاء العسكرى والسياسى"، وغير ذلك من الصفات ويعزى

هذا الموقف من جانب ثيوفان تجاه نقفور منذ اعتلائه العرش إلى الخلاف بينهما حول موضوع عبادة الصور. وقد سار على نهجه جورج همرتولس، خاصة وأن سياسة نقفور المالية تضمنت الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة، الأمر الذى زاد من هوة العداء بينه وبين رجال الدين. وإذا كان تعصب المؤرخ ثيوفان لعبادة الأيقونات سببا فى هجومه على الحكام والقادة من معارضى الأيقونات، فلم يكن هذا تجاه الإمبراطور نقفور فحسب، بل تجاه جميع الأباطرة اللاأيقونيين، وهذه أهم أخطاء ثيوفان علاوة على الأخطاء التاريخية التى شملت جميع رواياته. فرغم أنه اتبع النظام الحولى فى كتاباته، إلا أنه أخطأ فى تاريخ لبعضها.

ونخلص من هذا العرض إلى أهمية مؤلف ثيوفان. فرغم بعض أوجه النقد التى يمكن أن توجه إليه، إلا أنه يعتبر المصدر الأساسى للمدة موضوع الدراسة ويعتبر شاهد عيان لهذه الأحداث، إذ أمدنا بتفصيلات فاقت المصادر البيزنطية الاخرى. ولهذا فهو يجىء فى المقام الأول من بين هذه المصادر، علاوة على أنه يحفظ لنا بعض ماورد فى مصنفات فُقدت ولم تصلنا، وبذلك حفظ مادتها من الضياع، ورجع إلى كتابه عدد من المؤرخين الذين جاءوا بعده (١).

١- Ostrogosky, Byz. State, P.130. راجع أيضا: أسد رستم:الروم، ص ٣٤٣، هارى إلمربارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، جـ١، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٠م.

أما المصدر البيزنطى الثانى فهو مؤلف نقفور الذى عاصر أيضا المدة موضوع الدراسة، إذ توفى فى عام ٨٢٨م/٢١٣هـ. وإذا كانت كتاباته تتشابه مع كتابات ثيوفان فى كثير من الأحيان، فذلك لأنه كان هو أيضا من رجال الدين الذين ناصروا عبادة الأيقونات، وكان لهذا أثره فى حياته، وفى كتاباته(١)، على النحو الذى سنعرض له. وقد اعتمد الباحث على أحد مؤلفات نقفور، المسمى Breviarum أى موجز التاريخ، ويصف الأحداث من عام (٦٠٢-٧٦٩م/ ق هـ -٢-١٥٢هـ)(٢). وإذا كان التشابه كبيرا بين مؤلف كل من نقفور وثيوفان، إلا أن كتابة نقفور يغلب عليها طابع الاختصار والايجاز. وحتى الروايات التى انفرد بذكرها دون غيره من المصادر كانت موجزة إلى حد كبير. مثال ذلك انفراده بذكر دور البلغار فى فشل الحصار الأموى للقسطنطينية فى عام ٩٩هـ/٧١٨م. ويذكر أن البلغار أدركوا خطورة النجاح الإسلامى، فساندوا بيزنطة ضد

١- تمتع نقفور (٧٥٨-٨٢٨م/١٤١-٢١٣هـ) بسمعة طيبة، فعينته إيرين كاتم أسرار بلاطها، مثلما كان والده يشغل نفس الوظيفة. ونظرا لاتجاهه الدينى، فقد ساهم فى عقد المجمع المسكونى السابع، ثم اعتزل العمل فى البلاط وانخرط فى سلك الرهبنة، وتولى كرسى البطريركية فى العاصمة فى الفترة من ٨٠٦إلى ٨١٥م (١٩١-٢٠٠هـ)، ثم سجنه الإمبراطور ليو الخامس الأرمينى نظرا لسياسته الدينية. وتوفى فى السجن.انظر:أسد رستم:الروم، ص٢٤٤. وأيضا: Blake, Note Sur l'acticrite litteraire de Nicephore I, in "B", vol XIV, Bruxelles ,1939,P.1.

٢- Nicephorus,Patriarchae,Breviarum Historicum de Rubus Gestis Post Imperium Mauricii,Ed Migne, Patrologia Graecea Tome C., Paris 1860, cols. 875-994.

ونشر هذا الكتاب أيضا ضمن المجموعة التاريخية البيزنطية المعروفة باسم C.S.H.B. كذلك قام أمين المكتبة البابوية أناستاسيوس بترجمة هذا المؤلف- مثل ثيوفان - إلى اللاتينية فى القرن التاسع الميلادى. انظر: وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى، الإسكندرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٨١م، ص٨.

وبالاضافة إلى هذا الكتاب (الموجز)، فقد وضع رسائل فى اللاهوت، كما كتب جدولا زمنيا موجزا لخص فيه الأحداث منذ آدم حتى عصره، ولكن هذا الكتاب أقل أهمية من الذى رجع إليه الباحث. انظر هارى بارنز : تاريخ الكتابة، ص ١٣٢، راجع أيضا : Levtchenko, M.v., Byzance, des Origines a 1453, Traduction de Pierre Mabille Paris, 1949, P.153; Dolger, F., Byzantine Literature, C.M.H., Vol. IV, Part II, 1967, P.236.

الأسطول الأموى. ومن المعروف أنه اختلف فى هذا الرأى مع ثيوفان على النحو الذى سنشير اليه فى حينه. كما ينفرد برواية مختصرة عن تعرض الأسطول الأموى، بعد أن رفع حصاره للعاصمة، لعاصفة أثناء عبوره الأرخبيل، بعثرت السفن وهاجمها البيزنطيون. كذلك أشار منفردا لأثر ثورة ارتفاذوس عام ٧٤١م/١٢٤هـ فى سياسة الإمبراطور قنسطنطين الخامس الداخلية والخارجية. وانفرد أيضا بذكر الأنشطة العسكرية بين الإمبراطور قنسطنطين الخامس والخليفة العباسى المنصور فى عام ٧٤٤م/١٢٧هـ، مثل هجوم الإمبراطور على زبطرة فى عام ٧٤٤م/١٢٧هـ، والحملة الأموية التى خرجت إلى قبرس فى عام ١٢٩هـ/٧٤٦م، والحملة الإسلامية على صقلية فى عام ١٤٨هـ/٧٦٥م.

وهناك روايات عديدة إشترك نقفور فى ذكرها مع المؤرخ ثيوفان، وأشرنا إلى هذه الروايات فى ثنايا البحث أثناء تناولنا لآراء المؤرخين، وما اتفقوا فيه وما اختلفوا عليه. أما بالنسبة للروايات التى أغفلها نقفور، فهى على سبيل المثال توضيح أصل جماعات المردة الذين اعتمدت عليهم بيزنطة فى عهد قنسطانز الثانى، وموضوع المفاوضات التى دارت بين القائد سليمان وليو ستراتيجوس (قائد) ثيم الأناضول، وذلك أثناء حملة ٩٩هـ/٧١٨م.كما لم يشر إلى موضوع دعوة الخليفة عمر بن عبد العزيز للإمبراطور البيزنطى ليو الأيسورى للدخول فى الإسلام. وتجاهل الهجوم البيزنطى على تانيس فى مصر عام ٧١٩م/١٠١هـ، ثم الهجوم الإسلامى على قبرس فى ١٢٥هـ/٧٤٣م، وأيضا رد فعل قنسطنطين الخامس حيال الهجوم البحرى الأموى على صقلية وسردينيا فى عام ١٣٤هـ/٧٥٢م.كما أهمل موضوع تبادل الأسرى بين الطرفين المتصارعين فى عام ١٢٥هـ/٧٦٩م.

كذلك لم يدل بدلوه فى موضوع القائد العباسى عبد الكبير وموقف الخليفة منه، وتقييم أدائه فى الحملة التى قادها عام ١٦٤هـ/٧٨١م.ثم أهمل الإشارة إلى حرص إيرين على الحصول على السلام فى عام ٧٩٧-٧٩٨م/١٨٢هـ، والسفارة البيزنطية التى نفذت هذا الصلح. كما أهمل تماما حملة هارون فى عام ١٨٨هـ/٨٠٤م، التى كاد أن يُقتل فيها الإمبراطور نقفور نفسه، ونتائج هذه الحملة. وتجدر الإشارة إلى أن جميع

الروايات التى أغفلها نقفور تمكن الباحث من الحصول عليها من ثيوفان. لذا كان من الضرورى الإشارة إلى حتمية الرجوع إلى المصدرين معا، بمعنى أنه لايجوز الاعتماد على أى منهما دون الآخر، خاصة وأنه يتجاهل مُددا كاملة تتعلق بحكم الأباطرة. فعلى سبيل المثال تجاهل الإشارة إلى طبيعة العلاقات السياسية بين القوتين طرفى الصراع فى عهد الإمبراطور ليو الرابع(٧٧٥-٧٨٠م/١٥٨-١٦٤هـ).

وعلى أى حال، ونظرا لميل نقفور إلى أسلوب الاختصار فى رواياته فقد قلت الأخطاء التى وقع فيها، كما ندرت الروايات التى اختلف فيها مع المؤرخين الآخرين. كذلك تميز أسلوبه بالاعتدال وعدم الميل إلى المبالغة.الاّ فيما ندر، مثال ذلك وصفه الإمبراطور قنسطنطين الخامس بالزبلى، وعموما، تميز أسلوبه بالصدق والأمانة، والحرص على الحقيقة التاريخية. وما يؤكد ذلك أنه بعد توقفه عن الكتابة التاريخية، عندما انشغل بمنصب البطريركية، فقد شهد لكفاءة الإمبراطور ليو الخامس الأرمينى. فبعد وفاة الإمبراطور قال عنه: " إن الكنيسة تخلصت من عدو لدود، ولكن الإمبراطورية فقدت حاكما نافعا"، على الرغم أن العلاقة بينهما تحولت من علاقات طيبة الى سيئة فى آخر حكمه، مما عرضه للسجن.

أما المصدر البيزنطى الثالث المعاصر لفترة البحث فهو المؤرخ الراهب جورج همرتولس، الذى ظهر فى القرن التاسع الميلادى. ويتناول الكتاب الحوادث من عهد آدم حتى سنة ٨٤٢م. وقد جعل عنوانه Chronicon أى الحولية (١). وهو شاهد عيان للحوادث التى ذكرها فى الأجزاء الأخيرة من هذا الكتاب، وتضمن قدرا كبيرا من

١- ألف هذا الكتاب حوالى سنة ٨٥٠م. انظر : هارى إلمربارنز : تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣٢
Georgius Monachus Hamartolus, Chronicon; Ed Migne, Patrologia Graeca, Tome. CX, Paris, 1863, Cols. 41-1236.
وهو عبارة عن أربعة أقسام، يعطى أولها تصورا لحوادث التاريخ من آدم حتى الإسكندر الأكبر، والثانى يحكى وقائع مأخوذة من التوراة، والثالث يحكى التاريخ الرومانى، والرابع يحكى تاريخ بيزنطة من قنسطنطين حتى سنة ٨٤٢م.

المعرفة الثقافية والدينية(١). وهو -مثل المؤرخين السابقين له- من المتعصبين للأيقونات، لذا أخذ على عاتقه مهمة الهجوم على حركة تحطيم الأيقونات (٢). وبسبب ميله إلى السرد فى الشئون الدينية والداخلية للإمبراطورية البيزنطية، كانت مادته التاريخية التى رجع إليها الباحث أقل من تلك التى اعتمد عليها بالنسبة للمصدرين السابقين.

وعلى أى حال، تتميز المادة التاريخية التى انفرد بها جورج همرتولس بأهميتها. مثال ذلك روايته عن صائفة الخليفة مروان بن محمد إلى مرعش عام ١٣٠هـ/٧٤٧-٧٤٨م، واستردادها. وقد اتفق معه فى هذه الرواية كل من ابن الأثير والنويرى. كما ذكر معلومات عن أصل الإمبراطور ليو الرابع، وحدد عمره وقت اعتلائه العرش، ونوع المرض الذى أودى بحياته بعد خمس سنوات. وقد أغفل ثيوفان هذا، بينما نقل عنه كل من كدرينوس وزوناراس. ومن أهم الروايات التى انفرد بها على الاطلاق- ذلك الخطاب الذى أرسله نقفور إلى هارون يطلب منه وقف القتال، واستعداده لدفع ما يطلب منه من مال. وقد نقل كدرينوس عنه هذا الخطاب. كما أسهب فى عرض بعض الروايات التى ساعدت الباحث فى الوصول إلى بعض الحقائق التاريخية، والرد على القضايا المثارة. مثال ذلك اهتمامه بسرد أحوال بيزنطة الداخلية والدينية فى النصف الأول من القرن الثامن الميلادى/القرن الأول الهجرى، وبالتحديد ثورات ايطاليا واليونان فى عام ٧٢٧م/١٠٩هـ. وأثر ذلك فى أحوال بيزنطة عامة، وفى علاقات بيزنطة بجيرانها وبالمسلمين خاصة. وأيضا وصفه للمشاكل الداخلية والكوارث الطبيعية التى سادت

١- يلقى هذا الكتاب أضواء على الحياة الديرية فى الشرق فى العصر الوسيط، ويعكس الاتجاهات والآراء والأساليب الأدبية المستعملة عند الرهبان البيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى. انظر :

Levtchenko, Byzance, P.153.

٢- Levtchenko, Byzance, P.153.

بيزنطة فيما بين عامى ٧٥٤و ٧٤٦م (١٢٨-١٢٩هـ) كذلك ذكر الرواية -سبق أن ذكرها ثيوفان، وأغفلها نقفور-المتعلقة بتكريم الإمبراطور ليو الرابع لقائده ميخائيل لاخانودراكون، بعد أن أبلى بلاء حسنا فى الحملة البيزنطية على آسيا الصغرى عام ٧٧٨م/١٦١هـ. وقد ساعدتنا هذه الرواية على دحض رأى ثيوفان،الذى ذكر أن هذا القائد البيزنطى ارتشى من المسلمين.كذلك اهتم بحكم الإمبراطورة إيرين فيما يتعلق بأحوال بيزنطة الداخلية فى أعقاب معاهدة عام ١٦٦هـ/٧٨٢م مع المسلمين، وذلك أثناء وصاية إيرين على الحكم، والثورات التى قضت عليها إيرين. كما أسهب فى إشارته للانشاءات الداخلية التى شيدتها ايرين، وتعمق فى سياستها الداخلية وبصفة خاصة الدينية، واهتمامها بالشئون الداخلية للبلاد أكثر من اهتمامها بالدفاع عن بيزنطة وأورد أن هذا الاهتمام جلب للبلاد الفوضى والتوتر والضعف، سواء فى مجال علاقاتها مع ابنها أو مع رجال الجيش، وفى مجال علاقتها مع الأطراف الخارجية، خاصة المسلمين والفرنجة.

واتفق جورج هموتولس فى بعض رواياته مع نقفور أحيانا، ومع ثيوفان أحيانا أخرى. فعلى سبيل المثال، اتفق مع نقفور حول تحديد تاريخ رفع حصار المسلمين عن القسطنطينية أثناء حملة سليمان بن عبد الملك. واتفق مع ثيوفان فى أحد بنود الصلح المبرم بين هارون وليو الرابع، على أثر حملة المهدى بقيادة هارون فى عام ١٦٣هـ/ ٧٨٠م. وهذا ما سنشير اليه. كما اتفق معه فى الإشارة إلى موقف هارون الصعب أثناء حملة سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م، وكيف أنه خدع القوات البيزنطية وتمكن من الخروج من هذا الموقف.

كذلك ثمة روايات إختلف فيها مع معاصريه ثيوفان ونقفور. ومنها على سبيل المثال ذكره أن السنوات من ١٢٥إلى ١٣٨ هـ (٧٤٣-٧٥٥م) كانت خالية من الصوائف الإسلامية على عكس ثيوفان الذى أمدنا بما يفيد بوجود صوائف فى هذه السنوات. وفى الوقت نفسه اتفق اليعقوبى مع جورج همرتولس فى هذه الرواية. وهناك روايات أخطأ فى توضيحها، مثل إشارته إلى موت الإمبراطور نقفور على يد البلغار فى عام ٨١١م/١٩٦هـ، فتارة يقول إن البيزنطيين قتلوه، وتارة أخرى يقول إنهم البلغار، وتارة

ثالثة يقول إنه لا يعلم كيف قُتل الإمبراطور.

كما أُغفل العديد من الروايات التى ورد ذكرها عند ثيوفان ونقفور، لذا رجع الباحث إليهما لسد هذه الفجوات. هذا من جانب، ومن جانب آخر، هناك روايات أغفلها ولم يذكرها ثيوفان أو نقفور، مما حدا بالباحث إلى الرجوع إلى مختلف المصادر البيزنطية المتأخرة نسبيا عن موضوع البحث، بالاضافة إلى المصادر العربية-مثال ذلك أنه لم يدل بدلوه -رغم معاصرته للأحداث- بشأن تحديد المدة التى استغرقها حصار القسطنطينية على يد سليمان بن عبد الملك، ولم يتعرض للخسائر التى ترتبت على هذا الحصار، بينما أشار كل من ثيوفان ونقفور إلى ذلك. كما أغفل موضوع الامدادات التى وصلت للأسطول الأموى من مصر وأفريقيا. وتجدر الإشارة إلى أن بقية المصادر البيزنطية أغفلت هى الأخرى هذا الموضوع. وبينما أورد كل من ثيوفان ونقفور أسباب فشل محاولة المسلمين دخول القسطنطينية، إلا أنه أغفل هذا. وأغفل أيضا موضوع الخطاب الذى أورده ثيوفان حول رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى، التى يدعوه فيها للإسلام. وتجاهل كذلك غارة الأسطول البيزنطى على تانيس فى مصر عام ٧١٩-٧٢٠م/١٠١هـ. وقد اعتمدنا فى هذا على ثيوفان. بل وأهمل النشاط العسكرى المتبادل بين القوتين طرفى الصراع فى هذه الفترة حتى عام ٧٤٨م/١٣٠هـ.

كذلك أغفل النشاط العسكرى المتبادل اعتبارا من عام ١٣٤هـ/٧٥٢م، حينما حاول العباسيون الاستيلاء على صقلية وسردينيا فى هذه السنة وحتى عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م. كذلك أهمل نشاط عام ١٦١هـ/٧٧٨م وعام ١٦٣هـ/٧٨٠م الذى قام به المهدى ضد دورليوم ومناطق أخرى فى آسيا الصغرى. وأيضا أغفل جوانب كثيرة من تفاصيل حملة هارون عام ١٦٥هـ/٧٨٢م على البوسفور، مثلما أغفل نشاط الحدود بين القوتين طرفى الصراع من عام ٧٨٥ إلى عام ٨٠٤م (١٦٩-١٨٨هـ). ولعل هذا القصور فى سرد الروايات يرجع إلى اهتمامه بالشئون الداخلية بصفة عامة، والدينية على وجه الخصوص، بحكم عمله فى هذا المجال.

وهناك مجموعة من المصادر البيزنطية التى اعتمد عليها الباحث فى الفترة

موضوع الدراسة، وكانت متأخرة نسبيا من الناحية الزمنية، ولكنها أفادت الباحث إلى حد كبير، وبخاصة مؤلفي كدرينوس وزوناراس.

فقد رجع الباحث إلى مصنف المؤرخ البيزنطي جورج كدرينوس وعنوانه "مختصر التاريخ "Historiarum Compendium، وهو من أشهر مؤرخي القرن الثاني عشر الميلادي، وقد وضع كتابه في سنة ١١٠٠م (١). وأمدنا بمعلومات طيبة(٢) أفادت البحث كثيرا. فهناك العديد من الآراء والروايات التي انفرد بها ولم ترد

١-وضع كدرينوس Cedrenus، كتابه في سنه ١١٠٠م، وتبدأ هذه الحولية ببداية العالم وحتى عام ١٠٥٩م وقد نشرت في باريس في مجموعة الباترولوجيا اليونانية في جزئين باللغتين اليونانية واللاتينية، انظر: Cedrenus Georguis,Historiarum Compendium, ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome CXXI-CXXII, Paris,1864-1894. وهذه الطبعة هي التي اعتمد عليها الباحث. وهناك طبعة أخرى لهذا المصنف نشرت في بون عام ١٨٣٩م، وتتألف من جزءين أيضا. انظر : Cedrenus, G., Historiarum Compendium ed. Bekker,2 Vols, C.S.H.B., Bonne, 1839.

وللمزيد من التفاصيل عن هذا المؤرخ، انظر : وديع فتحي عبد الله:العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية والخلافة العباسية في عهد الإمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩-٨٤٢م/٢١٤-٢٢٨هـ) رسالة ماجستير لم تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ٣١.

٢- يعتبر هذا المؤلف الكتاب الرئيسي الذي وضعه أحد المؤرخين البيزنطيين الذين عاصروا القرن الثاني عشر، وهو حنااسكلتزس، الذي أرخ للسنوات من ٨١١ إلى ١٠٥٧م، وقد نقله كدرينوس الذي يذكر بنفسه في مقدمة كتابه، أنه اعتمد على الأعمال المبكرة وغير المبكرة بل أن كثيرا مما ورد في هذه المقدمة ورد في مقدمة اسكلتزس انظر Hirsh, F., Byzantinische, Studien, Amsterdam, 1965 pp. 375-376; راجع أيضا: وديع فتحي : ثيوفيلوس، ص ٣١؛ هاري إلمربارنز : تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٣٢.

في غيره من المصادر، حتى المعاصرة التي سبق الإشارة اليها. فمثلا عرض باسهاب الأسباب التي جعلت القسطنطنية تصمد أمام الأمويين في عام ٧١٧م/٩٩هـ وأفادنا بأن سور العاصمة كان يحظى بعناية خاصة، حتى أن الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري فرض ضريبة مُـــخصصة لصيانته من عام ٧٣٩م/١٢٢هـ. وقد أغفلت مختلف المصادر الأخرى هذه المعلومة. كما انفرد برواية تتعلق بنشاط مروان بن محمد، ونجاحه في فتح حصني قونية وكمنخ في آسيا الصغرى عام ١٠٥هـ/٧٢٣م، ولم يشاركه في هذه الرواية سوى ابن الأثير من المصادر العربية. ثم انفرد برواية عن وصول صائفة أموية توجهت إلى خرشنة، وتمكنت من احراق المزارع القريبة من ملطية في عام ١١٢هـ/٧٣٠م. وسجل هذه الرواية من المصادر العربية خليفة بن خياط والطبري وابن الأثير. ورغم أنه يشترك مع ثيوفان في رواية توغل الجيش الأموي في آسيا الصغرى عام ١١٧هـ/٧٣٥م، إلا أنه انفرد بمعلومة تفيد أن أحد النبلاء البيزنطيين وقع في الأسر، وادعى أنه ابن الإمبراطور جستنيان، فأحسن القائد الأموي سليمان معاملته كما عرضنا في البحث.

وفي تناول كدرينوس لعهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس، انفرد بروايتين أفادتا البحث، تشـــير أولاهما إلى استيلاء الإمبراطور على حصن مرعش ونقل سكانه إلى داخل بيزنطة عام ٧٤٤م/١٢٦هـ. وقد أغفل ثيوفان ونقفور هذه الرواية. أما الرواية الثانية فقد أهملتها المصادر العربية. وذكرها ثيوفان ونقلها عنه كدرينوس، وتتعلق بصائفة عام ١٥٥هـ/٧٧١م التي قام بها الجيش العباسي الذي قُتل منه ألف رجل. وقد ساعدنا كدرينوس في التوصل لتحديد اسم قائد هذه الصائفة، الذي انفرد أيضا بتفاصيل المعركة وكيف تحولت كفتها من المسلمين إلى البيزنطيين.

وفيما يتعلق ببنود الصلح الذى عقد بين هارون وايرين عقب حملة الخليفة على البوسفور عام ١٦٦هـ/٧٨٢م، انفرد كثرينوس بذكر أحد هذه البنود، وهو أن مدة الصلح كانت ثلاث سنوات. كما انفرد برواية الهجوم الإسلامى على كريت عام ٨٠٦م/١٩١هـ، وما ترتب على ذلك من نتائج.

وبالإضافة إلى الأحداث التى انفرد بذكرها كذرينوس، فقد أسهب فى توضيح بعض الروايات وتأكيدها، منها على سبيل المثال إشارته الواضحة للتفوق الإسلامى فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى/القرن الأول الهجرى، وخاصة أثناء موقعة ذات الصوارى عام ٣٥هـ/٦٥٥م التى انهزم فيها البيزنطيون، ونتائج ذلك. وكذلك تناوله لموضوع استيلاء المسلمين على حصن طوانه عام ٨٨هـ/٧٠٧م بعد حصار دام عامين، ونتائج ذلك. وأسهب فى عرضه لأحوال بيزنطة الداخلية فى أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الميلادى، حتى تمكن القائد ليو من تأسيس أسرة جديدة تحمل اسم الأسرة الأيسورية، وأثر ذلك فى العلاقات البيزنطية الإسلامية.كما أوضح كيفية تزايد نفوذ الخصيان فى عهد إيرين وتهديدهم لاستقرار الإمبراطورية.ثم أمدنا بتفاصيل عن هجوم الإمبراطور نقفور على مرعش، والخسائر التى ألحقها بالمسلمين فى عام ١٩٠هـ/٨٠٥مكما أمدنا بما يسد بعض جوانب النقص المتعلقة ببنود اتفاقية الصلح بين هارون ونقفور فى عام ٨٠٦م/١٩١هـ. فقد عرض للبند الخاص بمجموع الجزية التى كان على نقفور أن يدفعها لإيرين، مثلما عرض لالتزام بيزنطة برد معسكراتهم التى فى حوزتهم للمسلمين هذا بالاضافة إلى اشاراته التى فصّل فيها جوانب عن أحوال بيزنطة الداخلية وبخاصة الدينية. وأسهب فى ذكر سياسة الإمبراطور قنسطنطين الخامس الدينية ووســـائل التعذيب التى اتبعها تجاه عبادة الأيقونات، وأثر

[illegible] فى بيزنطة سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى كما أشار بالتفصيل إلى أحوال بيزنطة الداخلية فى عهد ايرين، وانعكاس ذلك على قوة بيزنطة رغم نجاحها فى اخضاع المستوطنين السلاف الذين ثاروا ضدها فى تراقيا ومقدونيا فى عامى ٧٨٣م/١٦٧هـ و٧٨٤م/١٦٨هـ. كما لم يترك الكوارث الطبيعية التى تعرضت لها بيزنطة، إذ أشار إليها بالتفصيل. مثال ذلك تلك التى حدثت فى عامى ٧٤٥-٧٤٦م/١٢٨-١٢٩هـ. وفى هذا الصدد يذكر أن الناجين من هذه الكارثة رحلوا إلى بيت المقدس.

ونظرا لغزارة المادة العلمية التى عرضها كدرينوس عن المدة موضوع الدراسة، فقد تعددت الروايات التى اتفق فيها مع غيره من المؤرخين. فعلى سبيل المثال، أيد اشارة ثيوفان سياسة ليو الثالث الأيسورى الخاصة بشغل المسلمين عن مهاجمة بيزنطة عبر الحدود. إذ نجح فى تحريض الخزر على تهديد أملاك المسلمين فى أرمينيا فى عام ٧٢٢م/١٠٥هـ.. كما اتفق معه فى حملة هشام بن عبد الملك التى أرسلها إلى بيزنطة فى عام ١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م. وأيضا اتفق مع ثيوفان على انه أرسلت حملة أموية إلى قبرس فى نهاية عام ١٢٩هـ/٧٤٦م. ويضيف كدرينوس أنه بعد مواجهة عسكرية، أبيدت تقريبا القوة البحرية الأموية. ثم يؤيد رأى ثيوفان فى الرواية التى تقول إن قسطنطين الخامس جعل من قبرس مكانًا لنفى المغضوب عليهم من البيزنطيين إبتداء من عام ٧٥٢م/ ١٣٤هـ. ثم يتفق مع ثيوفان وهمرتولس فى أن الإمبراطور ليو الرابع قد كرم ميخائيل لاخانودراكون، مما ساعدنا فى الوصول إلى النتيجة التى توصلنا إليها فى هذا الصدد. ثم يتفق فى رواية أخرى مع رأى ثيوفان الخاص بتفاصيل ثورة باردانيس توركوس وفشلها، وأسباب ذلك. ويتفق معه فى موضوع الهجوم البحرى على قبرس فى عام ١٩٠هـ/٨٠٥م، ثم على رودس فى ١٩١هـ/٨٠٦م، وفشل الهجومين بسبب مناعتهما، والمشاكل التى تعرض لها الجيش العباسى أثناء حملته على رودس وأخيرا، يتفق مع رأى المؤرخ المجهول صاحب كتاب " صلة ثيوفان" (١).

١- Theophanes Continuatus, Historia, ed Migne, Patrologia Creaca, Tome CIX, Paris, 1863, col.24.

إذ يتناول ارتكاب القائد ليو الأرمينى خطأ عسكرياً يتعلق باهماله حراسة أموال الضرائب مما أعطى الفرصة للمسلمين للسطو عليها، فعاقبه الإمبراطور نقفور بالنفى ولم يفرج عنه إلا فى عهد ميخائيل الأول.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد إختلف مؤرخنا مع كل من ثوفيان ونقفور حول مدة حصار المسلمين للقسطنطينية عام ٩٩هـ /٧١٧م، اذ حدد المدة بأربعة عشر شهرا. وقد تعرض الباحث لهذه المسألة وأوضح رأيه فيها. ولكن رغم المادة العلمية الغزيرة التى زودنا بها، فقد أوجز فى بعض رواياته، ولم يقدم عنها مادة تاريخية مثل المصادر الأخرى. مثال ذلك تناوله لحملة الامبراطور قنسطنطين السادس وأسره أعدادا من المسلمين فى عام ٧٩١م/١٧٥هـ . كما أوجز فى تناوله لحملة هارون عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، ولم يحدد عناصر الجيش العباسى ومواطنها بينما عرضها ثيوفان، الذى يُبرهن بذلك على أن يظهر بمظهر العارف بالمواقع الإسلامية والأسماء العربية. ورغم التشابه الذى نلاحظه فى العرض التحليلى، نجد أن كدرينوس ينقل الكثير عن ثيوفان، ولكنه لم يأخذ عنه تلك الميزة الأخيرة. كما أوجز فى حديثه عن هجوم هارون الرشيد على أنقرة فى عام ١٩٠هـ/٨٠٥-٨٠٦م، وفى تناوله لسفارة نقفور إلى هارون عقب حملة الخليفة العباسى فى ١٩٠هـ/٨٠٥م، إذ أمدنا ثيوفان بأسماء أعضاء هذه السفارة، بينا لم يذكرها كدرينوس، ولعله أثر الإيجاز.

وتحديدا لبعض جوانب القصور الأخرى فى هذا المصدر، سوف نشير إلى روايات أغفلها، وروايات أخرى أخطأ فيها، وروايات بالغ فى تصويرها. فبالنسبة لما أغفله كدرينوس، نجد أنه تجاهل على سبيل المثال معركة أكرونيون فى عام ١٢٢هـ/ ٧٣٩-٧٤٠م، كما لم يشر الى محاولة الإمبراطور قنسطنطين الخامس أو القائد ارتفاذدوس الحصول على تأييد المسلمين فى عام ٧٤١م/١٢٣هـ، بينما أمدنا ثيوفان بمعلومات تتعلق بهذه الناحية.كذلك أغفل رواية عن الأسرى الذين تم الاتفاق على الافراج عنهم بعد معركة عام ١٥٠هـ/٧٦٩م. أما الروايات التى أخطأ فيها فهى قليلة، ولعل ذلك مرجعه أنه تناول فترة يُكتب عنها نقلا عن المصادر التى سبقته. فمثلا أخطأ كدرينوس فى تحديد تاريخ تولية الإمبراطورقنسطنطين الخامس بعام ٧٣٩م/١٢١هـ،

بدلا من عام ٧٤١م/١٢٣هـ..

أما عن رواياته التى بالغ فيها، فلم تكن فى صميم الأحداث، وأنما كانت فى أحكامه وتصوراته بالنسبة للحكام، خاصة الذين عارضوا عبادة الصور والأيقونات. أى أنه سار على نفس نهج ثوفان. فعلى سبيل المثال أشار الى الصراع على الحكم بين إيرين وابنها قنسطنطين السادس، فدفع عنها تهمة الطامعة فى الحكم. ويقول" إنها وقعت فريسة لبعض الوشايات التى كان الغرض منها الوقيعة بينها وبين أبنها ". هذا فى حالة الدفاع عن أحد الحكام الأيقونيين مثلما هو الحال مع ايرين، أما عندما يكون الإمبراطور لا أيقونى مثل نقفور، فأنه يعطى لنفسه الحرية فى أن يصفه بأوصاف لا تليق. وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلي روايتين متناقضتين لمؤرخنا فى حكمه على الإمبراطور قنسطنطين الخامس. فبينما نعته بأقذع الأوصاف بسبب معاداته لعبادة الصور والأيقونات، نراه فى الوقت نفسه يعترف بأن هذا الإمبراطور هو واحد من أعظم شخصيات عصره، مما يعكس أمانة تاريخية جعلته يعطى هذا الامبراطور حقه، ورغم تعصب المؤرخ للإيقونات و على أى حال، فهذا المؤلف لا غنى عنه، لأنه ساهم فى ذكر الكثير من أحداث المدة موضوع الدراسة، وساعد فى سد العديد من الفجوات.

أما المثال الثانى للمصادر البيزنطية المتأخرة عن الفترة موضوع الدراسة، فيمثله المؤرخ البيزنطى حنا زوناراس الذى توفى عام ١١٣٠م. وهو من مؤرخى القرن الثانى عشر الميلادى، وقد نشرت حوليته تحت عنوان Annalium ، (١) والمدقق فى هذه

١- نشرت هذه الحولية كاملة فى الباترولوجيا اليونانية فى الأجزاء ١٣٤ ، ١٣٥، مثلها مثل المصادر الأخرى التى اعتمد عليها الباحث باللغتين اليونانية وهى اللغة االأصلية التى دون بها المؤرخ كتابه، واللاتينية وهى الترجمة للنص الأصلى اليونانى وتوجد فى نهاية الحولية تعليقات وفهرست منظم لأسماء الحكام من آدم حتى حكم اليكسيس كومنين (١٠٨١-١١١٨ م)، إعتبار أن هذه الحولية تغطى الحوادث منذ بدء الخليفة حتى عام ١١١٨م. أنظر:

zonaras, joannes, Annalium, ed migne patrologia graeca tome cxxxiv,cxxxv,paris, 1864

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحولية نشرت أيضا الى بون عام ١٨٤١-٧٩٨١، ولكن تحت عنوان" موجز التاريخ" انظر :

zonaras,jonnes, epitome historriarum, ed pender, m., and buttner, B.,3 vols., Bonne, 1841-1892.

وقد اعتمد الباحث على طبعة الباترولوجيا فى الجزء الأول من حولية زوناراس التى تحمل رقم ١٣٤ .

الحولية يكتشف إعتماد مؤلفها على كل من كدرينوس وصاحب الصلة، وهى مصادر تتميز بالدقة والعمق. وقد تميز أسلوبه بالسهولة و السلاسة والحرص على الإيجاز فى كثير من الأحيان، ولكن فى وضوح ويسر محتذيا حذو المؤرخين الذين نقل عنهم ولعل شخصية المؤرخ نفسه قد ساعدت على اخراج الكتاب بهذا الصوره الطيبة.(١)

وبناء على ذلك، جاءت روايات زوناراس التى شارك فيها غيره من المؤرخين، أى التى أتفق فيها معهم أكثر من تلك التى انفرد فيها بها، وقد وضح ذلك بين سطور هذا البحث. وفيما يتعلق بالروايات التى انفرد بها، فمن المعروف أنه انفرد برأى حول هدف هارون الرشيد من نشاطه العسكرى بصفه عامة .إذ يقول أن الهدف هو السلب والنهب، ولم يكن الإحتلال الدائم لأراضى بيزنطة. وقد تناول الباحث هذا الرأى بالتحليل والنقد. كما ذكر معلومات لم ترد فى غيره من المصادر تفيد أن إيرين حريصة على نشر القوات البيزنطية فى منطقة حدودها مع الخلافة العباسية، تحسبا لأى إغارات عربية. كذلك أوضح أن بيزنطة بسبب الوضع السيىء لقواتها بعد أن خرج هارون سليما من المصيدة التى وقع فيها أثناء حملته على البوسفور فى ١٦٥هـ/٧٨٢م، وأصبحت القسطنطينية مهددة ، أوضح أن بيزنطة خضعت لشروط هارون، وأن الطرفين تبادلا الرسل لوضع تفاصيل الصلح بينهما. ولم يشارك فى هذا الرأى سوى المصادر العربية مثل اليعقوبى والطبرى . كذلك انفرد برأى فى موضوع الصراع بين ايرين وابنها ، فيقول إنه شاع فى الغرب الأوروبى أن عرش القسطنطينية يعتبر شاغرا بعد عزل قنسطنطين السادس فى ٧٩٧م/١٨١هـ ، ولا يجـــوز أن تشـغـله امـــرأة، ويعتبر شارلمان وريثا له . وينــص

١- لعل وظيفته الكبيرة فى البلاط كقائد للحرس الإمبراطورى جعلت حياته تتصف بالجد والانجاز السريع. وقد أنعكس هذا على مؤلّفه، خاصة وانه تميز بثقافة عالية استفاد منها حينما جنح إلى الحياة داخل الدير، لمواصلة كتابة هذا المؤلّف. وقد ساعده زملاءه حتى يتفرغ لاتمام هذا العمل. انظر: Bolger, Byzantine Literature, C.M.H., VOl IV, PART II,P.236; HIRSH, Byzatinsche studien,PP.377-380.

قوله:"إن وجود إمرأة على عرش بيزنطة اتخذ حجة لتبرير تتويج شارل العظيم". كما إنفرد برواية عن هجوم عباسى قام به أمير طرسوس فى عام ١٩٦هـ/٨١١م على بيزنطة ، ولكنه هُزم على يد قائد ثيم الأناضول ليو الأرمينى.

وفيما يتعلق بالروايات التى اتفق بشأنها، مع المصادر الأخرى نذكر أنه اتفق مع كدرينوس وجورج همرتولس حول أصل الإمبراطور ليو الرابع وتسميته بالخزرى، والمرض الذى كان يعانيه. واتفق ايضا مع ثيوفان وجورج همرتولس حول رواية الزواج الذى كاد أن يتم بين إبن ايرين وإبنة شارلمان. وقد عرضنا لهذه الرواية ونتائجها وكذلك اتفق معهما فى تفاصيل مواجهة بيزنطة لحملة هارون على البوسفور فى سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م، ووقوع هارون فى مصيدة الحصار وكيفية تخلصه منها. وأيضا اتفق مع ثيوفان حول رد فعل المهدى عام ١٦٨هـ/٧٨٤م، حينما نقد البيزنطيون الهدنة مع المسلمين. وقد عرضنا لذلك بالتفصيل فى موضعه من الدراسة. كذلك اشترك مع كل من ثيوفان وكدرينوس وجورج همرتولس فى رواية حول غزوة بيزنطية اتجهت إلى طرسوس عن طريق عمورية، ولكنه يؤيد رأي ثيوفان فى أن الإمبراطور لم يُنجز شيئا يذكر فى مسيرته هذه ضد العرب، وهما بذلك يعارضان رأي كل من كدرينوس وهمرتولس، إذ يقولان إن الإمبراطور عاد بعدد كبير من الأسرى المسلمين. كذلك اتفق هذا المؤرخ مع ثيوفان فى الرأى حول صائفة هارون الرشيد إلى عمورية فى عام ١٧٩هـ/٧٩٥؛ إذ يذكر أن هذه الصائفة "عادت دون استكمال الفتح " مكرراً نفس أسلوب ثيوفان فى هذا الصدد. علاوة على الروايات التى تتعلق بأحوال بيزنطة الداخلية، والسياسة المالية للأباطرة البيزنطيين إبان الفترة موضوع الدراسة.

وهناك روايات أسهب المؤرخ زوناراس فى عرضها، قياسا على المصادر الأخرى فعلى سبيل المثال، أفاض فى بيان دور الجيش البيزنطى فى تتويج ليو الرابع لابنه. وقد عرض الباحث لدوافع ذلك ونتائجه. ثم أسهب فى عرض جهود الإمبراطور قنسطنطين السادس لرد حملة هارون فى عام ١٧٩هـ/٧٩٥م، موضحا نجاح الإمبراطور فى صد هذه الحملة. ولكنه يروى أنه فشلَ فى تطوير أسلوبه من الدفاع إلى الهجوم، حتى يتعقب هذه الحملة أيضا. ثم أسهب فى عرض تفاصيل نظام الخدمة

العسكرية الذى طبقه نقفور على الفلاحين الفقراء، الذين تقل قيمة أراضيهم عن القيمة الواجبة لتغطية تكاليف تجهيزهم عسكريا.

ويكاد يحس القارىء بالتزام المؤرخ فى كتابته التاريخيه، ومحاولته عرض الحقيقه دون تدخل من جانبه. ولكن هذا الإلتزام لم يمكنه من التغلب على ميوله فى تأييد عبادة الأيقونات، ولذلك انزلق، شأنه شأن المؤرخين السابقين، فى وصف الإمبراطور نقفور بأوصاف سيئة، حتى أنه علق على موته على يد البلغار بقوله:" لقد خفف من حزن الشعب على الإمبراطور، أن الإمبراطور الذى هلك هو نقفور". ولا شك أن هذه المبالغة ترجع للكراهية التى سيطرت على مؤرخى عصر هذا الإمبراطور، نظراً لأنه جاء بعد حكم الإمبراطورة إيرين التى اعادت عبادة الأيقونات، وإختلفت سياسة نقفور عنها شكلاوموضوعا.

أما ما يؤخذ على المؤرخ زوناراس فهو أن بعض رواياته كانت تتسم بالإضطراب. فعلى سبيل المثال نجده يعلق على الهدنة بين هارون وإيرين فى أعقاب الحملة العباسية عام ١٦٥هـ/٧٨٢م، وبعد ان اتفق على دفع إيرين للجزية، بقوله:"إن ذلك يرجع إلى ضعف النساء وشعورهن المرهف وبناء على طلب العرب"، مؤيدا فى ذلك كلا من ثيوفان وجورج همرتولس. ولكنه يذكر عن هذه الواقعة أن "ايرين وقعت شروط الصلح مجبرة وتحت وطأه القبض على القادة". كما يذكر تعليقا على ثورة بارانديس توركوس ضد الإمبراطور نقفور بقوله "إنه لا يعرف إن كان قد نودى به إمبراطورا راضيا أم مرغما". وفى موضع آخر يقول:" إن توركوس كان يتطلع ويحلم بعرش الإمبراطورية". وقد عرض الباحث لهذا بالتعليق وقارن بينه وبين رواية جورج همرتولس الذى حدد بوضوح أن الثيمات البيزنطية اختارت توركوس امبراطورا على غير رغبته. على أى حال ، رغم هذه السلبيات، إلا ان هذا المصدر لا غنى عنه لتغطية جوانب هامة من تاريخ العلاقات البيزنطية الإسلامية إبان المدة موضوع الدراسة.

وبالإضافة إلى المصادر سالفة الذكر التى تتناولها بالدراسة التحليلية المقارنة، توجد مجموعة أخرى من الأصول البيزنطية الهامة التى اعتمدنا عليها فى بعض جوانب دراستنا، من بينها مصادر تبدأ سردها التاريخى فى آخر المدة موضوع بحثنا، مثل

چوزيف جنزيوس Joseph Gensius والمؤرخ المجهول صاحب صله ثيوفان، وليو جراماتيكوس Leo Grammaticus والمؤرخ المجهول الذى ارخ لحكم ميخائيل الاول رانجابى، وسيمون ماجستر Symeon Magister ، وجورج موناخوس George Monachus . وقد افادتنا بصفه خاصة فى الفصل الأخير من الكتاب.

كما توجد مجموعة أخرى من المنابع بعضها لم تمدنا سوى بالنزر اليسير من المادة، مثل المؤرخ البيزنطى قسطنطين موناسيس constantine monasses، الذى اهتم اساسا بالسياسة الداخلية والثورات والمشاكل الدينية، والأشعار والأدب البيزنطى. وبعضها أفدنا منه لتوضيح الاساليب العسكرية، وفن الحرب مثل مؤلف الإمبراطور ليوالسادس، أو لتوضيح الأمور الخاصة بالثيمات البيزنطية مثل مؤلف قنسطنطين بروفيروجنتيوس constantine prophyrogentius

ولضمان الوصول إلى اسلم النتائج، وأصوبها قدر الامكان، كان لزاما علينا التعرف على مختلف وجهات النظر فيما يتعلق بالقضايا التى طُرحت فى هذا البحث. ولتحقيق هذه الغاية رجعنا أيضا إلى المصادر الأرمينية والسريانية والعربية التى عالجت المدة موضوع الدراسة، لسد الثغرات التى أغفلتها المصادرالبيزنطية. ونظرا لدخول الأرمن كطرف غير مباشر فى موضوع العلاقات السياسية بين العالمين البيزنطى والإسلامى، كان لابد من اعطاء صورة صادقة لعلاقات الأرمن بهذين العالمين.

والمصدر الارمينى الذى اعتمدنا عليه لتحقيق هذا الهدف هو مؤلف المؤرخ وعالم اللاهوت الأرمينى جيفوند Ghevond وعنوانه : Histoire de querres et des conquetes des Arabes en Armenie أى تاريخ حروب وفتوحات العرب فى ارمينيا(١). وترجع اهميتـــــه إلى أنه كان شاهد عيان لفترة زمنية

١- Ghevond, histoire de querres et des conquetes des Arabes en Armenie, tr.G.R Chahnazarian, Paris, 1856.

طويلة لموضوع هذه الدراسة(١). وقد أفادت روايات هذا المؤرخ البحث إلى حد كبير، سواء التى اسهب فى عرضها أو التى انفرد بها . والحقيقة أن الروايات التى أغفلها المؤرخ الأرمينى جيفوند لاتؤثر فى عرض قضايا البحث، لأن دور الأرمن كان دورا غير مباشر فى هذه الدراسة. ومع ذلك فقد أمدنا بروايات جديدة، اذ أسهب فى عرضه للفتوحات الإسلامية فى الشام وفلسطين ومصر وشرق آسيا الصغرى فى النصف الاول من القرن السابع الميلادى/ النصف الاول من القرن الهجرى. ثم عرض بوضوح رأيه الخاص بفلسفة الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الحكم وصفة التسامح التى اتصف بها خاصة تجاه من لديهم استجابة لذلك، ولذا سعى الخليفة إلى استمالة الأرمن ومصالحتهم. ويذكر محاولة الإمبراطور قنسطنطين الخامس استعادة تأييدهم لبيزنطة، ونجاحه فى هذا والأسباب والنتائج المترتبة عليه. كذلك عالج موقف الأسر الأرمينية من سقوط الدولة الأموية، وقيام الخلافة العباسية، وأثر ذلك فى الصراع البيزنطى الإسلامى مع بداية النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى/ النصف الأول من القرن الثانى الهجرى. كما أوضح خطورة ثورات الأرمن ضد العباسيين فى عام ١٥٥هـ/٧٧١م، تلك الثورات التى انهاهــا العباسـيون فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م. وقد أوضح جيفوند أن

١-يعتبر شاهد عيان لأحداث النص الاخير من القرن الثامن الميلادى/ النصف الأخير من القرن الثانى الهجرى، أى الفترة موضوع هذه الدراسة. وبالتحديد فإن تاريخه يغطى المدة من عام ٦٣٢م/ ١١هـ منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستمر حتى عام ٧٩٠م/ ١٧٤ هـ، أي حتى نهاية فترة بطريركية ستيفان الأول بطريرك الأرمن فى سنة ٧٨٨-٧٩٠م. انظر: عبد الرحمن محمد عبد الغنى أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (٦٥٣-١٠٦٤م/٣٣-٤٥٧هـ) رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص٣٥-٣٨، راجع أيضا: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمينى جيفوند٦٣٢-٦٦١م ١١-٤٠هـ،جـ١ ،الاسكندرية١٩٨٢م،ص٣-٦.

الأرمن طلبوا من بيزنطة مساعدتهم ضد العباسيين. وفى معرض حديثه عن حكم الإمبراطور البيزنطى ليو الرابع، تناول باسهاب أول هجوم بيزنطى لهذا الإمبراطور على الحدود الإسلامية فى عام ٧٧٦م/١٦٠هـ ، بينما أغفل ثيوفان هذا الهجوم. فقد أورده جيفوند واتفق معه اليعقوبى، ولكن جيفوند مكّن الباحث من تحديد تاريخ هذه الحملة، على النحو المبين فى البحث. ولعل إهتمام هذا المؤرخ بهذه الحملة يرجع إلى اشتراك اثنين من الأرمن فى قيادتها، وقد أبليا فيها بلاءا حسنا، فحظيا بتكريم الإمبراطور، وهو الشئ الذى اقتصرت عليه إشارة ثيوفان. أما جيفوند فقد استمر فى عرض تفاصيل هذه الحملة حتى تناول موقف الخليفة العباسى المهدى من هذه الهزيمة وكيف أنه حاصر حصن كاسن وهاجم أنقرة، كرد فعل منه على هذه الهزيمة. ثم عالج بالتفصيل موضوع الحصار الذى تعرض له هارون أثناء حملته على البوسفور فى عام ١٦٦هـ/٧٨٢م. وعرض دور القائد البيزنطى تاتزاتيس، الذى ساعد هارون على الخروج من هذا الحصار فنال تكريم العباسيين، وعاش بينهم حتى وفاته فى عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م.ويحسب لجيفوند تحليله الجيد للأسباب التى دفعت تاتزاتيس لهذا الموقف، وينفرد فى هذا الصدد بما يفيد أن ايرين كانت تعادى هذا القائد. وقد أعلنت ذلك صراحة وبوضوح. ومما لاشك فيه أن تناول جيفوند لهذا الموضوع قد ساعد الباحث على استكمال تحليله وعرضه لجميع جوانب هذه الرواية، وسد الفجوات التى اكتنفت بعض أركان هذه القضية. ولم يترك جيفوند رواية تتعلق بالأرمن أثناء المدة موضوع هذه الدراسة إلا وعرض لها، فى سرده لثورات الأرمن ضد الحكم الإسلامى. فقد عرض لثورة قاموا بها فى عام ١٧١هـ/٧٨٧م نتيجة لكثرة الضرائب، فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى بيزنطة، وموقف المسلمين من هذه الثورة، ثم انتقل لعرض موقف الترك والخزر من المسلمين، واهتمام هارون الرشيد لوقف خطرهم.

والمدقق لروايات جيفوند يجد هناك اتفاقا بين رواياته وبين روايات بعض المصادر البيزنطية. خاصة ثيوفان. على سبيل المثال، فقد أيد ماجاء به ثيوفان بشأن ماقيل عن الرسالة التى بعث بها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الإمبراطور البيزنطى ليو الثالث الأيسورى، يدعوه فيها إلى الإسلام. وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ العربى المسيحى

أجابيوس، صاحب كتاب (العنوان) يؤيد هذه الرواية. وفى موضع آخر، يتفق مع ثيوفان وأيضا مع كل من جورج همرتولس وزوناراس حول الرأى القائل بأن هدنة إيرين وهارون، وما نتج عنها من التزام إيرين بدفع جزية فى أعقاب حملة هارون على البوسفور فى عام ١٦٦هـ/٧٨٢م، : "ترجع إلى ضعف النساء، وأنها سعت إلى الصلح بناء على طلب العرب".

ولايستطيع الباحث أن يوجه لهذا المصدر مآخذ واضحة، بسبب طبيعة الحديث عن الأرمن فى هذا البحث، الذى لايتطلب الغوص فى أعماق هذا المصدر. والخلاصة أنه المصدر الذى اعتمدنا عليه فى تزويدنا بالأحداث السياسية فى أرمينيا فى القرن الثامن الميلادى / القرن الثانى الهجرى، كما أنه عالج دور الأرمن فى اطار العلاقات السياسية بين البيزنطيين والمسلمين خلال تلك الفترة.

كذلك رجع الباحث لمصدرين سريانيين بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية، أولهما لميشيل السريانى، والثانى لابن العبرى. وقد تشابها نظرا لتشابه المؤثرات فى حياة كل من هذين المؤرخين، وذلك على النحو الـذى سنعرضه تفصيلا على مدار فصـول البحث. وبالنسـبة للمصـدر الأول، فقد وضـعه ميشيل السريانى (١)

١- كان يشغل منصب بطريرك الكنيسة اليعقوبية فى مدينة أنطاكية فى الفترة من عام ١١٦٦م/٥٦٢هـ إلى ١١٩٦م/٥٩٣هـ. وقد تركت نشأته الدينية أثرا واضحا فى كتاباته التاريخية. انظر : جاسم صبكان على : التاريخ العربى والإسلامى من خلال المصادر السريانية العراقية، مجلة عالم الفكر، الكويت ١٩٨٤م، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، ص ٦١

Michel Le Syrien وعنوانه Chronique أى الحولية، وتغطى الأحداث من بدء الخليقة حتى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، أى حتى وفاة صلاح الدين الأيوبى(١) ويهمنا من هذه الحولية الجزء الثالث الذى يتصل بموضوع الدراسة، وقد اعتمد فيه المؤرخ على كثير من المصادر الأخرى (٢)، مثل حولية ثيوفان وحولية التلمحرى (٣).

وحولية ميشيل السريانى غزيرة بالمادة التى دونها المؤرخ. ولكن نظرا لأنه من رجال الدين، مثله ابن العبرى، فكانت الروايات يغلب عليها الطابع الدينى (٤). ولكن هذا لايمنع من أن هناك مادة طيبة حصل عليها الباحث، أهمها تلك التى انفرد بها دون غيره من الكتاب. مثال ذلك قوله إن هارون نجح فى عهد أبيه عام ١٦٣هـ/٧٨٠م فى أن يدخل خمسة آلاف من زنادقة حلب فى الإسلام. وقد نقل عنه ابن العبرى هذه الرواية ولكن هناك رواية لم يوردها ابن العبرى وانفرد بها السريانى، تذكر أن حصن سمالو أصبح تحت سلطان الخليفة المهدى بعد أن حقق هارون انتصارا فى الاراضى

١- كتبت هذه الحولية باللغة السريانية، وهى فرع من اللغة الآرامية التى كانت لغة سكان سورية وما بين النهرين خلال القرون الثلاثة عشر الأولى لظهور المسيحية. وقد قام بترجمة هذه الحولية من لغتها الأصلية إلى اللغة الفرنسية العالم شابو، ونشرها فى باريس فى ثلاثة أجزاء فيما بين عامى ١٨٩٩م/١٣١٧هـ و ١٩١٠م/١٣٢٨هـ انظر : Michel Le Syrie, Chronique, ed. With French Trans., by Chahot, J.B., 3vols. Paris, 1899-1901. والجدير بالذكر أنه توجد شذرات من حولية هذا المؤرخ فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية Recueil des Historiens des Croiasades, Documents Armeniens, vol.I,PP.309-409.

٢- منها ما هو سريانى أو عربى، كذلك نقل فصولا بكاملها من موارد تاريخية موروثة وأضاف إليها حوادث من عهده. انظر : Cahen, C., la Syrie du Nord a l'epoque des Croisades at la Principaute Franque d'Antioche, Paris, 1940, PP. 96-97.

راجع أيضا : جاسم صبكان على : التاريخ العربى والإسلامى، ص ٦١.

٣- Dionysius, Tell-Machre, ed.and Trans. by Chabot, J.B., Paris, 1895.

٤- انظر : جاسم صبكان على : التاريخ العربى والإسلامى، ص ٦٢.

البيزنطية، وقد اتفق معه فى هذه الرواية من المصادر العربية البلاذرى والطبرى وابن الأثير والعينى فى حين أغفلها ابن العبرى، وجميع المصادر البيزنطية وأيضا ينفرد السريانى برأى يغفله ابن العبرى، مضمونه أن نشاط المسلمين عامة، ونشاط هارون خاصة فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م، لم يكن الغرض منه الاحتلال الدائم لأراضى بيزنطة بل كان السلب والنهب. وقد سبق أن ذكرنا أن زوناراس أخذ بهذا الرأى، بل من الأمانة القول إنه صاحب هذا الرأى على النحو الذى سنعرضه فى حينه. كذلك انفرد بما يفيد أن إيرين قد تمكنت من تجهيز فرق من احتياطى الجيش البيزنطى، ودفعت بها إلى شرق نيقوميديا لمواجهة حملة هارون فى سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م. وقد أغفل ابن العبرى هذه الرواية أيضا. ولكن يتفق ابن العبرى معه بشأن البند الخاص بمدة معاهدة الصلح بين الطرفين المتصارعين، التى عقدت فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م بثلاث سنوات تبدأ من عام ١٦٦هـ/٧٨٢م. ثم انفرد برواية أخرى عن غارة بحرية إسلامية حدد تاريخها فى شهر فبراير ٧٨٨م/ رمضان ١٧١هـ. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يسعف الباحث مصدرا آخر بمزيد من التفاصيل، إذ إن السريانى أغفل تفاصيل هذه الحملة.كما انفرد برأى نقله عنه ابن العبرى يفيد أن قنسطنطين السادس نفى أمه بسبب اشاعة مفادها أن البيديوس بطريق صقلية قد ارتكب المعصية معها، وعندما ثبت كذب ذلك أعادها، ولكن الأم لم تنس ذلك لابنها. ويستكملان الرواية بأن هذا البطريق هرب إلى المسلمين وأصبح قائدا. ويتفق الطبرى مع كليهما فى أن البيديوس قاد أحد الجيوش فى آسيا الصغرى، ولكن تسبب البرد فى فشل هذه الحملة. هذا علاوة على أنه يذكر الأهمية الاقتصادية لمدينة هرقلة، فيقول إن هارون تمكن من الحصول على القمح بعد أن دخلها فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م. وكذلك انفرد برواية هامة عن رغبة الثائر العباسى نصر بن شبث العقيلى فى التحالف مع البيزنطيين، مبيًا كيف أن أنصار هذا الثائر عارضوا الفكرة.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك روايات اتفق فيها ميشيل السريانى مع آخرين. مثال ذلك اتفاقه مع أجابيوس فى الرواية التى تذكر أن كلا من الخليفة المهدى والإمبراطور ليو الرابع قد تبادلا النوايا الحسنة، إذ تبادلا الأسرى والهدايا فى بداية حكمهما. كما اتفق مع المصادر البيزنطية حول الحصار الذى تعرض له هارون أثناء حملته على

البوسفور فى سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م، وكيف أحكم البيزنطيون هذا الحصار.

وقد اتفق كل من السريانى وابن العبرى على رأى جانبهما فيه الصواب،كان الهدف منه هو التخفيف من وطأة هزيمة نقفور على يد هارون أثناء الحملة العباسية لفتح باب هرقلة فى شوال١٩٠هـ/أخر اغسطس ٨٠٦م. فيقولان إن هارون خشى الحرب فطلب السلام، ولتحقيق ذلك قام بتسليم الأسرى البيزنطيين لنقفور. وقد فنّد الباحث هذه الآراء أثناء تناول هذا الموضوع. وهناك روايات اختلف فيها مع مصادر أخرى مثال ذلك أنه حدد خسائر البيزنطيين فى معركة دوريليوم على الحدود الشرقية لثيم التراقسيانى أثناء حملة هارون فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م بعشرة آلاف قتيل، بينما يحددها ثيوفان بخمسة عشر ألفا وقد عرضنا هذا بالتفصيل.

وعلى الرغم من هذه المادة العلمية، إلا أنه أغفل بعض الروايات التى ذكرها ابن العبرى. مثال ذلك أنه أغفل رواية عن حملة قام بها الإمبراطور قنسطنطين الخامس على الحدود الأرمينية، حيث استولى بنفسه على الحصن الأرمينى الكبير ثيودوسيوبوليس. ولم يشر إلى حرص الخليفة العباسى المنصور للدفاع عن حصن ملطية الذى كان هدفا للبيزنطيين فى تلك الفترة. وأهمل رواية أخرى شبيهة تماما بالسابقة، تفيد أن المنصور نقل الكثير من أهل سميساط إلى الرملة عاصمة اقليم فلسطين، لأنه رأى أن السيطرة على هذه المدن (مثل سميساط) غير مؤكَّدة؛ لذا فضّل أن تكون بها حاميات قوية. وأغفل ذكر الهجوم البيزنطى على حصن الحدث فى عام ٧٨٥م/١٦٩هـ وما ترتب على هذا الهجوم، إذ هرب سكانه طلبا للنجاة. ولم يتناول الرواية الخاصة باستخدام هارون الرشيد لحجارة بعض الكنائس فى ترميم حصن الحدث عام ١٩١هـ/٨٠٧م. علاوة على أنه أغفل تحديد تاريخ ذهاب توماس السلافى إلى الخلافة العباسية فى عهد هارون الرشيد تحديدا صريحا أو ضمنيا.

وثمة بعض الأخطاء التى وقع فيها ميشيل السريانى. فعلى سبيل المثال، فقد ذكر أن اعتلاء الخليفة المهدى لعرش الخلافة العباسية تم بعد تولية ليو الرابع، بينما العكس هو الصحيح. وفى حديثه عن حملة العباسيين فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م أخطأ حينما قال إن المهدى دخل حصن البستان فى هذه السنة، والصحيح أنه هارون.

وأخطأ حين ذكر أن عمر قنسطنطين السادس وقت وفاة والدة ليو الرابع كان اثنتى عشرة سنة، والصحيح أنه كان فى العاشرة من عمره. ونلاحظ أن معظم أخطاء ميشيل السريانى أخطاء تاريخية. وذلك بسبب استخدامه التقويم الهجرى والاغريقى والميلادى، بينما اقتصر ابن العبرى، على التقويمين الاغريقى والميلادى(١). هذا، علاوة على أنه أحيانا يقطع أوصال الرواية فى أكثر من موضع، أو لايذكرها فى مكانها من حيث ترتيب الأحداث الزمنية. وعلى أى حال، لاغنى للباحث عن هذا المصدر، الذى ألقى الضوء على حقائق ثار الشك حولها.

أما بالنسبة للمصدر السريانى الثانى الذى أفادنا فى هذا الحديث، فهو الحولية التى وضعها المؤرخ العربى السريانى غريغوريوس أبو الفرج (١٢٢٦-١٢٨٦م/٦٢٤-٦٨٥هـ) المشهور بابن العبرى (٢). وقد وضع تاريخا للعالم بادئا من عهد آدم، ولكنه وجه انتقادات عنيفة للإسلام والمسلمين. ولكى يأمن غضب المسلمين، كتب تاريخه المدنى والكنسى باللغة السريانية التى يجهلها المسلمون. وعندما طُلب منه نقل التاريخ المدنى إلى العربية، حذف منه الانتقادات الموجهة للإسلام، وجعل عنوانه مختصر تاريخ الدول (٣). وقد رجع الباحث إلى الجزء الأول من حولية ابن العبرى التى تتناول تاريخ العالم السياسى والتى ترجمت من السريانية إلى الانجليزية (٤). ورغم أنه يعتمد على ميشيل

١- انظر : جاسم صبكان على :التاريخ العربى والإسلامى، ص ٦٣.

٢- كان من رجال الدين، ورغم ثراء أسرته، فإنه زهد الحياة وانخرط فى الحياة الدينية حتى نصبه الملك الناصر نائبا للبطريرك فى الشرق ورئيسا لكنائسه اليعقوبية. وذلك فى عام ١٢٦٤م/٦٦٣هـ. ويذكر له انقاذه لابناء طائفته من السريان اليعاقبة من بطش هولاكو، أثناء اجتياح المغول للشرق الإسلامى فى عام ١٢٥٦م/٦٥٦هـ.

انظر : محمد عبد الغنى حسن : علم التاريخ عند العرب، القاهرة ١٩٦١م، ص ١٩٦.

٣- انظر : جاسم صبكان على : التاريخ العربى والإسلامى، ص ٧١.

٤- قام بادج بهذه الترجمة ونشرت فى لندن عام ١٩٣٢ م. انظر : Bar Hebraeus, The Chronography of Gregory Abul-Feraj, Tr, E.A. Wallis Budge, London, 1932.

وأيضا انظر : جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى العصور الوسطى، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص٢٦١، هامش رقم ٣.

السرياني، إلا أن ابن العبرى أفاد الباحث بروايات عديدة انفرد بها ولم يذكرها السرياني،مثل استيلاء الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس على الحصن الأرمينى الكبير ثيودوسيوبوليس فى عام٧٥١م/١٣٤هـ، واهتمام الخليفة المنصور بترميم حصن ملطية وتزويده بحامية عسكرية فى عام١٣٩هـ/٧٥٦م، ونقل المنصور كثيرا من أهل حصن سميساط إلى مدينة الرملة عاصمة اقليم فلسطين والأسباب التى دعته إلى ذلك. كذلك انفرد برواية تتناول هجوم بيزنطة على حصن الحدث فى عام ٧٨٥م/ ١٦٩هـ، حتى أن سكان الحصن تركوه طلبا للنجاة بأنفسهم. وذكر رواية استخدام هارون حجارة بعض الكنائس فى بناء حصن الحدث فى عام ١٩١هـ/٨٠٧م، بينما لم تذكرها المصادر الأخرى. كما قام بتحديد تاريخ ذهاب توماس إلى الخليفة العباسى هارون الرشيد، وانفرد بتعليقه على خطاب نقفور إلى هارون الذى يعلن فيه رفض بيزنطة مواصلة دفع الجزية بأنه دعوة للحرب، التى أخذ كل من الطرفين يستعد لها.

وهناك روايات أخرى أسهب فيها رغم أنه لم ينفرد بها. فعلى سبيل المثال زودنا بتفاصيل عن علاقة الخزر بالمسلمين فى عهد سليمان بن عبد الملك، فى ضوء جهود ليو الثالث الأيسورى فى الاستفادة منهم كأعداء للمسلمين، فزوّج ابنه من ابنة خان الخزر فى عام ٧٢٣م/١١٥هـ، وهكذا أصبح العداء واضحا بين المسلمين والخزر فى هذه الفترة. كذلك أسهب فى عرض رواية هجوم العباسيين على حصن سميساط فى عام ١٥٢هـ/٧٦٩م وأسرهم أعدادا كبيرة من سكانها حتى استعادوا الحصن. وأحيانا يسهب فى مواضيع بعيدة عن التاريخ المدنى أو الكنسى، ويخصص لها مساحة كبيرة لا تتناسب مع أهميتها.مثال ذلك تناوله لموضوع الجراد الذى تعرضت له الخلافة العباسية فى عهد الهادىء الذى لم يستمر حكمه أكثر من أربعة عشر شهرا.

ونظرا لوفرة المادة التاريخية التى أفردها ابن العبرى، فقد اتفقت بعض رواياته مع مؤرخين آخرين. ومن أمثلة ذلك اتفاقه مع ثيوفان من المصادر البيزنطية، ومع الطبرى من المصادر العربية، بشأن نجاح الإمبراطور قنسطنطين الخامس فى الاستيلاء على ثيودوسيوبوليس فى عام ٧٥١م/١٣٤هـ. واتفاقه مع اليعقوبى والطبرى وابن الأثير بشأن ترميم الخلافة العباسية لحصن ملطية فى عام ١٣٩هـ/٧٥٦م. أما عن

اطلاق لقب الخزرى على الإمبراطور ليو الرابع، والمرض الذى كان يعانيه وأودى بحياته بعد اعتلائه العرش بخمس سنوات، فقد اشترك معه فى هذا الرأى كل من جورج همرتولس وكدرينوس وزوناراس.

وهناك روايات أغفلها ابن العبرى رغم أن ميشيل السريانى ذكرها؛ والمعروف أنه ينقل عنه. ومن أمثلة ذلك أنه أهمل الرواية التي تقول إن هارون مر ببيت المقدس أثناء عودته إلى بغداد بعد حملته فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م، وصلى فى مسجد المدينة. ولم يدل بدلوه حول طبيعة النشاط الإسلامى فى الأراضى البيزنطية وقتذاك. وأيضا النشاط البحرى الإسلامى على قبرس ورودوس فى عامى ١٩٠هـ/٨٠٥م و١٩١هـ/٨٠٦م.

ومما يؤخذ على ابن العبرى أنه وقع فى بعض الأخطاء، ومن أمثلة ذلك أنه يؤكد أن المهدى دخل حصن البستان أثناء حملة عام ١٦٣هـ/٧٨٠م، والصحيح أنه هارون. ثم يخطىء حينما ذكر أن وفاة ليو الرابع حدثت فى عام ٧٨١م/١٦٥هـ والصواب أنهاحدثت فى عام ٧٨٠م/١٦٤هـ. وأخطأ حينما اعتبر ايرين مشاركة لابنها فى الحكم بعد وفاة أبيه ليو الرابع، والصواب أنها كانت وصية عليه. وجانبه الصواب فى تعليقه على هزيمة الجيش العباسى بقيادة البيديوس فى حملة عام ١٧٨هـ/٧٩٤م، بقوله إن البرد قد قطع أرجل الرجال. ويقول إنه شاهد بنفسه أثر هذا البرد، علما بأنه لم يعاصر هذه الحوادث، وقد وقع فى نفس الخطأ ميشيل السريانى.كذلك أخطأ فى التاريخ الزمنى لبعض الروايات. فمثلا هجوم العرب على أفسوس فى عام ١٨٢هـ/٧٩٨م جعله فى عهد ليو الرابع، بينما وفاته كانت فى عام ٧٨٠م/١٦٣هـ. وأحيانا أخرى لايحدد اسم مكان الحملة. مثال ذلك أنه فى حديثه عن حملة هارون على قبرس عام ١٧٤هـ/٧٨٩-٧٩٠م يكتفى بقوله " ذهب العرب إلى شاطىء البحر" دون أن يحدد المكان وفى أحوال أخرى يجهل تسمية الأماكن بأسمائها العربية الصحيحة. فبدلا من أن يقول إن هارون انتقل من بغداد إلى الرافقة فى عام ٧٩٦م/١٨٠هـ، يقول إنه انتقل إلى كالونيكوس Calincus وأخطأ أيضا فى هذه الرواية عندما ذكر أنها وقعت فى عام ١٧٤هـ/٧٩٠م. ثم أخطأ بشكل فيه مغالطة للتاريخ، إذ يذكر أن هارون طلب السلام من نقفور بعد حصار هرقلة، بل وسلم هارون له كل الأسرى البيزنطيين، كما أعطاه

خياما مزينة على سبيل الهدية لتحقيق هذا السلام. وقد نقد الباحث هذا الرأى. ثم يخطىء هو والسريانى فى قولهما إن نقفور مات على يد البيزنطيين والصواب أنه مات على يد البلغار. وبالمقارنة بين كل من ميشيل السريانى وابن العبرى نجد أن الأخير امتاز بغزارة مادته، ولكنه كان أكثر تعصبا وتجنيا على الخلافة الإسلامية. وفى النهاية يجب أن نقرر بأمانة أن هذا المصدر من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها، ومادته التاريخية جديرة بالاهتمام. فهى إما تضيف بعض الأفكار الجديدة، وإما تؤكد ما أورده المؤرخون الآخرون بأسلوب مختلف، الأمر الذى يفيدنا فى مقارنة الروايات التاريخية.

وسعيا وراء الحقيقة التاريخية، كان لزاما علينا الرجوع إلى مجموعة كبيرة من المصادر والأصول العربية، سواء المعاصرة للفترة موضوع الدراسة أو المتأخرة عنها زمنيا، حتى نتمكن من تصور مسرح الحوادث، وحتى تتضح الرؤية بكامل أبعادها ومؤثراتها، وقبل هذا وذاك حتى نتعرف على وجهتى النظر البيزنطية والإسلامية. ومن أهم المصادر التى اعتمدنا عليها، ذلك المؤلف الذى وضعه خليفة بن خياط (١). وجعل عنوانه " تاريخ خليفة بن خياط" وهو يغطى الأحداث من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م (٢). وهو يتبع المنهج الحولى، إذ جعل أحداث كل سنة على حدة، ابتداء من السنة الأولى للهجرة، مستوفيا الغزوات والوفيات، ثم الأحداث

١- الملقب بالعصفورى البصرى (١٦٠- ٢٤٠هـ/٧٧٤-٨٥٤م) ولد فى البصرة بالعراق، ولذلك لقب بالبصرى. وجاء فى مقدمة الناشر أنه لم يرحل إلى البلاد الأخرى طلبا فى العلم، بل قضى حياته كلها بالبصرة. انظر : خليفة بن خياط العصفورى : تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م، ص أ.

٢- لهذا المؤرخ ثلاثة كتب أخرى تحمل عناوين " طبقات القراء" و "تاريخ الزمنى والمرضى والعميان" و " اجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته" انظر خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، ص ب من المقدمة.

الداخلية والثورات، وولاة الأقاليم والمناصب الكبيرة، مقدمًا بذلك دراسة غنية للتاريخ السياسى والحضارى للخلافة الإسلامية فى تلك الحقبة من الزمن. ولاحظ الباحث أن المادة التاريخية التى أوردها المؤرخ عن الخلافة الأموية أكثر من تلك التى أوردها عن الخلافة العباسية. وقد ظهر ذلك جليا بين سطور فصول البحث . ولعل تفسير ذلك أنه لم ير ضرورة لتفسير أحداث عصر لأناس يعيشون فيه. ورغم هذا القصور، يعد الكتاب مصدرا هاما فى مجال دراسة حركة التاريخ الإسلامى بصفة عامة، والتاريخ العربى بصفة خاصة (١).

ونظرا لاهتمامه بتاريخ الدولة العربية، نجد أن المادة التى أمدنا بها فى الفصل الأول وجانب من الفصل الثانى، مادة تاريخية صحيحة لا يشوبها أخطاء وقد نقلها عنه المؤرخون الذين أتوا بعده. وفيما عدا ذلك فقد اختلف الأمر. وقد عرضنا لهذا تفصيلا فى ثنايا البحث،.

فقد انفرد بذكر الجهود التى بذلها الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فى اعادة قوات مسلمة، بعد انتهاء الحملة على القسطنطينية فى عام ٩٩هـ/٧١٧م، وبين كيف أنه وجه له خيلا وطعاما لمساعدته فى العودة بأقل خسائر بعد فشل الحصار. وكذلك نشاط الصوائف والشواتى الذى قام به الأمويين على الحصون والقلاع البيزنطية فى الأعوام من سنة ١٠٢هـ/٧٢٠ م إلى سنة ١١١هـ/٧٢٩م. كما انفرد برواية لم ينقلها عنه أحد من المؤرخين العرب الذين اعتمد عليهم الباحث، بينما ذكرها المؤرخ البيزنطى جورج موناخوس همرتولس، تسرد أخبارا عن غزوتين أموتين ضد بيزنطة عام ١٠٦هـ/ ٧٢٤م، وقد حدد ابن خياط أسماء القائدين الأمويين. وعن وصول حملة أموية إلى عمق آسيا الصغرى فى عام ١١٧هـ/٧٣٥م . وقد لاحظنا تحول ابن خياط فجأة من الاسهاب إلى الايجاز فى بعض الروايات مثل تلك التى نحن بصددها. وقد حاول

١- انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط صفحة جـ.

الباحث تفسير هذا، وهو أن الحملة لم تحقق نتائج هامة، فاختصر تفاصيلها. ثم أمدنا برواية عن حملة بحرية إلى صقلية في عام ١٢١هـ/٧٣٩م حققت نجاحا كبيرا. ويعلق ابن خياط على هذه الحملة بإنها خرجت لتعوض النتائج المحدودة لحملة أرسلها الخليفة إلى حصن ملطية في بداية عام ١٢١هـ/٧٣٩م.

أما الفصل الثاني من البحث فقد انفرد برواية ساعدتنا في التأكيد على الرأى القائل بأن صائفة عام ١٢٤هـ/٧٤٢م كانت الصائفة الأموية الأخيرة التى نفذ العرب عن طريقها إلى أقصى عمق داخل أراضى بيزنطة. وقد نقل عنه كل من ابن الأثير والنويرى هذه الرواية.

ورغم أنه انفرد بذكر صائفتى عام ١٣٦هـ/٧٥٤م اللتين لم ينقلهما عنه أحد من المؤرخين الآخرين، إلا أنه أوجز بسبب قلة أهميتهما. ونفس الشيء يقال عن صائفتى عام ١٣٦هـ/٧٥٤م، ولكن المصادر العربية نقلت عنه هاتين الصائفتين دون تفاصيل، بينما أغفلتها المصادر البيزنطية تماما. وابتداء من حوادث هذه السنة، يبدأ خليفة بن خياط في اغفال الروايات التاريخية، بحجة أن الناس شاهدت حوادثها. فبعد أكثر من عشرين عاما، انفرد بذكر النتائج التى ترتبت على انتصار القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون على القائد العباسى ثمامة بن الوليد فى عام ١٦١هـ/٧٧٧م، فذكر أنه دخل عدة قرى إسلامية، ونقل عنه ذلك كل من الطبرى وابن خلدون والعينى. وفى نفس العام سرد رواية يقول فيها إن القائد العباسى محمد بن الحسن بن قحطبة حاصر حصن عمورية أثناء حملة سنة ١٦١هـ/٧٧٨م، لمدة يوم واحد. ورغم الامدادت التى أتت لهذا القائد، إلا أن مناعة المدينة جعلته يتراجع. وقد أكد المؤرخ البيزنطى ثيوفان صحة هذه الرواية فى حوليته. ثم أورد منفردا، رواية عن نزول المسلمين فى عدد من الحصون البيزنطية أهمها حصن سمالو، وذلك أثناء حملة المهدى على الحدود البيزنطية فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م. وقد نقل عنه الطبرى وابن الأثير. وبعد حوالى عشر سنوات انفرد برواية عن صائفة عباسية وصلت إلى ثيم خالديا البيزنطى فى عام ١٧٤هـ/٧٩٠م، وجنت غنائم كثيرة، ولكنه لايستكمل تفاصيلها. بينما أوردها اليعقوبى الذى يفيد أن جنود هذه الصائفة عانوا بسبب البرد فى رحلة العودة. ثم انفرد خليفة بن خياط برواية

عن غارة بحرية إسلامية فى عام ١٧٧هـ/٧٩٣م، غزت بحر البصرة بقيادة عمرو العزبى، وظفرت ببارجة من قطع الأسطول البيزنطى، وأخرى فى العام التالى فى نفس المكان بقيادة مسلم بن زياد الأصم، وظفرت باحدى عشرة بارجة بيزنطية، وثالثة فى عام ١٧٩هـ/٧٩٥م، وظفرت بأربع بوارج بيزنطية. ولعل هناك علاقة بين انفراده بذكر هذه الحوادث، وبين مولده فى مدينة البصرة فى عام ١٦٠هـ/٧٧٤م. وهذه المدينة من أهم مراكز الاشعاع الثقافى والعلمى خاصة فى ميادين السيرة والتاريخ. كما أنه كان حريصا على نقل رواياته عن رجال البصرة، فهو لم يرحل عنها طوال حياته. أى أنه أدرك كل أخبار هذه المدينة. وانفرد أيضا برواية تفيد أن نقفور اتصل بهارون أثناء حصار هرقلة فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م، وسأله الانصراف مقابل دفع المال، إلا أن هارون اشترط أن يكون المال على شكل فدية عنه وعن ابنه. وبناء على ذلك تصبح الروايات التى أغفلها ابن خياط عن حكم الخلافة الأموية ، قليلة جدا.

لقد أغفل على سبيل المثال، قيام الخليفة المنصور فى عام ١٣٩هـ/٧٥٦م باصلاح حصن ملطية، وكذلك موضوع الصلح الذى تم فى نفس العام بين الطرفين وما صاحبه من تبادل للأسرى، وعرض لهاتين الروايتين كل من اليعقوبى والطبرى. وأغفل عملية ترميم حصن مرعش التى تمت فى عام ١٤٢هـ/٧٥٩م، بينما تناولها اليعقوبى وسوف يعرض الباحث لما أغفله المؤرخ أثناء العصر العباسى فى ثنايا البحث.

ورغم الروايات التي أغفلها بناء على منهجه الذى اقتنع به، فيذكر له أنه تناول رواياته بأمانة. حتى الأخطاء التى صادفت الباحث من خلال التعامل مع المصدر قليلة غير متعمدة. فقد أخطأ فى روايتين أولاهما عن حملة سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م، إذ ذكر أن هارون أمير المؤمنين تولى قيادة هذه الحملة، علما بأنه لم يكن قد اعتلى عرش الخلافة بعد. فقد كان عمره تسعة عشر عاما، وكان أبوه المهدى على قيد الحياة. والثانية عن حملة المهدى فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م إلى البوسفور التى قادها هارون. فهو يقول إن هارون نزل بالخليج دون أن يحدد أى خليج، والمعروف أنه خليج القسطنطينية. ومن ناحية أخرى يقول عنها : " إن هارون غزا الصائفة" والصواب أنها كانت حملة، فقد سبق له أن استخدم وصف حملة. ويجب التفريق بين المعنيين، خاصة وأن هذه الحملة كانت لها

نتائج هامة. وبناء على هذا، ولأن مؤلف خليفة بن خياط هو أكثر المصادر التى اعتمد عليها الباحث قربا للفترة الزمنية موضوع هذه الدراسة، فهو يعتبر من أهم مصادر الرسالة بوجه عام.

ومن المؤرخين الذين اعتمدنا عليهم اليعقوبى (١)، وأهم مؤلفاته " تاريخ اليعقوبى"، وهو عبارة عن قسمين: الأول يشمل التاريخ القديم فى العصور السابقة على الإسلام، اما الثانى فخصصه للتاريخ الإسلامى مراعيا ترتيب الاحداث حسب عهود الخلفاء وتسلسلها، بادئا بمولد الرسول عليه الصلاه والسلام ومغازيه حتى وفاته، ثم الاحداث حتى أيام الخليفه العباسى المعتمد على الله سنة ٢٥٩هـ (٨٧٢م)(٢).

١- هو أحمد بن أبى يعقوب بن واضح، ولد فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى/النصف الأول من القرن التاسع الميلادى، وتوفى فى عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م. وقد اكتسب معلوماته التاريخية من رحلاته، لذا فهو يعد مؤرخا ورحالة. انظر : نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت (دار الكتاب اللبنانى) ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص ١٩.

٢- وقد رجع الباحث إلى الجزء الأخير الذى نشر فى مدينة النجف بالعراق، حيث نشرت كتبه نظرا لمذهبه الشيعى. انظر اليعقوبى، النجف ١٣٥٨م، جـ٣. انظر أيضا:السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٩٢، على ابراهيم حسن: استخدام المصادر وطرق البحث، ط٣، القاهرة ١٩٨٠م ص٨٣-٨٤. وقد اختلف اليعقوبى مع الطبرى لأنه اتبع طريقه التأريخ لعهود الخلفاء فى كتاباته. وانظر محمد عبد الغنى حسن: علم التاريخ عند العرب، ص١٧٢-١٧٣.

ورغم أن روايات اليعقوبى الخاصة بموضوع البحث موجزة إلى حد كبير، إلا أنها تتميز بأهميتها، خاصة تلك التى انفرد بذكرها. منها إشارته إلى قيام عبد الملك بن مروان بضرب الدنانير الذهبية لأول مرة فى عام ٧٣هـ/٦٩٢م، وارسالها للقسطنطينية بدلا من العملة البيزنطية.كما أشار إلى نجاح المسلمين فى فتح حصون حرثومه وعمورية فى عامى ٨٨-٨٩هـ/٧٠٧م، ثم حصنى الحديد والمرأة فى عامى ٩٦-٩٧هـ/٧١٥-٧١٦م. ولا ننسى تناوله لهجوم الجيش البيزنطى على مدينة اللاذقية محاولا عرقلة استعدادت سليمان بن عبد الملك لغزو القسطنطينية عام ٩٩هـ/٧١٨م. كما انفرد بذكر واقعة الجليد الذى غطى الأرض مدة مائة يوم، وأثر ذلك فى أحوال المسلمين التى ازدادت سوءا، وأدى إلى معاناتهم بسبب القحط والجوع حتى أكلوا الميتة، علاوة على هلاك الرجال والخيول. وقد تعرض الباحث لهذه التفاصيل وتعرض لصائفة ضخمة توجهت إلى ملطية فى عام ١٣٩هـ/٧٥٦م، بناء على أوامر الخليفة المنصور، فى حين أغفل خليفة بن خياط هذه الرواية. وانفرد برواية عن ترميم حصن مرعش فى عام ١٤٢هـ/٧٥٩م، وتزويده بالحامية بعد أن نقل سكانه إلى فلسطين. وقد أغفل خليفة ابن خياط هذه الرواية. علاوة على رواية أخرى تضمنت جهود المهدى فى الدفاع عن حصن سميساط فى عام ١٥٩هـ/٧٧٥-٧٧٦م، وانقاذه من أيدى البيزنطيين وانفرد بتحديد تاريخ حملة المهدى، فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م.ثم رواية السفارات التى تمت بين هارون وايرين للاتفاق على الصلح، وذلك عام ١٦٦هـ/٧٨٢. وانفراده بالتعرض لصائفة فى عام ١٦٦هـ/٧٨٢م، وأخرى فى عام ١٦٧هـ/٧٨٣م. وانفرد أيضا بذكر حملة هارون على جنوب الأناضول فى عام ١٧٩هـ/٧٩٥م، بينما أغفلها كل من خليفة بن خياط والطبرى. وبتفاصيل حصار هارون لمدينة هرقلة فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م الذى دام ثلاثين يوما وقد اشترك معه الطبرى فى هذه الرواية.

هذا من ناحية أخرى ومن ناحية أخرى، فهناك روايات اتفق فيها مع الأخرين. فمثلا اتفق مع المؤرخ البيزنطى ثيوفان بشأن الموقف الصعب الذى واجهته الحملة الأموية أثناء حصار القسطنطينية فى عام هـ ٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م وأثر الجليد فى فشل الحملة. واتفق مع خليفة بن خياط بشأن حصار الإمبراطور قسطنطين الخامس لحصن

ملطية وضربه المدينة بالمنجانيق بعد أن رفض أهلها الاستسلام. وتجدر الاشاره هنا إلى اغفال الطبرى لهذا الرواية. كذلك اتفق اليعقوبى مع المؤرخ البيزنطى ثيوفان فى تفاصيل هذه الرواية التى تتعلق بتوجه الإمبراطور إلى حصن سميساط وتخريبه. وقد أهملت المصادر العربيةالأخرى ذلك. واستفدنا من مادة اليعقوبى فى تحديد هدف بيزنطة إبان تلك الفتره؛ ألا وهو ضرب مناطق الإمدادات الإسلامية المستخدمه على الحدود البيزنطية. كما اتفق معه الطبرى بشأن رواية السفراء الذين عقدوا الصلح بين هارون و ايرين فى عام ١٦٦هـ/٧٨٢م. واتفق معه الطبرى فى رواية فتح هارون لمدينة هرقل فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م بعد حصار دام ثلاثين يوما.

هذه نماذج لما اتفق فيه اليعقوبى مع غيره من المؤرخين. ولكن هناك روايات أخرى اختلف فيها معهم. فمثلا يذكر الطبرى أن السنوات الثلاثه من١٦٦هـ/٧٨٢م إلى ١٦٨هـ/٧٨٤م مرت دون صوائف؛ وكانت هدنة سارية المفعول بين العالميين البيزطى والإسلامى. بينما يذكر اليعقوبى مايفيد بوجود صائفتين فى عام ١٦٦هـ٧٨٢م وأخرى فى عام ١٦٧هـ/٧٨٣م.علاوة على الاختلاف الكبير بين قائمتى صوائف اليعقوبى،وصوائف كل من الطبرى وابن الاثير. فمثلا ذكر اليعقوبى أن هارون أرسل صائفة فى عام١٧٢هـ ٧٨٨م بقياده عباس بن محمد بن إبراهيم، بينما حدد الطبرى وابن الأثيراسحق بن سليمان بن على قائد لها. ويؤخذ على اليعقوبى، أنه اغفل بعض الروايات، وأخطأ فى بعضها الأخر.فمثلا اغفل الهدنة التى عقدت بين العالمين البيزنطى والإسلامى عام ١٣٩هـ/٧٥٦م،بينما ذكرها الطبرى. كما أغفل-شأنه شأن بقيه المصادر العربية الأخرى- تحديد هدف صائفتى عامى ١٤٦هـ/٧٦٣م و ١٤٧هـ/٧٦٤م. فقد ذكرها الطبرى. كما لم يشر إلى النشاط البحرى العباسى على جزيرة صقلية فى عام ١٤٨هـ/٧٦٥م -مثل الطبرى وابن الأثير- بينما تعرض له كل من السيوطى من المصادر العربية، ونقفور من المصادر البيزنطية. ولم يشر إلى شروط صلح عام ١٦٦هـ/٧٨٢م بين الطرفين المتصارعين، فرجعنا إلى ابن خياط والطبرى لاستكمال هذه الشروط. وأهملت المصادر العربيةجميعها، بما فى ذلك اليعقوبى، نشاط الإمبراطور قنسطنطين السادس لغزو طرسوس فى عام ٧٩١م/١٧٥هـ ومدى نجاحها، بينما سدت المصادر

اليونانية هذه الفجوة بشكل مرض. كما أغفل صائفة سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م التى حاصرت ربسة ودخلته بعد هلاك أربعمائة بيزنطى بسبب العطش، بينما أوردها الطبرى. ولم يجد الباحث بديلا عن الرجوع إلى ثيوفان ليغطى صائفة عام ١٨٢هـ/٧٩٧-٧٩٨م على منطقة قبادوقيا، واعتمد أيضا على ثيوفان من المصادر البيزنطية وابن خلدون من المصادر العربية، فى شأن السفارة بين ايرين وهارون عام ٧٩٧م/١٨١هـ وأورد الطبرى ماأغفله اليعقوبى بشأن خطاب نقفور إلى هارون، الخاص بطلب جارية من سبى هرقلة لتكون خطيبة لابنه.

أما الروايات التى أخطأها فهى قليلة، بل إن بعضها شاركه فيها الطبرى أيضا. مثال ذلك ذكره أن القائد سليمان بن هشام قابل الإمبراطور ليو الثالث فى صائفةعام ١٢٤هـ/٧٤٢م والصحيح أنه قابل أبنه قسطنطين الخامس لأن ليو الثالث كان قد مات. كما أخطأ فى تاريخ الغزوة التى قام بها الغمر بن يزيد بن الوليد فى عهد هشام بن عبد الملك فى عام ١٢٥هـ/٧٤٣م. والصواب أنها تمت فى عهد الوليد الثانى عام ١٢٥هـ/١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م، لأن الخليفه هشام كان قد توفى فى ربيع الثانى سنة ١٢٥هـ/فبراير ٧٤٢م. واشملت هذه الرواية على خطأ آخر عندما ذكر عدم غزوالعرب للحدود البيزطنية من بعدعام ١٢٥هـ/٧٤٣م حتى عام ١٣٨هـ/٧٥٥م.وقد ثبت أن هذه الفترة تخللتها صوائف عديدة.

ولاشك أن المآخذ سالفة الذكر لا تؤثر فى قيمه هذا المصدر،اذ أن قربه من مسرح الأحداث ميزت كتاباته وصبغتها بالصدق والأمانة رغم ميله إلي الايجاز.

ومن أهم المصادر التى أعتمدنا عليها، كتاب المؤرخ أبو جعفر محمد بن الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م (١) . ويبـدأ تاريخ الطبـرى مـن خلق العالم، وينتهى بعصر

١-كان شغوفا بالعلم منذ صغره، وانتقل بين مراكز العلم لينهل منها، ثم استقر فى بغداد للتأليف والكتابة التاريخة. وقد وضع الطبرى مصنفات عديدة فى علم التفسير، حيث وضع كتاب تفسير الطبرى ، وفى التاريخ وضع كتاب " تاريخ الرسل والملوك" المعروف أيضا باسم " تاريخ الأمم والملوك". وهو يعد أكبر مصدركامل العربى الإسلامى فى هذه الفترة. وللمزيدعن هذا المؤرخ انظرالسيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٨٥-٨٦، على إبراهيم حسن: استخدام المصادر، ص١٣١.

المؤلف سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م(١) وقد تعدد طبعات هذا الكتاب الضخم، ورجع. الباحث لطبعة دار المعارف بالقاهرة (٢). وقد استفاد الباحث من هذا المصدر نظرا لأنه يغطى المدة موضوع البحث بمادة تاريخية غزيرة، مما ساعدنا على سد الفجوات ومعالجة القضايا التاريخية. فقد انفرد بروايات عديده منها مثلا تحديد تاريخ الغارة البحرية على قبرس فى عام ١٠٧هـ/٧٢٥م، وهو التاريخ الذى اخطأ النويرى فيه، بينما أغفل المؤرخ البيزنطى ثيوفان تفاصيلها، ولم يذكر سوى أنها كانت بقيادة معاوية. وكذلك تفاصيل معركة عام ١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م التى قتل فيها القائد العربى عبد الله البطال. وتفاصيل حملة الخليفه العباسى السفاح، التى كان على وشك إرسالها فى دابق عام ١٣٦هـ/٧٥٤م وتوقفت بسبب موت الخليفة. وصائفتا عام ١٤٦هـ/٧٦٣م اللتان أرسلهما المنصور. وإذا كان الطبرى لم يحدد وجهتهما فإن المصادر البيزنطية لم تذكرهما أصلا، وقد نقل ابن الاثير هذه الرواية عن الطبرى. وفى رواية هامة اخرى ان الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الخامس طلب الصلح من المنصور فى عام ١٥٦هـ/٧٧٢م عارضا عليه دفع الجزية. وقد تناول الباحث هذا الرأى وإنتهى الى ان المنصور قد رفض هذا العرض، خاصة ان الطبرى نفسه يذكر انه فى عام ١٥٦هـ/٧٧٣م، أى فى العام التالى قامت صائفه على منطقه تسمى قنية وقوبية فى ثيم الاناضول. فلو ان الصـــلح قد تم،

١- فهو لذلك يعتبر كتابا جامعا لكل الروايات التاريخية التى عرفها العرب. وقد رتبها ترتيبا زمنيا وفقا للمنهج الحولى حسب السنين وليس حسب العهود والموضوعات، كما إستخدم طريقه الاسناد اى إسناد الروايه الى سلسله من الرواه توثيقا للاخبار، رغم ما لهذه الطريقه من عيوب. ولعل هذا يرجع الى كثره مصادره، ولذلك إعتمد عليه كثير من المؤرخين أمثال مسكويه، وابن الاثيروالذهبى، والنويرى، وابن خلدون، وغيرهم.انظر: السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٨٧؛ محمد عبد الغنى محمد: علم التاريخ عند العرب ص١٧١.

٢-نشره المستشرق دى جويه فى ثلاثة عشر جزءا، كما توجد طبعات لبنانية ومصريةمثل طبعة المكتبة التجارية فى ثمانية أجزاء، والمطبعة الحسينية فى اثنى عشرجزءا، وهناك طبعة حديثة قدمها الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وقد صدرت فى مجموعة ذخائر العرب، القاهرة، طبعة دار المعارف، وهى الطبعة التى رجع إليها الباحث، والتى تتكون من عشرة أجزاء وقد رجع الباحث للأجزاءمن الرابع حتى الثامن.

لما كانت هذه الصائفة، وذكر أيضا ان الحصار العباسي لمدينه درواليوم في عام ١٦١هـ/٧٧٨م قد استمر لمدة سبعة عشر يوما. والجدير بالذكر أن المؤرخ البيزنطي ثيوفان قد اتفق مع الطبري في هذا الرأي. كما انفرد بتحديد المدة التي حوصر فيها حصن سمالو في عام ١٦٤هـ/٧٨٠م بثمانية وثلاثين يوما وقد اوجز ابن خياط واليعقوبي في تفاصيل هذه الرواية، كما اغفلا تحديد مدة الحصار.كما ذكر شروط الصلح بين هارون وبيزنطة في عام ١٦٥هـ/٧٨٢م في أعقاب حملة البوسفور، ونقلت عنه المصادر العربية التي جاءت بعده. واشترك معه في هذه الشروط كل من ثيوفان وكدرينوس من المصادر البيزنطية، وميشيل السرياني وابن العبري من المصادر السريانية. ولكن الطبري لم يحدد القائد الذي تمت على يديه عملية تبادل الأسرى، بينما يذكر المؤرخ خليفة بن خياط أنه عبد الحميد بن الضحاك. كما يذكر الطبري أنه حدد عدد الأسرى البيزنطيين في هذه المعركة، وان لم يحدد العدد من الجانب الأموي، بينما لم تحدد المصادر البيزنطية عدد الأسرى من الجانبين. وانفرد بتحديد اسم قائد الجيش البيزنطي الذي هُزم على يد القائد العربي عبد الرحمن بن عبد الملك في صائفة عام ١٧٦هـ/٧٩٢م بعد أن سيطر على حصن ربسة، وأيده المؤرخ ابن شداد والسرياني في هذه الرواية. والجدير بالذكرأن ثيوفان أيضا ذكر هذه الرواية، مما يعكس ميزة الطبري في تناول تفاصيل أحداث النشاط الإسلامي البيزنطي في هذه الفترة. وانفرد بما يفيد أن نقفور من أصل عربي وأن أسرته كانت تسكن منطقة قبادوقيا في آسيا الصغرى. علاوة على خطاب نقفورلهارون لخطبة ابنه من احدى جوارى مدينة هرقلة. وقد نقل هذه الرواية عن الطبري كل من ابن الأثير، والمؤلف المجهول صاحب كتاب العيون. ثم تناول ثورة رافع بن ليث بن ناصر بن سيار وعلاقة هذه الثورة ببيزنطة، وأثرها في العلاقات البيزنطية والإسلامية، إذ مهدت الظروف التي عاشتها الخلافة العباسية في ذاك الوقت إلى عقد معاهده صلح بين الطرفين البيزنطي والإسلامي في عام ٨٠٨م/١٩٢هـ، تم بمقتضاها تبادل الأسرى.

ونظرا لغزارة المادة العلمية التي أوردها الطبري، وجدت روايات أتفق فيهامع غيره من المؤرخين، وأخرى اختلف فيها معهم. ومن أمثلة ذلك اتفاقه مع كل من اليعقوبي

وابن الأثير والمؤلف المجهول، حول موضوع اصلاح حصن ملطية الذى قام به الخليفة المنصورفى أعقاب هجوم الإمبراطور قنسدلنطين فى عام ٧٥٥م/١٣٧-١٣٨هـ، وان أورده الطبرى بمزيد من التفصيل والتوضيح. واتفق مع خليفة بن خياط فى شأن الانجاز الضخم الذى تم به اعادة بناءملطية فى عام١٤١هـ/٧٥٨م. واتفق معه اليعقوبى وابن الأثير والنويرى بشأن خطر الخزر وتهديدهم للحدود الإسلامية فى عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م. كما اتفق معه خليفة بن خياط وابن الأثير وابن خلدون والعينى بشأن أداء القائد العباسى عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى معركة عام ١٦٤هـ/٧٨١م، وكيف غضب عليه المهدى. وقد شاركه ثيوفان فى هذا الرأى. أما عن الهدنة التى نصت على وقف القتال بين العالمين البيزنطى والإسلامى فى عام ١٦٥هـ/ ٧٨٢م لمدة ثلاث سنوات، بينما نقضها البيزنطيون بعد مرور اثنين وثلاثين شهراً من توقيعها، فيشاركه فى هذا من المصادر اليونانية ثيوفان، ومن المصادر العربية النويرى والعينى، كما اتفق معه خليفة بن خياط واليعقوبى فى موضوع حملة عام ١٧٤هـ/٧٩٠م إلى ثيم خالديا، وكذلك تناول حملة عام ١٧٨هـ/٧٩٤م التى وصلت إلى البحر الأسود، واشترك فيها القائد البيزنطى البيديوس الذى انضم إلى المسلمين. وقد أشار الطبرى إلى حملة قام بها هارون ووصلت إلى عمورية عام١٨٠هـ/٧٩٦م،واتفق ثيوفان معه فى ذلك بما يفيد أن جيش هارون عاد دون استكمال فتح عمورية، رغم ماجناه من غنائم فى هذه الحملة. أما عن حملة هارون فى عام ١٩٠هـ/٨٠٦م على هرقلة وحصارها مدة ثلاثين يوما، فقد اتفق معه كل من ثيوفان وكدرينوس من المصادر البيزنطية، ومشيل السريانى من المصادر السريانية، والنويرى وابن خلدون من المصادر العربية.كما يشترك معه كل من ثيوفان وكدرينوس فى رواية الجزية التى فرضها هارون على نقفور نفسه وعلى ابنه.

ومن أمثلة ما اختلف فيه الطبرى مع غيره من المؤرخين، الخلاف حول أسماء قادة الصوائف عن تلك التى ذكرها اليعقوبى. كما يختلف مع المؤلف المجهول صاحب الكتاب العيون فى تحديد المكان الذى عاد إليه هارون الرشيد بعد انتهاءحملة عام ١٨٨هـ/٨٠٤م. فالطبرى يقول أنه عاد إلى الرافقة، بينما يذكر المؤلف المجهول انه عاد

إلى الرصافة.

وجدير بالذكر أن روايات الطبرى تتسم بالاسهاب، اللهم إلا روايات قليلة أوجزها. فهو مثلا لم يحدد عدد الأسرى الذين أسرهم القائد زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد أثناء غارته على المصيصة، بينما أمدنا ثيوفان بهذا العدد. ورواية عن هجوم المهدى على أنقرة فى عام ١٢٣هـ/٧٤٠. ولم يحدد أسماء المناطق التى فتحها المهدى، واكتفى بقوله إنهّ تم فتح مدينة للروم مطمورة معاً. ولم يحدد أسما الحصون الثلاثة التى فتحها يزيد بن أسيد السلمى فى عام ١٦٢هـ/٧٧٨م مفضلا الإيجاز . كما أوجز أخبار الغارة البحرية على بحر الشام عام ١٦١هـ/٧٧٧م. وهى ملحوظة عامة على منهج الطبرى؛ إذ يهمل النشاط البحرى بصفة عامة.

وأما المآخذ التى تؤخذ على الطبرى فتتمثل فى الروايات التى أغفلها مثل النشاط البحرى الإسلامى.فى أعوام ١٣٤هـ/٧٥٢ على صقلية، وعلى نهر ميلاس عام١٤٣هـ/ ٧٥٩- ٧٦٠م، ثم على صقلية عام ١٤٨هـ/٧٦٥م، بينما أوردها المؤرخ البيزنطى نقفور. ثم على قبرس فى عام ١٥٧هـ/٧٧٣م، وقد أوردها ثيوفان. وأيضا على قبرس فى عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م، وقد أوردها ثيوفان.وحملة بحرية أخرى لم نستدل على هدفها فى عام ١٧٩هـ/٧٩٥م، وقد أوردها ابن خياط. ثم الإغارات البحريةعلى رودس وكريت فى عام ١٩١هـ/٨٠٧م، وقد أوردها ثيوفان وكدرينوس علاوة على أنه أغفل بعض الصوائف لأنها لم تحقق نتائج طيبة. مثال ذلك صائفتان تمتا فى عام ١٣٦هـ/٧٥٤م بينما ذكرها ابن خياط. والحصار الإسلامى لحصن دوريلة غرب ملطية عام ٧٧١م/ ١٥٥هـ، والهجوم الإسلامى على آسيا الصغرى عام ١٥٦هـ/٧٧٣م، ثم الهجوم البيزنطى على سمساط عام ٧٧٥-٧٧٦م/ ١٥٩هـ، بينما أورده اليعقوبى. وغارة الحسن بن قحطبة على عمورية عام ١٦٢هـ/٧٧٨م، بينما أوردها كل من ابن خياط وثيوفان. وحملة المهدى بقيادة ثمامة بن الوليد التى قتل فيها شقيقه بينما أوردها ثيوفان. كما أغفل المواجهة العسكرية التى دخلها القائد العباسى عبد الكبير وقتل أحد القادة البيزنطيين. كذلك حملة عباسية على الأناضول عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م، بينما ذكرها ثيوفان واليعقوبى. وحملة هارون عام ١٨٢هـ/٧٩٧-٧٩٨م التى استولى فيها على بعض

ممتلكات إيرين، ثم سفارة إيرين إلى هارون عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م،أوردها ثيوفان وابن الأثير. كما أغفل نشاط الحدود بين الطرفين فيما بين عامي ١٩٤و٢٠٥هـ (٨٠٩-٨٢٠م).

ومن روايات الطبرى التى أخطأها قوله إن القائد الأموى سليمان بن هشام قابل الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى فى عام ١٢٤هـ/٧٤٢م،والصحيح أنه قابل ابنه الإمبراطور قنسطنطين الخامس. وأخطأ حين قال إن السنوات الست الواقعة بين عامى ١٤٠و١٤٦ هـ (٧٥٧-٧٦٣م) خلت من نشاط إسلامى. والصواب أنه توقف ثلاث سنوات فقط. كما بالغ فى تصويره لموقف الإمبراطور قنسطنطين الخامس، وخوفه من مواجهة جيش المسلمين عام ١٤٠هـ/٧٥٦-٧٥٧م. وهكذا يتأكد أن كتاب الطبرى يحتوى على ثروة تاريخية كُتبت بأمانة، مما يضفى على كتابته التاريخية أهمية خاصة.

ومن المصادر التى اعتمد عليها الباحث، الكتاب الذى وضعه أسقف مدينة منبج، وهو أجابيوس Agapius أو "محبوب الرومى" ابن قنسطنطين المنبجى، وهو أول مؤرخ عربى مسيحى يكتب فى مجال الكتابة التاريخية فى القرن العاشر الميلادى (القرن الرابع الهجرى). وقام المؤرخ فازيلييف بنشر هذه المخطوطة باللغة العربية، كـــما ترجمها هو إلى الفرنسية(١). وهذا المؤلف ينقسم إلى قسمين: يتناول الأول تاريخ ماقبل السيدالمسيح، وحياته، أما الثانى، وهو الذى اعتمد عليه الباحث، فيتناول تاريخ الكنيسة القديم، والمجامع المسكونية، وتاريخ بيزنطة والخلافة، ثم فترة تحول القوى من الأمويين إلى العباسين (٢).

١- عنوان هذا الكتاب " كتاب العنوان فى تاريخ البلدان" Al-Unvan Histoire Universelle قام فازيلييف بنشره فى مجموعة الباترولوجيا الشرقية فى باريس عام ١٩١٠-١٩١٢م فى الأجزاء من الخامس إلى الثامن. انظر : Agapius (Mahboub) De Menbidj, Kitab Al -Unvan-Histoire Universelle, editée et traduite en Francais, Par Alexandre Vasilieve, in Patrologia Orientalis, vols. V-VIII, Paris, 1910-1912

٢- انظر : Agapius, Al-Unvan, vol.V,PP.561-563.

ونظرا لأن هذا المصدر لايتعدى فى رواياته، والتى رجع إليها الباحث، عام ١٢٣هـ/٧٤٠م، لذا فإنه لايغطى الا أحداث الفصل الأول من هذا البحث. ولكن نظرا لقربه نسبيا من المدة موضوع الدراسة، ولأنه أول مؤرخ عربى مسيحى فى هذه الفترة، فقد رأينا الإشارة إليه فى هذا التحليل، خاصة وأن مادته لابأس بها، وان تطلبت الحذر والحيطة. لقد انفرد بروايات أفادت البحث إلى حد كبير. مثل إشارته إلى أن الأمويين وصلوا إلى عمق آسيا الصغرى فى عام ١١٩-١٢٠هـ/٧٣٧-٧٣٨م، وسيطروا على حصنى برجامة وسندرة الذى يسمى حصن الحديد وفيه وقع أحد ابناء النبلاء ويسمى Tibére فى أسر القائد الأموى سليمان بن هشام. ورواية عن سفارة أرسلها الإمبراطور قنسطنطين الخامس إلى الخليفة الوليد الثانى لتهنئته باعتلاء العرش. ولما كان توقيت هذه السفارة قريبا من ثورة ارتفاذدوس ضد هذا الإمبراطور، فقد ربط الباحث بين هذه الرواية ورواية أخرى لثيوفان، وخرج بنتيجة عرض لها فى موضعها المناسب. واشارته كذلك إلى أن قنسطنطين الخامس قد أحسن معاملة سكان الحصن الأرمينى ثيود وسيبوليس، ونقلهم إلى داخل حدود بيزنطة فى تراقية، وأمر ببناء حصون خاصة بهم فى عام ٧٥١م/١٣٤هـ. ولم تذكر المصادر العربية هذه الرواية، بينما ذكرها كل من ثيوفان وكدرينوس من المصادر البيزنطية. وقوله إنه رغم وصول القائد العباس إلى أنقرة فى عام ١٢٣هـ/٧٤٠م متوغلا فى عمق آسيا الصغرى، إلا أنه لم تحدث محاولة لفتحها.

كما اتفقت بعض رواياته مع روايات المصادر الأخرى. فقد اتفق مع الطبرى حول حملة هشام بن عبد الملك فى عام ١٢٣هـ/٨٤١م لنجدة ملطية، وكيف أن زحفه اتخذ شكل الموكب الدينى. ومع النويرى بشأن حملة قامت بها البحرية الأموية فى عام ١٢٥هـ/٧٤٣م اتجهت إلى قبرس، ونقلت سكانها خارجها، ولكنهم أعيدوا فى العام التالى بناء على رأى قضاة الخلافة الأموية. ويتفق مع ميشيل السريانى حول تبادل كل من المهدى وليو الرابع اطلاق سراح المسجونين لديهما، فى محاولة لتحسين العلاقات بينهما. وهو من ناحية أخرى يختلف مع المؤرخ المجهول صاحب كتاب العيون بشأن حجم الامدادات التى أرسلتها بيزنطة لنجدة مدينة طوانة من حصار المسلمين لها فى

عام ٧٠٥م/٧٨٦م، فيحدد قوات الامدادات بحوالى أربعين ألف جندى، بينما يحددها المؤلف المجهول بخمسين الف جندى.

وما يؤخذ على هذا المؤرخ، بالإضافة إلى تعصبه الدينى، أنه أخطأ فى تحديد تاريخ فتح مدينة الطوانة، فيقول إن ذلك كان فى عام ٨٧هـ/٧٠٦م فى عهد الوليد بن عبد الملك؛ والصواب أن ذلك كان فى عام ٨٨هـ/٧٠٧م وأنه بالغ حينما جعل الجزية التى فرضت على الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان تجاه بيزنطة ألف دينار يوميا، والصواب أن ذلك كان أسبوعيا. وقد عرضنا للأسباب التى جعلت أجابيوس يلجأ الى هذه المبالغة. ولكن، لاشك أن المادة التاريخية التى زودنا بها هذا المؤرخ جديرة بالاهتمام لما حوته من جديد، ولما تعرضه من تفاصيل ساعدت الباحث فى الرد على الاستفسارات التى كانت تواجه بعض قضايا البحث.

كما اعتمد الباحث على المصنف الضخم الذى وضعه ابن الأثير(١) تحت اسم "الكامل فى التاريخ". وهو يغطى الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م (٢). وقد رجع الباحث لطبعة بيروت (٣).

وهناك روايات انفرد بها ابن الأثير، وأخرى أيد من سبقوه بشأنها فقد انفرد بوصف حالة الضعف الذى عاشته الخلافة الأموية بعد وفاة معاوية فى عام ٦٠هـ/٦٧٦م،

١- هو أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم عز الدين بن الأثير الشيبانى المعروف بابن الجزرى (٥٥٥-٦٣٠هـ/١١٦١-١٢٣٢م). انظر : أحمد مختار العبادى : تاريخ الدولة العباسية، الإسكندرية ١٩٧٤ - ١٩٧٥م، ص ٢؛ على إبراهيم حسن : استخدام المصادر، ص ١٣٣.

٢- أي أنه يغطى ثلاثمائة سنة بعد انتهاء الأحداث التى أرخ لها الطبرى الذى يتوقف عند عام ٣٠٢هـ/٩١٤م. انظر : على إبراهيم حسن : استخدام المصادر، ص ١٣٣.

٣- تتكون من تسعة مجلدات، رجع الباحث للأجزاء من الرابع إلى السابع. انظر : ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، المجلد الرابع، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ونجاح بيزنطة فى اجتياح الشام فى عام ٦٨٩م/ ٧٠هـ، واضطرار الخليفة عبد الملك بن مروان إلى عقد معاهدة مع بيزنطة مقابل جزية مقدارها ألف دينار تدفع أسبوعيا. وبقوله إن المسلمين بعد استيلائهم على المصيصة، قاموا ببناء حصنها وتزويده بثلاثمائة مقاتل فى عام ٨٤هـ/٧٠٣م وإشارته إلى افراج جستنيان عن أمير البحر الأموى خالد بن كيسان بعد أسره، على إثر معركة بحرية أثناء الهجوم البيزنطى البحرى على دمياط فى عام ٧٠٨م/ ٩٠هـ.. ونلاحظ أن هذه الروايات التى انفرد بها ابن الأثير، سبق أن أغفلها كل من خليفة بن خياط، واليعقوبى، والطبرى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نلاحظ اهتمام ابن الأثير بالنشاط البحرى عكس الطبرى. كما انفرد ابن الأثير بقوله إن الخليفة عمر بن عبد العزيز أخلى مدينة طرنده المواجهة للبيزنطيين، واشترى منهم ملطية بمائة ألف دينار، وأعاد بناءها فى عام ٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م، وذلك فى اطار سياسته التى عرضنا لها. ورواية عن هجوم للأسطول الأموى على قبرس قبل نهاية عام ١٢٥هـ/٧٤٣م. وخبر استعادة الخليفة مروان بن محمد لحصن مرعش فى عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧-٧٤٨م، وقد أغفله كل من الطبرى واليعقوبى وابن خياط. وقد نقل النويرى هذه الرواية عن ابن الأثير. وانفرد بتفاصيل معركة ثمامة بن الوليد والقائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون فى عام ١٦١هـ/٧٧٨م. وقد أفادتنا هذه التفاصيل كثيرا. كما حدد أسباب حملة المهدى على بيزنطة فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م، وعلق على أهميتها، واعتبرها أهم حملاته، حتى أنه كافأ ابنه هارون بأن ولاه على المغرب كله وأذربيجان وأرمينية، ليكسبه مزيدا من الخبرة. ثم ينفرد بذكر عدد الذين أفرج عنهم من الأسرى فى عام ١٩٢هـ/٨٠٨م قائلا إنه ألفان وخمسمائة رجل وامرأة تم فداؤهم فى سبعة أيام.

وللأمانة التاريخية يجب القول أنه رغم ايجازه فى بعض رواياته، إلا أنها كانت تتسم بأهميتها. مثال ذلك تناوله غزوة عبد الله بن عقبة الفهرى البحرية على بيزنطة فى عام ١٠٩هـ/٧٢٧م وحملة أمير افريقيا عبد الله بن حبيب على سردينيا فى عام ١٣٤هـ/٧٥٢م، وفرض الجزية على الجزيرة. ولم يذكر ابن الأثير أى تفاصيل عنها. كما أوجز فى رواية استيلاء قنسطنطين الخامس على حصن ثيود وسيبوليس؛ فقد فاقته المصادر البيزنطية فى ذكر التفاصيل.

وهناك أيضا روايات اتفق فيها مع غيره من المؤرخين.فقد اتفق مع الطبرى بشأن جميع تفاصيل الحملة الأموية على القسطنطينية فى عام ٩٩هـ/٧١٨م. واتفق معه فى تحديد موقف الترك والخزر من المسلمين، فى أطار العلاقات السياسية مع الإمبراطورية البيزنطية. ومع ثيوفان، وابن خياط والطبرى على تفاصيل معركة عام ١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م، ونتائجها ودور الخزر فيها. وعلى العكس من ذلك فقد اختلف فى بعض رواياته التى أوردتها المصادر الأخرى. فالجزية التى فرضت على عبد الملك بن مروان تجاه بيزنطة حددها بألف دينار أسبوعيا، بينما حددها أجابيوس بألف دينار يوميا. كما اختلف معه أيضا حول تحديد تاريخ استسلام حصن طوانة للمسلمين. فهو يرى أن ذلك كان فى عام ٨٨هـ/٧٠٧م، بينما حدده اجابيوس بعام ٨٧هـ/٧٠٦م، وقد أيد الباحث رأى ابن الأثير. وبينما يجعل من حلب القاعدة التى انطلق منها المهدى لمحاربة البيزنطيين، يرى ثيوفان أنها مدينة دابق.

ومما يؤخذ على ابن الأثير أنه أغفل بعض الروايات. مثل الحملة البحرية على صقلية فى عام ١٤٨هـ/٧٦٥م. ولعل عذره أن كلا من ابن خياط واليعقوبى والطبرى أغفل نفس الرواية، علما بأن المؤرخ البيزنطى نقفور أوردها. كما أغفل تحديد مدة حصار المهدى لمدينة درولیوم، فى عام ١٦١هـ/٧٧٨م، وأفادنا ثيوفان بأنها كانت سبعة عشر يوما. وكذ لك تحركات المهدى داخل الحدود البيزنطية أثناء حملة عام ١٦٥هـ/ ٧٨٢م، بينما عرض لها الطبرى. وسفارة إيرين إلى هارون فى عام ٧٩٧م/١٨١هـ بينما أوردها ثيوفان. وكذلك صائفة عام١٨٢هـ/٧٩٧-٧٩٨م التى أوردها ثيوفان أيضا.

وعلى أى حال، يعتبر مؤلف ابن الأثير من المصادر التى تحظى باهتمام الباحثين فى مجال التاريخ الإسلامى بصفة عامة، وفى مجال العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة خاصة، لما يحويه من مادة تاريخية قيمة. وإذا كان قد اعتمد على الطبرى، إلا إنه لايمكن الاستغناء عنه، فقد حرص على تناسق رواياته(١)، وعلى أن يمهد للخبر الذى يتناوله ليذكر القارىء بما سبق. كما حرص على تنبيه القارىء إذا كان للخبر بقية، أو إذا انتهى خبر هام، وتخلّص من الاسناد. هذا علاوة على اهتمامه بأخبار المغرب والأندلس. فنقل عنه بعض المؤرخين مثل ابن خلدون.

١- انظر : محمد عبد الغنى حسن : علم التاريخ، صفحات ١٧٢-١٧٥.

الفصل الأول

العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الأموية قبيل الفترة الزمنية موضوع الدراسة

(٦٥٠ – ٧٤٠م/ ٣٠ –١٢٣ هـ)

–علاقة بيزنطة بالأمويين خلال حكم الأباطرة هرقل وقنسطانز وقنسطنطين الرابع.

–ضعف بيزنطة أثناء حكم جستنيان، وأثر ذلك فى زيادة النشاط العسكرى الأموى.

–تعرض الحدود البيزنطية لحملات واغارات أموية مكثفة فيما بين عامى ٧٠٥ و٧١٥م (٨٦–٩٦هـ)

–الحصار الأموى للقسطنطينية ٩٨هـ/٧١٧م : أسبابه، الإعداد له، ونتائجه.

–هدوء المواجهة البيزنطية الإسلامية فى أعقاب الحصار وحتى عام ٧٢٠م/١٠١هـ.

–الخلافة الأموية تستأنف نشاطها العسكرى عام ١٠١هـ/٧٢٠م، وتركزه فى قلب أسيا الصغرى.

–ليو الثالث يواجه النشاط الأموى، ويفتح جبهات جديدة ضد المسلمين، متعاونا مع الأرمن والترك والخزر.

–حملة أكروينون الإسلامية عام ١٢٢هـ/٧٣٩م: أهميتها، ونتائجها .

شهدت العلاقات البيزنطية الإسلاميةعددا من الأحداث الهامة ابتداء من منتصف القرن الســـــابع الميلادى/(اعتبار من منتصف القرن الأول الهجرى)، أثـــرت فى العالمين البيزنطى والإسلامى، وجـــعل الصراع بينهما سجالا متأرجـــحا بين النصـــر والهزيمةوبين الحرب والسلام وفقا لمقتضيات الظروف والأحـــوال فى كل منهما من سياسية واقتصادية واجـــتماعية.إذا لم يكد ينتهى الإمبراطور البيزنطى هرقل(٦١٠-٦٤١م/ق هـ - ٢١هـ) من القضاء على خطر الفرس، حتى التفت إلى الشرق لمواجة الدولة الإسلامية الفتية(١)، التى بدأت بالاعتماد على قوتها العسكرية وخـــاصة البحـــرية. ويرجع للخلافة الأموية عامة، ولمعاويةخـــاصة، فضلُ الســـيطرة على البحـــر المتوسط بحـــلول عام ٦٥٠م/٣٠هـ(٢)، بعد أن كـــانت

١- الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، القاهرة (دار المعارف)، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ط٤، جـ٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ١٤٥ . انظر ايضا:

Bayns , N.H., and Moss, H. ST., Byzantium : An Introduction to East Roman Civilization , Oxford, 1964, p.II.

٢- نجح المسلمون فى السيطرة على الشام وبيت المقدس وشرق آسيا الصغرى، والعراق وفلسطين ومصر ، وأجزاء من شمال أفريقيا، ثم قيسارية وعسقلان. عن هذه الفتوحات

انظر: Theophanes, S.p.N, the Confessor, Chronogrphia,ed. Migne, Patrologia Graeca, tome. Cviii, paris, 1863,cols. 699-70l; Ghevond, histoire des guerres et des Conqutes des arabes en armenie, trad.G.V. Chahnazarian, paris. 1856,p.4.

وكان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان ٢٣-٣٥هـ ، ٦٤٤-٦٥٦م، انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٤، ص٢٨٨-٢٩٢. ولمزيد من التفاصيل راجع :عزيز سوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب: تجارية وثقافية وصليبية، ترجمة فيليب صابر سيف، مراجعة أحمد خاكى ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٥٤. ؛ جوزيف نسيم يوسف: الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى، ط١، الإسكندرية (دار الفكر الجامعى) ١٩٨٦م، ص١١.؛ حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط إلى الحروب الصليبية، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مايو١٩٥١م، العدد الأول، المجلد الرابع، ص٦٤. وتجدر الاشارة هنا إلى أن الخلافة الأمويةنجحت فى أنشاء قوه بحرية عربية ترتكز على أساطيل ثلاثة هى أساطيل شمال أفريقيا وسوريا ومصر، وقد كان أسطول مصر أكثر هذه الأساطيل أهمية، وقائد بحريتها هو قائد كل الأساطيل. انظر: سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧م، صفحات ٨٧-٨٨.

البحرية البيزنطية هى القوة البحرية الوحيدة فى المنطقة. فلقد تمكن معاوية بن أبى سفيان (١)من غزو جزيرتى رودس وقبرس عام ٢٩هـ /٦٤٩م(٢). ثم تمكن عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر من تحقيق نصر كبير على البيزنطيين فى موقعة ذات الصوارى عام ٣٥هـ/٦٥٥م (٣) التى وضعت نهاية لسيادة بيزنطة البحرية (٤)، وأجبر الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى (٦٤١-٦٦٨م/٢٠-٤٨هـ)، الذى خلف هرقل، على الفرار إلى صقلية متخذا منها مقرا لمواجهة الخطر الأموى (٥). ونظرا لأهمية هذه الجزيرة حرص المسلمون على شن العديد من الإغارات عليها محاولين فتحها (٦)، وفى إحداها كاد الإمبراطور نفسه أن يقع أسيرا فى قبضة المسلمين، وأصبح الخطر يهــدد

١- كان معاوية الذى اعتمد على البحرية محركا للحروب الأولى ضد البيزنطيين. انظر : Canard, M., Les expeditions des Arabes Contre Constantinople, Journal Asiatique, Vol, CCVIII, London. 1926, P.63.

٢- الواقدى : فتوح الإسلام، القاهرة ١٨٩١م، ص ١٤٤-١٤٧؛ البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة ١٩٥٦م، ص ١٥٤. وانظر أيضا : Constantelos, D,J., The Moslem Conquests of the Near East as revealed in the Greak Sources of the Seventh and The Eighth centuries, in "B", T. XLII, Bruxelles, 1972, P. 338; Bréhier , L., La Marine de Byzance du VIII é au XI Siécle, in. "B", T.XIX, Bruxelles, 1949. P.3.

٣-الواقدى : فتوح الإسلام، ص ١٤٧؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ ٤، ص ٢٨٨-٢٩٢ انظر أيضا : Theophanes, Chronographia, Col.757.

٤- يضع المؤرخ البيزنطى ثيوفان هذه الموقعة فى صف موقعة اليرموك الفاصلة عام ١٥هـ/ ٦٣٦م.انظر: Theophanes,Chronographia, Col.788.

٥- Theophanes,Chronographia,Col.788;Cedrenus,Georguis,Historiam-Compendium,ed. Migne, Patrologia Graeca,Tome.CXXII,Paris,1864-1894,Col.844.

وكان ذلك أثناء خلافة عثمان بن عفان ٢٣-٣٥هـ / ٦٤٤-٦٥٦م.

٦- ابن جبير : رحلة ابن جبير، بيروت ١٩٦٤م، ص ٩٧، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث، الدار البيضاء ١٩٦٤م، ص ١٠٩ ؛ وانظر أيضا : عمر كمال توفيق : المجتمع العربى الإسلامى فى بلرمو ، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٨٤م، العدد الرابع، المجلد رقم ١٤، ص١٧٨.

العاصمة، فعقد الإمبراطور صلحا مع معاوية (١). واستمرارا للإستراتيجية الأموية سعى الأمويون إلى السيطرة على كريت عام ٥٤هـ/٦٧٤م (٢). وإزاء هذا النشاط انتهز قنسطانز الثانى أول فرصة سانحة لشَغْل الخلافة الأموية. ففى ٦٦٦م/٤٦هـ أرسل إلى داخل سوريا جماعة المرد Mardaites (٣) وذلك ليشكلوا خطرا على الخلافة، ولكن حرص معاوية على التخلص منهم(٤).

ثم تمكن الإمبراطور قنسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م/٤٨-٦٥هـ) من الصمود أمام عنف النشاط الأموى، الذى بلغ ذروته بمحاولة الاستيلاء على العاصمة البيزنطية. وقد فشلت هذه المحاولة بفضل وسائل الدفاع المتوافرة للعاصمة(٥).

١- Theophones, Chronographia, Col.790; Agapius, M., De Menbidj., Kitab Al-Unvan, Histoir Universelle, Editeé et traduite en Francais, Vasiliev, A.A., Patrologia Orientalis, Tome VIII, Paris. 1912, P.488.

وقد حصل معاوية، نتيجة لهذا الصلح، على جزية مقدارها ٦٥٩ ألف قطعة من الذهب. انظر : Lot, F., L'Art Militaire et les Armées, Tome Premier, Paris. 1946, P.61; Canard, Les expeditions, PP.66-67.

٢- الحميرى (محمد بن عبد المنعم) كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت (مكتبة لبنان) ١٩٧٥، ص ٥١؛ راجع أيضا: إسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص ٤٤، ٥٥؛ أمين توفيق الطيبى: إمارة عربية أندلسية فى جزيرة أقريطش (كريت)، مقال بمجلة كلية التربية. جامعة الفاتح، ليبيا، العدد الثانى عشر ١٣٨٩هـ/١٩٨٠م، ص ٤٤.

٣- هم فى الأصل جماعات مسيحية سكنت الجبال، واتخذت منهم بيزنطة حائطا فولاذيا لحماية آسيا الصغرى من الغزوات الإسلامية، انظر : مؤلف مجهول، العيون والحدائق فى أخبار الحقائق، جـ٣، ابريل ١٨٦٩م ص ٢-٣. أيضا : Theophanes, Chronographia, Col.790.

٤- البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٦٢. ولكن السؤال الذى يثور : كيف دخلت هذه الجماعات عبر شواطىء سوريا ؟ ويرى الباحث أن البحرية الأموية ربما تكون قد اهتمت بالجانب الهجومى خاصة فى اتجاه العاصمة البيزنطية على حساب الجانب الدفاعى، خاصة فيما يتعلق بحماية الشواطىء السورية.

٥- وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى، الإسكندرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب)١٩٨١م، صفحات ٣٦-٣٨.

وبوفاة الإمبراطور قنسطنطين الرابع٦٨٥م/٦٥هـ انتهت مرحلة التحدى البيزنطى التى مثلها هؤلاء الأباطرة الثلاثة العظام:هرقل وقنسطانز الثانى وقنسطنطين الرابع، لتبدأ مرحلة جديدة (١)،شهدت العديد من مظاهر التدهور السياسى.ففى المعسكر البيزنطى كان الإمبراطور الجديد جستنيان الثانى (٦٨٥-٦٩٥م/٦٥-٧٦هـ)، (٧٠٥-٧١١م/٨٦-٩٣هـ) صغير السن(٢) وأقل كفاءة من أسلافه. وفى المعسكر الإسلامى اشتدت الخلافات بعد وفاة معاوية سنة ٦٠هـ/٦٧٩م(٣) وظهر تأثيرها عندما تمكن الجيش البيزنطى من اجتياح الشام عام٦٨٩م/٧٠هـ، فاضطر الخليفة عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)إلى عقد معاهدة مع الإمبراطور مقابل دفع جزية مقدارها ألف دينار، ونصت المعاهدة على أن يكون نصف ايراد أرمينيا وقبرس للامبراطور وعلى نقل المردة من شمال الشام، وتحددت مدة المعاهدة بعشر سنوات (٤). ورغم أن لبيزنطة اليد العليا فى هذه المعاهدة، إلا أن جستنيان لم يحالفه التوفيق بموافقته على نقل المردة، فقد انكشف الحد الشرقى للإمبراطورية (٥)، ولم يستمر أثر هذه الهدنة سوى عام واحد.ففى عام٧١هـ/٦٩٠م فتح عبد الملك قيسارية (٦)، وفى عام

١- وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ٣٨.

٢- Cedrenus, Historiarum, Col. 860.

٣- ابن الأثير :الكامل فى التاريخ، المجلد الرابع، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٥؛
ابن أبيك : درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٤٠٩ تاريخ، تصوير شمس، لوحة رقم ١٩٠.

٤- ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ص ٣٠٦، وهو الذى ذكر أن هذه الجزية تدفع كل جمعة. .انظر أيضا : Agapius, Al-Unvan, P.407. الذى ذكر أن الجزية تدفع كل يوم، ويرّجح الباحث رأى ابن الأثير، نظرا لان أجابيوس يحاول تبرير موافقة الإمبراطور على نقل المردة مقابل دفع الجزية يومياً.

٥- Bury, J.B., History of the Later Roman Empire, 395 Ad to 800A.d, 2 Vols., London, 1889, Vol 2, 321. ؛ أيضا: السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٦٠.

٦- ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ص ٣٤١.

٧٣هـ/٦٩٢م أفصح الخليفة عن نواياه بعدما فرغ من مشكلاته الداخلية. لذلك ضرب الدنانير الذهبية لأول مرة، وأرسلها كجزية بدلا من العملة البيزنطية، مما يدل على قدرة الخليفة على استئناف النشاط على الجبهة البيزنطية. كما كان هذا بمثابة إعلان الخلفاء لاستقلالهم الاقتصادى (١). وقد حمل هذا معنى التحدى للإمبراطور جستنيان خاصة وقد نُقشت على العملة عبارة " أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"(٢). وبالفعل كانت السنوات التالية خير دليل على ذلك، فقد هاجم الخليفة آسيا الصغرى فى ٧٣هـ/٦٩٢م وحقق انتصارين (٣)، وفى السنة التالية هاجم مدينة سباستابول وذلك نتيجة اغارة بيزنطية هددت منطقة أرمينيا (٤). ثم سُيِّرَتْ صائفتان فى عامى ٧٥، ٧٦هـ/٦٩٤و٦٩٥م فى مناطق الحدود (٥). هذا، بينما اقتصر رد بيزنطة على غزو مرعش عام٦٩٥م/٧٦هـ (٦)، دليلا على مدى الضعف الذى كانت تعانيه.

١- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، النجف ١٣٥٨هـ ، ص ٢٦، ابن الأثير : الكامل، جـ٤، صفحات ٤١٦-٤١٧، وأيضا : لوبيز : محمد وشارلمان - إعادة نظر - بحوث فى التاريخ الاقتصادى، مجلة الجمعية التاريخية، القاهرة ١٩٦١م، ترجمة توفيق اسكندر، ص ١١٨-١١٩؛ لومبار : الذهب الإسلامى، بحوث فى التاريخ الاقتصادى، مجلة الجمعية التاريخية، القاهرة ١٩٦١م، ترجمة توفيق اسكندر، ص ٦٤؛السيد ناصر النقشبندى : الدينار الإسلامى، مجلة سومر، العراق، جـ٢، ١٩٤٥م، المجلد الأول، ص ١١٦-١١٧؛ عزيز سوريال : العلاقات بين الشرق والغرب، ص ١٧٦.

٢- أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية، جـ٢، بدون تاريخ، ص ٦٥.

٣- ابن الأثير:الكامل،جـ٤،ص٣٦٢ وأيضا:. Theophones , Chronographia, Col. 799

٤- Theophanes, Chronographia, Col.799; Cf . Also : Bury, L.R.E., P. 322

٥- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ٢٦، ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ص ٣٧٤. وكانت الأولى فى مرعش، والثانية فيما بين ملطية والمصيصة.

٦- Theophones, Chronographia, Col.802 ويبرز دور مرعش فى حركة العلاقات السياسية بين القوتين. فكثيرا ما خرجت منها الغزوات، وأحيانا تلقت الضربات، واستمر الحال هكذا حيث لم ينقطع الصراع. انظر :السيد أحمد بن زينى دحلان : الفتوحات الإسلامية، جـ١، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٤هـ ، ص ١٩٥، وأيضا : علية عبد السميع الجنزورى : الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، القاهرة (مكتبة الأنجلو) ١٩٧٩م، ص ٧٦. انظر خريطة رقم ١.

وإذا كان حكم جستنيان الضعيف انتهى بعزله، فلم يكن الأمر أحسن حالا لبيزنطة فى ظل حكم الإمبراطور الجديد ليونتيوس (٦٩٥-٦٩٨م/٧٦-٧٩هـ) (١).

واستمرارا لسياسة الخليفة عبد الملك، غزا القائد الوليد بن عبد الملك آسيا الصغرى من ناحية ملطية فى ٧٧هـ/٦٩٦م (٢)، وفى العام التالى ٧٨هـ/٦٩٧م أرسل جيشا كبيرا بقيادة الحسان بن النعمان بن المنذر الغسانى، وتمكن من استعادة القيروان والاستيلاء على قرطاجنة (٣).

وقد ترتب على هذه الخسارة تمرد الجيش البيزنطى، وقبض على الإمبراطور وأعلن أبسيمار إمبراطور تحت اسم تيبيريوس الثالث (٦٩٨-٧٠٥م/٧٩-٨٦هـ) (٤). ومن حسن حظ بيزنطة أن التفوق الأموى الملحوظ فى العلاقات السياسية بين القوتين المتصارعتين لم يستمر، إذ تعرضت الخلافة الأموية لخطرين :

١- Theophanes, Chronographia, Col. 802; Cf. Also : Hutton,. H., Constantinople : The Story of old Capital, London, 1933, P.55.

٢- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ٢٦، ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ص ٤٤٧، وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col.802.

٣- تألف هذا الجيش من ٣٠ ألف مقاتل. انظر : ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار المغرب، بيروت ١٩٥٠م، جـ١، ص ٢٢ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ٢٦؛ الذهبى : العبر فى خبر من غبر، جـ١، تحقيق المنجد، الكويت ١٩٦٠، ص ٩٢؛ وانظر أيضا : على محمد فهمى شتا : المركز البحرى ودار الصناعة فى أفريقيا فى العصر العباسى الأول، مقال بمجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الأول ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٣٩١؛ أرشبالد لويس القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠م، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٠، ص ١٠.

٤- كان أبسيمار Apsimar قائد قيم كبير هايوت البحرى . انظر: Theophanes, Chronographia, Col.802.

وأيضا :وسام عبد العزيز فرج:العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ٥٧ ومابعدها.

الأول هو قيام ثورة ضد الخليفة بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث استمرت أربع سنوات(١)؛ والثاني هو خطر الطاعون الذى اجتاح الشام عام ٧٩هـ/٦٩٨م (٢). فاستغل الإمبراطور الجديد هذه الفرصة وكثف الجيش البيزنطى نشاطه فى السنوات التالية. ففى عام ٧٠٠م/٨١هـ هزم المسلمون عند سميساط، وأيضا فى قيليقيا مرتين فى عامى ٧٠٣ و ٧٠٤م/٨٤و ٨٥هـ (٣)، كما اهتم بالإصلاحات الداخلية لمواجهة الخطر الإسلامى، وكان أهمها إعادة تعمير جزيرة قبرص، وإدخال تعديلات وإصلاحات على الأسطول البيزنطى (٤).

وفى ظل هذه الأحداث يجب الإشارة إلى دور أرمينيا فى الصراع البيزنطى الإسلامى، بحكم وجودها كدولة واقعة بينهما (٥)، حتى أن كثيرا من المعارك التى دارت بينهما دارت فى أرض أرمينية. لذا لم تنعم بالاستقرار، ولم يثبت ولاؤها لجانب محدد،

١- قامت هذه الثورة فى ٨١هـ/٧٠٠م ولم يُقض عليها إلا بصعوبة فى ٨٤هـ/٧٠٣م. وللمزيد انظر: المسعودى : التنبيه والاشراف، ليدن ١٨٩٣م، ص ٣١٤-٣١٥؛ وأيضا:يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية محمد عبد الهادى ابوريدة، مراجعة حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٨، لجنة التأليف والنشر، ص ٢٢٤ ومابعدها.

٢- الذهبى : كتاب دول الإسلام، جـ١، تحقيق فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤، ص ٥٧ ؛ سيديو : خلاصة تاريخ العرب، بيروت ١٤٠٠هـ ، ط٢، دار الآثار، ص ١٠١. وكان هذا الطاعون عام ٧٩هـ /٦٩٨م . ويذكر أن مكة تعرضت أيضا لسيل فى العام التالى (٨٠ هـ/٦٩٩م) ؛ البلاذرى : فتوح البلدان، قسم ١، ص ٦٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ص ٤٥١.

٣- Theophanes, Chronographia., Col.802. وانظر أيضا : البغدادى : عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصر والأزمان، مجلدان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٣٨١ تاريخ، جـ١، لوحة رقم ٦٩.

٤- Bury, L.R.E., VOL.II, P. 357.

٥- فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمينى جيفوند ٦٣٢-٦٦١م/١١-٤٠هـ ، جـ١، الإسكندرية ١٩٨٢، ص ٦٥؛ عبد الرحمن محمد عبد الغنى أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (٦٥٣-١٠٦٤م/٣٣-٤٥٧هـ) رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٨٣، ص ١٨٠-١٨٢، ص ٢١٠-٢٢١

بل كان الولاء ينتقل الى الجانب المنتصر (١). وعلى أى حال فبعد أن فرغت الخلافة من مشاكلها الداخلية، قامت بنشاط مضاد. ففى عام ٨٤هـ/٧٠٣م استولت على المصيصة (٢)، وفى العام التالى سيطرت على حصنين بيزنطيين (٣).

وهكذا سرعان ما استعادت الخلافة الأموية تفوقها الملحوظ على الإمبراطورية البيزنطية، وذلك بفضل شخصية الخليفة عبد الملك ابن مروان، القادر على مواجهة الأخطار فى كل الظروف (٤)، وكذلك وصول جستنيان الثانى مرة أخرى إلى كرسى العرش بعد أن تخلص من الإمبراطور

١-مثال ذلك انضمامهم للمسلمين عقب هزيمة بيزنطة من الأمويين عام ٧٤ هـ/ ٦٩٣م التى أشرنا اليها، انظر Theophan, Chronographia, Col. 799. ثم حدث العكس وانهزم المسلمون فى ٧٠٣م/٨٤هـ فانضموا لبيزنطة فحاربهم الخليفة. انظر: Theophan, Chronographia, Col. 802، وانظر ايضاً العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، ٢٣ جزءاً فى ٦٩ مجلداً، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ تصوير شمسى، جـ١١، القسم الثالث، لوحة رقم ٢٣٩. وكان انتقام الخلافة منهم فى ٨٤هـ/٧٠٣م ايضاً. انظر ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٥

٢-تقع على شاطئ جيحان، وكانت من ثغور الشام. انظر الذهبى: العبر، ص٩٧؛ ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٥٦٦ تاريخ، جـ٢، ورقة رقم ٢٤٤. ويذكر أنه بعد فتحها بنى بها خمسمائة مقاتل. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٥٠؛ اليافعى: مرآة الزمان وعبرة اليقظان، حيدر أباد ١٣٣٧هـ، ص١٧٧؛ ابن الشحنة: مختصر تاريخ ابن الشحنة، مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية، تحت رقم ٣٧٩٩ ج، ورقة رقم ٤٢؛ وانظر أيضاً: حسينى: الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم أحمد العدوى، مراجعة علية عبد الحق، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢٦٠.

٣-كان ذلك بقيادة مسلمة بن عبد الملك. انظر الذهبى: العبر، ص٩٧؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى اخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠هـ، ص٩٦

٤-الدينورى: عيون الأخبار، ٤ أجزاء فى مجلدين، القاهرة ١٩٢٥م المجلد الأول، جـ٢، ص١٨٧؛ ذى النسيبين: كتاب النبراس، بغداد ١٩٤٦م، ص٥٩. وتذكر هذه المصادر أنه احتل مكانة متميزة بين خلفاء الدولة الأموية، وقد وصفه الخليفة المنصور بقوله "إنه جبار لا يبالى". انظر البلاذرى: أنساب الأشراف وأخبارهم، غريفزولد ١٨٨٣، جـ١١، ص١٨٣. ويكفيه أنه خلفه فى الحكم أربعة من أبنائه كانت عصورهم أزهى عصور الفتح الثروانى فى العصر الأموى.

تيبريوس الثالث وقادته (١)، وهم الذين كانوا قد بدأوا في تحقيق الانتصارات لبيزنطة ومن عام ٨٦هـ/٧٠٥م، وعلى مدى عشر سنوات شهدت آسيا الصغرى حلقة من حلقات الصراع الطويل بين القوتين المتصارعتين . فبعد وفاة الخليفة عبد الملك، اعتلى العرش ابنه الوليد (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م). وقد أخذت الخلافة الأموية في عهده زمام المبادرة في معظم الأحوال (٢). فقد حاصر الجيش الأموي بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد مدينة طوانة Tyana(٣)، ولما طالت مدة الحصار أرسل الإمبراطور إمدادات لمساعدة المدينة، ولكن دون جدوى (٤)، فاستسلمت في ٨٨هـ/٧٠٧م بعد حصار دام حوالي سنتين(٥). واتخذ منها الأمويون نقطة انطلاق إلى منطقة

١- Georgius Monachus (Hamartolus, Chronicon, ed. Migne, Patrologia Graeca, T.CX, Paris, 1863, Col.909; Ghevond, Guerres., P.17.

فقد ساعده في العودة كل من الخزر ثم البلغار. انظر Jenkins, R., Byzantium; The Imperial Centuries, AD.610-1071, London 1966, P.59.

وأيضا: محمد محمد مرسى الشيخ : الخزر وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية، مقال بمجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، الرياض ١٩٨٠، ص ٣٦٢-٣٦٤.

٢- وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١١٤.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.803. وأيضا: البلاذرى: أنساب الأشراف، جـ١١، ص ١٦٠ وهي مدينة حصينة وتوجد في ثغور المصيصة.انظر : جي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية، بغداد (مطبعة الرابطة) ١٩٥٤م، نقله للعربية وأضاف إليه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص ١٦٣.

٤- مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص٣، الذي يذكر أن قوات الإمدادات كانت ٥٠ ألف مقاتل، بينما ذكر أجابيوس انها ٤٠ ألف مقاتل . انظر : Agapius,AL-Unvan ., P.499.

٥- ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ص ٥٣١. ويذكر أجابيوس أنها فُتحت عام ٨٧هـ/٧٠٦م. ورأى ابن الأثير هو الأصوب، نظرا للإجماع على أن الحصار دام سنتين، وتخللته فترات من التوقف. ومادام النشاط الأموى استؤنف عام ٨٦هـ فيكون فتحها في عام ٨٨هـ انظر : Agapiuis, Al-Unvan, P.498.

البسفور، وكانت من أهم إنجازات المسلمين فى هذه السنوات (١). كما استمر المسلمون فى نشاط الصوائف والشواتي. ففى ٨٨هـ/٧٠٧م فتح مسلمة بن عبد الملك حصن حرثومة (٢)، ثم حصن عمورية فى ٨٩هـ/٧٠٧م (٣). وفى العام التالى غزا مسلمة سورية وفتح عددا من الحصون (٤). ثم شهد عام ٩٢هـ/٧١٠م صائفة فتحت فيها ثلاثة حصون (٥). وشهد عام ٩٣هـ/٧١١م نشاطا اسلاميا كبيرا، إذ تم فتح سبعة حصون (٦). واستكمل هذا النشاط فى العام التالى بغزو حصون سدرة وأنطاكية بيسيديا وغزالة ومناطق أخرى (٧). ثم تمكن العباس بن الوليد من فتح هرقلة فى ٩٥هـ/٧١٣م(٨).

ونتيجة لنجاح النشاط البرى للخلافة الأموية فى آسيا الصغرى طيلة عشر سنوات، حاول البيزنطيون إيقاف هذا النشاط. ففى ٧٠٨م/٩٠هـ هاجم الأسطول البيزنطى دمياط (٩)، وبعد معركة بحـــرية اسر أمير البحر الاموى خـــالد بن كيسان،

١- Cedrenus, Historiarum, Col.860; cf. also : Honigmann, E., Die Ostgrenze des byzantinischen Reiehes von 363 bis lo71, Bruxelles, 1935, P.40.

٢-اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ٣٥؛ الذهبى : العبر، ص ١٠٢.

٣-اليعقوبي:تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٣٥ ؛ابن الاثير: الكامل ، جـ ٤ ، ص ٥٣٥ وكان مع مسلمة فى هذه الحملة العباس بن الوليد وقد فتح أدرولية . ولمزيد من التفاصيل انظر ايضا : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤١٣ ؛الحنبلي : شذرات الذهب ، ص ٩٨.

٤-هي خمسة حصون ، وجميعها شرق آسيا الصغري . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ٤، ص٥٤٧ .

٥- ابن الاثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٥٥٦ .

٦- وكان ذلك علي يد ثلاثة من القادة. فقد فتح مسلمة حصون ماسيسة والحديد وغزالة وفتح العباس بن الوليد حصون سبسطة والمرزباتين ، وفتح مروان بن الوليد حصن خنجرة ، وجميعهم جنوب قبادوقيا – انظر : ابن الاثير :الكامل ، جـ ٤ ، ص ٥٧٨ .

٧- هذا بينما تعرض الشام لزلازل يقال انها استمرت ٤٠ يوما . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ٤، ص ٥٨٢.

٨- وتمكن ايضا من فتح حصون اخري منها قنسرين. ابن الاثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٥٩١ . انظر خريطة رقم ١.

٩- Nicephorus , S., Patriarchae , Breviarum de Rebus Gestis Post Imperium Mauricii , ed . Migne , Patrologia graeca, Tome. C., Paris, 1860, Col. 952 .

إلا أن الإمبراطور أفرج عنه(١) والواقع أنه بينما كان الإمبرطور متخوفا من الخطوة التالية للنشاط الأموى، كان الخليفة فى حالة تجعله يفكر فى تحقيق الحلم الذى ظل يراود الخلفاء المروانيين كضرورة سياسية وحربية، من أجل تأمين سلامة الدولة الأموية التى كانت بيزنطة تقف منها موقف العداء منذ البداية (٢)، خاصة وأن الإمكانيات أصبحت متاحة وأهمها الأسطول الإسلامى(٣). ثم كان نشاط السنوات العشر السابقة فى آسيا الصغرى خير تدريب لقوات الخلافة الأموية، كما لم يكن يفتقد القادة الأكفاء. هذا بالإضافة الى مساندة دولة قوية الأركان، وخلافة مستقرة الأوضاع. على حين أن الجانب البيزنطى افتقد الاستقرار، وشمله الفساد(٤)، وتدهورت قوته العسكرية، وساد الصراع على العرش. علاوة على الأخطار الخارجية، أهمها خطر البلغار(٥).

وأدت الفوضى التى وصلت اليها بيزنطة الى قيام ثورة ضد جستنيان بقيادة باردانس Bardanes الذى أصبح إمبروطورا تحت اسم فيليبيكوس(٧١١-٧١٣م/ ٩٢-٩٤هـ)(٦)

---

١ -ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤، ص٥٤٨ ؛ أيضا: سعاد ماهر : البحرية ، ص ٨٨ .

٢ -جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية (مؤسسة شباب الجامعة) ١٩٨٤م ، ص ١٢١.

٣ -أحمد مختار العبادى، والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، بيروت ١٩٧٢ م ، ص ٣٤ .

٤- Nicephorus,Breviarum,col .956

٥- Cheira,M.A.,Lutter Arabes et Byzantins,laconquete et L'organisation des frontieres aux vii et viii Siecles,Alexandrie, 1947 ,P.180.

٦ - Georgius Hamartolus , Chronicon , col. 909, cedrenus ,Historiarum,col.860. ;Cf.also: Manojlovic, G.,le peuple de Constantinople ,in"B",tome. xl bruxelles,1936,p.684; Honigmann, Die Ostgrenze, P.40.

ولكن هذا الإمبراطور لم يتمكن من فعل شئ لمواجهة هذه الأوضاع المتردية، واكتفى بتعمير المناطق التى تعرضت لهجمات المسلمين بجماعات من الأرمن (١)، حتى دبر الجيش بقيادة الوزير ارتيميوس Artemius، مؤامرة أطاحت بالإمبراطور، وعُين هذا الوزير إمبراطورا باسم أناستاسيوس الثانى (٧١٣-٧١٥م/٩٤-٩٦هـ) (٢). وكان أول اهتماماته تقوية جبهة آسيا الصغرى لمواجهة النشاط الأموى فعين على ثيم الأناضول قائدا كفئا يدعى ليو (٣)؛ ثم أرسل سفارة الى الخليفة الوليد. وقد أكدت هذه السفارة بعد عودتها للإمبراطور الأنباء التى تفيد أن الوليد يعد حملة كبيرة هدفها القسطنطينية (٤). فكان على الإمبراطور البدء فى الاهتمام بوسائل الدفاع البرى والبحرى، تحسبا لحصار قد يطول(٥). ولعله لم ينس الحصار الأول لعاصمته أيام معاوية بن أبى سفيان. هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فكر فى إرسال حملة بحرية لمهاجمة المراكز البحرية الإسلامية بهدف التعطيل(٦)، ولكن حدث تمرد داخل صفوف الجيش، واندلعت حرب أهلية وأُطيح بالإمبراطور فى٧١٥م/٩٨هـ(٧).

١- Ostrogorsky.G.History of the Byzantine state, Tr.by,J. Hussy, Oxford, 1956, PP. 135-136.

٢- Georgius Hamartolus, Chranicon, col. 909; Theophanes, Chronographia, col.805; Cedrenus, Historiarum, col.861

٣- Nicephorus, Breviarum, col.956

٤- Theophanes , Chronographia, col.806; cf. also: Jenkens, The Imperial , P.61.

٥- Nicephorus, Breviarum, col. 956 وايضا جوزيف نسيم يوسف: الدولة البيزنطيه، ص١٢١.

٦- فى مكان على ساحل آسيا الصغرى اسمه Phoenix يحصل منه الاسطول الاموى على الأخشاب. انظر: Theophanes, Chronographia, col. 806; Nicephorus, Breuiarum, col. 956.

٧- Theophanes, Chronographia, col.811; Georgius, Hamartolus, Chranicon, col. 912.



وهكذا شهد عام ٧١٥م/٩٦هـ تطورا جديدا فى الأحداث، ففى بيزنطة اعتلى عرش الإمبراطورية ثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م/٩٦-٩٨هـ) وفى دمشق تصادف وفاة الوليد وتولية أخيه سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)(١)، ولكن اختلفت الأهداف. فقد استعد الإمبراطور لمقاومة الحصار بالاهتمام بالحصون والأسوار وتخزين الغلال(٢) بينما استكمل الخليفة استعدادات سلفه،مع الاستمرار فى المناوشات على جبهة الحدود فى آسيا الصغرى،ففى ٩٦هـ/٧١٥م فُتح حصن الحدود (٣). وفى العام التالى أرسل الخليفة ابنه داود فى صوائف فتحت حصن المرأة(٤). وفى نهاية نفس العام مّهد الخليفة لعمله الكبير بغزوة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة الغزارى(٥) وقد أشرف بنفسه على استعدادات الحملة بحماسة كبيرة(٦)، واختار لقيـــادة هذه الحملة

١- Agapius, Al-unvan, P.501

٢- THeophanes, Chronographia, Col. 812; Cf. also: Cheira ,La lutte, p. 181; Bury, L.R.E., VOl II , P. 371.

٣- Cedrenus, Historiarum, Gol. 864 .

وأيضا : اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٤٣.

٤- يوجد بجوار ملطية. انظر: اليعقوبى: جـ٣، ص٤٣؛ ابن الأثير الكامل، جـ٥ ،ص٢٦؛ النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ ٢١، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة (الهيئة العامة) ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٣٥٣.

٥- الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة (دار المعارف) ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م،ص ٥٢٣ ؛ ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص٢٦. انظر الخريطة رقم ١.

٦-فقد حدثه بعض العلماء بأن هناك حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الذى سيفتح القسطنطينية سيكون اسمه اسم نبى"هو النبى سليمان". كما أعلن الخليفة عن عزمه على الاشتراك بنفسه فى القتال إذا ماأظهر البيزنطيون مقاومة طويلة. انظر : مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٤. وانظر أيضا:

Finlay, G., History of the Byzantine Empire from Dccxvl tom VII, London,1906,P.16.

أخاه مسلمة أفضل قادته(١)، وحشد لها قوات بلغت ١٨٠ ألف جندى(٢)، كما بلغ إجمالى وحدات القطع البحرية حوالى ١٨٠٠سفينة شاملة جميع أنواع السفن الحربية(٣) واتخذ الخليفة من دابق معسكرا له، ومنه قام بتوديع جيشه(٤). وبدأ زحف الجيش وكان يتقدمه القائد سليمان ثم مسلمة بن عبد الملك وحاول الجيش البيزنطى عرقلة هذا الزحف ولكن دون جدوى(٥) ووصل جيش سليمان إلى ثيم الأناضـــول وهنا

١- Nicephorus, breviarum, Col.956 وأيضا: مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٤٠. وقد أحاطت شجاعة القائد مسلمة الكثير من الروايات. انظر : ابن الأثير: الكامل جـ٥، ص١٧، ١٩؛ الدميرى:حياة الحيوان الكبرى، ط٥، القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، جـ١، ص٢٦٥، وعن أصله أنظر: عبد الله خورشيد البرى :القبائل العربية فى مصر، القاهرة ١٩٦٧م، ص٨٩.

٢- العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحه رقم ٤٣٩ . ويقول المؤرخ البيزنطى نقفور"جمع المسلمون قوات لا تحصى من الفرسان والمشاه" انظر:.Nicephorus Breviarum, Col.956

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 8ll; Niceephorus, Breviarum, Col. 956 وأيضا: ابن منكلى : كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣ تيمور، ورقة رقم ٤٧، ٤٨، ٤٩، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٥.

٤-.Theophanes, Chronographia, Col.816 وانظر أيضا: اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٤٢، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧.وانظر أيضا: Diehl, ch. et Marcais, G.,le monde Oriental De 395- l08l,paris, 1936, p.251

٥- هاجم الأسطول البيزنطى مدينة اللاذقية، ولكن دون نتائج هامة. انظر : اليعقوبى:تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٤٢.

تُجمع الروايات على أنه دارت مفاوضات بين القائد سليمان وليو ستراتيجوس ثيم الأناضول(١)، وكان الهدف الظاهرى لسليمان

١- Theophanes, Chronographia, Col.8II. ويذكر المؤلف المجهول أن قادة العرب اتفقوا مع ليو على أن يعترفوا به إمبراطورا إذا ما دخلوا العاصمة. انظر: مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٥، وأن ليو أقسم لهم بالموافقه على هذا الاتفاق. ويقال أنه كان يسعى لخديعة العرب، وتجنب أن "تشرب الأرض دم الرجال". انظر: Denys de Tell-Mahré, (DeAnonyme de Zugnin), La Chroni que, trchabot,J.B., Paris, 1895, PP. 12-13;Cf. also: Bury, I.R.E., Vol.II,P.397. وعن اللغة التى استخدمها ليو فى مفاوضاته مع العرب، لا شك أنه استخدم اليونانية والعربية حسب مقتضيات الموقف. وإن كان المؤرخ أسد رستم يرى أن القول بمعرفته اللغة العربية قول ضعيف، على أساس أن مصدر هذا القول هو مؤلف كتاب العيون والحدائق، وهو مجهول الاسم، وأيضاً لأن الكتاب نفسه لم يدون قبل النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى. ولكن الباحث لا يؤيد رأى أسد رستم وإلا بماذا تفسر كيف اشترك ليو فى مباحثات أحد أطرافها يتحدث العربية؟
انظر: مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٥. وأيضاً: Brooks, E., The Compaingn of 716-718 from Arabic Sources J.H.S.,T.XIX,1899, PP.21-22. أيضاً: أسد رستم: حرب فى الكنائس، بيروت ١٩٥٨م، ص ٢١. أنظر الخريطة رقم ٢.

هوالتباحث ، بينما كان الهدف الحقيقى الرغبة فى القبض على ليو. ولم ينتظر سليمان كثيرا فقد بدأ فى حصار عمورية (١). وكان ليو من الذكاء حتى أنه كان على علم بنوايا المسلمين، ومن ثم فقد استفاد من ذلك بالتظاهر وابداء التعاون مع سليمان، وفى الوقت نفسه كان يُقوّى من صمود مدينة عمورية. وبالفعل نجحت سياسته ورُفع الحصار، ومرة أخرى دارت اتصالات بين سليمان وليو بغرض عقد اتفاقية سلام بينهما(٢). واتبع ليو نفس الأسلوب القائم على المراوغة، ذلك الأسلوب الذى ساهم فى مساعدة ليو على إنقاذ عمورية، خاصة وأنهم تحركوا خلف حدود ثيم الأناضول.(٣). وفى هذه الأثناء حدث تطور جديد؛ فقد تدهورت العلاقة بين ليو والإمبراطور، خاصة وأن الإمبراطور عيّن ابنه على ثيم الأوبسيكيون (٤)، فتقدم ليو وهزم ابن الإمبراطور(٥)، وترتب على هذا نتائج هامة ليس بالنسبة لليو فقط بل لبيزنطة نفسها. فقد قــوى مركــز ليو بهـذا الإنتصـار، فكسـب إلـى جانبه ستراتيجوس ثيم أرمينـيا

١- theophanes, Ghronographia, Col. 812; Georgius Hamartolus Chronicon, Col. 913; Cedrenus, Historiarum, Col. 864; Cf. Also: Diehl,CH, Leo III and the Isaurian, Dynasty 717- 802 C.M.H.,Vol. Iv, Cambridge, 1936, P.2.

٢-ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص٢٧؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٨.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 811; Cf. Also: bury, L. R. E., P. 383; Ahrweiler, H., L' Asie mineure et les invasions Arabes, VII - IX siecles, dans Revue Historique, Tome CCXXVII,1962, pp. 5- 11; Oman,C .The byzantine Empire, Oxford ,1892, P.183.

٤- وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١٣٤، ١٣٦.

٥- Nicephorus, Breviarum, Col. 956;Agapius, Al-Unvan, P.501; Cf Also : Bury. L.R.E., VOl III, P.383.

ارتابازدوس (١). هذا، فى الوقت الذى أدرك فيه كبار رجال الإمبراطورية خطورة الأوضاع التى تتعرض لها بيزنطة فى ظل إمبراطور ضعيف، فاختاروا ليو إمبراطورا بعد أن تنازل ثيودوسيوس الثالث (٢) بهدوء بدون إراقة للدماء، مقابل ضمان سلامته(٣). وقد تم الاتفاق على هذا أمام البطريرك جرمانوس الأول (٧١٥-٧٣٠م/٩٦-١١٢هـ) (٤). ويعتقد الباحث أن ثيودوسيوس تنازل عن العرش بعد تأكده من صعوبة مواجهة المسلمين، الذين تقدموا مجتاحين كل ما يعترضهم(٥).

١- Nicephorus, Breviarum, ol. 960. وقد زَوَّجَهُ ليو بابنته وتدعى انى -أى حنه- (Anne) تنفيذا لوعده. انظر Guilland. R., Patrices de Leo III a Michel II, in Variorum, London, 1976, P.319.

٢- Theophanes, Chronographia, Col.816; Nicephorus, Breviarum, Col. 956; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.913; Cedrenus, Historiarum, Col. 864.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.816; Cedrenus, Historiarum;

٤- Nicephorus, Breviarum, Col.956. وقد أجبره البطريك على أن يقسم ألا يأتى ببدع تؤثر فى العقيدة والكنيسة.انظر أيضا Anastos, M.V., Iconochasmand Imperial rule 717-842, C.M.H., Second Ed, Vol IV, Part I, Cambridge, 1967. P.62.

وفى هذا المجال لايمكن أن نغفل دور الجيش فى تعيينه.انظر:عفاف سيد صبره:الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية فى زمن شارلمان، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٣٢.

٥- Georgius, Hamartolus, Chronicon, col. 913; Cf. Also : Oman, Ch., The Dark Ages 476-918, London, 1923, P.300.

وهكذا وباعتلاء ليو الثالث عرش الإمبراطورية كانت البداية لأسرة جديدة تنسب إلى اسمه هى الأسرة الأيسورية (١)، تلك التسمية التى أثارت كثيرا من الجدل الذى لم ينته حول أصله وموطنه، ليس هنا مجال الإفاضة فيها (٢).

١- Cedrenus, Historiarum, Col.861; Cf. Also : Diehl, ch., Etudes Sur l'Histoire Byzantine Empire, P.15: Bailly,A, Byzance, Paris, 1939, P.159.

٢- هناك آراء تقول إنه من مرعش أو أيسوريا. عن هذا الرأى انظر : Theophanes, Chronographia, Col.814; Cf. Also : Hussy, J., The Byzantine World, London, 1967, P.127. وهناك من يقول إنه من سوريا. عن هذا الرأى انظر : Vita Stephani Junioris , ed. Migne, Patrologia Graeca, T.C, Paris, 1860, col.1084;Cf Also : Karl Schenk, Kaiser leons III, Walten in Inneren, in "Bz", 1896, p. 296 ff.

وقد أثبت شينك أن ليو أصلاً من جرمانيكا Germanika فى سوريا، وأن الأمر قد اختلط على ثيوفان بين جرمانيكا هذه وبين مدينة أخرى تسمى Germanikopolis أيضا، ولكن توجد فى أيسوريا التى اختارها موطنا لليو. ويستند شينك على صحة رأيه بأن أناستاسيوس، الذى ترجم حولية ثيوفان من اليونانية إلى اللاتينية، يذكر أن ليو من أصل سورى، كما يربط شينك بين موطنه وبين معرفته اللغة العربية. ويؤيده كل من Runciman, S. Byzantine style and civilization, Penguin, 1981, P. 82; Head, C., Who was the real of Leo the Isaurian ? Bruxelles, 1971, "B", PP. 105-108; Iorga, N., Origines de l'Iconoclasme, Bulletin Acad. Roumaine, XI, 1924, P.147.

كما تذكر الروايات أنه لم يكن من أصل نبيل وإنْ توافر لأسرته المال. وقد نشأت علاقة صداقة بينه وبين جستنيان، ولكنها لم تستمر . وفى عهد الإمبراطور أناستاسيوس أصبح قائدا على ثيم الأناضول. عن ظهوره على المسرح العسكرى ثم السياسى انظر :

Theophanes, Chronographia, Col.816; Nicephorus, Breviarum, Col.956; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.913; Cedrenus, Historiarum, Col.861; Cf. Also : Moeller, W., History of the Church in the Middle Ages, Translated from the German by Rutherfurd, second ed, London, 1910, P.14; Rene, G., Byzantium. Its trimpls and tragedy, New york , 1962, P.31; Oman ,Byzantine Empire,p.183.

وهكذا شاءت الأقدار أن تمنح بيزنطة رجلا أقل ما يقال عنه أنه يستطيع مواجهة الأخطار التى تهددها. فغير خاف أنه فى الوقت الذى اعتلى فيه العرش، كانت منطقة آسيا الصغرى وحتى البوسفور مفتوحة أمام المسلمين، بينما لم يكن لديه سوى جيش منهك، حطمته الحروب والثورات الداخلية (١)، حتى وصلت الإمبراطورية إلى أقصى درجات الضعف والتردى. ويكفى أنه تعاقب على حكمها ستة أباطرة فى حوالى عشرين عاما (٢). فكان عليه مواجهة الزحف الإسلامى الذى اقترب من بحر إيجه (٣).

ثم تتعرض الروايات لوعد ليو بالحضور لمقابلة مسلمة ؛ ولم يكن هذا إلا خداعا من ليو لاستنفاد الوقت من أجل مزيد من الاستعدادات (٤). وحين أدرك مسلمة هذا المغزى تقدم إلى أبيدوس على بوغاز الدردنيل، ثم عبر البحر إلى تراقية، ومنها وصـــل

١- Nicephorus, Breviarum, Col. 956. وأيضا جوزيف نسيم يوسف: الدولة البيزنطية ص ١٢٠.

٢- Young, G., Constantinople depuis les origines jusqu'a jours, Paris, 1948, P.99.

٣- مجتاحا فى طريقه مدن ساردیس Sardis وبرجامة Pergamun انظر : Nicephorus, Breviarum, Col. 956; Cf. Also : Jones, A., The Cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford, 1972, PP. 34-37; Canard. M., Byzantium and the Muslim World in the Middle of the Eleventh Century, C.M.H., Vol, IV, Part I, Cambridge, 1967, P.698.

٤- أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر، ط١، القاهرة ١٣٢٥هـ، جـ١، ص ٢٠٠، الحنبلى : شذرات الذهب، ص ١١٦. وانظر أيضا :

Brooks, E.W., The Struggle with the Saracens 717-867, C.M.H., Cambridge, 1936, Vol IV, P.119.

العاصمة (١). وسرعان ماتجمعت القوات البرية والبحرية فى أول سبتمبر ٧١٧م/محرم ٩٩هـ، وبدأ الحصار (٢). هذا، بينما كان ليو على أهبة الاستعداد؛ فملأ المخازن وقوى الحصون،وقام بغلق مدخل القرن الذهبى بسلاسل حديدية، لإحكام السيطرة على البوسفور (٣). ولكونه قائدا محنكا، فقد أرسل جيشا لقطع الطريق على الجيوش التى

١- Theophanes, Chronographia, Col.816; Nicephorus, Breviarum, Col.956; Georgius, Hamartolus, Chronicon, Col. 924.
ويعلق الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم على سيطرة القوات الأموية على أبيدوس بغير مقاومة، بأن ليو كان قد سحب كل قواته للدفاع عن القسطنطينية. انظر جوزيف نسيم الدولة البيزنطية، ص ١٢١

٢- Theophanes, Chronographia, Col.816; Georgius, Hamartolus, Chronicon, Col.924; Cedrenus, Historiarum, Cols.864-865
وأيضا : المسعودى : التنبيه والاشراف، ص ١٦٥. وكانت القوات البحرية قد وصلت للعاصمة بقيادة عمر بن هبيرة الفزارى، وهو الذى كان قد نجح فى العام السابق (٩٦هـ/٧١٥م) فى الوصول إلى خليج القسطنطينية، وهذا من قبيل استطلاع للمهمة القادمة، ألا وهى هذا الحصار. انظر : اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ٤٢-٤٣. وللمزيد من التفاصيل انظر أيضا : Tritton, A, S., Notes and Communications siege of Constantinople Ad. 714-716, in Bulletion of the School of Oriental and African Studies, London 1959, section I, Vol.XXII, PP 351-352.

٣- وهى المعروفة باسم المأصر انظر ميخائيل عواد المآصر فى بلاد الروم والإسلام، بغداد ١٩٤٨ ص٦، وديع فتحى عبد الله العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الإمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩ ٨٤٢م/٢١٤-٢٢٨هـ)، الإسكندرية ١٩٨٢، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ص ٨٨ انظر خريطة رقم ٢

يمكن أن تأتي من سوريا (١). ورغم هذا استمر الحصار الإسلامي للعاصمة البيزنطية حتى شتاء العام التالي ٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م. وكان البرد قاسيا لم يتحمله المسلمون (٢)، وتعرضوا للجوع وقلة المؤن، وهلك الرجال والخيول (٣) فساءت أحوال المسلمين وزادت تردياً لوفاة القائد سليمان (٤). وفي ظل هذه التطورات حدثت مفاوضات بين الطرفين لرفع الحصار، ولكنها لم تنجح لإصرار مسلمة على تحقيق هدف الحملة (٥).

١- Theophanes, Chronographia, Col.816; Cf. Also: Cheira, la lutte, p.185. وأيضا : وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١٤٥.

٢- فقد غطى الجليد الأرض مدة مائة يوم انظر : Theophanes, Chronographia, Col. 816; Nicephorus, Breviarum, Col.959.
وأيضا اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ٣، ص ٤٢ ؛ الذهبي : العبر، ص ١١٦ وأيضا Hutton, Constantinople, P.56; Jenkins, The Imperial, P.63.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.817; Nicephorus, Breviarum, Col. 959.
حتى أنهم أكلوا الميتة. ولمزيد من التفاصيل انظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ٣، صفحات ٤٢-٤٤؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص ٣٣؛ الذهبي : دول الإسلام، ص ٦٧. انظر ايضا الملحق رقم ٢ .

٤- Theophanes, Chronographia, Col.816; Georguis Hamartolus, Chronicon, Col. 924 وأيضا : اليعقوبي، جـ٣، ص٤٢ ؛ الذهبي: العبر، ص ١١٦ راجع ايضا : Canard, Le Expeditions, J.A., P.87.

٥- ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص٢٧؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق، صفحات ٣١-٣٢. ونلاحظ تزايد حالات الاتصالات والمفاوضات. وقد نجح ليو عن طريقها في إنقاذ عمورية. ولكن ليو لم يستمر في اتفاقه للنهاية، فقد كان مقررا أن يقوم مسلمة وسليمان بغزو العاصمة وقت قيام ليو بالثورة ضد الإمبراطور بمساعدتهما. ولم تكن هذه هي المرة الأولى أو الأخيرة التي يقوم فيها العرب بمساعدة ثورة ضد بيزنطة. فقد سبقها محاولة عام ٦٦٨م/٤٨هـ، وأعقبتها أخرى عام ٨٢١م/٢٠٦هـ. عن هذه الاتصالات، ولمزيد من التفاصيل انظر : Canard, Byzantium and the Muslim world, C.M.H., 1967, P.698; Canard, le expeditions, J.A., PP.87-88; Jenkins, Byzantium, P.62.

وإزاء هذا الموقف الصعب الذى أصبحت فيه قوات مسلمة، وصلته إمدادات بحرية فى ربيع ٧١٨م من مصر، وبرية من أفريقيا. وقد ساعدت هذه الإمدادات على إطالة أمد الحصار(١). ولكن كان ضمن جيش هذه الإمدادات البحرية جماعة من المسيحيين تحولوا إلى جانب الإمبراطور ليو الذى نجح فى تحريضهم على العصيان، واستغل ليو هذا ووجّه نيرانه لهذه الأساطيل (٢).

ولم تكن الإمدادات البرية أحسن حالاً، فقد تعرضت لكمين ألحق بها هزيمة (٣). هذا، بالإضافة إلى أن الخليفة أرسل ابنه داود على رأس جيش بغرض تدعيم مسلمة، واثارة اضطرابات دائمة فى آسيا الصغرى. ولكنه لم يحقق الهدف الأول، إذ لم يصل إلى مسلمة، كما أن قبضة ليو القوية على آسيا الصغرى حالت دون تحقيق الهدف الثانى (٤) كذلك لم يكن هذا الوضع السيىء للقوات الأموية هو فقط الذى يهددها، بل كان هناك أيضا خطر المجاعة وانتشار الطاعون (٥)، بالإضافة إلى مساندة البلغار للبيزنطيين، وبالفعل تمكن البلغار من إلحاق هزيمة بالقائد البحرى عمر بن هبيرة (٦).

١- خرجت إمدادات مصر بقيادة القائد سفيان من الإسكندرية، مؤلفة من ٤٠٠ ناقلة، ودخلت البوسفور ووصلت لمكان الحصار حاملة القمح والأسلحة. أما إمدادات أفريقيا فكانت بقيادة القائد يزيد، وضمت عددا من الناقلات حاملة الأسلحة، ووصلت إلى خلجان بيثينيا Bithynia انظر:

Cheira, la lutte, P.186; Finlay, byzantine Empire, P.18.

٢- Theophanes, Chronographia, Col.817; Nicephorus, Breviarum, Col. 959; Cedrenus, Historiarum, Col. 865;Cf Also:Bury,L.R.E., Vol .II, P.403

وقد حصل البيزنطيون على ماتحمله هذه السفن من مؤن واسلحة وعادوا بها للعاصمة البيزنطية. انظر الملحق رقم ٢.

٣- Theophanes, Chronographia, Cols, 816-817. Cf. Also : Bury, L.R.E., P.403.

٤- Cheira, la lutte, P.186.

٥- Canard, le Xepeditions, P.83; Oman, Byzantine Empire, PP.185-186.

٦- Nicephorus, Breviarum, Col 961. وأيضا:ابن كثير:البداية والنهاية فى التاريخ، ط١، القاهرة (مطبعة السعادة)، ١٣٥١-١٣٥٨هـ/١٩٣٢-١٩٤٠م، ١٤ جزء، جـ٩، صفحـــات =

وفى يوم الجمعة الموافق ٢٠ صفر ٩٩هـ/ أكتوبر ٧١٧م توفّى الخليفة سـليمان(١) فكتب خليفته عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) يأمر مسلمة

= ١٨٢-١٨٦. وإن كان المؤرخ البيزنطى ثيوفان يرى أن البلغار لم يفعلوا هذا بدافع مساعدة الإمبراطور، ولكنهم كانوا يردون بعض القوات العربية التى أتت إلى أرض البلغار سعيا وراء الكلأ. انظر :

Theophanes, Chronographia, Col. 818.

ولكن الباحث يرى أن دور البلغار كان الغرض منه مساعدة الإمبراطور؛ فقد كان خان البلغار ترفل يدرك ببعد نظره خطورة النجاح الإسلامى؛ وإلا فبماذا نفسر العلاقات الودية التى سادت بين بيزنطة والبلغار طوال الاعوام الثلاثين التالية لهذا التاريخ ؟ لمزيد من التفاصيل انظر :
Ostrogorsky, Byzantine state, P.139; Diehl et Marcais, Le Mond, P. 252; Vasiliev, Byzantine, p.236; Bury, L.R.E.,p. 404; Bailly, Byzance, P.160; Canard, Byzantium, C.M.H., 1967, P.698; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967, P.63; Brooks, The struggle, C.M.H., 1936., P.119.

وأيضا : وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١٦٧-١٦٩.

١- ابن الأثير : الكامل، جـ ٥، ص ٣٧؛ المسعودى : التنبيه والاشراف، ص ١٦٦، النويرى : نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٣٥٦؛ العينى : عقد الجمان، لوحة رقم ٤٢٨؛ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت ١٩٠٩م، ص ٤٣ ؛ ابن رسول : نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون، مجلدان، دار الكتب المصرية . تحت رقم ٤٩٦٤ تاريخ، جـ١، ورقة رقم ٤٧٧. ويقال أنه توفى ودفن فى دابق، التى مكث بها منذ بداية الحملة. انظر : مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص ٣٣.

بالعودة ببقية قواته، ووجه له خيلا وطعاما لمساعدتهم (١).

فرفع الحصار فى ٢٨ ذى الحجة ٩٩هـ/١٥ أغسطس ٧١٨م(٢)، وقام أسطول بنقل الجيش البرى إلى آسيا الصغرى. ولكن هذا الأسطول تعرض لعاصفة أثناء عبوره

١- وكانت بقيادة عمر بن قيش وهو قائد بحرى . انظر : Theophanes, Chronographia : Col. 817. وأيضا : خليفة بن خياط : تاريخ خليفةابن خياط، القسم الأول، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٩٦٨م، ص ٤٣٢؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ٤٥؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٣؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص ٣٢-٣٩. راجع أيضا: Brooks, E., The Arabic in Asia Minor 641-750, From Arabic sources, J.H.S., Vol XVIII, 1898, P.196.

٢- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 924; Cedrenus, Historiarum Col. 868.

وهناك اجماع على أن الحصار استمر عاما واحدا تقريبا "فالمحاصيل التى زرعت أثناء الحصار قد أكلت" ولكن هناك خلاف على شهر فى تحديد مدة الحصار بين ثيوفان الذى يرى أنه ١٢ شهرا حيث ينهيه فى أغسطس، بينما يرى نقفور أنه ١٣ شهرا حيث ينهيه فى سبتمبر. ويرجح الباحث أن سبب هذا الخلاف يرجع إلى الاختلاف على تحديد نهاية الحصار. هل هو تاريخ رفعه عن العاصمة ؟ أم تاريخ عودة الجيش ؟ فمن المعروف أن عودة الجيش كانت فى سبتمبر.انظر Theophanes, Chronographia, Col. 818 Nicephorus, Breviarum, Col.956; Çf. Also : Brooks, The Arabic, PP. 195-196.

أما كدرينوس، فيذكر أنه استمر ١٤ شهرا . ولم يشاركه أحد هذا الرأى، والمرجع أنه أقل الآراء قبولا. انظر : Cedrenus, Historiarum, Col.868.

الأرخبيل ، فتشتت السفن وهاجمها البيزنطيون (١) ولم يُنج منه سوى عشر سفن (٢). هذا، بالإضافة إلى أن خسائر القوات الأموية من الرجال - أثناء هذه الحملة - كانت كبيرة أيضا (٣).

وفى إشارة سريعة للأسباب التى حالت دون وقوع القسطنطينية نقول أن مناعة وحصانة هذه المدينة وتجهيزات أسوارها(٤) جعلتها تصمد أمام هذا الحصار الذى

١- Nicephorus, Breviarum, Col.961.

٢- وتقول الروايات إن من هذه السفن الناجية خمسا نجحت فى الرجوع إلى الوطن، وبقية السفن وقع فى الأسر. ولاشك أن هذه مبالغة فى تقدير حجم السفن التى فقدت فى هذه المعركة انظر: Theophanes, Chronographia, Cols 816-817; Cf. Also : Finlay, Byzantine Empire, P.19; Diehl et Marcais, Le Mond, P.252; Oman, Byzantine Empire, PP.185-186.

وأيضا : جوزيف نسيم يوسف : الدولة البيزنطية، ص ١٢١؛ وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١٧٠.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 817; Cf. Also : Hutton, Constantinople, P.56; Bailly, Byzance, P.161; Bury, L.R.E., Vol II, P.404.

وقد أجمعت هذه الآراء على أن الخسائر تتراوح ما بين ١٠٠ ألف و١٥٠ ألف رجل. ورغم أن هناك مبالغة فى هذه الأرقام، إلا أن الخسائر ولاشك كانت كبيرة. فقد حدثت الخسائر أثناء حصار المدينة، وأثناء مواجهة البلغار، ومن جرّاء الطاعون والمجاعة، انظر : Bury, L.R.E., P.404

٤- الحميرى : الروض المعطار، ص ٢٢١. وانظر أيضا Millingen, V, A., Byzantine Constantinople, The Walls of the city and adjoining historical sites, London, 1899, PP.98-99.

والقسطنطينية تدين بالفضل إلى حد كبير لسورها المترامى الأطراف البالغ طوله ١٩.٥ ونصف ك تقريبا، وسمكه ٣.٧٥ مترا، وارتفاعه ما بين ١٨.١٥ مترا، والمقوى من الداخل بعدة دعامات، ومن الخارج بعدة أبراج دائرية ومربعة بلغ عددها ٤٠٠ برج. ولايوجد أمام هذا السور قناة أو خندق، لأن الطبيعة الصخرية للأرض منعت الحفر، وكان حقيقة يدعو للإعجاب انظر: Andre', G., La Civilisation Byzantine, Arthaud, 1974, P.24.

استمر على مدى سنة كاملة تعرضت فيها لهجمات عنيفة (١). كذلك النيران الإغريقية التى كانت اختراعا حديثا فى ذلك الوقت (٢)، كما أن عدم خبرة العرب البحرية ساهمت بنصيب فى هذا الفشل (٣) ثم يجب أن لا نغفل دور الإمبراطور ليو الثالث نفسه، الذى لم يكن قد استقر على العرش بعد، إذ واجه أكبر حملة قام بها الخلفاء المسلمون، وتمكن من صدها بشجاعة اعترف له بها منتقدوه قبل أنصاره(٤).

على أى حال، خرجت الإمبراطورية ظافرة من محنة الحصار، واحتفظت بهيبتها أمام دول الغرب الأوربى المسيحى،واستمرت فى أداء رسالتها زعيمة للعالم المسيحى وحامية للغرب(٥).لذلك يجعل المؤرخـــون الأوربيون لانتصار ليو الثالث أهمية خاصة،إذ

١- لذلك كان هذا السور يحظى باهتمام الإمبراطور نفسه، ويذكر أن فى عام ٧٣٩م عندما تعرضت المدينة لزلزال، فرض ليو الثالث ضريبة مخصصة لصيانة هذا السور. انظر : Cedrenus, Historiarum, Col.880; Cf Also : Millingen, The wall, P.99 انظر الملحق رقم ٣.

٢- مخترعه مهندس يونانى من سوريا اسمه كالينيكوس Callinicus وقد ساهمت هذه النيران فى إنهاء الحصار. ودارت حولها الكثير من الكتابات والآراء، ولكنها تعتبر ابتكارا غير عادى، ظل لقرون عديدة السر العسكرى الأعظم للإمبراطورية. عن أهمية هذا السلاح، واستخدامه وتركيبه انظر : Zenghelis, C., le Feu Gregeois et les Armes a feu des Byzantins, in "B", Tome VII, Bruxelles, 1932, p.266 ff.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.817. مثل استخدام العرب للبحارة المسيحيين، كذلك نجاح ليو فى حجز السفن الأموية فى المضايق بالمآصر دون أن يتنبهوا .

٤- Diehl, Ch., History of The Byzantine Empire, Translated from the French by George, B, , New York, 1954, P.54; Ahrweiher, l'Asie mineure, PP. 16-18; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967, 62.; Finlay, Byzantin Empire, PP.16-18; Oman , Dark, P.303.

انظر أيضا : تحليل أرشبالد لويس عن هذا الموضوع: أرشبالد لويس : القوى البحرية، ص ١٠٨- ١١٩.

٥- Theophanes, Chronographia, Col.820; Cf. Also : Diehl et Marcais, Le Mond, P.252.

يعتبرونه منقذا للإمبراطورية بل والحضارة الأوربية الغربية (١)، على اعتبار أنه يفوق انتصارشارل مارتل فى بواتييه عام ٧٣٢م/١١٤هـ. (٢). بل أن المؤرخ فنلاى ينتقد مبالغة كتاب حوليات غالة فى وصف انتصار شارل مارتل واهمالهم انتصار ليو، فهو يعتبر أن أنتصار ليو أكثر قيمة (٣).

وهكذاانتهت بالفشل محاولة الاستيلاء على القسطنطينية، وكان هذا بداية لتغير ميزان القوى فى الصراع بين القوتين المتحاربتين لصالح بيزنطة، فترة من الزمن (٤). كما أثر هذاالفشل فى تكتيك الحركات الإسلامية الحربية فى مواجهة الإمبراطورية البيزنطية وتحوله من أسلوب الهجوم والاستيلاء إلى أسلوب الاشتباكات والمناوشات التى لم تهدد كيان الامبراطورية (٥).

١- Gregoire , H., Etudes sur l' Epope'e Byzantine, in Variorum, London 1975, p. 30; Bai lly ,A., Byzance, p. 161; Vasiliev, Byzantine Empire, p. 236.

٢-محمد محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة، وعلاقاتها بالأمويين فى الاندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادى، الإسكندرية ١٩٨١م ، ص ١٣٧؛ السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، الإسكندرية ١٣٩٨هـ، جـ٣، ص٤٢، راجع أيضا:

Anastos, Imperial Rule, C.M.H, 1967, Vol I ,p.63.

٣- Finlay, Byzantine Empire, p.19 أيضا:اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٩٥.

٤- Canard, Byzantium, C.M.H., 1967, P . 698; Oman, Byzantine Empire, P.187.

وأيضا : جوزيف نسيم يوسف: الدولة البيزنطية، ص١٢١؛ أسد رستم : كنسية مدينة الله، ص٧٩ ؛ إبراهيم أحمد العدوى: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة. (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥١م، ص٦٢، موسى (هـ): ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥- ٨١٤ م ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة السيد الباز العرينى، القاهرة (عالم الكتب) ١٩٦٧م ، ص٢٥٨.

٥- وإنْ كان هذا لا يمنع من أن هذه الإشتباكات أثارت انتباه بيزنطه وأصبح هدف هذه المناوشات هو منطقه الحدود فى قيليقية وأرمينيا، بقصد تدمير التحصينات البيزنطية فيها . انظر:

THeophanes, Chronographia, Col.819.

وأيضا: وسام عبد العزيز فرج: دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطة، جـ١، الإسكندرية ١٩٨٢، ص١٦٣-١٦٤. الأسكندرية ١٩٨٢، ص١٦٣-١٦٤

كان نتيجة طبيعية أن يهدأ النشاط الإسلامى لفترة، وقد أكد هذه النتيجة اعتلاء الخليفة عمر للعرش. فلم يكن يميل إلى العنف(١)، إذ أنه تبنى سياسة حذرة أقل هجوما، جاعلا من التحركات التى تجرى على الحدود مجرد مناورات محلية. فهو يريد أن تكون تحصيناته على الحدود أقل تعرضا لضربات الأعداء، مع كونها قوية منيعة. ومجمل القول أنه كان يرى أن الحدود لاينبغى أن تهدد العدو بقدر ماتمنعه من الوصول إلى الأراضى الإسلامية. ومن هذا المفهوم أرسل إلى ليو يدعوه للإسلام (٢)، كماكان النشاط الحربى فى عهده تجاه بيزنطة مقتصرا على صوائف فى عام ١٠٠هـ/٧١٩م لم يكن لها نتائج(٣)، واختار لقيادتها حكام الأقاليم لا من الأمراء كما كان يحدث فيما

١- ولعل هذه السياسة قد ساهمت فى الإسراع برفع الحصار عن العاصمة. انظر : ذى النسيبين: كتاب النبراس، ص١٠٠. كما كان عمر بن عبد العزيز يرى أنه قد آن الأوان للتفرغ للاصلاحات الداخلية والمحافظة على الدين والنظام، مقتديا فى ذلك بجده عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م). انظر: القرشى: معالم القربة فى أحكام الحسبة، القاهرة ١٩٧٦م، ص٥٨، ص٦٤.

٢- Theophanes, Chronographia, Col. 820; Ghevond, Guerres, 90-97;Agapius, AL-Unvan, P.503; Cf Also: Cheira,la lutte, p.20

وجدير بالذكر انه كتب أيضا، لنفس السبب، لعدد آخر من الملوك منهم ملوك السند. انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٣٦٤. فقد كان الخليفة عمر يفهم الجهاد بمعناه الخاص بالجهاد فى سبيل الله، وقد نجح الخليفة فى غرس هذا المفهوم إلى حد كبير فى أهل بيته وأولاده. لذلك يعتبره بعض المؤرخين متمما لعهد الخلفاء الراشدين، بل ويعتبرونه الثالث بعد أبى بكر وعمر. انظر : الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص٣٧٢.

٣- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٤٥. وكان قائد الصوائف عمر بن الوليد بن هشام العيطى وعمر بن قيس الكندى. انظر أيضا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٥٥.

قبل، وذلك لرغبته فى تجنب إثارة أي ضجيج لهذه العمليات (١). كما أنه اخلى المدن الأمامية المواجهة للبيزنطيين مثلما فعل بمدينة طُرَنْدة (٢). ولم يكن هذا بدافع المسالمة ، وإنما لرغبته فى ألاّيحيا رجال حاميات الحدود حياة قلقة مضطربة، فكان يرى أن هذه المدينة (طُرَنْدة) معرضة لضربات البيزنطيين أكثر مما ينبغي. كما حرص على تعمير وترميم الحصون والمدن الإسلامية مثلما فعل بمدينة اللاذقة (٣). كذلك فقد كان حريصا على سياسة التسامح تجاه من يجد لديهم استجابة. فقد صالح الأرمن (٤)وكذلك الخزر والترك وكسبهم الى صفه لتأمين الحدود العربية (٥). هذا من جهة؛ و من جهة أخرى فقد اهتم الخليفةبالأسرى المسلمين لدى بيزنطة ووجه جهوده نحو فدائهم (٦).

هذا عن الجانب الإسلامي؛ أما عن الجانب البيزنطى فقد انشغل-هو أيضا- بثورة داخلية فى عام ٧١٧م/٩٨هـ فى ثيم صقلية بقيادة سرجيوس Sergius وذلك

١- Cheira, La lutte, p . 207.

٢- Theophanes, Chronographia, CoL.820 ، وقد أمر الخليفة باخلائها والعودة إلى ملطية التى حصنتها، وكان قد اشترى ملطية من البيزنطيين بمائة ألف دينار وبناها عام ٩٩هـ/ ٧١٧م. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص٥٤؛ البلاذري: فتوح البلدان: القسم الأول، ص٢٢١؛ ابن عبد الرحمن الروحي: كتاب بلغة الظرفاء، ط١، القاهرة ١٩٠٩م، ص٢٥؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٣٦٣-٣٦٤. وانظر أيضا: وسام عبدالعزيزفرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص١٨٠. انظر خريطة رقم ١.

٣- Cheira,La lutte, PP.209- 210.

٤- Ghevond, Guerres,P.40.

٥-اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٥.

٦-اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٤٢. وكان هؤلاء الأسرى قد وقعوا فى أيدى البيزنطيين أثناء إغارة الأسطول البيزنطى على ساحل سوريا فى مدينة اللاذقية، فى ٧١٧م/٩٨هـ. انظر أيضا : Cheira,La Lutte,P.2ll

وأيضا: وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطرية البيزنطية والدولة الأموية، ص١٩٠-١٩٥.

أثناء الحصار الأموى للقسطنطينية. وقد تمكن من قمعها فى ٧١٨م/ ١٠٠هـ (١).كما اندلعت ثورة أخرى بعد نهاية الحصار بقيادة نيكيتاس اكسيلينيس Nicetas Xylinites الذى نصح الإمبراطور الأسبق بامكانية العودة للعرش بمساعدة البلغار، وتمكن الإمبراطور من قمعها أيضا (٢).

وبشكل عام كانت القوتان المتصارعتان تتعرضان لظروف داخلية شغلتهماعن النشاط العسكرى. فكانت هذه الفترة فترة خمول وركود عسكرى. ولكن إذا كانت الخلافة الأموية لم تستفد من أوضاع بيزنطة هذه، فقد استفادت بيزنطة. من ظروف الخلافة الأموية، وهدوءالنشاط العسكرى فيها، وشرعت فى بناء قوتهاوتنظيم شئونها بعد فترة طويلة من الاضطرابات التى تعرضت لها منذ منتصف القرن السادس الميلادى، وبعد حروب جستنيان التى استنفدت امكانيات الإمبراطورية المادية والبشرية، فضلا عن إغارات الفرس والعرب والبلغار والسلاف(٣).

وكـــــانت أولى اهتمامات الامــــبراطور فى مجـــــال الثيمات، فأنشـــأ ثيم تراقـــــيا.كما اهتم بتنظيم، وتحــــصين الثيم البوكـــــلارى(٤).كمــــا اهــــتم بالـــــثيمين البحـــــريين:كـــــبير هــــايوت:Cibyrraeots

---

١- Nicephorus,Breviarum,Col.959;Cedrenus Historiarum,Col.868.

٢- Theophanes, Chronographia, Col. 824; Nicephorus, Breviarum, Col. 959, Georguis Hamartolus, Chronicon, Col. 925; Cedrenus, Historiarum, Col. 868.

ويذكر أن ليو أعدم بعض المتآمرين ونفى البعض الآخر، وذلك بعدما حذر البلغار من النتائج التى يمكن أن تترتب على مساعدتهم.انظر: Agapius, Al. unvan, p. 503; Cf. Also: Guilland,R., patrices de Leo III, PP. 318- 319; Diehl et Marcais, Le Mond, P. 255;Anastos, Imperiel Rule, C.M.H., 1967, p. 64

٣- Nicephorus, Breviarum, Col. 956. وأيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا فى العصور الوسطى، التاريخ السياسى، جـ ١ القاهرة ١٩٦٦، ص ١٢٩

٤- Constantine Porphrogenitus, De Thematibus,ed. bekker, in,C.S.H.B,Bonn, 1840,P.28; Cf. Also: Ensslin, W., the Government and the Administration of the Byzantine Empire,C.M.H Cambridge, 1967, Vol Iv, part I, PP.37.41; Vasiliev, bYzantine Empire, p.250; Diehl et Marcais, Le Monde, p. 256; Anastos, Imperial Rule, C.M.H.,1967,p. 64.

ودرنجايات Drungariate (١). ولاشك أن خبرة ليو السابقة كاستراتيجوس جعلته يدرك أن قوة حكام الثيمات قد تمكنهم من التمرد، كما سبق أن فعل هو ضد ثيودوسيوس الثالث. لذا قام بتقسيم الثيمات الكبيرة، مما يدل على تمتع ليو ببعد نظرسياسى (٢). كما حرص الإمبراطور على توفير الأموال اللازمة لإتمام الإصلاحات الداخلية، ونجح فى ذلك، بل إنه ترك لابنه خزانة عامرة (٣).

وفى ظل هذه الظروف كسرت بيزنطة هدوء النشاط العسكرى، وأغار أسطولها على ساحل سوريا عام ٧١٨م/١٠٠هـ وهدم تحصينات اللاذقية، وأسر عددا كبيرامن سكانها (٤)، ثم أغار على مدينة تانيس فى مصـــر عام ٧١٩- ٧٢٠م/ ١٠١هـ (٥). ولم

١- Constantine Porphyrogenitus, De Them, pp. 28- 31; Cf .Also: Ahrweiher, H Byzance et la mer, paris, 1966, p. 74 Vasiliev,Byzantine,p.250.

٢- Diehl, Ch., Byzantium Greatness and Decline, Translated from the Erench bY, Walford, N., paris , 1957, PP. 46- 47; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967, p. 64.

Cedrenus, Historiarum, Col. 880. Cf.Also: Bury, I.R.E., VOL II,

٣- Cedrenus,Historiarum,Col.880. cf. also: Bury, I.R.E.,VolII,P.425

فقد اهتم بالفلاح والثورة الزراعية عموما، وأدخل الكثير من الإصلاحات الإدارية فى كافة نواحى الحياة. للمزيد من التفاصيل انظر Ashuner, w., Farmer' s law J.H.S.,Vol. XXX, London, 1910, PP.85-86; Diehl, LEO III, C.M.H., 1936, PP. 4-5; ; Diehl, History of Byzantin Emire, P.56; Bailly, Byzance, PP. 162-163.

٤- Cheira, La Lutte, P.211

٥- كان الهدف من هذه الإغارة، التى مات فيها حاكم المدينة، إضعاف القوة البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط ، وإن أمكن منع إحياء هذه القوة مرة أخرى، بدليل أن هذا الهجوم تكرر عام ٧٢٥م/١٠٧هـ. انظر Theophanes, Chronographia Col .82l; Cedrenus, Historiarum,. Col. 869.

وانظر أيضا: أرشبالد لويس: القوي البحرية، ص١٠٥.

يكن لهذا النشاط البيزنطي صدى قوى عند الخليفة الأموى، الذى حصر نشاطه الحدودى على الدفاع المحلي.

وتوفى الخليفة عمر بن عبد العزيز فى رجب ١٠١هـ/ يناير ٧٢٠م(١)، وفى نفس اليوم بويع يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٣م)(٢)، فبدأت مرحلة جديدة فى العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الأموية. فالإمبراطور البيزنطي تمكن من إقرار الأحوال فى بيزنطة، فى الوقت الذى تقلد فيه الخلافة خليفة جديد اختلفت رؤيته للعلاقات مع بيزنطة عن رؤية سلفه. واذا كانت فترة الهدوء التى صاحبت حكم عمر بن عبد العزيز محلاللنقد، فالحقيقة أنه كانت هناك أمور فرضت هذه السياسة، منها: أولا: شخصية الخليفة التى أشرنا إليها، وحرصه على حياة المقاتلين . ثانيا: حالة الإرهاق التى عانت منها الخلافة فى أعقاب الحصار. ثالثا: رغبة الخليفة فى كسب الحلفاء، وكذلك محاولة إقامة علاقاته مع بيزنطة على أساس من المبادئ الإنسانية. رابعا: حرص الخليفة على التفرغ لإنشاء الحصون العربية فى مناطق الحدود، وترميمها وحمايتها. خامسا: كان على الخلافة إعادة النظر فى استراتيجيتها، بعد أن أكدت الأحداث البعيدة والقريبة أن الاستيلاء على القسطنطينية، فى هذه الظروف كان من الصعب تحقيقه. وللإنصاف، لاينبغى إغفال فضل الخليفة عمر؛ الذى استطاع أن يجتاز بسرعة فترة صعبة على نفوس المسلمين وحاول ارساء مبدأجديد يقوم على حسن الجوار مع جيرانه عامة ومع بيزنطة خاصة. ولو طال به العمر، أو اتبع خليفته نفس الأسلوب، لكانت هناك نتائج أخرى. وهو موضوع يبعدنا عن جوهر هذا البحث.

١- البغدادى: عيون الأخبار ممن مضى من سالف العصر والزمان،جـ١، لوحة رقم٨١٠. وتذكر رواية للمسعودى أن نبأ هذه الوفاة وصل للإمبراطور بينما كان يستقبل سفارة أموية. وقد لاحظت هذه السفارة مدى الوجوم الذى بدا على وجه الإمبراطور، الذى كان يكن للخليفة كل تقدير واحترام. انظر: المسعودى: مروج الذهب، ط ٥ المجلد الثالث بيروت ١٩٧٣م، ص١٩٥.

٢-ابن العمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم ودراسة قاسم السامرائى، ليدن ١٩٧٣، ص٥١؛ المسعودى: التنبيه والاشراف، ص٣٢٠؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٣٧٢.

ومهما يكن من أمر، فانه رغم ماأصاب المسلمين نتيجة لفشل حصار القسطنطينية، فقد تبقى لهم من قوة ما يجعلهم يستمرون في إلحاق الضرر بالإمبراطورية، بشن الهجمات السنوية على المدن البيزنطيه فى آسيا الصغرى والتسلل عن طريق ممرات قيليقية فى أدنه وطرسوس(١). وبالفعل استغل المسلمون هذه الطرق واتجهت حملاتهم إلى شرق آسيا الصغرى. ففى عام ١٠٢هـ/ ٧٢٠م فتح الأمويون قلعة تسمى دبسة (٢). ولما كانت أرمينيا فى فترة ما بعد فشل الحصار قدانضمت إلى الجانب البيزنطى، فقد أرسل إليها الخليفة جيشافى تلك السنة أيضا، وأسر عددا كبيرا من سكانها (٣). وفى العام التالى(١٠٣هـ/٧٢١م) فتح الأمويون مدينةأخرى تسمى رسلة (٤)، ثم مدينتى سيبرة وقيصرة فى عام ١٠٤هـ /٧٢٢م (٥). وثمة ما نلاحظه على هذا النشاط، وهو أن هدف الأمويين قد أصبح مقتصرا

١- Bury, I.R.E., Vol II,P.405; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1976, pp.63-64 انظر الخريطة رقم (١)

٢-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، دمشق ١٩٦٨م ، ص ٤٧٣، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥ ص ١٠١، وكان الجيش بقيادة العباس بن الوليد بن عبد الملك. انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٣٧٨، انظر أيضاً Agapius, Al.Unvan,P.505; cf. also.Brooks, The Arabic, J.H.S., P.197. وإلى جانب ذلك خرج الوليد بن هاشم فى نفس السنة ونزل المخاضة عند أنطاكية. انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣ ، ص٥٦.

٣- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٥٦؛ ابن الثير: الكامل، جـ٥، ص١٠١؛ مؤلف مجهول:العيون والحدائق، ص٧٥، حيث حددوا العدد بـ ٧٠٠ أسير. وانظر أيضاً: Brooks. The Struggle, C.H.M.,1936, p.120

٤- Theophanes, Chronographia, Col.821. وأيضاً: خليفة بن خياط، تاريخ ابن خياط، ص٤٧٥. وإن لم يحدد إسم المكان. اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٥٦؛ ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص١٠٥. وقد فتحا العباس بن الوليد.

٥- وذلك بواسطة الصائفة اليمنى بقيادة عبد الرحمن بن سليمان الكلبى، والصائفة اليسرى بقيادة عثمان بن حيان. انظر خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، ص٤٧٨؛ اليعقوبى:تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٥٦.

على الخط الممتد من جبال طوروس إلى قبادوقيا، مع إرسال حملات موسمية لتأمين قواعد الهجمات الإسلامية، أو إزعاج البيزنطيين فى جنوب قبادوقيا . وبالتدريج رسخت فكره إرسال حملتين وأحيانا ثلاث حملات سنويا . وقد إنطبق هذا على حملات الأعوام الثلاثه السابقه(١).

وأمام هذا النشاط المكثف اضطر ليو الثالث أن يشغل المسلمين بجبهة أخرى، فقداستفاد من اعداء المسلمين بأن وطد علاقته بأرمينيا والخزر(٢). لذلك كان على الخليفة توجيه إهتمامه ناحيه هذا الخطر، فأرسل حمله ضدهم فى ١٠٤هـ/٧٢٢م(٣). ثم إتجه الخليفة مرة أخرى إلى الجبهة البيزنطية فى مطلع ١٠٥هـ/٧٢٢م وأرسل حملة إلى شرق أسيا الصـــغرى لكنها لم تنجح، الأمر الذى ترتب عليه تطلع الخزر إلى تهديد

١- Cheira, La lutte,PP.221-222., Brooks, Arabic, J.H.S., P.197.
انظر الخريطتين رقم ١ ورقم ٢.

٢- تمركز الخزر جنوب نهر الفولجا، وفى القرن السادس الميلادى تعارضت مصالحهم مع بيزنطة، ولكن تهديد الفرس لهما جعلهما يتقاربان فى القرن السابع الميلادى. انظر: Cenderenus, Historiarum, Col.869. وأيضاً: ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ط٢، دمشق (وزاره الثقافة السورية) ١٩٧٨م، ص١٦٩. ولمزيد من التفاصيل عن الخزر وصلتهم التاريخية ببيزنطة انظر:- Oblensky, D., The Empire and its Northern Nei ghbours 575-1018 A.D.,C.M.H.,Vol IV, Part I, Cembridge, 1967. وينسب للخزر بحر قزوين فيقال بحر الخزر.انظر: الذهبى: دول الاسلام، ص٧٥. وعن موقع الخزر بالنسبة لبيزنطة انظر:محمد محمد مرسى الشيخ: الخزر وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية، صفحات ٣٤٨-٣٥٠، ص٣٥٢-٣٥٤. إذ يشير إلى أن حدود الخزر كانت تلاصق أملاك المسلمين، مما مكنهم من أن يؤدوا دورا هاما فى الصراع السياسى فى تلك المرحلة من العلاقات البيزنطية الإسلامية.

٣- كان قائد هذه الغزوة يسمى ثبيت النهرانى، وأنهزم المسلمون فى مكان يسمى مرج الحجارة بسبب تحالف عناصر الترك المختلفة مع الخزر. انظر: ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص ١١٠. وتذكر رواية للنويرى أن الخليفة قد وبّخ ثبيت بعد عودته منهزما واستبعده من القيادة. ولمزيد من التفاصيل انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٣٨١.

أملاك المسلمين، خاصة فى أرمينيا(١)، فاهتم الخليفة بأمرهم، وبعد معارك عنيفة فى ١٠٥هـ/٧٢٣م فتح عددا من حصونهم(٢).

وبذلك أصبح العداء شديداً بين المسلمين والخزر، ووطد الإمبراطور علاقته بالخزر بمصاهرتهم(٣)، وكان يهدف من هذا كله نقل مركز النشاط الأموى من قلب آسيا الصغرى إلى مناطق أخرى. ولكن هذا لم يوقف من نشاط المسلمين. فقد نجح مروان بن محمد فى ١٠٥هـ/٧٢٣م فى تحقيق نصر على بيزنطة وفتح حصنى قونية وكمخ(٤).

وهكذا لم يكن لنشاط يزيد نتائج إيجابية فى مجال العلاقات مع البيزنطيين خلال هذه الفترة. وقد اكد هذا ظهور بعض المشكلات الداخلية، كان أهمها الفتنة التى ظهرت فى العراق وخراسان(٥). وفى هذه الظروف توفى يزيد فى ١٠٥هـ/٧٢٣م مخلفا

١- Theophanes, Chronographia, Col.821; Cedrenus, Historiarum, Col.869 وكان قائد هذه الحملة سعيد بن عبد الملك، وكانت تضم ألف مقاتل، ولكنهم أصيبوا. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٢٥؛ انظر أيضا: صابر محمد دياب: أرمينيه من الفتح الإسلامى إلى مستهل القرن الخامس الهجرى، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٥٠.

٢- أهمها حصن بلنجر، وكان على رأس هذه الغزوة الجراح بن عبد الله الحكمى الذى استبدل بالقائد السابق. انظر خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، جـ٢، ص٤٨٠؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ١٢٥؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٣٨٢، ٤٠٣.

٣- زوّج إبنه إبنة خان الخزر فى ٧٣٢م/١١٤هـ، واعتنقت المسيحية وتلقبت بإسم إيرين، وتوفيت فى ٧٤٧م/١٣٠هـ. انظر: Bar Hebraeus, The Chronographia of Gregory Abul-faraj, Tr, E.A.Wallis Budge, London, 1932, P.110; cf. also: Lombard, Constantin, P.31. ويعلق الدكتور محمد الشيخ على ذلك بأن الإمبراطور قد أقام بذلك حلفا مع الخزر ضد المسلمين، آملا فى إستعادة مكانة بيزنطة القديمة. انظر: محمد الشيخ: الخزر، ص٣٧١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا فى العصور الوسطى، جـ١، ص١٢٩.

٤- ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص١٢٥. وأيضا: Cedrenus,Historiarum, col.869، والخريطة رقم ١.

٥- تزعم هذه الفتنة يزيد بن المهلب. انظر: فلهوزن: الدولة العربية، ص٣٠٢-٣٠٥.

لأخيه هشام(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) تركة مثقلة(١). واهتم الخليفة الجديد بإنشاء الحصون، فأنشأ ستة حصون على الطريق العسكرى الممتد من أنطاكية حتى المصيصة(٢)، كما قام بترميم ملطية(٣)التى سبق أن بناها الخليفه عمر بن عبد العزيز. وبعد عام من خلافته نجح فى نقل النشاط العسكرى إلى قلب آسيا الصغرى. ففى ١٠٦هـ/٧٢٤م قام بغزوتين ضد بيزنطة(٤)، كما أرسل جيشا هزم الخزر(٥). ثم شهد العـام التالـى(١٠٧هـ/٧٢٥م) نشاطـا أكبر، إذ وصلت حملة أموية إلى أرولية(٦)، وغزا

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٥٧؛ القرمانى: كتاب أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، بيروت (بدون تاريخ) ص١٤١. وعن صفات الخليفة الجديد انظر: ابن قتيبة الدينورى: الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء القاهره ١٣٨٨هـ،١٩٦٩م،ص١٢٨ .

٢- وهذه الحصون هى: الريض، المثقب، قطرغاس Qatrghach، مورا Moure، باجراس (باهراس)، بوكا Bouqa. انظر البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٦٤-١٦٧.

٣- البلاذرى: فتوح البلدان، جـ١، ص١٨٦.

٤- الغزوة الأولى كانت بقيادة معاوية. انظر خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٤٩١. ولمزيد من التفاصيل انظر: Georgius, Hamartolus, Chronicon, Col.913.cf.also: Brooks, The Arabic, P.198;Cheira, La Lutte, P.224.

٥- هزمهم سعيد بن عبد الملك والجراح بن عبد الله الحكمى فى منطقة تسمى اللان، وعقدت معاهدة، واتفق الخزر على دفع الجزية. انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، صفحات ٤٩١-٤٩٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٣٤؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٤٠٥. أما الطبرى فيذكر هذه الصائفة ولكن يسمى قائدها الحجاج بن عبد الملك خارجا عن إجماع المؤرخين. انظر: الطبرى: الرسل، جـ٢٧، ص٢٩. أما الذهبى، فينفرد بذكر أن ابن خاقان الخزر قد قتل. انظر: الذهبى دول الإسلام، ص٧٥.

٦- انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٤٩٣؛ الطبرى: الرسل، جـ٧، ص٤٠. وكان قائد هذه الحملة هو معاوية بن هشام ومعه مسلمة ابن عبد الملك.

الأسطول الأموى قبرس (١)، كما وجه أخاه مسلمة لاخماد ثورة للخزر ضد المسلمين(٢). وقد تمكن الأمويون من إنجاز ذلك كله رغم أن بلاد الشام كانت تتعرض للطاعون فى نفس السنة (٣). وفى عام ١٠٨هـ/٧٢٦م وصلت قوات الخليفة إلى بثينيا واستولت على قيصرية(٤)،كما توغل الجيش فى آسيا الصغرى وفتح حصن خنجرة، ثم حوصرت نيقية وإنْ لم يتم فتحها(٥).

١- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤٠. ويخطىء النويرى بوضع هذه الحادثة ضمن أحداث عام ١٠٨هـ. انظر : النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٠٦؛انظر أيضا : وسام عبد العزيز : دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٨. أما المؤرخ البيزنطى ثيوفان فلم يركز على هذه الحادثة سوى أنها كانت بقيادة معاوية، وأنه غزا رومانيا.انظر : Theophanes, Chronographia, Col . 882.

٢- ابن قتيبة : عيون الأخبار، المجلد الأول، القاهرة (دار الكتب) ١٩٢٥م، ص ٧٤. وهذه هى الولاية الثانية لمسلمة على أرمينيا. فكانت الأولى فى الفترة ٩١-١٠٤هـ/٧٠٩-٧٢٢م انظر : البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ٢٤٤. وقد أحلّه الخليفة محل الجراح بن عبد الله الحكمى، الذى وجد صعوبة فى مواجهة الخزر.
انظر : Agapius, Al-Unvan,P.O., P.506.

٣- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٤٩٢؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٣، ص ٤٠.

٤- Theophanes, Chronographia, Col. 821; Cedrenus, Historiarum, Col. 872.
وأيضا : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٤٩٤ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤٣. وكان مسلمة بن عبد الملك هو قائد هذه الحملة، ومعه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى، ويعد هذا الفتح الثانى لقيصرية . انظر: Agapius, Al-Unvan, P.506; Cf; Also : Cheira, la lutte, P.224.

٥- Theophanes, Chronographia, Col. 825. فى هذه المعركة كان الجيش الأموى بقيادة معاوية على بعد ٦٠ ميلا من القسطنطينية، وقد رجع بغنائم. انظر : خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٤٩٥؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٣٩٥ . ويبالغ أحد المؤرخين فى تحديد حجم جيش معاوية بـ١٠٠ ألف مقاتل انظر : Anastos, Imperial Rule , C.M.H, 1967, P.64.
ومن الممكن الربط بين هذه المبالغة وبين الرواية الأسطورية القائلة بأن أحد الضباط المدافعين عن المدينة واسمه قنسطنطين حطم صورة للعذارء فرفع الحصار. انظر : Theophanes, Chronographia, col. 826.

وفى العام التالى (١٠٩هـ/٧٢٧م) نجح القائد معاوية فى فتح حصنين (١). وتشير المصادر إلى غزوة بحرية أموية دون أن تورد تفاصيلها (٢). وكان نشاط العامين السابقين قد ساعد عليه تعرض الإمبراطور ليو لثورات من عبدة الأيقونات (٣)، وقد شغله هذا عن مواجهة هذه الهجمات، وإنْ كان ليو يرى أن الأمويين يرهقون أنفسهم بتوغلهم فى آسيا الصغرى ومهاجمة المناطق البعيدة، وأنهم بذلك ينهكون قوتهم (٤).

ولم يهمل الخليفة أمر الترك والخزر فى غمرة هذا النشاط لصلته بشكل غير مباشر بالصراع العتيد بين المسلمين والبيزنطيين. إذ أدرك بخبرته ضرورة مواجهتهما باستمرار ولذلك فقد أرسل مسلمة للترك عام ١٠٩هـ/٧٢٧م وانتصر عليهم (٥)، ثم أرسله للخزر عام ١١٠هـ/٧٢٨م وانتصر عليهم فى موقعة تعرف باسم الطين (٦)، ثم

١- Theophanes, Chronographia, Col. 828.

وهما حصن طية، وحصن الغطاسين. انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٤٩٦؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٤٥؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٠٦؛ الذهبى : دول الإسلام، ص ١٣٤.

٢- تكتفى المصادر بقولها "غزا عبد الله بن عقبة الفهرى فى البحر" انظر : Theophanes, Chronographia, Col, 828.

وأيضا : الطبرى : تاريخ الرسل جـ٧، ص ٤٦؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٤٥.

٣- قامت هذه الثورات فى إيطاليا واليونان، وفى بعض الثيمات مثل ثيم الأوبسيكيون. انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, cols. 925-929; Cf. Also : Guillan, Patrices, P.317.

٤- Finlay, Byzantine Empire, P.20.

٥- ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ١٤٥.

٦- وذلك بعد معركة استمرت شهرا. وقد سميت بهذا الأسم لأنهمُ سلكوا مواضع غرقت فيها الدواب. انظر: خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٤٩٧؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٥٤؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٥٥؛ الذهبى : دول الإسلام، ص ٧٦.

استكمل مروان بن محمد هذا الانتصار (١).

أما على الجبهة البيزنطية فقد تمكن الجيش الأموى من فتح حصنى الموة وصمالو فى نفس السنة (١١٠هـ/٧٢٨م)(٢) وفى العام التالى(١١١هـ/٧٢٩م) عاد العرب إلى قيصرية (٣)، التى يتضح أنها كانت هدفا هاما للمسلمين فى هذه السنوات. ومرة أخرى تذكر المصادر أخبارا عن غزوة بحرية إسلامية فى نفس السنة دون أن تورد تفاصيل(٤).ثم كانت خرشنة هدف صائفة عام ١١٢هـ/٧٣٠م، وأحرقت المزارع القريبة من ملطية (٥). ومرة أخرى يلتفت الخليفة إلـى الخزر فى نهاية نفس العام فيوجه إليهم

١- وذلك لأن مسلمة تكاسل فى تطهير جيوب الخزر، بعد معركة الطين، فتجمعوا مرة أخرى وهزموا المسلمين وانسحب مسلمة، فعزله الخليفة عن موقعة وحل محله مروان الذى وجه لهم ضربة قوية. انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٠٧؛ البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، صفحات ٢٤٤-٢٤٥؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٧٨؛ الذهبى : دول الإسلام، ص ٧٩.

٢- Theophanes, Chronographia, Col.825.
وقد فتحهما معاوية بن هشام انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٤٩٧؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٥٤؛ الذهبى : دول السلام، ص ٧٦.
وانظر أيضا : Cheira, la lutte, P.225.

٣- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٠٠؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٣، ص ٦٧؛ ابن الأثير الكامل، جـ٥، ص ١٥٨؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١ ص ٤١٤. وكانت قيادة هذه الحملة لسعيد بن هشام.

٤- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٦٧؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤١٤.
وأيضا : Brooks, The Arabic, J.H.S., P.199.

٥- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٠٤؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٧٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٧١؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٥؛ انظر أيضا: Cedrenus, Historiarum, Col.877; Cf.Also : Cheira, la lutte, PP.225-226.

مسلمة الذى ينجح فى فتح عدة حصون خزرية (١)، كما سير إلى الترك الجراح بن عبد الله الحكمى، ولكنه هزم وقتل (٢)

كان هذا النشاط الأموى على أشده، بينما كانت بيزنطة تعانى ثورة ضد الإمبراطور فى منطقة جزر الأرخبيل عام ٧٣٠م/١١٢-١١٣هـ.. تزعمها-أيضا-عبدة الصور (٣)، ورغم نجاح الإمبراطور فى إخمادها، إلا أنها شغلته عن المسلمين. لذا حاول الخليفة استغلال هذه الظروف فأرسل ابنه معاوية عام ١١٣هـ/٧٣١م إلى قبادوقية، ولكن البيزنطيين تمكنوا من صده (٤).

وبنظرة مدققة إلى حركة الصراع فى هذه الفترة، نجد أن الحملات قد أخذت شكلا حماسيا، حتى أن كل قطاع من قطاعات الحدود كان كثيرا ما يقوم بحملة مستقلة كما لو كان له نشاطه الخاص وابتداء من عام ١٠٤هـ/٧٢٣م ظهرت مصطلحات

١- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، صفحات ٥٠٣-٥٠٦ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٨٨؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٧٣؛ الذهبى : دول الإسلام، ص ٧٧.

٢- ويذكر أن الجراح عُين على أرمينيا فى ١١١هـ/٧٢٩م، بمعنى أنها الولاية الثانية له. انظر : الذهبى : دول الإسلام، ص ٧٧-٧٨؛ وأيضا : صابر دياب : أرمينية، ص ٥١.

٣- وكانت هذه الثورة بقيادة كوزماس Casmas فى منطقة جزر اليونان حيث يكثر عبدة الأيقونات، وقد ترتب عليها اشتداد الإمبراطور ليو فى مواجهة حركة الصور. انظر : Nicephorus, Breviarum, Col.964; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.925.

٤- وكان مع معاوية فى هذه الحملة عدد من أفضل القادة مثل عبد الوهاب بن بخت وعبد الله البطال، وهما من الموالى الأمويين. انظر Canard, Byzantium and the Muslim World, C.M.H., 1967, P.698.

وكذلك مالك بن شبيب الباهلى، وكانت قوة هذه الحملة ٨ آلاف، وكانت خسائر المسلمين كثيرة، وقتل من القادة مالك وعبد الوهاب. انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٨٨؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٣٧. وتذكر الروايات أن عبد الوهاب بن بخت مات وهو يحمى انسحاب البطال، انظر: Theophanes, Chronographis, Col.828; Nicephorus, Breviarum, Col.964; Cf. Also : Cheira, la lutte, P.226.

تعنى هذا المفهوم، مثل الحملة اليمنى، والحملة اليسرى. ومن هنا كثرت حملات الإغارات السنوية، وإنْ كان هذا لم يمنع من أن النشاط المحلى في مجموعه كان يخدم الخلافة متجاوزا النطاق المحلى وأهدافه.

واستمر الأمويون فى نشاطهم.ففى١١٤هـ/٧٣٢م خرجت حملةً عسكرية قوية اتجهت اتجاهين، استطاع خلالها جيشان عربيان احتلال مواقع هامة فى آسيا الصغرى أهمها بفلاجونيا(١)، وقيصرية (٢). وفى العالم التالى(١١٥هـ/٧٣٣م)، ورغم الطاعون الذى انتشر فى بلاد الشام(٣)، أرسل الخليفة غزوة إلى آسيا الصغرى بقيادة معاوية لم تتجاوز نتائجها بعض الغنائم(٤). ثم شهد عام ١١٦هـ/٧٣٣م حملة بحرية إلى

١- Theophanes, Chronographia, Col.828.

وأيضا : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٠٧، وانظر : الطبرى تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٩٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٧٩. ورغم انتصار معاوية، وتمكنه من إصابة سور المدينة، إلا أنه تعرض لخسائر كبيرة أثناء عودته. وتذكر رواية أن القائد عبد الله البطال أسر ابن الإمبراطور انظر : النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٢٤، ولايؤيد الباحث هذه الرواية . والأرجح أنه مجرد شخص ذو أهمية، إذ لو كان الأسير ابن الإمبراطور لدلت الأحداث اللاحقة على ذلك، من خلال محاولات استرداده أو فك أسره .انظر :

Brooks, The struggle, C.M.H., 1936. P.121.

٢- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٠٧، انظر خريطة رقم ١.

٣- Agapius, Al-Unvan, P.508.

وانظر أيضا : ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ١٨١. ويبدو أن الطاعون استمر ثلاث سنوات. فقد ذكره الطبرى فى السنوات ١١٤، ١١٥هـ/ ٧٣٢ - ٧٣٣م انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧ صفحات ٩٠، ٩٢، ٩٣.

٤- اشترك فى هذه المعركة عبد الله البطال. وهناك حادثة دارت أثناء هذه الغزوة، أخذت شكل القصص وتقول إنه قبيل المعركة حدثت مبارزة، فقد خرج من صفوف البيزنطيين أحد العبيد ذو أصل عربى، وقتل خمسة من العرب الذين خرجوا لمبارزته، مما أغضب البطال فظهر له وقتله. انظر مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص ٩١، وأيضا : Cheira, la lutte, P.227.

وإنْ كنا لا نستبعد من ناحيتنا أن يكون هذا أحد مظاهر الفروسية التى تميزت بها تلك العصور.

صقلية، وبعد قتال عنيف انتصر فيها الأسطول الأموى (١)، وحملة أخرى برية فى قلب آسيا الصغرى(٢). وفى العام التالى(١١٧هـ/٧٣٥م)خرجت حملة بقيادة معاوية بلغت سيبرة(٣)، وثانية بقيادة سليمان وتوغلت فى الأراضى البيزنطية ولم تحقق نتائج هامة(٤). وثالثة بحرية ولكنهالم تسفر إلا عن بعض الأسلاب (٥). وإذا كان عام ١١٨هـ/ ٧٣٦م قد تميز ببعض الهدوء النسبى، فقداستمر مروان بن محمد فى تعقب الخزر(٦).ثم مـــالبث أن ظهرت دُفعة من النشاط فى عامى ١١٩، ١٢٠هـ/ ٧٣٧-٧٣٨م،

١-رغم هذا الانتصار فقد أسر أحد كبار قادة المسلمين وهو عبد الرحمن بن زياد، واستمرفى الأسرحتى عام ١٢١هـ/٧٣٨م. ومن المعروف أن قائد هذه الحملة هو عبد الله بن الحجاب الموصلى. انظر : ابن الأثير:الكامل، جـ٥، ص ١٨٥ وانظر أيضا:.Brooks, the struggle, C.M.H., 1936, p.121.

٢-لم تشر المصادر البيزنطية لهذه الحملة، وإن كان ثيوفان قد أشار بسطر واحد أفاد أن معاوية بن هشام هو قائد الحملة. انظر:.Theophanes, Chronographia,col. 828. وانظر أيضاً : الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٩٢، ٩٩؛ابن الثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٢.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 828. وانظر أيضا: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٥١٤.

٤-Theophanes, Chronographia, Col.828.; Cedrenus,Historiarum,Col. 880. وانظر أيضا : خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٥٤١ ، وأيضا: Agapius, Al-unvan, P.o., P.507.

٥- أرشبالد لويس: القوى البحرية، ص١٠٧-١٠٨ وأيضا: Theophanes Chroonographia,Col. 829.

٦- كما أن المصادر أهملت تفاصيل نشاط هذا العام ربما بسبب عدم أهميته ، فلم تذكر سوى أن ولدى هشام (معاوية وسليمان) كانا من القادة، وأن معاوية قتل أثناء إحدى صوائفها. Theophanes, Chronographia, Cols. 829-830; Agapius, Al-Unvan,P.O., P.508. وانظر أيضا: خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى؛ ص ٥١٥؛ الطبرى: تاريخ الرسل، ص ١٠٩ ؛ ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص١٩٦ وانظر أيضا: Brooks, the Struggle, CMH, 1936, P.121.

فقد استعاد الأمويون دفاعاتهم ووصلوا إلى أماكن بعيدة فى عمق آسيا الصغرى مثل برجامة Pergame (١) وسندرة Sindara(٢)، ومطامير Matamir (٣). ولم يكن الأمويين ليستطيعوا أن يتوغلوا هذه المسافة كلها دون تقويض حركة الخزر وتهديدهم. وقد قام بهذا مروان بن محمد الذى وصل عاصمتهم التى تسمى البيضاء وعقد صلحا مع خاقان الخزر الذى أعلن استعداده للدخول فى الإسلام (٤). وهكذا تفرغ المسلمون تماما للجبهة البيزنطية بعد أن ارتاحوا -أيضا- من الخطر البلغارى، ومن محاولات بيزنطة استمالة البلغار إليها فى صراعها ضدهم.

١- فى أقصى آسيا الصغرى بالقرب من شواطىء الأرخبيل، وكانت بقيادة سليمان بن هشام، وعاد بغنائم. انظر: Theophanes,Chronographia, Cols. 828-829 ; Cedrenus, Historiarum, Col. 880.

٢- ويسمى أيضا حصن الحديد، وفى هذا الحصن وقع أحد أبناء النبلاء فى أسر سليمان ويسمى (تيبريوس) TIbereانظر: Theophanes,Chronographia, Col. 829; Agapius, Al -Unvan, p.508. وتذكر رواية قصصية للمؤرخ البيزنطى كدرينوس أن سليمان أكرم معاملة الأسير (تيبريوس)،الذى ادعى أنه ابن جستنيان، فأحسن القائد الأموى معاملته، وجعله قائدا من قواده، ليعرفه الجميع ، وأرسله إلى بيت المقدس ثم إلى ربوع الشام كلها. انظر: Cedrenus, Historiarum, Col.880.

٣-حين استولى سليمان على عدد من القلاع انظر:.Theophanes, Chronographia,:Col 828. وكذلك خليفة بن خياط ، القسم الثانى، ص٥١٩؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧ ،ص١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٢٩؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٤٢٧؛ وأيضا: Brooks, The Arabhc ,J.H.S.,P201; Cheira, La Lutte ,pp.228-229.وانظر الخريطة رقم ٢.

٤- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص ٢٤٥. وقد فرض عليهم مروان جزية سنوية مقدارها ألف رأس. انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط ، القسم الثانى،ص٥٢٣. وللمزيد من التفاصيل انظر: الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص١٣٩؛ ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص٢١٥؛ وأيضا وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص٢٣١.

وكان رد الفعل البيزنطى لمواجهةهذا النشاط الأموى المتزايد محدودا، بسبب تلك الظروف الداخلية التى عانت منها بيزنطة؛ والتى أشرنا إليها. ففى ٧٣٦م/ ١١٨هـ وصل الأسطول البيزنطى إلى مصر وأسر عددا من السفن المصرية(١). ثم هاجم الأسطول البيزنطى بعد ذلك ميناء بيروت فى ٧٣٨م/١٢٠هـ، وإنْ لم يحقق أى نجاح(٢). وهاجم أيضا دمياط عام٧٢٩م/١٢١هـ بأسطول قوامه ٣٦٠ سفينة. وقد اسرالبيزنطيون وقتلوا عددا كبيرا من أهالى المدينة. وكانت الفرصة مهيأة لهذا النجاح؛ فقد كان القوة الرئيسية للأسطول فى مهمة فى سوريا(٣). هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعرضت البلاد لثورة أقباط صعيد مصر فى ولاية حنظلة بن صفوان(٤)، مما أدى الى ارتباك الأمور فى مصر، وقد أحسنت بيزنطة استغلال ذلك. وأمام هذا كان رد فعل الخليفة محاولة للتخفيف من حدة هذا النشاط، فاكتفى بإرسال حملة إلى ملطية، ولكنها لم تحقق شيئا ذا قيمة. فكرر المحـــــاولة مرة أخرى ولكن كان الهدف هذه المرة

١- Theophanes, Chronographia,Col. 829.

وأيضا صابر دياب: سياسة الدولة الإسلامية فى حوض البحر المتوسط، من أوائل القرن الثانى الهجرىً حتى نهاية العصر الفاطمى، القاهرة ١١٩٧٣م، ص٣٦

٢- وذلك لاستبسال المدينة فى الدفاع عن نفسها . انظر:

Theophanes, Chronogrphia, Col. 829; Cf, Also; Cheira,La Lutte, p. 237.

٣- سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧، ص٨٨ . وأيضا: Brooks, the Struggle, C.M.H., 1936, P.121 ;Canard, Byzantium and the Muslim World, C.M.H., 1967, p. 699; 699,Cheira,Latte,P.237

ونلاحظ أن المصادر البيزنطية لم تشر إلى تلك الاحداث. انظر : Theophanes; Chronographia, Col. 828- 829

٤- وقد تولى ولاية مصر مرتين، الأولى ١٠٢- ١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٣م مدة ثلاث سنوات .والثانية ١١٩-١٢٤هـ /٧٣٧-٧٤٢م مدة خمس سنوات وثلاثة أشهر.انظر : محمد حمدى المناوى : مصرفى ظل الإسلام من الفتح العربى إلى نهاية العصرالفاطمى، القاهرة، ١٩٧٠، صفحات ٢٦، ٢٤٤، ٢٤٦-٢٤٧.

٥-خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى، ص٥٢٤؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص١٦٠.

صقلية، وكانت أكثر نجاحا من سابقتها وعادت بالكثير من الغنائم (١). ثم خرج الأسطولان المصرى السورى معا فى حملة مشتركة وهاجما كريت وعادا بأعداد من الأسرى(٢).

ومع ذلك التخفيف لم ينقطع النشاط العسكرى فى مناطق الحدود بين الدولتين المتصارعتين ويذكر للخليفة هشام استمراره فى هذا النشاط، ومحاولة إحياء أعمال الجهاد وانتظام الحملات، رغم الأحوال الداخلية للخلافة(٣)،التى كان عليه مواجهتها بالجهد المضاعف الذى امتص، ولاشك،كثير من طاقته العسكرية والإدارية وإذاكان قد حـــاول جاهدا مواجهة هذه المشـــكلات الداخلية،إلا أنها كانت تخـــتفى فى مكان لتظهر فى آخر وقد كـــانت هذه المشكلات مقدمة لنهاية الخلافة الأموية ولكن الخليفة هشام لم يستسلم، واستمر فى نشـــاطه السياسى والذى اعتبر انعكاسا لحالة الخلافة الأموية. ففى عام١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م خـــرجت حـــملة إسـلامية كبرى إلى آسـيا الصـــغرى حيث اتجهت إلى ثلاث محـــاور(٤)،مجموعة منهاوصلت إلى غرب طـــوروس وحصلت على غنائم(٥) ومجموعة أخرى وصـــلت إلـــى قـــبادوقيا وعادت ســـالمة بعد أن قـــامت بأعمال الســـلب والنهـــب (٦).

١- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٥٢٤.

٢- Cheira, la lutte, p. 237.

٣-قامت ثورة بربر شمال أفريقيا وامتدت إلى الأندلس وهزمت جيش الخليفة، ولم يتم اخمادها إلا بصعوبة عام ١٢٤هـ/٧٤٢م. انظر : ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص٢٥٩،
وانظر أيضا فلهوزن: الدولة العربية، صفحات ٣٣١-٣٣٢. كما ثارت قلاقل أخرى فى بلاد السند ساهمت فى تفتيت عضد الخلافة الأموية. انظر : الطبرى: تاريخ الرسل جـ٧، ص١٩٢؛ وأيضا: فلهوزن: الدولة العربية، صفحات ٣٣١- ٣٣٢.

٤- Theophanes , Chronographia,Col. 829 ; Cedrenus, Historiarum,Col.880. ويقدر هذا الجيش بـ ٩٠ألف مقاتل. انظر: Brooks, the Sources of Theophanes and syriac Chronicles,"Bz" VOl XV. PP. 578- 586.

٥- Theophanes; Chronographia, Col. 829 وتكونت هذه المجموعة من عشرة آلاف مقاتل، ولم يعرف قائدها.انظر أيضا: bury, L.R.E.,Vo III, p. 406; Finlay, byzantine Empire, p. 20.

٦- Theophanes, Chronographia, Cols. 829- 830 . وتكونت هذه المجموعة من ٦٠ ألف مقاتل ، وقائدها هو سليمان بن هشام . انظر أيضا: Bury, L.R.E., V II , P. 406

والمجموعة الثالثة توغلت فى آسيا الصغرى وحاصرت أكروينون Akroinon (١) وخرج الإمبراطور البيزنطى لمواجهة هذا الهجوم خاصة تلك المجموعة الأخيرة التى اقتربت من عمورية. وبعد معركة شرسة حقق الإمبراطور، الذى اصطحب ابنه معه، انتصارا على قوة الأمويين، وكبدها كثيرا من الخسائر .وقد أدى الخزر دورا هاما فى تلك المعركة لصالح البيزنطيين. فلم يكن خان الخزر قد أعلن موافقته السابقة على دخول الإسلام عن إيمان وعقيدة؛ كذلك فلم يكن الاتجاه الذى سلكه يحظى بتأييد جميع الخزر، ثم كان التحالف الذى ربط بينهم وبين البيزنطيين على أثر المصاهرة السابقة عام٧٣٢م/١١٤هـ، التى بدأ الخزر يجنون ثمارها الآن بحصولهم على تأييد الإمبرطورية البيزنطية (٢). فقد كانت المعركة فى بدايتها لصالح المسلمين حتى أن ابن الإمبراطوروقع فى الأسر، ولكن المعركة تحولت بعد ذلك إلى صالح البيزنطيين، وجرح القائد عبد الله البطال ثم مات، وفك أسر ابن الإمبراطور (٣).وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه ساعد على تحول دفة هذه المعركة التفوق العددى لقوات ليو، وتمكن قواته من

١- Theophanes Chronographia, Col. 829; Cf. Also: Canard, M., Byzantium and the Muslim World, C.M.H., 1967, p. 699; Vasiliev, Byzantine Empire p .288; Bury, L.R.E., Vol II, P. 406.
انظر أيضا الخريطة رقم ٢ .

٢- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول ، ص٢٤٥. فقد لاحق الخزر العرب فى كاوكاسوس Caucasusفى اتجاه شرق المعركة. ونلاحظ أن العلاقات، فى هذا الوقت بينهما قد توطدت بعد المصاهرة التى سبق الإشارة اليها. انظر. Anastos, Imperial, C.M.H.,1967, p. 64. وأيضا : محمد الشيخ: الخزر ص٢٧٠-٢٧١

٣- كان حجم هذه القوة الإسلامية عشرة آلاف مقاتل، وكان جيش الإمبراطور مكونامن ١٠٠ ألف مقاتل، ورغم صمود هذه القوة، إلا أنها هُزمت وقُتل قائدها البطال على يد الإمبراطور ليو نفسه. انظر: مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص١٠٠. وأيضا: Canard, Byzantium and the Muslim. World, C.M.H., 1967, p. 699
إما المؤرخ البيزنطى ثيوفان فيذكر أيضا أن القائد بن شبيت مات فى هذه المعركة مع البطال، بينما هو فى الحقيقة قد مات فى معركة سابقة، أشرنا اليها، حدثت عام ١١٣هـ/٧٣١م انظر : Theophanes; Chronographia, Col. 828.
وانظر أيضا: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٨٨. وللمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة انظر: خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى، ص٥٢٤؛ الطبرى تاريخ الرسل جـ٧، ص١٩١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ،ص٢٤٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٤٥٨.

فن المعركة السريعة .فقد اعتمد ليو على مجموعة الفرسان المدربة تدريبا عاليا فى توجيه ضربة لقلب الجيش الأموى ، وتمكن من قوات عبدالله البطال نفسه(١).

وقد أوضحت هذه المعركة مدى تأثير الحروب البيزنطية الإسلامية بمناطق الحدود فى الأدب، إذ أوجدت تلك الاشتباكات قصصا وملامح بطولية تناولت نموذجا لبطل قومى يتحلى بالبسالة والإقدام، هو القائد عبد الله البطال(٢). فأصبح هذا البطل، فيما بعدالنموذج الحى التاريخى للبطل التركى القومى الأسطورى المعروف باسم سيد بطال

١- Oman, C.w.c., the ARt of War in the Middle Ages,A.D 873-1515, NEw York,1953. p. 39.

وقد تعرض الدكتور وسام لتفاصيل دقيقة عن هذه المعركة. انظر: وسام عبد العزيز فرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، صفحات ٢٣٥-٢٣٩.

٢- هو من الموالى الأمويين، اشتهربالشجاعة حتى ارتبط اسمة بالرهبة فى نفوس البيزنطيين لكثرة نشاطه فى مناطق الحدود فى آسيا الصغرى، ولهذا أيضا حظى بتقدير الخلفاء ابتداء من عبد الملك بن مروان، حتى أنه قلد قيادة الجيوش، وأمر على رؤساء الجزيرة والشام . انظر: السيد أحمد بن زينى دحلان: الفتوحات ، جـ١، ص٢٦٧. وقد أوحت أعماله بكثير من القصص التى شابهت الأساطير. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٤٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١،ص٤٥٩.

غازى الذى لايزال قبره موجودا فى إحدى القرى جنوب اسكى شهر (دوريليوم) فى آسيا الصغرى (١).

وتعد موقعة أكروينون آخر المواقع الكبرى بين الأمويين والبيزنطيين؛ فبعدها تراجع النشاط الأموى من قلب آسيا الصغرى إلى الشرق، مثلما تراجعت تلك الدفعات العسكرية العربية النشطة(٢)، ولم يعد حال الحملات إلى سابق عهدها أبدا. فنشاط الأعوام ١٢٣- ١٢٥هـ/ (٧٤٠-٧٤١م) لم يخرج عن كونه صوائف عادية ليس لها نتائج هامة (٣).

وكان هذا إيذانا بتحول ميزان القوى فى الصراع الطويل الممتد بين المسلمين والبيزنطيين لصالح بيزنطة،التى اكتسب جيشها ثقة القدرة على مواجهة الجيش الإسلامى وجها لوجه . كما اخذت بيزنطة بعد ذلك زمام المبادرة بالهجوم، وهذا ماميز السنوات الأولى من حكم ابن الإمبراطور ليو الذى توفى عام ٧٤٠م/١٢٤هـ ، مُنْهيًا حلقة من حلقات الصراع البيزنطى الإسلامى، لتبدأحلقة جديدة ذات ملامح وخصائص

١- Gregoire,H.,Comment Sayyid Battal Mortyr Musulman du VIII Siecle Est-ıı Devenu, Dans la legende,le Contemporain D, Amer (863) ?, "B", VOl,Xi, Bruxelles,1936,p.571 .وانظر أيضا : وسام عبد العزيز: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص٢٣٥-٢٣٦؛ أسد رستم : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم و صلاتهم بالعرب، بيروت ط ١٩٥٥، جـ١، ص٢٩٣.

٢- فيصفها أحد المؤرخين بقوله "أبدا لم يلق العرب مثل هذه الهزيمة من قبل" Denys De tell-Mahre', Chronique, p. 25 .

٣- الصائفة الأولى عام ١٢٣هـ/ ٧٤٠م بقيادة سليمان بن هشام، والثانية عام ١٢٤هـ/٧٤٠م بقيادة مسلمة بن هشام وأخيه سليمان، وقد هزمهما الإمبراطور بنفسه، وكانت هذه آخر معركة للإمبراطور قبل موته، والثالثة فى عام ١٢٥هـ/٧٤١م بقيادة النعمان بن يزيد بن عبد الملك. عن هذه الصوائف انظر: خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى، ص٥٢٨؛ الطبرى: الرسل، جـ٧، صفحات ١٩٩- ٢٠٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٤٣٢.

مختلفة. فمن ناحية نجد أن الفترة المتبقية من حكم أواخر الأمويين شهدت توقف العرب من أى هجوم فى عمق آسيا الصغرى على حساب بيزنطة. ومن ناحية أخرى، كانت بيزنطة تشهد عقدا جديد مليئا بالإصلاحات التى أثرت ايجابياً فى قوتها، مما مكنها من مواجهة تدفق المد الأموى. ولاشك أن الفضل فى هذا يرجع إلى الإمبراطور ليو. فالحقيقة أن إنجازاته الخارجية لم تكن هى وحدها التى حظيت بتقدير المؤرخين، وإنما أيضا إنجازاته الداخلية ، واعتبروه المجدد العظيم فى لعصره ومصلح الدولة اصلاحا جذريا (١). كما اتخذ من اصلاحاته الدينية طريقا لتحقيق اصلاح شامل (٢).

وقد لجأ إلى التعذيب والإعدام فى مواجهة معارضية (٣). ولم توافق البابوية على هذه السياسة، ممثلة فى البابا جريجورى الثانى (٧١٥-٧٣١م/ ٩٧- ١١٣هـ) الذى

١- Theophanes; Chronographia, Cols, 824-825; Cf. Also: Gero, s., Notes on Byzantine Iconoclosm in Eighth Century "B", Brux elles, 1974, Tome XIIV,p.42; Jenkins, The Imperial P. 68; Bailly, A., Byzance, p. 168; Diehl, C.,Leo III, C.M.H.,1936. P.6. انظر أيضا: اسحق عبيد : الإمبراطورية الرومانية، ٩٥.

٢- Theophanes; Chronographia, Cols, 828- 832; NIcephorus, Breviarum, Col 964; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 928; Cedrenus ,Historiarum, Col. 873; Vita Stephani Junioris, Cols,1085-1088; Cf. Also: Lombard, a., Constantin V,PP. 105, 127-128. John, M., Byzantine Theology, New York, 1974, pp. 42- 44

٣- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 941. Cedernus , Historiarum, Col. 877. وكان أشهر معارضى ليو من الرهبان، ومنهم من اعتمد على العلم والجدل فى الدفاع عن الأيقونات، مثل يوحنا الدمشقى الذى اعتمد على مؤلفاته ومنها على سبيل المثال لا الحصر "الإيمان الحق" انظر : Damascenus, J., De Fide Orthodoxa, ed. Migne, Partrologia Graeca, Tome. XCIV, Paris, 1860, Cols, 783-1228.

وكذلك رسائله فى الجدل الدينى والدفاع عن الأيقونات انظر : Damascenus, J., De Imaginilus Artationes, ed. Migne, Patrologia Greaca Tome. XCIV, Paris, 1960, Cols. 1231-1420. ومنهم من اعتمد على تعليم الناس والربط بين العمل اليدوى والتطور العقلى. انظر : Theodorus Studites, ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome. XCIX, Paris, 1860-1903, Cols. 9-1824; Cf.Also : Hussy, J. M., Byzantine Theological Speculation and Spirituolity, C.M.H., Cambridge, 1967, Vol IV, Part II, P.186.

تحدى الإمبراطور ليو الثالث وأوقف الإيرادات الايطالية للقسطنطينية. وتبادل كل من البابا والإمبراطور قرارات الحرمان، وتحالفت البابوية مع اللمباريين، واندلعت حركة العصيان ضد الإمبراطور فى إيطاليا، وطردت الحامية البيزنطية من جنوب إيطاليا(١). وكشفت التطورات عن انشقاق غرب الإمبراطورية، المؤيد للأيقونات، عن ولايات آسيا الصغرى، المعارضة للأيقونات. وأهم مافى الأمر هو الانفصال الذى تم بين البابوية فى روما وبين الإمبراطورية البيزنطية. مما ترتب عليه ضعف سلطة بيزنطة فى الغرب، خاصة فى إيطاليا(٢). وكان لهذا أثره فى أحوال بيزنطة بشكل مباشر، وفى علاقة بيزنطة بجيرانها وخصوصا المسلمين بشكل غير مباشر وعلى أى حال، كان الإمبراطور البيزنطى ليو الثالث يريد للسلطة الإمبراطورية أن تكون هى الأعلى، وذلك ضمن خطة الإصلاح التى سعى إليها. فلم يكن ليو مجرد قائد عسكرى، فأعماله من أعظم ما أنجز لرفع مستوى الشعب البيزنطى ماديا وفكريا، ومن هنا فهو رجل دولة متكامل (٣). فلقد كان ليو من ذلك الطراز النادر الذى ذكَّر البيزنطيين بأباطرة بيزنطة العظام، وطالما انتظروه لوضع نهاية لحالة الضعف التى باتت فيها الإمبراطورية، خاصة وقد جاورتها قوة عسكرية لايستهان بها ألا وهى الخلافة الإسلامية.

١- Cedrenus, Historiarum, Col.872; Cf. Also : Pierre, G., Byzantine Empire, Paris, 1904, PP. 33-34.

وانظر أيضا : هارتمان (ل.م) ، وباركلاف (ج) : الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية ١٩٦٩، ص ٣٥

٢- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.924 .

٣- Lombard, A., Constantin V,P.169., Oman, C., Dark Ages, PP. 300-301.

وإذا كانت السياسة الدينية للإمبراطور البيزنطى ليو الثالث المتعلقة بالحركة اللا أيقونية قد ترتب عليها بعض النتائج السلبية، وأهمها سوء العلاقة مع البابوية وايطاليا فى الغرب، إلا أن ليو سار فى طريقه متخذا من سياسته الدينية منطلقا لإعادة بناء الإمبراطورية وتجديد شبابها. وقد نجح فى ذلك، بدليل أنه ترك إمبراطورية مستقرة الأوضاع، سار بها ابنه على نفس السياسة التى انتهجها وخاصة فى تعامله مع القوى الإسلامية المجاورة، وهذا ما سنعرض له فى الفصل التالى.

الفصل الثانى

العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والشرق الأدنى الإسلامى فى عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس

(٧٤١ - ٧٧٥م/ ١٢٥ - ١٥٨هـ)

- قنسطنطين الخامس يغزو ملطية فى ٧٤١م/١٢٣هـ، ورد الجيش الأموى بغزو بافلاجونيا فى ١٢٤هـ/٧٤٢م.
- الغزو البحرى الإسلامى لقبرس فى ١٢٥هـ/٧٤٣م ونقل سكانها إلى الشام ثم اعادتهم فى العام التالى.
- ثورة ارتفاذدوس ضد قنسطنطين الخامس ٧٤١-٧٤٢م/١٢٣-١٢٤هـ : أسبابها، وموقف المسلمين منها وفشلهم فى استغلالها لمصلحتهم.
- قنسطنطين الخامس يدمر زبطرة ومناطق أخرى فى ٧٤٤م/١٢٧هـ ردا على تحصينها فى ١٢٥هـ/٧٤٣م.
- غزو البحرية الإسلامية لقبرس فى ١٢٩هـ/٧٤٦م وفشلها : أسباب ذلك ونتائجه.
- مروان بن محمد يسترد مرعش فى ١٣٠هـ/٧٤٧-٧٤٨م بعد أن كان قد استولى عليها الإمبراطور البيزنطى فى ٧٤٤م/١٢٦م.
- سقوط الخلافة الأموية، وحلول الخلافة العباسية، واختلاف الاستراتيجية العسكرية بينهما فى مواجهة بيزنطة.
- استيلاء قنسطنطين الخامس على كل من ثيوذ وسيوبوليس وكمخ وملطية فى ٧٥١م/١٣٤هـ ورد البحرية الإسلامية، بالاغارة على صقلية وسردينيا فى ١٣٤هـ/٧٥٢م ونتائج ذلك.
- هزيمة قنسطنطين الخامس فى موقعة دابق عام ١٣٧-١٣٨هـ/ ٧٥٥م.

- هدنة عام ١٣٩هـ/٧٥٦م، وتبادل الأسرى، والآراء التى أثيرت حول هذا الموضوع.
- عرض وتحليل لآراء المؤرخين حول أسباب خلو السنوات ١٤٠-١٤٦هـ/٧٥٧-٧٦٣م، من الصوائف.
- أثر الأخطار الداخلية والخارجية لكل من الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية على النشاط الحدودى والدبلوماسى بينهما فى الفترة من ١٤٦-١٥٥هـ/٧٦٣-٧٧١م.
- حملة البحرية الإسلامية على قبرس فى١٥٧هـ/٧٧٣م: أحداثهما، ونتائجها، ودلالاتها.
- آخر نشاط عسكرى لكل من الخليفة والإمبراطور قبل وفاتهما فى ١٥٩هـ/٧٧٥م.
- المتغيرات الدولية الجديدة : كيف ظهرت؟ ولماذا؟

وبعد وفاة الإمبراطور ليو الثالث اعتلى ابنه قنسطنطين الخامس العرش فى ١٨ يونيو ٧٤١م/٩ شعبان ١٢٤هـ ، وحكم من عام ٧٤١ - ٧٧٥م/١٢٤-١٥٨هـ (١).

وكان أبوه قد توجه فى عام ٧٢٠م/١٠٢هـ وهو فى الثانية من عمره، ثم ولّاه العرش فى عام ٧٤٠م/١٢٣هـ فى حياته كإمبراطور (٢)، حتى تحافظ الإمبراطورية البيزنطية على قوتها ، وعلى التقليد الانتخابى الموروث بشكل يضمن للإمبراطور الحاكم انتخاب ابنه وهو على قيد الحياة (٣).

وقد تعرض قنسطنطين الخامس للنقد، والأوصاف السيئة من المؤرخين البيزنطيين القدامى(٤) وعلى الرغم من حرص الإمبراطور الجديد على مواصلة سياسة أبيه، وبصفة خاصة سياسته تجاه الخلافة الأموية، فلم يركن إلى الراحة ، بل بدأ حكمه

١- Nicephorus, Breviarum, Col. 965; Georgius Hamartolus, Chronicon Col. 932، بينما يقول المؤرخ اليونانى كدرينوس خطأ أنه تولى العرش فى عام ٧٣٩م/١٢١هـ. أنظر Cedrenus, Historiarum, Col.880. اما المؤرخ الارمينى ابن العبرى يقول ان ليو الثالث قد توفى فى عام ٧٤٢م / ١٢٤ - ١٢٥هـ. انظر : Bar Hebraeus, The Chronography, P.110.

٢- ولذلك يرى البعض ان حكمه قد بدأ اعتبارا من عام ٧٤٠م لا ٧٤١م. انظر الخريطة رقم (٣) التى تبين حدود الإمبراطورية البيزنطية فى عهده.

٣- ويعلق المؤرخ فنلاى قائلا إن هذه هى المرة الأولى التى تم فيها انتقال السلطة بهذا الشكل، خاصة وانه كان فى حياة ابيه يعمل مرافقا له، وبالتالى تدرب على الإدارة وأسلوب الحكم. انظر : Finlay, Byzantine Empire, P. 43; Cf. Also : Diehl, Hist Byz Emp, P.53.

٤- أشهر هذه الأوصاف "الزبلى" وسبب هذا الهجوم هو سياسته المعادية للأيقونات، وقد اتهمه هؤلاء المؤرخون، وهم من الحزب المؤيد للأيقونات، وأيضا بالفجر والرذيلة. انظر : Theophanes, Chronographia, Cols. 872, 885; Nicephorus, Breviarum, Col. 972; Cedrenus, Historiarum, Col. 880; Cf. Also : Lombard, Constantin V, PP. 10-26; Finlay, Byzantine Empire, P. 44; Jenkins, The Imperial, P. 68.

بشن عدة هجمات على الحدود الإسلامية، أهمها حملة عام ٧٤١م/١٢٣هـ على ملطية، فهاجمها بقوة مكونة من عشرين ألف رجل، ولم تقو ملطية على المقاومة، فلجأ رجال حاميتها إلى التحصينات، وخرجت النساء ملثّمات ليخدعن البيزنطيين، وفى الوقت نفسه ارسلوا إلى هشام طالبين النجدة. وتذكر المصادر العربية أن مسيرة هشام اتخذت شكل الموكب الدينى أثناء مروره بالمدينة،وهزم هشام البيزنطيين، ووصل إلى التحصينات، واشتركت النساء معه فى القتال ويُذكر للخليفة أنه كان حريصا على إعادة بناء هذه المدينة (١).

وفى عام ١٢٤هـ/٧٤٢م أرسل الخليفة ابنه سليمان بن هشام فى صائفة لم تحدد المصادر مكانها، وإنْ ذكرت أنها وصلت بافلاجونيا مروراً بملطية. ولكن يخطىء كل من اليعقوبى والطبرى القول بأن سليمان قابل الإمبراطور ليو فى هذه الصائفة. والصحيح أنه قابل ابنه الإمبراطور قنسطنطين الخامس، لأن ليو كان قد مات (٢). ورغم أنه لم تحدث معركة فى هذه الصائفة، إلا أنها عادت بغنائم، وكانت هذه آخر صائفة أموية نَفَذَ فيها العرب إلى هذا المدى البعيد داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية. فالصائفة التالية فى عام ١٢٥هـ/٧٤٢م، بقيادة مسلمة بن عبد الملك ومعه ابنا هشام معاوية وسليمان، ولم تذكر المصادر لها اتجاهاً أو نتائج، وذلك لقلة أهميتها.(٣)

ولكن توفى الخليفة هشام بن عبد الملك فى ١٢٥هـ/٧٤٣م، وخلفه خلفاء ضعاف اهـــتموا بحيــاة الترف واللــهو، علـــى حساب التقاليد العربية القـائمة على الجهاد،

١- ابن خرداذبه (أبو قاسم عبدالله بن عبد الله) : المسالك والممالك، ليدن (مطبعة بريل) ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٩م، ص ٩٧؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٢٠٦-٢٠٧ . وأيضا : Agapius, Al-Unvan, P.510; Cf. Also: Brooks, The Arabic, J.H.S., P.207; Cheira, Le Lutte, P.230.

٢- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٢٤، الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ١٩٩ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col.851.

٣- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٤١؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٢٥٩.

وساد البلاد كثير من المشاكل، وتزايد الصراع على العرش،حتى إن حكم خليفته لم يدم عامين، فقد حكم الخليفة الوليد الثاني عامي١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م(١).

وفي مواجهة الخطر البيزنطي، وقبل نهاية عام ١٢٥هـ/٧٤٣م أرسل الخليفة أسطوله بقيادة قائده الأسود بن بلال المحاربي، ودخل قبرس لتأديب سكانها بسبب موقفهم العدائي من المسلمين، ونَقَلَ جزءاً من سكانها إلى الشام على الساحل بين صور وصيدا، وجزءاً آخر إلى بيزنطة بناء على رغبتهم (٢). وهذه الحملة دليل على استمرار القوة البحرية الأموية في شرق البحر المتوسط بالرغم من حالة الضعف التي كانت تمر بها في آخر أيامها. ثم أرسل الخليفة بعد ذلك صائفة بقيادة الغَمْر بن يزيد بن الوليد، لم تحدد المصادر وجهتها أو أي تفاصيل لها، وذلك لعدم أهميتها (٣). وربما كان الهدف منهـــا حمـــاية منشـــآت حصـن زبطرة. وهذا الاســـتنتاج يرتكز على الهجوم

١- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص ٥٣٣؛ البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٥٤-١٥٥؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص ١٠٧؛ النويري : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٦٠؛ ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٥١.

٢- ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٢٧٤. ولكن في عهد ابنه يزيد الثالث (١٢٦هـ/٧٤٤م)، قام بإعادتهم إلى اوطانهم، لأن قضاة الخلافة اعتبروا أن ابعادهم عنها عقوبة بالغة القسوة، فألغيت هذه العقوبة وخرجت حملة بحرية أعادت هؤلاء السكان إلى قبرس مرة أخرى انظر : النويري : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٦٨، وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 847; Agapius, Al-Unvan, PP. 511-512; Cf. Also : Cheira, la Lutte, P.238.

ولاريب في دلالة ذلك على سماحة الإسلام، والمكانة التي كان يتمتع بها رجال الدين عامة والقضاة خاصة، عند الخلفاء في ذلك العصر.

٣- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص ٥٤٦؛ ابنُ الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٢٧٤؛ النويري : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٤٦٨؛ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col.856.

الذى شنه الإمبراطور قنسطنطين الخامس، على زبطرة بعد أن فرغ من الحرب الأهلية الداخلية. ومن المعروف أن بيزنطة كانت تحاول ضرب أى محاولة لحماية الحصون أو ترميمها أو بنائها فى مناطق الحدود. وكانت هذه الصائفة البرية هى الوحيدة التى أرسلها الخليفة الوليد، وفى هذا دلالة على مدى الضعف التى عاشته الخلافة فى تلك الآونة، وعلى أنه لم يكن هناك حرص من جانب الخليفة، كان يجب أن يتوخاه، فى نشاطه الخارجى خلال أوقات الخطر (١).

ويعلق اليعقوبى على هذه الصائفة بقوله : "انه منذ هذه الغزوة التى خرجت فى عهد هشام، وحتى عام ١٣٨هـ/٧٧٥م لم يغز العرب بلاد الروم" (٢). ويخطىء اليعقوبى مرتين : الأولى عندما يذكر أن هذه الغزوة قد تمت فى عهد الخليفة هشام الذى تُوفى فى ربيع الثانى عام ١٢٥هـ/فبراير ٧٤٢م. والثانية أنه يجزم بعدم وجود صوائف من عام ١٢٥هـ/٧٤٣م وحتى عام ١٣٨هـ/٧٥٥م.فى حين أنه خرجت صائفة إلى مرعش فى عام ١٣٠هـ/٧٤٧-٧٤٨م (٣). وفى عام ١٣٤هـ/٧٥١م قامت غزوتان : الأولى إلى ملطية والثانية إلى طوانة (٤)؛ ثم صائفة فى عام ١٣٢هـ/٧٤٩م (٥)، وأخرى فى عام ١٣٤هـ/٧٥٢م (٦)،وصائفتان فى عام ١٣٦هـ/٧٥٤م (٧). كما سنشير بعد ذلك.

١- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٥٤٦، ٥٥٤؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٢٧٤ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 856; Cf.Also : brooks, The Arabic, J.H.S., P. 202.

٢- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ١٢٤.

٣- النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٥٣٧.

٤- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٢٦؛ ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت (دار الكتاب اللبنانى) ١٩٨٣، جـ٥، ص ٤٣٢.

٥- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧ ، ص ٤٦٠.

٦- Ghevond, Guerres, PP. 125-129.

٧- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٣٣.

وفجأة أغتيل الخليفة الوليد فى عام ١٢٦هـ/٧٤٤م، وزادت الفوضى فى الخلافة الإسلامية، وانهارت قوة الهجوم العربى ضد بيزنطة. ولم يستفد العرب من وضع بيزنطة المضطرب بعد وفاة ليو واعتلاء ابنه. بل ان بيزنطة، رغم هذه الظروف، كانت السبّاقة فى استغلال ظروف الخلافة الأموية، وتمكن قنسطنطين الخامس من الاستيلاء على مرعش ونقل سكانها إلى بيزنطة فى عام ٧٤١م/١٢٤هـ (١).

هذا، فى الوقت الذى تعرضت فيه بيزنطة لثورة ضد الإمبراطور قنسطنطين الخامس كادت تسقطه نهائيا عن العرش، وكانت بمثابة اختبار قوى له فى بداية حكمه، ولم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره (٢).

وقد تزعم هذه الثورة صهره (أخو زوجته) ارتفاذدوس (٣)، الذى اكتسب إلى صفه عبدة الأيقونات من سكان الولايات الأوربية، وسكان ثيم الاوبسيكيون، وتراقية وأرمينيا، الذين جعلوا ابنه إمبراطورا (٤).فبينما الإمبراطور يواجه هجوما إسلاميا فى منطقة الاوبسيكيون فى عام ١٢٤هـ/٧٤١م أى فى السنة الأولى من حكمه، تاركا العاصمة للبطريق ثيوفان مونوتيوس Theophan Monotious نائبا له فى العاصمة (٥)، تمكن قنسطنطين الخامس من صد المسلمين، وأخذ يطـــاردهم حتى ثيم

١- Cedrenus, Historiarum, Col. 883; Cf. Also : Bury. L.R.E., Vol, II, P. 406; Diehl et Marcais, le Mond, P.253.

٢- Lombard, Constantin V, PP. 23-30; Brehier, l'Vie et Mart de Byzance, Paris, 1969, P.80; Diehl, History of the Byzantine Empire,New york, 1954,P. 60.

٣- الأرمينى الأصل، وقد أشرنا إليه فى الفصل الأول، وكيف ساعد ليو الثالث فى الوصول إلى العرش؟، وقد أصبح كونت ثيم الاوبسيكيون فى عهد قنسطنطين الخامس. وتسميه المصادر اليونانية "ارطباذ". انظر : Nicephorus, Breviarum, Col, 965; Cedrenus, Historiarum, Col, 883; Constantine Monasses, Compendium, Chronicum, Ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome, CXXVII, Paris, 1863, P.383.

٤- Georgius Hamartolus,Chronicon,Col,933;Monasses,Compendium, Col. 883.

٥- انظرالملحق رقم ٤. ايضا: Cedrenus,Historiarum,Col.883

الأناضول وطلب المساعدة من أرتفاذدوس الذى كلن قد بدأ فى تنفيذ ثورته (١)، فقتل بعض أنصار الإمبراطور مما أثار فزعه، وخلع أرتفاذدوس على نفسه لقب الإمبراطور(٢). وجمع قواته، وتقدم وواجه الإمبراطور وشتت قواته، ولم ينج إلا بصعوبة، ولكنه وصل آمنا إلى عمورية فى ثيم الأناضول الذى أيده بسبب ذكريات هذا الثيم المجيدة مع والده ليو الثالث(٣). ووصل أرتفاذدوس إلى العاصمة واستمال بطريقها ثيوفان الذى وافق على اعلان نبأ وفاة الإمبراطور وأن أرتفاذدوس أصبح الإمبراطور. واستجاب الشعب لهذا الإعلان، واعترف به البطريرك أناستاسيوس إمبراطورا فى يوليو\٧٤١م/ رمضان ١٢٤هـ(٤). وقام الإمبراطور الجديد بإعادة الإيقونات، وهتفت طبقات الشعب بحياته، وظهرت صورته على العملة البيزنطية جنبا الى جنب مع قنسطنطين الخامس، كما توج أكبر أبنائه شريكا لأبيه (٥).

وفى العام التالى جمع قنسطنطين الخامس جيشا مؤلفا بصفة أساسية من قوات ثيم الأناضول، وانضم إليه الاستراتيجوس لونجينوس Longinus بعد أن بذل له الوعود (٦). كما كان يتألف من قوات ثيم تراقية، وانضم إليه قائد الثيم سيسينيوس

١- لايذكر المؤرخ اليونانى نقفور أن قنسطنطين الخامس قد تعرض لهذه الثورة أثناء خروجه لملاقاة المسلمين، بل يقول بإن ارتفاذدوس وأنصاره أشاعوا أن الإمبراطور قد مات وطالبوا الناس الذين كانوا فى حوزتهم بالإخلاص له وتنصيبه إمبراطورا.

انظر: Nicephorus, Breviarum, cols, 965, 968.

٢- Cedrenus, Historiarum, cols. 883-884.

٣- Gergius Hamartolus, Chronicon, Col,936; Gedrenus, Historiarum, COL, 884; Bar Hebraeus, the Chronography, pp. 111-112

٤-وفى هذا دلالة على أنه حتى أقرب المتعاونيين مع الإمبراطور قنسطنطين الخامس لم يكونا متحدين فى تأيدهم لسياسة تحطيم الأيقونات. انظر: الملحق رقم ٤ . ايضا : Nicephors, Breviarum ,Col,968

٥- Cedrenus, Historiarum Col ,884

٦- Monasses, compendium, Col.384.

(أوسيسيناكوس)، وغيرها من المناطق التى اقتنعت بسياسته، مثل ثيم كبير هايوت وبقية مقاطعات آسيا الصغرى (١). وفى الربيع اشتبك الإمبراطور مع ارتفاذدوس بالقرب من ساردِيسSardisفى ثيم الاوبسيكيون وهزمه، وتعقبه حتى كيزيكوس Cyzicus على حدود نفس الثيم على بحر مرمرة (٢)، ففر منها إلى القسطنطينية(٣).فاتجه قنسطنطين الخامس إلى نيكيتاس ابن ارتفاذدوس، وبعد معركة فى ثيم البوكلارى هرب إلى الاوبسيكيون (٤).

اتجه قنسطنطين الخامس إلى العاصمة وحاصرها. وتذكر المصادر أنه أظهر نفسه لسكان المدينة حتى يعرفوا أنه مازال حيا(٥). وعانى سكان المدينة وطأة الحصار

١- Monasses. Compendium, Col. 384; Cf. Also: Ahrweiler, I, Asie Mineure,P. 27; Ahrweiler, Byzance et la Mer, PP. 40-41; Kige, w.E., the Byzantine Armies and Iconoclasm, in Byzantinoslavica, Vol 28, 1966, p.p 48-70; Gero,s., Notes on Byzantine Iconoclasm in Eighth Century, in "B" Vol. 44 Bruxelles, 1974, p.14.

٢- انظر الخريطه رقم ٢.

٣- Nicephorus, Breviarum, Col. 968

٤- Nicephorus, Breviarum, Col. 968; Cf .Also; Finlay, byzantine, Empire,p.46;Diehl,leo III,C.M.H.,VOl IV,1939,p. 12; Brehier,Vie et Mort, p. 80;Diehl et marcais,Le Mond, p.270;Ostrogorsky, Byz State, p. 148.

٥- Cedrenus, historiarum, Col. 884 وقد فعل هذا لاستعادة ثقة هؤلاء السكان بعدما نجح ارتفاذدوس فى اقناعهم أن حكم الامبراطور الإبن سيكون اعنف من حكم ابيه فى مجال محاربة الأيقيونات مستغلا فرصة أنه عاصر حكم الاثنين عن قرب . انظر: Nicephorus, Breviarum, Col. 968

حتى ارتفعت أسعار السلع الغذائية (١). مما دفع بعض هؤلاء السكان إلى الهرب من العاصمة (٢). وكان الإمبراطور رحيما بهؤلاء الهاربين، فأحسن استقبالهم فى معسكره على اعتبار أنهم رعاياه فى الأصل. وأثناء الحصار حاول نيكيتاس مهاجمة العاصمة ليخفف حـدة الحصار حول أبيه(٣). ولكنه هُزم وأسر، وظهر عند اسوارها مكبلا بالقيود أمام عينى أبيه، الذى رفض الاستسـلام. فشن الإمبراطور هجوما شاملا على العاصمة فى نوفمبر٧٤٣م/صفر١٢٦هـ(٤)، ودخل العاصـمة، وطارد ارتفاذدوس الذى هـرب ولكنه أسر أخيرا فى حـصن بيزنيتس Pyzanitis أحـد حصون الاوبسيكيون (٥)، وحكم عليه وعلى والده بسمل أعينهم، واكتفى بإهانة البطريرك اناسـتاسيوس، بينما اشـتد فى عقـاب رجـال الدين (٦). كما تعرض لنفس

١-حتى أن سعر مكيال الشعير وصل إلى ٢١نوميسما وهلك الكثير من الناس. انظر:
Nicephorus, Breviarum, Col. 968; Cedrenus,Historiarum,Col 884; Cf. Also: Manojlovic, Le Peuple De Constantinople, pp. 684-685. أما عن النوميسما فهى عملة توازى $\frac{١}{٧٢}$ من الرطل ذهبا انظر: Byzantinische Metrologie,"Handbuchs der ALtertumswissen Schaft Vierten Teil" Munchen, 1970, pp. 162- 166.

٢- وقد استخدم السكان أسلوب رشوه حراس الأسوار من أجل الهرب ، كما أن بعضهم ألقى بنفسة من الأسوار تحت وطأة المجاعة آملين ان يهربوا أحياء. انظر:
Nicephorus, Breviarum, Col. 969

٣- Georgius Hamartolus,Chronicon,Col. 936; Cedrenus, Historiam col. 884.

٤- وذلك بعد حصار دام مايقرب من ثلاثة أشهر . للمزيد انظر: Finlay, Byzantine Empire, p. 47 ; Diehl, Leo III,C.M.H., 1936, p.12.

٥- Cedrenus, Historiarum, col. 884

٦- Nicephorus, Breviarum, Col. 969; Georgius Hamartolus, Chronicon,Col.936;Cedrenus,Historiarum,Col.884;Cf.Also: Guilland patrices, p. 32.

المصير القائد سيسينيوس الذى تحول إلى جانب الثورة، دون أن يراعى الإمبراطور خدماته السابقة، ووجود درجة من القرابة بينهما(١). ويبدو أن الموقف الصارم من هذه الثورة، جعل عبدة الايقونات لا يفكرون في تكرار هذه المحاولة طوال مدة حكمه الطويلة، وهكذا عاد الإمبراطور إلى عرشه بعد غياب ستة عشر شهرا (٢).

لم يكن الإمبراطور ليترك هذه الثورة دون إدخال إصلاحات من أجل تنظيم الإمبراطورية وانعاش الولايات. فقد قرر قيادة جيوشه بنفسه ضد المسلمين و البلغار، كما حرص على أن يتوخى الحذر فى اختيار قادته(٣)، وقلل من مساحة ثيم الاوبسيكيون فظهر الثيم البوكلارى (٤). كذلك استغنى عن الاستعانة بكتائب الولايات المنفصلة، واستخدم جيوشا بديلة مكونة من قوات متجمعة ممزوجة من ولايات الإمبراطورية ليجعل منها جيشا وطنيا يكون ولاؤه للوطن لا القادة (٥). وفى سبيل ذلك سعى الإمبراطور إلى تدبير الأموال اللازمة خاصة وإن بيزنطة شهدت فى عصره واحدة من أكثر الفترات ازدهارا (٦).

١-ربما كان سبب التحول فى موقف هذا القائد هو محاولة الاستيلاء على العرش الإمبراطورى.
انظر: Nicephorus, Breviarum, Col. 969; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 933; Guilland, patrices, p. 324.

٢- Ostorgorsky, Byz State, p. 148

٣-وتذكر الروايات أنه كثيرا ما تخلص من القادة الذين أحس نحوهم بأى شك، فكان يرميهم بأى تهمة، سواء كانت سياسية ام دينية. انظر: Nicephorus, Breviarum, Col.984.

٤-نسبة إلى من كان ينزل بهذا الإقليم من الجند المعروفين قديما بهذا الاسم. انظر Judith Herrin,the Context of Iconoclast Reform, Birmingham, 1977, p.18; Diehl et marcais, le Mond, p. 256' Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967, Vol iv,p.73.

٥- Nicephorus, Breviarum, Col. 971; Cf. also : Lombard, constantin V.P.91.

٦- Nicephorus Breviarum, Col. 986; Cf. Also : Lombard, constantin V.P I02 .

وإذا كان الإمبراطور قد شغل بهذه الثورة عن الجبهة الشرقية، فالخلافة الأموية لم تحاول استغلال هذه الثورة، على الرغم من أن كلا من قنسطنطين الخامس وارتفاذدوس قد حاول الحصول على تأييد المسلمين لنفسه ضد الطرف الأخر (١). ولكن رفض الأمويون هذا بسبب ما كانت تعانيه الخلافة من اضطرابات، وحتى تنأى بنفسها عن أى متاعب أخرى. ومن هنا لايمكن القول بأن الخلافة رفضت التدخل حتى لا تكون أداة فى يد غيرها، لأن الخلافة الأموية لو كانت فى حالة تسمح لها بالتدخل، لكان من الممكن أن تتدخل وأن تعمل لحسابها الخاص وليس كأداة. وهذا لا يحدث إطلاقا لا من قريب ولا من بعيد، بل أن مروان بن محمد، الذى كان فى تلك الآونة حاكم إقليم الجزيرة (٢)، لم يبد أى اهتمام لاستغلال الثورة، بل أمر قواته باليقظة والحرص كما لو كان يخشى الهجوم البيزنطى. وإن دل هذا على شيء فهو يدل على أن الموقف الدفاعى العربى قد أصبح واضحا (٣).

خرج قنسطنطين الخامس من هذه الحرب الأهلية منتصرا، وبدأ بتحديدأولويات نشاطه العسكرى. فعمل على تعزيز حدوده مع المسلمين، التى أصابها الاضطراب من جراء هذه الحرب. وبدأ بإخماد أى محاولة هجومية للمسلمين (٤) مستفيدا من تمزق الخلافة الأموية، إذ لم يتمتع حكم الوليد الثانى (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)،

١- Theophanes, Chronographia, COl, 1109. ويؤكد هذه الرواية أن قنسطنطين قد وجه للخليفة الوليد الثانى سفارة لتهنئته بالعرش، ومن الممكن أن تكون السفارة قد طلبت المساعدة أيضا انظر: Agapius, Al- unvan, p. 510; Cf. Also: Cheira, La Lutte, p.231.

٢- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٤٢.

٣- Cheira, La Lutte, p. 231.

٤- Anastos, Imperial Rule, C.M.H.,1967, p. 73; Lombard, Constantin- V, p. 3l; Brooks, the Arabic, J.H.S., p. 84; Guilland, Patrices, p. 3l9

ويزيد الثانى (١٢٦هـ/٧٤٤م)، وابراهيم المهدى (١٢٦-١٢٧هـ/٧٤٤-٧٤٥م)، ومروان الثانى (١٢٧ -١٣٢هـ/ ٧٤٥-٧٥٠م) بسلام داخلى شامل وابتداءا من (١٢٥هـ/٧٤٣م وحتى ١٣٢هـ/٧٥٠م تضاعف العصيان والتمرد داخل الخلافة الأموية(١) وقام الإمبراطور بنفسة بمهاجمة زبطرة، وضربها وأسقط أسوارها عام ٧٤٤م/١٢٧هـ (٢). فكان على الخليفة الجديد مروان بن محمد (٣) أن يواجهه النشاط البيزنطى، فتوجه إلى زبطرة وأعاد بناء أسوارها على عجلة، مما جعلها غير متينه. واستمر الإمبراطور فى التوغل ووصل إلى حصن منصور جنوب ملطية فترك السكان حصنهم، ثم أستولى علـــى كـــل من مرعش علـــى نهر الفرات ودوليخـــى. كما أســـتولى عـــلى مســـاحة كـبيرة مـن منـــطقة كومـــاجين Commagene (٤).

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٢٥٢وأيضا:.Agapius, AL-Unvan, pp. 208- 209 راجع كذلك الخربوطلى: غروب الخلافة الإسلامية ، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٣١؛ عبد الجبار منسى العبيدى: قراءه جديده فى أسباب سقوط الدولة الأموية، مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد ١٥، العدد الثالث ، أكتوبر ١٩٨٤م الكويت، ص ٢٧٠- ٢٧١.

٢-وتقع زبطرة بين ملطية وسميساط والحدث، بالتحديد تقع جنوب غرب ملطية بحوالى أربعة وعشرين كيلومترا. انظر : البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٨٣، ٢٢٨، ابن خرداذبة : المسالك والممالك. ص٩٧؛ ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد اللة ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى): معجم البلدان، القاهرة ١٨٦٨م ، جـ ٢ ص٩١٤ ؛ ابن الاثير : الكامل، جـ ٥، ص٢٧٤ وأيضا: Nicephorus, Breviarum. Col; Cf. Also: Brooks,the Arabic, J.H.S.,p. 202. 208 وعن هذا النشاط أنظر الخريطة رقم ٤

٣-تولى الخلافة فى ١٧ ربيع الأول ١٢٧هـ/٦ديسمبر ٧٤٤م. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل جـ٧، ص٣١١ Nicephorus, Breviarum. COL;.969 وأيضا: ابن خرداذبة: المسالك والماليك، ص٩٧، ٢١٦.

٤- Nicephorus, Breviarum, col. 969 وأيضاً: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٩٧، ص٢١٦.

ولكن عندما وجد أنه من غير الممكن الاحتفاظ بهذه المناطق، نقل الأهالى المسيحيين إلى تراقية فى داخل بيزنطة، اذ أسس عدة مستعمرات مزدهرة متميزة بهذه الصفة الدينية عن المناطق المجاورة، وذلك فى عام ٧٤٦م/١٢٩هـ (١). وكان هدف قنسطنطين الخامس من هذا النشاط المكثف هو دفع حركة الضغط الإسلامى عن أسيا الصغرى تدريجيا. فكان أسلوبه هو مهاجمة المسلمين فى عقر دارهم حتى يجبرهم على الدفاع والتراجع، ويمنعهم من الزحف ناحية الحدود البيزنطية. ونجح فى ذلك إلى حد ما، ونقل الحرب إلى الأراضى السورية، ففى حالة الهجوم يتمركز فى قيصرية، ثم يتجه جنوبا صوب جبال طوروس، ويخترق ممر كوردخاى (ممر درب الحدث عند العرب) إلى البستان ومنه إلى مرعش (٢).

ولكن ظهر من جديد خطر هدد بيزنطة، وأوقف نشاطها ضد المسلمين حتى أنه لم يحدث هجوم بيزنطى إلا فى العصر العباسى، ومرة أخرى سنحت الفرصة للمسلمين لاستغلال هذا الخطر أحسن استغلال،ولكنهم لم يستغلوها.فقد شهد عام٧٤٥م-٧٤٦م/١٢٨-١٢٩هـ عددا من الكوارث الطبيعية،بدأت باحتجاب الشمس ستة أيام فساد

١-وكان معظمهم ممن يقرون مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيتية). انظر:
Nicephorus, Breviarum. Col. 969; Cedrenus, Historiarum, Col. 884. وأيضا : البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ٢٢٥-٢٢٦. وكذلك : Brooks, The Struggle, C.M.H., Vol IV, 1936, P.121; Finlay, Byzantine Empire, P.48; Brooks, The Arabic, J.H.S., P.207; Ostrogorsky, Byz State, P.149. وعن المنطقة التى نقل إليها الأهالى المسيحيين وهى تراقية انظر الخريطة رقم ٣.

٢- Agapius, Al-Unvan, P.519; Cf. Also: Cheira, La Lutte, P.233; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., Vol, IV, 1967, P.74; Bury, L.R.E., Vol II, P.248.

الذعر البلاد (١)، ثم ظهر وباء الطاعون، وكان أول ظهوره فى الشام والعراق(٢)، ثم فى مصر وأفريقيا(٣)، ثم صقلية ومنها إلى بلاد اليونان حتى وصل إلى العاصمة البيزنطية المكتظة بالسكان. وساهم فى نقل هذا الوباء السفن التجارية الإيطالية واليونانية (٤)، وعم الخوف بين السكان وسيطرت الخرافات على الحياة البيزنطية (٥)، وفاقت الخسائر كل تقدير حتى أصبحت مشكلة الادارة البيزنطية كيفية نقل الموتى ودفنهم. وليس لدينا إحصائية لعدد الموتى نتيجة لهذا الوباء (٦)، ولـكن عانت العاصمة

١- Nicephorus, Breviarum, Col. 884; Cedrenus, Historiarum, Col. 884; Agapius, Al-Unvan, P. 520.

٢- ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٣٩٣.

٣- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٠٣ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤١٠. وأيضا: Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 945.

٤- Cedrenus, Historiarum, Col.884. Cf. Also : Downey, G., Earthquakes at Constantinople and Vicinity, A.D. 342-1454, Speculum. A Journal of Mediaeval Studies, Vol XXX, Number 4, October, 1955, Cambridge, 1955, P.P. 596-600.

٥- Nicephorus, Breviarum, Cols. 969, 972 Cf. Also : Jenkins, The Imperial P.69, Finlay, Byzantine Empire, PP. 60-62.

٦- ولكن من دراسة حالات مماثلة نجد أن ضحايا هذا الوباء تصل إلى حوالى نصف عدد سكان العاصمة . لذا فالأرجح أن ضحايا وباء القسطنطينية هذا وصل إلى حوالى خمسمائة ألف، حيث أن عدد سكان العاصمة فى ذلك الوقت كان حوالى مليون نسمة. ومما يؤكد فداحة هذا العدد أن المؤرخ جورج همرتولس يذكر أن كثيرا من أفراد أسرة قنسطنطين قد ماتوا من جراء هذا الوباء.

انظر : Georgius Hamratolus, Col. 937; Cedrenus, Historiarum, Cols. 884, 888; Nicephorus, Breviarum, Cols.969,972; Cf.Also:David Talbot Rice,Ancient people and places:The Byzantines,New York,1962.P.53;Finlay, Byzantine Empire, P.62.

نقصا فى عدد السكان بعد ذلك(١)، الأمر الذى دفع الإمبراطور إلى جذب عائلات يونانية من الجزر والمدن إلى العاصمة، لتعويض هذا العجز (٢). وقد أثبت معالجة الإمبراطور لهذا الخطر أنه قدير من طراز فريد، فقد أعاد بناء المدينة بعد أن كان الوباء قد أجهز عليها (٣).

فيقول المؤرخ روميلى جنكنز أن عدو بيزنطة اللدود، وهو المسلمون، كان مشغولا وقتها بالقلاقل،ولولا ذلك لكانت النتائج وخيمة ومرعبة بالنسبة لبيزنطة (٤).ويكفى أن محاولتهم البحرية لغزو قبرس لم تكن من القوة بحيث تتوافر لها عناصر النجاح. فقد خرجت حملة بحرية أموية من الإسكندرية لمهاجمة قبرس فى نهاية عام١٢٩هـ/ ٧٤٦م(٥)،بقوة بلغت ألف سفينة،فخرج أميرال ثيم كبيرهاتوت، بناء على تكليف من الإمبراطور،لمواجهة هذه الحملة بقوة من ثلاثين سفينة، واحتلت مداخل قبرس،وبعد مواجهة عنيفة، ورغم التفوق العددى لأسطول المسلمين، أبيدت تقريبا القوة البحرية الأموية(٦).

١- خاصة وإن كثيرا من السكان الناجين قرروا الرحيل مع حجاج بيت المقدس. انظر :
Cedrenus, Historiarum, Col.888.

٢- Georius Hamartlus, Col. 937; Nicephorus, Breviarum col. 972; Cf. Also:Finlay, Byzantine Empire, P.63.

٣- Brown Peter ,A dark- Age Crisis: aspects of the Iconoclastic Controversy,English Historical Review,Voll XXXVIII,Number 346, January, London, 1973, P. 29.

٤- Jenkins, The Emperial, P. 96.

٥- لم تتعرض المصادر الإسلامية لهذه الحملة. ويفسر الباحث ذلك بأن الحملة قد فشلت فى تحقيق الأهداف المرجوة منها. انظر : Nicephorus, Breviarum, Col. 972

٦- واستردت بيزنطة السيادة على البحر المتوسط . Cedrenus,Historiarum , Col 888, Cf .Also : Lot Militaire et Les Armee's au Moyen Age en Europe et dans le proche Orient,2 Vols,Paris,1946.,vol 1,p .63; Ahrweiler , byzance et la Mer ,pp 50-52

وقد لعبت النار الإغريقية دورها الفعال لصالح البيزنطيين(١). ويبالغ المؤرخ اليونانى ثيوفان فى تقدير خسائر البحرية الأموية، فيقول أنه لم ينج من الاسطول الأموى سوى ثلاث سفن عادت إلى الإسكندرية من بين الألف سفينة (٢).

ويعلق بعض المؤرخين الحديثين على هذه الهزيمة بأنه قضى بذلك على القوة البحرية للعرب فى شرق البحر المتوسط لمدة جيل كامل ؛ بل واختفت قوة مصر البحرية فى البحر المتوسط أكثر من قرن من الزمان (٣)، ورغم حجم هذه الهزيمة، فمن الضرورى الأ ننساق وراء هذا التصور المبالغ فيه، خاصة وإن هذه الهزيمة لم تكن لها هذا التأثير الحاسم فى دور البحرية الإسلامية، أو فى نشاط الصناعة البحرية. فقد استمر استخدام الموانى المصرية بوصفها قواعد حربية هامة ضد بيزنطة ؛ والا فبماذا نفسر ضعف النشاط البحرى لبيزنطة خلال معظم القرن الثامن الميلادى/ الثانى الهجرى(٤).

ومن ناحية أخرى فإنه فى سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م، وبظهور الحكم العباسى، أنزلت الخلافة سفنا جديدة فى مياه الإسكندرية، نجحت فى عهد أول الخلفاء العباسيين فى الإغارة على جزيرتى صقلية وسردينيا فى عام ١٣٤هـ/٧٥٢م، تلا ذلك الحملة العباسية

١- Paul the Deacon, Historiarum, Ed, Migne, Patrologia, Latine, Tome XCV, Col 1095.

٢- Theophanes, Chronographia, Col. 856 ولاريب أنه يبالغ فى حجم الخسائر وفى السفن، خاصة إذا قارنا هذه المعركة بحصار القسطنطينية الذى عالجناه فى الفصل الأول.

٣- Anastos, Imperial Rule, C. M. H., 1967, P.74; Brooks, the struggle, C. M.H., Vol IV, 1936, P. 121; Brooks, E.W., The Relations between the Empire and the Egypt From the new sources, in Bzy zeit 1913, PP. 383-384. وأيضا ارشبالد لويس: القوى البحرية، ص١٠٨-١٠٩.

٤- لمزيد من التفاصيل انظر : Kubiak, Wladyslaw, B., The Byzantine Attack on Damietta in 853 and the Egyptain Navy in the 9th Century, "B", Tome Xi, Bruxelles 1970, PP. 45-66.

البحرية فى عام ١٤٧هـ/٧٦٤م على صقلية. وسوف نشير إلى ذلك فى حينه. وكانت هذه السفن مزودة باختراع جديد يمكنها من مواجهة النار الإغريقية (١)، وهكذا سيطرت بيزنطة على قبرس. وتذكر المصادر اليونانية المعاصرة أن الإمبراطور جعل منها مكانا ينفى فيه الأشخاص غير المرغوب فيهم (٢).

ولكن الخليفة مروان بن محمد أرسل قائدة الوليد بن هشام إلى مرعش فى ١٣٠هـ/ ٧٤٧-٧٤٨م، واستردها وبنى حصنا لها (٣). ولكن فى العام التالى تعرضت الشام لزلازل، أوقفت حركة الصوائف، وفى عام ١٣٢هـ/٧٤٩م وجّه صالح بن على صائفة إلى الحدود البيزنطية، لم تتناول المصادر تفاصيلها ربما لعدم أهميتها(٤).

وكانت هذه آخر صائفة أموية، فكان على الخليفة مروان بن محمد أن يواجه ثورة أهل حمص والعراق، بينما الدعوة العباسية أخذه فى الانتشار من خراســـــان مستغلة

١- سيروس بن المقفع : تاريخ بطاركة الإسكندرية، نشر شابو، جـ٢، باريس ١٩٠٤م، ص ٢٢٤؛أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢٣١-٢٣٣.

٢- مثل عبدة الأيقونات. انظر : Theophanes, Chronographia, Col. 897; Cedrenus, Historirum, Col.896; Cf, Also : Bury, L.R.E., P. 340; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967, P.81.

٣- ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٣٩٣؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢١، ص ٥٣٧؛ ابن شداد (عز الدين): الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الأول، القسم الثانى، نشر وتحقيق ان ماري إدة Bulletin D'Etudes Orientales, Tomes XXXII-XXXIII, Années, 1980-1981, Damas, 1982, P.52; Cf. Also : Georgius Hamrtolus, Chronicon, Col. 937. وكان قنسطنطين الخامس قد استولى عليها في عام ٧٤٤م/١٢٦هـ ونقل سكانها إلى داخل الحدود البيزنطية، كما سبقت الإشارة .

٤- وكان قائد هذه الصائفة هو سعيد بن عبد الله. انظر: الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤٦٠؛ وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col.865; Nicephorus; Breviarum, Col. 973.

الضعف العام الذى استشرى فى جسد الخلافة الأموية (١) وتمكن القائد العباسى عبد الله بن على عم أبى العباس من هزيمة الخليفة على نهر الزاب (٢)، وتعقّبه فى بلاد الشام، حتى يئس الخليفة وفكر فى الفرار إلى بيزنطة، وأخيرا لجأ إلى مصر حيث قتل على يد صالح بن على العباسى فى بوصير فى أواخر عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م منهيا بذلك حكم الدولة الأموية (٣) وتعرض الأمويون لبطش العباسيين فى كل مكان(٤)، حتى لم ينج من هذا البطش سوى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذى فر إلـــى

١- الهروى (على بن أبى بكر) : كتاب التذكرة الهروية فى الحيل الحربية، مقال فى مجموعة Bulletin D'Etudes Orientales, Tome XVII, Anneés, 1961-1962, Damas, 1962, P.6.

٢- وهو أحد روافد نهر دجلة، انظر : خليفة بن خياط، تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦١١؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤٣٢؛ المسعودى : مروج الذهب، المجلد الثالث، ص ٢٦٠-٢٦١؛ أبو الفدا المختصر فى أخبار البشر، جـ١، ص ٢١٠؛ ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، راجعه ونقحه : محمد عوض إبراهيم وعلى الجارم، ط٢، القاهرة، ١٩٣٨، مطبعة دار المعارف، ص ١٢٥-١٢٦. وأيضا : Agapius, Al-Unvan, P.524; bar Hebraeus, The Chronography, PP. 111-112

٣- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٦٧٢؛ المسعودى : مروج الذهب، المجلد الثالث، ص ٢٦٤؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٧؛ ابن قتيبة الدينورى : الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ص ١٤٠؛ وأيضا : محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، ط٦، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٨٧.

٤- حتى أنهم انتهكوا حرمة الموتى ونبشوا قبورهم، ولم يسلم من هذا سوى قبر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز. انظر : المسعودى : مروج الذهب، المجلد الثالث، ص ٢١٩؛ وأيضا : جمال الدين سرور، الحياة السياسية، ص ١٧٨ كذلك :

Muir, The Caliphate,PP.431, 438-939; Migeon Caston Manuel. D'Art Musulman, Tome I, Deuxiéme Ed , Paris, 1927, P.27

المغرب وأسس بها الدولة الأموية (١) وقد استغل الإمبراطور قنسطنطين الخامس هذا الصراع الداخلى فى العالم الإسلامى وعمل على تحصين حدوده الشرقية وترسيخ سلطته(٢).

وبحلول الدولة العباسية محل الدولة الأموية تحول مركز قيادة العالم الإسلامى من دمشق إلى بغداد، لأن المنصور لاحظ أن الأمويين أخطأوا عندما لم يتخذوا لأنفسهم مدينة محصنة تحصينا قويا، وقادرة على مواجهة بيزنطة. لذلك بنى بغداد، وحرص العباسيون على ترك مناطق الأجناد داخل بلاد الشام، لأنها مناطق معارضة لهم، ويعوضون ذلك بالاهتمام بالمنطقة الثغرية فى شمال الشام والجزيرة، وعلى طول خط الفرات. فقد كانت الدولة الأموية تغزو بيزنطة بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية، وتستخدم السفن فى الغزو أما العباسيون فبالإضافة إلى الاستمرار فى الصوائف والشواتى، فقد حرصوا على تحصين السواحل بالحصون والقلاع والمدن (٣) وقسموا مهام الثغور إلى قسمين أحدهما دفاعى والآخر هجومى. فالثغور الجزرية وهى ملطية، وطرندة، ومرعش، والحدث، وزبطرة خُصصت حاجزا دفاعيا لحماية الحدود الإسلامية عامة، وحدود شمال العراق خاصة، والثغور الشامية وهى تقع جنوب المجموعة السابقة، وتضم المصيصة، قطر غاش، ومروة، وبغراس، فقد خُصصت للدفاع عن بلاد الشام، كما كانت تنطلق منها بحكم موقعها، الهجمات

١- المقرى : نفح الطيب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٤٩م، جـ١، ص ٣٠٧؛ ابن عذارى المراكش : البيان المغرب، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، جـ٢، ص ٤٩؛ راجع أيضا : أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ١٠٤-١٠٩؛ أحمد مختار العبادى : التاريخ العباسى والفاطمى، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ٣٧.

٢- تلك السلطة التى اهتزت بسبب ثورة ارتفاذدوس، ولكن أثبت الإمبراطور مقدرة على صد الأخطار. وقد جبل على هذا منذ اشتراكه مع والده فى الحكم. انظر : Jenkins, The Imperial, P.70; Millingnen Constantinople, PP.98-99.

٣- البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٩٣، راجع أيضا : محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الاول والثانى للهجرة، مقال ضمن مجموعة دراسات فى الآثار الاسلامية، فى مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢١.

على بيزنطة (١). وهكذا كان الانتقال من دولة إلى دولة هو الانتقال من عالم بحرى يهتم بالنظر إلى الغرب، إلى عالم برى يهتم بالنظر إلى الشرق بعدما قلل العباسيون نشاطهم فى البحر المتوسط، وأصبحت شواطئه، فى نظرهم، حدودا ونهايات لدولتهم ينبغى الدفاع عنها لا الهجوم منها (٢).

وعلى الجانب الآخر ، ونتيجة لتغير الاستراتجية الإسلامية، تمكنت بيزنطة من التقدم صوب المنطقة الثغرية البرية وضربها، وتقدمت بحدودها شرقا، خاصة وقد توقفت المشاريع البحرية الإسلامية الكبرى التى كانت توجه من سوريا ومصر ضد القسطنطينية. وبذلك تخلصت بيزنطة من الخطر الذى كان يهددها فى شرق البحر المتوسط، وتراجعت روح التوسع العسكرى الإسلامى (٣)، وكان هذا فرصة مواتية لبيزنطة على الحدود الشرقية خاصة فى فترات الضعف؛ فأخذ قنسطنطين الخامس زمام المبادرة وسيطر على مواقع جبال طوروس و آسيا الصغرى واستخدمها كمراكز للهجوم فى أوقات الضعف الإسلامى، وكمراكز للدفاع فى أوقات القوى الإسلامية (٤).

١-قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، ليدن ١٣٠٩هـ، ص٢٥٣ ؛ راجع أيضا : فتحى عثمان: الحدود البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ،القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، جـ١ ص٢٧٣- ٢٧٥، انظر أيضا: الخريطة رقم (٤)

٢-حسين مؤنس: المسلمون فى حوض البحر المتوسط، ص٨٧؛ فتحى عثمان: الحدود، جـ١، ص٢٧٩.

٣-ساليفان،(ر.أ) : ورثة الإمبراطورية الرومانية، الغرب الجرمانى- العالم الإسلامى- الدولة البيزنطية، ترجمة وتقديم الدكتور جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية ١٩٨٥م، مؤسسة شباب الجامعة، ص١٤٣ وأيضا:.Diehl, Hist Byz Emp, p.55 كذلك انظر الخريطة رقم (٥) عن الحدود الإسلامية فى أقصى اتساع لها فى العصر الأموى.

٤-فأصبحت الحرب بين القوتين المتصارعتين عبارة عن غارات الغرض منها الهدم والتخريب بعدما كانت القسطنطينية نفسها هدف الأمويين. انظر: مؤلف مجهول: العيون ص١٠٧؛ راجع أيضا: أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون، جـ١، ط١، القاهرة ١٩٨٢، ص٢٩ ؛ جى لسترانج: بغداد فى عهد الخلافة،ترجمة بشير يوسف فرانسيس، ط١، بغداد ١٩٣٦م، ص١٠-١٢.

ويرجع السبب فى اختلاف الاستراتيجية الإسلامية هكذا إلى عدة عوامل ، منها مناوأة أهالى بلاد الشام للعباسيين لأنهم كانوا لايزالون على ولائهم للأمويين، وأيضا عدم اهتمام العباسيين بانشاء أسطول قوى يضارع الأسطول الأموى. ثم الخلافة العباسية كان عليها بذل الجهود للسيطرة على مساحتها وتأمين حدودها، فالتزمت الدفاع واهتمت بانشاء الأنظمة الداخلية وتقوية الدولة والإبقاء عليها،أكثر من العمل على توسيع رقعتها، خاصة بعد فقدان الأندلس(١).

بدأ الإمبراطور قنسطنطين الخامس نشاطه على الجبهة الشرقية، باستغلال اندلاع ثورة أرمينية، نتيجة لسقوط الدولة الأموية، وقام صراع بين اثنين من أهم الأسر الأرمينية هما: أسرة بجراط التى ساندها الأمويون ، وأسرة ماميكونيان التى ساندها العباسيون (٢)ونجح الإمبراطور فى استمالة الأرمن (٣)، بعد أن وجهً ضربة قوية للمسلمين الذين خسروا نفوذهم فى ارمينيا، وخسروا قوة عسكرية كان يعتمد عليها فى الدفاع عن الحدود الفاصلةبينها وبين الخزر (٤). وفى يونيو ٧٥١م/ ذو القعدة ١٣٤هـ،

١- Barbiar De meynard, M.c., Ibrahim, Fils de Mehdi Fragments Historiques, journal Asiatique, XIII, paris, 1869, p.203. وأيضا : سالفان : ورثة الإمبراطورية، ص ٩٩ ؛ أحمد شلبى: التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٥٧.

٢- Ghevond, Guerres, pp. 116 -118. Cf. Also: Grousset, Histoire De l,Armenie des Origines a 1071; Paris, 1947, p.332.

٣-ذلك حينما زاد عبئ الضرائب المفروضة عليهم من المسلمين مما دفع بعضهم إلى الهرب فأحسن الإمبراطور استقبالهم ومنحهم مأوى. انظر.Ghevond, Guerres, P.129

٤-وقد نجح الإمبراطور فى أستمالة الإرمن رغم اختلافهم مع البيزنطيين من حيث الدين والثقافة، بالإضافة إلى السياسة التوسعية للسياسة البيزنطية التى كان يعلمها الأرمن انظر Ghevond, Guerres, p. 120; Cf. Also: Pasdermadjian,H.,Histoire De l'Arménie Depuis les Origines jusque au Traite de Lausanne, Troisiéme Edition, paris, 1971, pp. 129-132.

ونظرا لانشغال الجيش الإسلامي العباسي بتوطيد الدولة في عهد الخليفة أبي العباس السفاح ١٣٢-١٣٦ هـ/٧٥٠-٧٥٤م (١)، قاد الإمبراطور بنفسة حملة إلى الحدود الأموية الأرمينية، واستولى على الحصن الأرميني الكبير المسمى ثيود وسيبوليس Theodosipolis في نوفمبر ٧٥١م/ جماد الأخر ١٣٤هـ(٢). ولم يتمكن جيش عباس من مقاومة هذا الهجوم (٣)، بل ترك بها الإمبراطور حامية بيزنطية، وتوغل مسيطرا على كماشا ثم دسيوبودس التي أسر حاميتها (٤). وتذكر المصادر البيزنطية أن الإمبراطور قد أحسن معاملتهم ونقلهم إلى داخل الحدود البيزنطية في تراقية عند حدود بلغاريا، في حصون أمر الإمبراطور ببنائها لهم (٥).

١- لقب الخليفة بالسفاح كناية عن كرمه وكثرة عطائه، إذ كان يسفح الدنانير. انظر:السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسي الرول، جـ٣، الاسكندرية (مؤسسة شباب الجامعة) ١٣٩٨ هـ، ص٥١

٢- وتسمى أيضا باسم أرضروم وكذلك قارن .Karn انظر: Theophanes, Chronographia, Col 860; Cedrenus, Historiarum, Col.889; Barhebraeus, The Chronography, p. 113. راجع أيضا : ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٤٤٧.

Cf Also: Grousset, histoire De l,Armenie, p. 321; laurent, J.,l, Armenie Entre Byzance et l' Islam, Depius la conquete Arabe jusqu' en 886 parise,1919, p.94 انظر الملحق رقم ٥ .

٣- وكان هذا الجيش بقيادة مخلد بن مقاتل بن حكيم القائد العباسي. انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٦٢٧. Georgius Hamartolus, Chronicon, col. 937

٤-انظر الملحق رقم ٥.

٥- Theophanes, Chronographia, Col. 865; Cedrenus, Histoiarum, Col 889; Agapius, Al-Unvon,p.538. ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي تعرضت فيها المصادر لسماحة الإمبراطور، فقد ذكرها المؤرخون ومنهم المعارضون لسياسته الدينية في عدة مناسبات منها عندما هرّب بحرا الرعايا المسحيون من مصر إلى بيزنطة في عصر المنصور. انظر : Theophanes, Chronographia, Col. 865.

وفى نفس عام ٧٥١م /١٣٣هـ توغل الإمبراطور فى حدود العباسيين وهاجم حصن كمخ (١)، فاستنجد أهل هذا الحصن بأهل ملطية الذين أمدوهم بثمانمائة مقاتل، غير أن الإمبراطور تغلب عليهم وبعد مقاومة شديدة استسلم الحصن بعد أن اعطاهم الإمبراطور الأمان(٢) وتوغل الإمبراطور مهاجما الثغور الجزرية ومد مراتحصينات الفرات،فاستولى بنفسه على الحدث ثم توجه إلى ملطية وحاصرها(٣) وأرسل إلى أهلها يقول "إنى لم آتكم إلا على علم بأمركم، وتشاغل سلطانكم عنكم، أنزلوا علىّ الأمان وأخلوا المدينة أخربها وأمضى عنكم" ولما رفض أهلها ذلك شددّ الإمبراطور من حصاره ونصب المجانيق، فاستسلمت المدينة ودخلها وهدمها(٤) واتجه الإمبراطور بعد ذلك صوب نهر الفرات واستولى على حصن قلوذية(٥)

١- تقع كمخ على نهر الفرات، وهى قلعة عظيمة فى أسفلها مدينة على ضفة النهر. انظر اليعقوبى: كتاب البلدان، ليدن، ١٨٦٠م ص ٦٦- انظر الخريطة رقم ٦و الملحق رقم ٥ .

٢- Georgius Hamartolus , Chronicon,Col.937 وأيضا: ابن خلدون: العبر، ص٤٣١ وأيضا: Cheira, La Lutte, p. 233

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 860; Nicephorus, Breviarum,Col. 973; وأيضا: البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٢١؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص٤٤٧؛ الزهرى (أبى عبد الله محمد بن أبى بكر) كتاب الجغرافية ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، نشرفى مجموعة Bulletin D'Etudes Orientales, Tome XXI,Année 1968,Damas,1963,p.72 راجع أيضا: محمود شيت خطاب: جيش الروم أيام الفتح الإسلامى، مقال فى مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد رقم ٢١، بغداد ١٩٧١م، ص١٣٦، ص١٤١.

٤- وتصف المصادر خروج الأهالى من المدينة، بأن الجنود البيزنطيين اصطفوا على جانبى الطريق ومر السكان فى صف واحد تحت قوس من السيوف؛ انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٦٢٦؛ البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول ص٢٢١-٢٢٢؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٩٩؛ وأيضا: Cheira, La Lutte, p. 234.

٥- تقع على نهر الفرات جنوب شرقى مدينة ملطية. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٢٢، وقام الإمبراطور بنقل سكان هذا الحصن إلى داخل بيزنطة. وبنى لهم مدنا عبر تراقية وزودها بكل احتياجاتها. انظر: Nicephorus, Breviarum, COL 976; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 937

Claudias، ثم خرّب حصن سميساط (١). وكان غرض الإمبراطور من ضرب هذه المناطق هو تدمير نقاط الإمداد، والمراكز التى يستخدمها المسلمون للهجوم على حدود بيزنطة. فهجومه هذا ليس إلاّ وسيلة للدفاع عن نفسه.

ولما كان الإمبراطور يعلم أنه لن يستطيع الدفاع عن هذه المناطق لبعدها،فقد أمر بهدمها .كذلك فوصول الإمبراطور إلى هذا العمق بنفسه يعكس مدى قوته ونشاطه العسكرى الناجح فى مواجهة المسلمين فى آسيا الصغرى(٢). والحقيقة أن بيزنطة كانت قد اطمأنت إلى أن النشاط الإسلامى رغم كثافته لن يؤثر فى أمنها، مثلما كان الحال فى عهد الخلافة الأموية. لذلك أقامت بيزنطة نظاما دفاعيا ثابتا، بأن جعلت مناطق حدودها المواجه للمسلمين مناطق عسكرية دائمة، تمركزت فيها قوات الحامية البيزنطية.(٣) كما استغل الإمبراطور انشغال العباسيين فى تنظيم دولتهم، حتى أنه قضى على تحصينات المسلمين، ودمر خط حصون الفرات، وهدد كل النظام الثغرى الممتد من الفرات إلى البحر. وكان رد الفعل الإسلامى محدودا فى عهد السفاح أول الخلفاء العباسيين، وهكذا تحول شكل الصراع فى تلك الأونة، فلم تعد بيزنطة تحارب من أجل الدفاع أو من أجل البقاء، بل أصبح فى امكانها على الأقل أن تأخذ المبادرة، رغم أن المكاسب الإقليمية لم تستمر فى قبضة البيزنطيين. وهذا ماميز الصراع بين هاتين القوتين فى تلك الفترة من العلاقات (٤).

وتدريجيا بدأت تظهر حركة الرد الإسلامى على هذا الهجوم البيزنطى، مع الاقتراب من اكتمال تنظيم الدولة، حتى استعادت مكانتها ندا قويا فى تاريخ الصراع بينهما، واستؤنفت حركة الصوائف والشواتى (٥). ففى ١٣٤هـ/ ٧٥١م أرسل السفاح

١- Theophanes, Chronographia, Col. 860 انظرأيضا: اليعقوبى:تاريخ اليعقوبى،جـ٣،ص٩٩--١٠٠؛وانظرأيضا: Lombard,Constantin V,pp.35-36; Diehl,Leo:III,C.M.H.,1936,P.12

٢- Lombard, Constantin,Vp. 35; Finlay,Byzantine Empire, P.48.

٣-التى كانت تستعين بقوات عسكرية،وقت الحاجة،أُطلق عليها حراس الحدود .انظر: Akritai,On The Question Of Byzantine Feudalism ,"B",Vol V111,1933,p.600 ff;Ahrweller,H., L'Asie Mineure et Les Invasions Arabes,dans revue Historique, T,227,1962,pp.1-32 .

٤- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص٩٩. وأيضا: الخريطة رقم ٦، Ostorgorsky, Byz State, p. 149.

٥-قدامة بن جعفر : الخراج، ص٢٥٧- ٢٥٩ وانظر أيضا : محمد كرد على: خطط الشام، جـ ٥، دمشق ١٩٢٧، ص١٦.

صائفتين الأولى إلى ملطية بقيادة عميه صالح بن على وعيسى بن على اللذين خربا سورها، والثانية بقيادة محمد بن النصر ابن بريم الحميرى ، الذى دخل الطوانة(١). كذلك قام قائده يزيد ابن أسيد السلامى ببناء ثيود وسيوبوليس وعمّرها بالسكان(٢).

كما وجه الخليفة فى نهاية نفس العام ١٣٤هـ/٧٥٢م إغارة بحرية إلى صقلية بقيادة عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (٣)، وأخرى إلى جزيرة سردينيا بقيادة أمير أفريقيا عبد الله بن حبيب الذى أجبرها على دفع الجزية (٤). ولعل الخليفة السفاح كان يهدف من وراء ذلك تشتيت قوة بيزنطة وتوزيع انتباهها بين المشرق والمغرب العربى(٥).

وباستعراض النشاط العباسى لهذا العام يظهر حرص الخلافة على استعادة ما استولى عليه البيزنطيون مثل ثيود وسيوبوليس، وترميم مـــــا خربوه مثل ملطية، كما

١- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط: القسم الثانى، ص٦٢٦؛ ابن خلدون : العبر، جـ٥، ص٤٣٢. وإن أخطأ عند ذكره أن هذه الأحداث وقعت عام ١٣٣هـ/٧٥٠م. وانظر : ابن خرداذبة: المسالك، ص٩٦-١٠٨،٩٩ وأيضا: Agapius, Al- unvan,p. 531.

٢-البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٤٦.راجع كذلك: الملحق رقم ٥ ؛ Ghevond,,Guerres,pp. 125-129

٣-ابن خرداذبة: المسالك، ص٩١، ١٠٤-١١٢، القلقشندى: أبى العباس أحمد بن أحمد عبد الله: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٥ ، القاهرة ١٣٣١- ١٣٣٨ هـ/٩١٣-١٩٢٠م، المطبعة الأميرية، ص٣٧٣-٣٧٤؛ ابن عبد المنعم الحميرى: منتخبات من الروض المعطار، مقال بمجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، المجلد١٨جـ١، ١٩٥٦م، ص١٥٦-١٥٩. وقد أصبح قائد هذه الحملة أميرا على أفريقيا فى عهد المنصور. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص٤٠٦-٤٠٩.

٤-لم نستدل على تفاصيل هذه الجزئية. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٤٥٦، دحلان: الفتوحات، جـ١، ص٢٧٠.

٥-محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية(مدخل لدراسة التاريخ السياسى والحربى)، بيروت(دارلنهضةالعربية) ١٩٨١م، ص١٠٦.

يبرهن وصول البحرية الإسلامية إلى صقليةوسردينيا على استمرار النشاط البحرى، خلافا للقول الذى تناولناه بشأن تدمير الأسطول الإسلامى فى قبرس عام ٧٤٦-٧٤٧م/١٢٩-١٣٠ هـ. وتأكيدا لهذا اتخذ الإمبراطور قنسطنطين الخامس عددا من التدابير الخاصة بالدفاع عن صقلية وسردينيا، لضمان عدم تكرار هذا الهجوم، وذلك بأن خصص لهما أسطولا للدفاع عنهما (١).

والمتتبع لحركة الصراع العسكرى بين هاتين القوتين المتحاربتين يجد أنه يكاد لا يخلو عام من أحد مظاهر هذا الصراع،إن لم يكن متبادلابينهما فعلى الأقل من أحدهما ومن هنا تجدر الأشارة إلى سبب هدوءالجانب البيزنطى مقارنا بنشاط المسلمين منذ عام٧٥١م/١٣٤هـ.إذ يعزى ذلك إلى انشغال الإمبراطور باعمال مجمع هيريا Hieriaالذى عقد على الشاطىء الآسيوى للبوسفور فى العاشر من فبراير عام ٧٥٤م/١٣٤هـ،واستمر حتى صدور قرارات إدانة الايقونات فى نهاية اغسطس من نفس العام(٢) وفى ظل أحوا ل بيزنطة هذه، خرجت صائفتان فى١٣٦هـ/٧٥٤م: الأولى بقيادة النصر بن بريم، والثانية بقيادة صالح بن علي،ولم تشر المصادر البيزنطة إليهما، بينما لم تذكر المصادر العربية تفاصيلهما؛ وذلك لانهمالم تحققا نتائج لها أثرها(٣).كذلك كلف الخليفة واليه على الشام وعمه فى الوقت نفسه وهو عبد الله بن على، بتجهيز حملة إلى آسيا الصغرى، ولكن على الرغم من اتمام تجهيزها وتجميعها فى دابق (٤) فقد جدت أحداث جعلته يقلع عن قيادة هذه الحـــملة. فقد توفى الخليفة

١- Theophanes, Chronographia, Col. 863. وأيضا: القلقشندى : صبح الاعشى، جـ٥ ص٢٧٤؛ ابن الكردبوس وابن الشباط: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادى، مدريد ١٩٧١م ص١٨٦.

٢- Theophanes,Chronographia,Cols.860;Niceephorus, Breviarum,Cols. 973- 976. وقد حضر هذا المجلس ٣٣٨ أسقفا أيدوا آراء الإمبراطور الخاصة بالصور. انظر: Georgius,Hamartolus,Chronicon,Col.881; Agapius, AL-Unvan, p. 533.

٣-خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى، ص٦٣٣.

٤-تبعد عن حلب حوالى أربعة وعشرين كيلومترا، ويوجد بها مرج للعشب يستخدمه المسلمون إذا غزوا بيزنطة. وعن تفاصيل هذه الحملة انظر خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى، ص٦٣٥؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٤٧٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٤٦٤؛ النويرى نهاية الأرب، جـ٢٢، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، مراجعة إبراهيم مصطفى، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الهيئة العامة، ص٦٧.

السفاح فى ١٣ذى الحجة ١٣٦هـ/ ١٩يونيو ٧٥٤م وأظهر عبد الله بن على عن مطامعه فى السيطرة على العرش لنفسه (١).

ونظرا لأهمية دابق ، فقد أولاها الإمبراطور اهتمامه حينما فرغ للجبهة الشرقية فقد هاجمها بنفسه عام ٧٥٥م/١٣٧-١٣٨هـ بجيش كبير يحدده الذهبى بمائة ألف(٢)، بينما أغفلت المصادر البيزنطية هذه الحملة تماما. ويرى الباحث أن هذه المصادر ربما تعمدت اغفالها بسبب موقفه من عبادة الصور،الذى تأكد فى مجلس هيريا السابق. وهؤلاء المؤرخون من أنصار الأيقونات وقد استمروا على تجاهلهم لمعظم النشاط العسكرى للإمبراطور حتى أحداث عام ٧٥٩-٧٦٠م/١٤٢هـ.

وعلى أية حال، فبعد أن اعتلى الخليفة المنصور العرش (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) أرسل عمه صالح بن على لمواجهة هذه الحملة البيزنطية. وحقق هذا القائد انتصارا يعتبر إنجازا طيبا، فى ذلك الوقت ، للخلافة العباسية ولنفسه (٣). ولم يشأ الإمبراطور العودة دون أن يحقق ما يحفظ ماء وجهه. ففـــى طريق عودته خرّب وسبى

١- مؤلف مجهول: العيون، ص٢١٦-٢١٧، وأيضا: Bar Hebreaus, The Chronography,p.113; Cf. Also: Canard: BYzantium and the Muslim C.M.H.,1967, p. 703; Brooks,the Struggle, C.M.H., 1936,p.122.

٢-هذا الرقم فيه مبالغة، خاصة أنه نادرا ماتخرج القوة البيزنطية بكاملها فى آسيا الصغرى لمقابلة المسلمين، كما أن قائد الإمبراطور المكلف بحملة لا يخرج إلا بأربعة آلاف من الفرسان من ثيمه الخاص. هذا علاوة على أننا إذا قارنا هذه الحملة بحملات كبرى سابقة تتأكد هذه المبالغة. والمرجح أن الذهبى حرص عليها لبيان أهمية النصر الذى حققه المسلمون. انظر: الذهبى: العبر، جـ١، ص١٨٤-١٨٧.وأيضا:.Oman, The Art of War, p.40

٣-ظل هذا الإنتصار مقرونا باسم هذا القائد حتى مماته فى ١٥١هـ/٧٦٨م. انظر الذهبى: العبر، جـ ١، ص١٨٧.

أعددا من المسلمين (١)وأسرع بترتيب صفوفه وعاد بجيشه وغزا الحدود الإسلامية من منطقة الشام ودخل ملطية بعد مقاومة، فاستولى عليها وخرب حصونها وهدم سورها. ورغم هذا الانتصار الذى حققة الإمبراطور فقد أهملته المصادر البيزنطية (٢).

كان الخليفة المنصور حريصا على استعادة الهيبة الإسلامية، لذلك كان اهتمامه الشديد بالرد دائما على المحاولات البيزنطية، وذلك بالإغارات وباصلاح وترميم الحصون خاصة فى ملطية التى كانت هدفا مستمرا للبيزنطيين فى السنوات الماضية بسبب موقعها الاستراتيجى كخط دفاعي أمامى للحدود الإسلامية، وكمركز هام لتموين الحملات الإسلامية إلى الحدود البيزنطية. لذلك أرسل الخليفة فى ١٣٩هـ/ ٧٥٦م أخاه العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على رأس صائفة مكونة من أربعين ألف مقاتل، ومعه صالح وعيسى بن على، وخرج من درب الحدث واتجه إلى ملطية، وأصلح ما خربه فيها الإمبراطور قنسطنطين الخامس، ووضع بها حامية قوية، بعد أن نقل سكانها إلى فلسطين، بناء على أوامر الخليفة (٣).

وبعد هذه الصائفة، وفى نفس العام، يذكر أن المنصور قد وافق على عقد هدنة

١- فى ظل تجاهل المصادر البيزنطية. انظر: خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٣٩؛ الذهبى : دول الإسلام، ص ٩٥؛ الحنبلى : شذرات الذهب، ص ٢٠٦.

٢- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤٩٧؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٨٦؛ مؤلف مجهول : العيون، ص ٢٢٤-٢٢٥؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ٧٩؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٣. وأيضا : Muir, The Caliphate, P.451.

٣- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٢٤؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٤٩٧؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٨٦، ٤٩٧؛ مؤلف مجهول : العيون، ص ٢٢٥؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٣٩؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٧٣ وأيضا : Bar Hebreaus, The Chronography, P.113. وتذكر المصادر العربية أن هذه الصائفة ضمت أميرتين هما عمتا الخليفة نذرتا الجهاد فى سبيل الله إذا زال ملك الأمويين. انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٥٠٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٧٤؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٣؛ دحلان : الفتوحات، ص ٢٧٠.

مع بيزنطة مدتها سبع سنوات، وعلى تبادل الأسرى بين البيزنطيين والمسلمين. واعتمادا على المصادر العربية، لاالمصادر البيزنطية التى ظلت صامته، يمكن قبول القول بأنه حدث تبادل للأسرى (١). ولكن يجب استبعاد موضوع هذه الهدنة، خاصة وإنه فى ١٤٠هـ/ ٧٥٦-٧٥٧م حاول الأمير العباسى صالح بن على التوغل فى قبادوقيا عبر ممر الحدث على رأس جيش مكون من ثمانين ألف مقاتل. وعندما علم استعداد قنسطنطين الخامس بالمسير لمواجهته تخوف صالح، وفضّل العودة إلى وطنه دون خسائر. ويحاول المؤرخ اليونانى ثيوفان أن يصور أن الرهبة كانت تحل بالقادة المسلمين كلما سمعوا بوجود الإمبراطور فى مكان ما (٢).

وفى العام نفسه ١٤٠هـ/٧٥٦-٧٥٧م سيرٌ المنصور صائفة بقيادة الحسن بن قحطبة ومعه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام فى جيش كبير، تقدره المصادر بسبعين ألف مقاتل إلى ملطية، فواجههم الإمبراطور بجيش كبير أيضا تقدره نفس المصادر بمائة ألف مقاتل.فلما سمع الإمبراطور كثرة عدد المسلمين أحجم عن المواجهة وتراجع(٣). وتحاول المصادر العربية أن تصور الرهبة التى كانت تحل بالبيزنطيين كلما سمعوا بوجود قوات إسلامية. ولعل هذا كان هو الأسلوب المتبع وقتــــها فى المصادر

١- وتضيف هذه المصادر أن معظم من فودى بهم من المسلمين من أسرى قيليقية، ومناطق أخرى. انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٧٠٠ ؛ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٨٨؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٧٤، وأيضا :. Muir, The Caliphate, P.451

٢- Theophanes, Chronographia, col.865. حيث يضيف ثيوفان ، بعد طول صمت، أن صالح قد عثر على بعض من قوات الأرمن وهى تهاجم معسكرات المسلمين فأسرهم انظر أيضا : Canard, Byzantium, and the Muslim, C.M.H., 1967, P. 704; Brooks, The Struggle, C.M.H., 1936, P.122; Diehl, Leo III, C.M.H., 1936, P.12.

٣- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٥٠٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٨٨، ٥٠٠ ؛ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٧٤؛ ابن خلدون : العبر، جـ٥، ص ٨٣، ٤٣٢.

الإسلامية والبيزنطية على حد سواء. وبعيدا عن التحيز، الذى أظهره مؤرخو كل من الطرفين المتحاربين، فقد كان كل قائد يتخذ مايراه من إجراءات تعود عليه بالفائدة، دون النظر لتفسير ما وراء هذا الإجراء. فأحيانا يكون تجنب المواجهة العسكرية أكثر فائدةمن المواجهة، وعلى القائد أن يوازن بين حجم الخسائر التى ستنتج عن المواجهة، وبين حجم الإنجاز المترتب على هذه المواجهة. ومن هنا فلا مجال لإدانة القائد العباسى صالح بن على ثم الإمبراطور على إحجامهما عن المواجهة العسكرية.

كما اغزى الخليفة فى نفس السنة قائده جعفر بن حنظلة البهرانى لمواجهة غارة بيزنطية على ملطية، وتمكن القائد من دخول ملطية، وعسكر بها، وأقيمت بها المزارع، وعاد إلى بلاده، ولكن قنسطنطين الخامس عاد بنفسه وحرق هذه المزارع (١).

وإذا كانت المصادر العربية قد أشارت إلى أن عملية تبادل الأسرى قد استمرت ما يقرب من ثلاث سنوات (٢)، فإنه لايمكن القول إنها استمرت طوال هذه المدة، خاصةوإنه لم تكن هناك معارك كبرى تستلزم هذه المدة. والمرجح أن الطرفين فضلًا أن يتم تبادل الأسرى ببطء حتى يتمكنا من ترتيب أوضاعهما. فالإمبراطور مشغول بمشكلة عبادة الأيقونات، وبالتجهيز لحرب البلغار كما سنرى بعد ذلك. والخليفة كان يأمل فى ترميم وبناء حصونه منتهزا فرصة الهدوء النسبى المتوقع، فحصّن مناطق الثغور الجزرية والشامية، وشحنها بالمرابطين حتى لايطمع فيها البيزنطيون، وجعل هذه المناطق كيانا إداريا قائماً ومنطلقا لغزو بيزنطة. ولهذا أعاد بناء ملطية، وكلف بهذا العمل أميره عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والى الجزيرة بمساعدة الحسن بن قحطبة، الذى خرج ومعه سبعون ألف شخص، وجمع العمال من البلاد كافة. ويذكر البلاذرى أن الحسن كان يحمل الأحجار بنفسه (٣) واكتمل بناء المدينة فى سته أشهر، وبنى مسجدا

١- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٤٠؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٥٠٠؛ الذهبى : العبر، جـ١، ص ١٨٨.

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٣، ص ٧٠٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٨٨؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٧٤.

٣- البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ٢٢٣.

لها، وشيد حولها سورا واحداً بلا فواصل، كما بنى قلعتين بالقرب منها وزودهما بالسلاح. وقد مكث بها الأمير عبد الوهاب مدة عام واحد، حتى أسكنها الناس، وزاد من أرزاق الجند بها، وأسكن منهم أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم، كما زودهم بثكنات ضخمة لتكون مراكز للغزو(١).

هذا، إلى جانب ترميم قلاوذية، وتزويدها بالمرابطين المسلمين حتى لا يطمع فيها البيزنطيون(٢). ولم يكتفى الخليفة بهذا، بل أمر أيضاً بتعمير حصن المصيصة(٣)، الذى كان قد تعرض لزلزال خرّب سوره. فقام القائد العباسى جبريل بن يحى البجلى بتوجيه صالح بن على لتعمير المدينة، وانتهى من ذلك فى عام ١٤١هـ/٧٥٨م(٤)، وبنى لها سوراً، وحصّنها، وزودها بالسلاح، وبنى بها مسجداً جامعا، وسماها المعمورة(٥).

وانتهى الخليفة من هذه الإنشاءات فى ١٤١هـ/٧٥٨م. ويذكر بعض المؤرخين أن المسلمين لم يقوموا بتسيير أى صائفة فيما بين عام ١٤٠هـ/٧٥٧م وعام ١٤٦هـ/٧٦٣م، نظرا لإنشغال الخليفة المنصور بفتنة داخلية(٦). ولكن هذا الرأى يفتقد إلى الدقة، فهناك عدد من الصوائف خرجت إلى مناطق الحدود البيزنطية فى عامى ١٤٢هـ/٧٥٩م ١٤٣هـ/٦٥٩-٧٦٠م(٧). ففى عام ١٤٢هـ/٧٥٩م احتل الأمير صـــالح بن على مدينة

١- خليفة بن خياط: تاريخابن خياط، القسم الثانى، ص٦٤١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٥٠٠؛ وأيضا: حسن احمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، القاهره بدون تاريخ، ط٥، دار الفكر العربى، ص١٦٣.

٢- البلاذرى: فتوح البلدان: القسم الأول، ص٢٢٣؛ ابن الاثير: الكامل، جـ٥، ص٤٨٨؛وأيضا: Canard, Byzantium and the muslim, C.M.H.,1967, P.704

٣-وهى من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، بينهما وبين البحر ٢٤ كيلومترا، انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٥٥٤.

٤-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٦٤١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٥١٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٥٠٠.

٥-البلاذرى: فتوح البلدان: القسم الأول، ص١٩٦؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٢٠- ١٢١؛ الذهبى : العبر، جـ١، ص١٨٩.

٦- هى فتنة ابنى عبد الله بن الحسن بن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب.انظر : الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٥٠٠؛ ابن الأثير:الكامل، جـ٥، ص٤٨٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٣٢ أصحاب هذا الرأى.

٧-هذا بالإضافة إلى صائفة ترميم وعمران قلاوذية و المصيصة عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م.

أدنة، وأعاد بنائها وتسكينها بعدما تعرضت لزلزال، وأنشأ فيها حامية عسكرية وقلعة في مواجهتها. وقد حرص على أن يكون جنود هذه الحامية من خراسان، لأنها من ثغورهم(١). هذا، بالإضافة إلى أنه في هذه السنة أيضا تم ترميم مرعش، ونقل سكانها إلى فلسطين، وتزويدها بحامية عسكرية، وذلك ضمن السياسة العامة للخليفة بشأن تنظيم وبناء مناطق الثغور. وقد قام بهذا قائده صالح بن على والى الشام، الذى منحه الخليفة صلاحيات كبيرة لتنفيذ هذه السياسة (٢).

كما يذكر المؤرخ اليوناني ثيوفان، فإنه في عام ١٤٣هـ/٧٥٩-٧٦٠م، بينما كان الإمبراطور في حالة حرب مع البلغار، أرسل الخليفة حملة إلى الحدود بقيادة أخيه عباس،الذى توغل فى أسيا الصغرى، وأنزل هزيمة باستراتيجوس ثيم الأرمنياك، فى مكان على نهر ميلاس Melas (نهر القباقب عند العرب) غرب ملطية، بإقليم قيصرية، وتمكن من أسر اثنين وأربعين شخصا يصفهم المؤرخ ثيوفان بأنهم من الشخصيات البيزنطية الهامة، هذ إلى جانب عودته بمجموعة أخرى من الأسرى والغنائم(٣). واعتبارا من هذه الحملة توقف النشاط الإسلامي مدة ثلاث سنوات في مابين عامي ١٤٢هـ/٧٥٩-٧٦٠م و١٤٦هـ/٧٦٣م وليس ست سنوات كما ذكر كل من الطبري وابن الأثير وابن خلدون.

ومن تتبع حركة الصراع في الفترة السابقة نجدأن النشاط البيزنطى قد توقف منذ عام ٧٥٥م/١٣٨هـ بعد الاستيلاء على ملطية. وذلك لأن الإمبراطور أدرك أنه من الصعوبة بمكان أن يحارب في جبهتين في وقت واحد ضد المسلمين وضد البلغار، ومن هنا كان الهدوء البيزنطى على الجبهة الشرقية حتى يتفرغ الإمبراطور للجبهة الشمالية البلغارية.

١-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٦٤٧؛ البلاذرى : فتوح البلدان القسم الأول، ص١٩٩؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧ ، ٥١٠.

٢- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٢٤.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.868; Cf. Also: Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H.,1967, p 704; Anastos,Imperial Rule,C.M.H.,1967, Vol IV,p.74. وأيضا: لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٢.

وقد هدد البلغار الحدود البيزنطية لقربهم من العاصمة(١)وواجهه قسطنطين الخامس هذا التهديد ببناء التحصينات (٢)، فأضاع ذلك على البلغار فرصة الحصول على الغنائم، مما هدد حياتهم، فطلبوا من الإمبراطور تعويضهم بدفع جزية، ولكنه رفض فاندلعت الحرب(٣)، وشن عليهم تسع حملات متتالية، وأدى ذلك إلى أن أطلق عليه سفاح البلغار(٤) واستمرت هذه الحرب من عام ٧٥٥م/١٣٨هـ حتى عام ٧٦٤م/١٤٧هـ حين عقدت هدنة بين الطرفين (٥)، ثم نُقضت واستؤنفت الحرب عام ٧٧٢م/١٥٦هـ واستمرت حتى ٧٧٥م/١٥٩هـ واستعادت بيزنطة مكانتها فى شبه جزيرة البلقان(٦).

١- Theophanes, chronographia,Col. 868; Nicephorus, Breviarum,Col.976.راجع كذلك: حسنين ربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة (دار النهضة المصرية) ١٩٨٢م، ص١١٥.

٢- سبق أن أشرنا إلى أنه وَطّن في تراقية السكان الأرمينيين والسوريين الذين اخذهم من ثيودو سيوبوليس وملطية وأقام لهم حصون لمواجهة البلغار. انظر Nicephorus, Breviarum, Col. 937.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 865.

٤- Theophanes, Chronographia, Col. 977; Nicephorus, Breviarum, Cols. 976-977; Cf,Also: Lombard, Contantin V,p. 59.وأيضا: وسام عبد العزيز فرج: دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الإسكندرية ١٩٨٥م، دار المعرفة الجامعية، ص٨٩.

٥- Theophanes, Chronographia, Cols. 873,904-905 ; Cedrenus, Historiarum, Col. 889;Joannes Zonaras, Annalium, Ed Migne, Patrologia, Graeca, tome Cxxxiv- cxxxv, paris, 1864, Cols. 1337-1340.وكان الإمبراطور قد قام بتسكين بعض قبائل البلغار فى آسيا الصغرى فى ثيم الاويسيكيون فى عام ٧٦٢م/١٤٥هـ، وذلك عندما شرع فى التفاوض مع باجان أمير البلغار لإبرام الهدنة. انظر: Nicephorus, Breviarum, Col.980; Cedrenus, Historiarum, Col. 889.

٦- Theophanes, Chronographia, Col. 868; Nicephorus, Breviarum, Col 980; Cf. Also : Charanis, p., The Slavic Elements in Byzantine Asia Minor in the Thirteenth Century, in "B" , tome XVIII, Bruxelles, 1948, pp. 76-7 8.

وهكذا كان استغراق الإمبراطور قنسطنطين الخامس فى هذه الحروب على حساب اهتمامه بالجبهة الإسلامية. فسنحت بذلك للخليفة المنصور الفرصة سواء لترميم الحصون وبنائها، أو لتسيير الصوائف إلى مناطق الحدود وعمق آسيا الصغرى كلما سمحت الظروف بذلك (١). وقد وجد الخليفة فى قائده صالح بن على خير منفِّذ لسياسته التى سار عليها المنصور، والتى استهدفت إضعاف الإمبراطورية البيزنطية دون مهاجمة عاصمتها القوية (٢).

وإذا كان الإمبراطور قد اكتفى بمجرد صد الإغارات العربية، غير أن غزوات المسلمين لم تؤد إلى فتوحات واستؤنف النشاط العباسى بصائفتين فى عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م: واحدة بقيادة جعفر بن حنظلة البهرانى، وإن لم تشر إليها المصادر البيزنطية بكلمة واحدة(٣) والثانية بقيادة ملك بن عبد الله الخثعمى، وهو من اهل فلسطين. وتجاوزت هذه الصائفة الحدود البيزنطية، وتم الاستيلاء على غنائم كثيرة، وأسر أعداد كبيرة. وقد بدأت شهرة هذا القائد مع هذه المعركة، حتى أنه عرف بعد ذلك باسم مالك الصوائف. وهذا يحمل البعض أحيانا على الخلط بين اسمى مالك وملك (٤).

١- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول ، ص١٩٩؛ وأيضا: Nigeon, G., Manuel d, Art, p.28.

٢- Cedrenus, Historiarum, Col. 889.

٣- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٦٥٦؛ ابن الأثير : الكامل جـ٥ ، ص٥٧٦.

٤- ويذكر البلاذرى أن هذا القائد استولى فى أحد الصوائف على غنائم طائلة وقام بتوزيعها فى موضع يسمى الرهوة، أطلق عليه بعد ذلك باسم رهوة مالك وهو يبعد ثلاثين كيلو مترا عن درب الحدث. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان. القسم الاول،ص٢٢٧، ص٢٢٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٥٧٦. وفى معرض حديث ابن خلدون عن هذه الصائفة، ذكر أحداثها ضمن أحداث عام ١٤٧هـ/ ٧٦٤م، لاعام ١٤٦هـ/٧٦٣م، كما ذكر أن الغنائم وزعت فى الحدث لا الرهوة. ولكن، لايؤيد رواية ابن خلدون أحد من المؤرخين المعاصرين. كذلك فقد سمى مكان توزيع الغنائم برهوة مالك نسبة إلى اسم قائد الصائفة. فإذا كان ابن خلدون سمّاها الحدث، فإن ذلك يرجع -فى تقدير الباحث- إلى قرب الرهوة من الحدث التى تتمتع بشهرة أكبر من الرهوة قبل أن يضفى عليها اسم القائد. انظر ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٣٣. وللمزيد انظر: حسن محمود وأحمد الشريف: العالم الإسلامى، ص١٦٤.

ولكن لم تستمر الأمور كما تريد الخلافة العباسية، فقد بدأ خطر الترك والخزر يظهر من جديد فى ١٤٦هـ/٧٦٣م، ليشتت تركيزها عن خصمها التقليدى بيزنطة. فتمكن قائدهم استرخان الخوارزمى من تهديد منطقة أرمينيا، وعاث فساد فى منطقة تفليس (١)، وأسر أعدادا كبيرة من المسلمين (٢). فأرسل الخليفة قائده جبريل بن يحيى ومعه حرب بن عبد الله، وكان مقيما على الموصل، لمواجهة هذا الخطر. ولكن نظرا لضخامة جيش الخزر انهزم العباسيون وقتل حرب بن عبد الله ومعه آخرون (٣). لذلك أعاد الخليفة محاولة وقف هذا الخطر فى العام التالى ١٤٧هـ/٧٦٤م؛ فأرسل واحدا من أفضل قادته وهو حميد بن قحطبة (٤). ولكن الخزر تخوفوا من جيش المسلمين فآثروا التراجع ورحلوا عن مواقعهم (٥). وأهم ما يمكن الإشارة إليه أنه كان على الخليفة المنصور أن يدخل ضمن نشاطه مواجهة خطر الخزر، جنبا إلى جنب مع مشاكله الداخلية ويرى المؤرخ اليونانى كدرينوس أن القسطنطينية هى التى أثارت غزوات الخزر أثناء مواجهة خطر البلغار (٦). ولهذا فقد شهد عام ١٤٧هـ/ ٧٦٤م هدوءا فى نشاط المسلمين على الجبهة البيزنطية، إذا لم تسيِّر

١– هى مدينة كبيرة من مدن مقاطعة أران الواقعة جنوب غرب بحر قزوين. وعن هذه الأحداث انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص١٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٥٧١؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٢ ص٩٢.

٢– يقول المؤرخ بارهيبرايوس أن عدد هؤلاء الأسرى خمسين ألف. انظر: Bar Hedreaus, The Chronography,p. 114 ونظرا لأننا لم نجد فى المصادر الأخرى ما يؤيد صحة هذا العدد. فمن المحتمل أن الأمر لايخلو من مبالغة.

٣–ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٥٧٧؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٩٢.

٤–ويذكر أنه كان منتظما فى سلك وزراء السفاح. انظر غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء تأليف وترجمة وتعليق حربى أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطى الصياد، القاهرة ١٩٨٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٥٥.

٥– اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣٤؛ الطبرى تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٧؛وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col. 873.

٦– Cedrenus, Historiarum, Col.889;Cf, Also: Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H 1967,p.704.

الأصائفتان محدودتان الأهمية: الأولى انفرد بذكرها المؤرخ أحمد بن زينى دحلان، ولم يذكر لها تفاصيل سوى أنها كانت بقياده العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث (١). أما الصائفة الثانية فكانت بقيادة صالح بن على الذى عسكر بدابق ولكنه لم يغز (٢).

واستمر النشاط البرى للمسلمين على الجبهة البيزنطية هادئا فى عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م، بسبب استمرار خطر الخزر والترك الذين هاجموا الحدود الشمالية، وسقوط الكثير من القتلى من الجانبين. والغريب أن المصادر العربية أغفلت ذكر هذا الهجوم، بينما انفرد بذكره المؤرخ اليونانى ثيوفان. ومن الربط بين رواية ثيوفان هذه وبين رأى كدرينوس السابق والخاص بدور بيزنطة فى إثارة الخزر على المسلمين،علما بأن ثيوفان هو مصدر عديد من المصادر التالية له ومنها كيدرينوس، يتأكد دور بيزنطة فى إثارة الخزر ضد المسلمين (٣). ولكن شهد ذلك العام نشاطا إسلاميا بحريا يحدده المؤرخ السيوطى بأنه كان ضد قبرس، بينما يقول المؤرخ نقفور البطريرك إنه كان ضد صقلية (٤)، ويؤكد الأخير أن الأسطول الإسلامى خرج من أفريقيا فى اتجاه صقلية. ولكن نقاط الحراسة الموجودة على سواحل الجزيرة قاومت الهجوم مقاومة عنيفة، فعادت الحملة دون أن تحقق هدفها. وعن تحديد الجزيرة التى قصدتها هذه الحملة، يميل الباحث إلى القول بأنها صقلية، استنادا إلى السيوطى ونقفور ونظرا لأن نقفور كان معاصرا للأحداث، ولأن قبرس كانت تعيش فترة هدوء منذ عام ٧٤٦م/ ١٢٩هـ، فإن صقلية تكون هدف هذه الحملة وليس قبرس (٥).

١-أحمد بن زينى دحلان: الفتوحات، جـ١، ص٢٧٤. . أما الأشعث فكان هو الأكبر سنا، وتولى إمرة مصر فى عهد المنصور (١٤١-١٤٢هـ/٧٥٨-٧٥٩م) انظر: الذهبى: دول الإسلام، ص١٠٢.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ص٢٨.

٣-Theophanes, Chronogrphia, Col.877.

٤-السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤١٧ وأيضا Nicephorus, Breviarum, Col. 981.

٥-ويؤيد الدكتورطرخان الرأى القائل بأن صقلية كانت هدف الحملة. انظر: إبراهيم على طرخان: المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى. القاهرة ١٩٦٦م، ص٨٩.

ورغم أن بيزنطة قد عقدت اتفاقية صلح مع البلغار في ٧٦٤م/ ١٤٧هـ، فالمفروض أن تتفرغ الآن لعدوها التقليدى وهو المسلمون في الجبهة الشرقية؛ ولكن هذا لم يحدث. والحقيقة أن قنسطنطين الخامس كان يعلم أن اتفاقيته مع البلغار هي هدنة مؤقتة عليه أن يحسن استغلالها في إعادة تقوية جيوشه وحصونه. فكلما قرب البلغار من عاصمته زاد خطرهم. وهكذا فإنه كان يخفي استعداده من أجل أن يريح بيزنطة من ذلك الخطر. لذلك استمر هدوء النشاط البيزنطي على الجبهة الشرقية . ولكن كان الطرف الأخر يعاني مشاكل كامنة تظهر على فترات. لذلك كانت السمة الغالبة في تلك السنوات هى الهدوء العام، وإن غلب على النشاط صفة المناوشات والإغارات فى شكل صوائف مستمرة، لم تكن لها صفة التوسع، ولم تصادف مواجهات قوية أو معارك كبرى. لهذا استمرت حركة الصوائف التى لم يكن لها نتائج إيجابية. فرغم خروج العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة على رأس جيش ضخم فى١٤٩هـ/ ٧٦٦م من ملطية إلى كمخ (١)، التى تعرضت لحصار عباسى وتمكنت من مقاومته إلا أن الجيش العباسى انسحب بمجيء الشتاء. بل أن الجيش البيزنطى هاجم بعض الفلول المنسحبة من ناحية قيصرية، فسادت الفوضى صفوفهم وهربوا فى إتجاه ملطية وثيود وسيوبوليس (٢) وهكذا لم تحقق هذه الصائفة شيئا، مثلها مثل تلك التى خرجت بعدها فى نفس السنة، وبنفس قادة الصائفة السابقة مضافا إليه محمد بن الأشعث، الذى توفى فأجبرتهم وفاته على الرجوع (٣).

ثم حدث أن تعرضت الخلافة العباسية عام ١٥٠هـ/٧٦٧م لواحدة من حركات الموالى الفرس فقد اشتركت بعض جيوش وأهالى خرسان مع قائد هذه الحركة وهو استاذسيس(٤)، فى الخروج على

١-عن موقعها وأهميتها انظر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص٦٦.

٢- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٦٥٦؛ وأيضا:
Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H., 1967, pp. 704-705; Brooks the Struggle, C.M.H., 1936,p. 122

٣-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ص٢٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٥٩٠؛ الذهبى : العبر، جـ١، ص٢١١؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٣.

٤-بدأ خروج هذا الأمير عام ١٣٧هـ/ ٧٥٤م وكان أغلب أتباعه من أهل الجبال، وهى مناطق الخرمية التى زاد خطرها بعد ذلك. انظر: محمد سالم بن شديد العوفي:الخرمية فكريا وتاريخيا، مقال بمجلة كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد السابع،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٤.

الخلافة العباسية والاستيلاء على معظم خراسان، وهزم جانب كبير من جيوش المنصور التى حاولت مقاومته. وأخيرا تمكن قائد المنصور. خازم بن خزيمة من هزيمته فى ١٥١هـ/ ٧٦٨م(١) وهكذا لم تشهد تلك السنة أى صوائف بسبب هذا الخطر. وكذلك ففى السنة التالية ١٥١هـ/٧٦٨م، وهى السنة التى قضى فيها على هذا الخطر، نجد أن الصائفة التى خرجت بقيادة عبد الوهاب بن إبراهيم لم تدخل إلى الحدود البيزنطية، أى أنها لم تُدْرب (٢). واكتفى الخليفة بإرسال صالح بن على، والى شمال الشام ومناطق الحدود، لإعادة تحصين مرعش (٣).

ورغم هذه الثورة التى أعاقت النشاط الإسلامى فى عامى ١٥٠-١٥١هـ/٧٦٧-٧٦٨م، فلم تكن بيزنطة هى الأخرى فى وضع يسمح لها باستغلال الفرصة، على الرغم من أنها كانت فى فترة هدنة مع البلغار من الناحية الشكلية فيما بين عامين ٧٦٤ و٧٧٢م/ ١٤٧-١٥٦هـ. ولكن تعرضت بيزنطة لموجة عنيفة من الجفاف اجتاح العاصمة، وصاحبه العديد من الحرائق، ومع ندرة المياه أصيبت الحياه بالشلل. ومرة أخرى تكشف الأحداث عن معدن هذا الإمبراطور، فقد اتخذ من التدابير ما كفل حماية البلاد، وحارب قطّاع الطرق، وأمّن الطريق والبلاد وأمّد العاصمة بمصدر جديد للمياه بأن أصلح قناطر اولينو Ualeno فى العاصمة وقد سبق وأن انهارت منذ مائة وخمسين عام وسرعان ما استعادت البلاد حالة الازدهار والرواج الاقتصادى الذى ميز عصره(٤).

١-خليفة بن خياط: تاريخ بن خياط، القسم الثانى، ص٦٥٨؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٩، ٣٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص٤٨٣، ٥٩١.

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٩، ٤١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٦٠٧، ابن شداد: الأعلاق، ص٥٣.

٣- الذهبى : دول الإسلام، ص ٤٠١؛ وأيضا : Canard, Byzantium and The Muslim, C. M. H., 1967, P .705.

٤- Theophanes, Chronographia, col. 888; Nicephorus, Breviarium, col. 988. وقد نجح فى استعادة الانتعاش الاقتصادى الذى ميّز عصره، حتى أن ٦٠ مكيالا من القمح كان ثمنها نوميسما واحدة Nomisma والتى تساوى $\frac{1}{72}$ من رطل الذهب، بينما كان ثمن المكيال الواحد اثنتى عشرة نوميسما. للمزيد من التفاصيل انظر: Theophanes, Chronographia, col. 888; Cf. Also : Finlay, Byzantine Empire, P.53; Oman, Dark, PP. 316-317; Peter Charanis, On The Social Structure of The Later Roman Empire, in "B", vol. 17, 1944-1945, P.43;David, T., Rice., The Byzantines, P.145.

ولكن اعتبارا من العام التالى بدأ تزايد قوة النشاط الإسلامى. ففى ١٥٢هـ/ ٧٦٩م هاجم العباس بن محمد إقليم سميساط (١) وأسر العديد من السكان (٢)، ونقل الكثير منهم إلى أرض الرملة عاصمة اقليم فلسطين إحدى ولايات الشام. وقد فعل الخليفة هذا لشكه فى كونهم أعوانا وجواسيس للبيزنطيين، ونقلهم مثلما سبق أن نقل أهالى ملطية ومرعش إلى فلسطين، لأنه كان يرى أن الاستحواذ والسيطرة على هذه المدن غير مؤكد، لذا فضل أن تكون بها حاميات قوية (٣). وفى نفس السنة أيضا خرجت صائفة بقيادة عبد الواهاب بن إبراهيم، ولكنه لم يَدْرِب، كما حاول العباس بن محمد الوصول إلى حدود أرمينيا، ولكنه تراجع أمام الجيش البيزنطى المعسكر فى هذه المناطق(٤).

ثم تتعرض المصادر البيزنطية لاتفاق بين البيزنطيين والمسلمين لتبادل الأسرى،

١- ابن خرداذبة : المسالك، ص ٧٣، ٩٧، ١٧٤.

٢- Bar Hebreaus, the Chronography, P.114; Cf. Also: Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H., 1967, P.705. انظر أيضا : عليه عبد السميع الجنزورى : الثغور، ص ١٣٤، ص ١٥٤.

٣- Bar Hebreaus, the Chronography, P. 114' Cf. Also : Finlay, Byzantine Empire, P.48.

٤- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٦٠٨؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ٩٨؛ وأيضا : Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H., 1967, 705; Brooks, the struggle, C.M.H., 1936, P.112.

لم تشر إليه المصادر العربية، خلافا للتبادل السابق للأسرى فى ١٣٩هـ/٧٥٦م الذى ذكره كل من الطبرى وابن الأثير وابن كثير دون المصادر البيزنطية. وقد تم هذا التبادل على منطقة الحدود، غير أننا لم نصل إلى تحديد الموقع بدقة من هذه المصادر، على أن ذلك كان يتم فى العادة على نهر اللامس (١). وفى هذه المرة كان يتم التبادل رجلا برجل، وامرأة بامرأة، وطفلا بطفل. ويقال ان الخليفة اشترط أن يطلق الأسرى لحاهم ويغطوا رؤوسهم بأغلبية تنساب حتى منتصف الكتف ولم يحدد المؤرخ ثيوفان(٢) الأسرى الذين اشترط عليهم المنصور ذلك ويعتقد أنه يقصد الأسرى المسلمين، نظرا لأنه يتفق مع تعاليم الإسلام.

وبنظرة إلى عملية تبادل الأسرى السابقة، نجد أن انشغال الإمبراطور بالبلغار كان الدافع لطلب هذا الإتفاق، كما كان محاولة متبادلة لإنقاذ حياة أعداد كبيرة من أسرى الطرفين، وجعل الحرب المستقبلية بينهما أخف وأقل وحشية. غير أنه، بطبيعة الحال، لم يضع نهاية للعداء التقليدى المستمر على حدود الدولتين الكبيرتين (٣).

ففى عام ١٥٣هـ/٧٧٠م، اتخذ المسلمون أيضا زمام المبادرة. فقد خرجت صائفتان: الأولى بقيادة معيوف بن يحيى الجورى، ولكنه لم يَدْرِب (٤)، والثانية بقيادته أيضا، ونجح فى دخول أحد الحصون البيزنطية الشمالية ليلا، وأسر أعدادا كبيرة، ثم توجه بعد ذلك إلى اللاذقية، ففتحها وسبى منها أعداد كبيرة (٥).

١- ابن خرداذبة : المسالك، ص ٢٥٨. انظر الخريطة رقم ٦.

٢- Theophanes, Chronographia,Col.889; Cedrenus, Historiarum, col. 897.

٣- Theophanes, Chronographia, col.897; Cf. Also : Finlay, Byzantine Empire, P.49, 52.

٤- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٦١٠.

٥- يقدر عددهم بستة آلاف من المقاتلين عدا الرجال. انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٣؛ النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ٩٩-١٠٠؛ وأيضا : Canard, Byzantium and The Muslim, C.M.H., 1967, P. 705; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967, P. 74.

ولما كان المنصور قد اهتم بتوجيه حملة إلى افريقيا لحرب الخوارج بها عام ١٥٤هـ/ ٧٧٠-٧٧١م، كلفته كثيرا من المال والعتاد (١)، لذلك لم يُسيِّرْ فى ذلك العام سوى صائفة واحدة بقيادة زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى، أحد مشاهير قادة المنصور، الذى وصل إلى نهر الفرات ودخل المصيصة، وتوغل وعاد من درب مرعش حاملا الكثير من الغنائم (٢) والأسرى الذين يحددهم ثيوفان بحوالى خمسمائة أسير (٣).

وتجدر الإشارة إلى أن الصوائف العباسية كانت تسير وفق خطة منظمة مرسومة فى مناطق الحدود. فهناك صوائف على حدود خط الدفاع الأول وهو خط الدفاع النهرى وقد رأينا مجموعة الصوائف على الحدث ومرعش وملطية. وهناك صوائف على خط الدفاع الثانى وتشمل الخط الساحلى وقد رأينا مجموعة الصوائف على المصيصة وأدنة واللاذقية.

أما صائفة عام ١٥٥هـ/٧٧١م فلم تحقق أى نجاح؛ فقد فشل الجيش العباسى فى حصار أحد الحصون البيزنطية، الذى يقال إنه حصن دوريلة غرب ملطية (٤)، ولم يرد ذكر لهذه الصائفة فى المصادر العربية، بينما ذكرتها المصادر البيزنطية قائلة إنه سقط فيها ألف قتيل (٥).

وبينما يحدد ثيوفان قائد هذه الصائفة بأنه الفضل بن دينار. إلا أن الباحث يؤيد رأى المؤرخ اليونانى كدرينوس الذى يرى إن قائد هذه الصائفة هو فادالوس Phadalus وفى موقع سابق أشار إلى صائفة سمى قائدها بهذا الإسم، الذى

١- تكلفت هذه الحملة ثلاثة وستين ألف درهم، إذ بلغ تعداد الجيش خمسين ألف مقاتل، أرسلوا لمواجهة هذا التمرد الذى قتل عامل افريقيا عمر بن حفص. انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٤. راجع أيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 900.

٢- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٣؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٤؛ ابن خردا ذبة : المسالك، ص ٩٩، ١٧٠-١٧١.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 900.

٤- ابن خرداذبة : المسالك، ص ١٠٢-١٠٣، ١١٣.

٥- Theophanes, Chronographia, Cols. 900-901.

يقابله فى المصادر العربية اسم العباس.فالأغلب أن قائد هذه الصائفة هو العباس أيضا. ويمدنا هذا المؤرخ بتفاصيل عن معركة هذه الصائفة، التى رجحت الكفة فيها لصالح المسلمين فى بداية الأمر، حتى أنهم تمكنوا من أسر خمسمائة من البيزنطيين، ثم تحول الموقف بعد ذلك إلى هزيمة. نتيجة وصول إمدادات بيزنطية من المصيصة، تمكنت من تحقيق تفوقا على الجيش العباسى، وتحويل الهزيمة إلى نصر(١).

استجدت التهديدات الأرمينية والخزرية للمسلمين مرة أخرى وشغلت انتباهم. ففى أرمينيا شبت حركة تمردات بحجة إساءة العمال المسلمين معاملة الأرمن وكثرة جباية الضرائب، ونجح الإمبراطور قنسطنطين الخامس فى الاتصال بهم، وإيجاد علاقة طيبة معهم على حساب المسلمين، وأصبحوا يمثلون شوكة فى جنب الحدود الإسلامية (٢). وكانت أشد الثورات تلك التى حدثت عام ١٥٥هـ/٧٧١م، والتى تزعمها أرتافازد ماميكونيان.وتكمن خطورة هذه الثورة فى أن الأرمن طلبوا مساعدة بيزنطة ضد العباسين(٣) ولكن انشغال الإمبراطور بالتجهيز لاستئناف حروبه ضد البلغار فى العام القادم ٧٧٢م/١٥٦هـ، فضلا عن رغبته فى عدم إثارة المشاكل مع العباسيين، جعلاه يرفض هذا الطلب (٤) هذا إلى جانب أمور أخرى لايمكن إغفالها، مثل المشكلة المزمنة التى عاصرت حكم قنسطنطين الخامس، وهى موضوع عبادة الأيقونات، بجانب أنه يريد أن يحتفظ بالحد الأدنى

١- ويؤيد أنه سقط من العباسيين ألف قتيل. انظر Theophanes, Chronographia Cols 990-901; Cedrenus, Historiarum, Cols 897-900. بينما يقول الطبرى. أن قائد هذه الصائفة هو يزيد بن أسيد السلمى. ولم يزد عن هذا. انظر الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٦.

٢- Pasdermadjian, Histoire De L'Armenie, PP. 129-130.

٣- Chevond, Guerres, PP. 132-133.

٤- عبد الرحمن محمد عبد الغنى : أرمينية وعلاقتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ٦٥٣-١٠٦٤م/٣٣-٤٥٧هـ. الإسكندرية ١٩٨٣م، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، ص ٢٢٤. وإن كان مصدره فى هذه الرواية - انشغال الإمبراطور بالبلغار - هو صاحب صلة ثيوفان علما بأن أحداث صلة ثيوفان هذه لاتبدأ إلا بأحداث عام ٨١٤م/١٩٩هـ بينما هو يتناول حادثة وقعت عام ٧٧١-٧٧٢م/١٥٥-١٥٦هـ.

من التعامل مع العباسيين، خاصة وإنه كان يميل فى ذلك الوقت ,ى التلميح لهم بالصلح ومن هنا تم تبادل الأسرى مرتين قبل ذلك.

كان انشغال العباسيين بجبهة الأرمن، فى هذه الظروف، انعكاسا لهذا الخطر . فمع خطورة تمردهم، ورفضهم الطاعة، وتهديدهم بالانضمام إلى الإمبراطورية البيزنطية وطلب المساعدة منها، هذا جعل المسلمين لايدخرون وسعا لمواجهتم. لذا أرسل الخليفة المنصور قائده عامر بن إسماعيل عام ١٥٦هـ/٧٧٢م على رأس قوة مؤلفة من ثلاثين ألف جندى. وبعد سلسلة من المعارك المتقطعة حقق المسلمين عددا من الانتصارات لم تكن كافية لحسم الموقف والقضاء على قوة الأرمن. وقد حسمت هذه الانتصارات فى عام ١٥٩هـ/٧٧٥م (١). وقد تصادف فى تلك السنة أن أرسل الخليفة أيضا قائده يزيد بن أسيد السُلمى إلى بحر الخزر لإخماد تمرد للخزر (٢).

أما المعسكر البيزنطى، فلم يكن هو الآخر أحسن حالا فى ذلك الوقت.ففى الداخل سيطرت عليه مشكلة الأيقونات (٣)، وفى الخارج كان الصراع مع البلغار على أشده. لذا لم يكن لدى الإمبراطور قنسطنطين الخامس نية مواصلة الصراع والحرب مع المسلمين من جديد (٤). وهنا تذكر المصادر العربية دون اليونانية أن الإمبراطور عرض دفع جزية تأمينا لحدوده الشرقية. ويقول الطبرى إن ذلك كان عام ١٥٦ هـ / ٧٧٢ م (٥). ويؤكد

١- Chevond, Guerres, PP.140-142.

٢- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٤، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٢٤؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٦؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٦.

٣- فى هذا المجال كان أشد عنفا من أبيه. فقد كان رجلا لاهوتيا أدخل على هذا الصراع آراءه الشخصية، وألف ما يقرب من ثلاثة عشر بحثا دينيا، لم يبق منها سوى اثنين. انظر : Paul, A., Church Councils, Variorum, London, 1978, P.496; Ostrogorsky, Byz state, PP.152-153.

٤- Ghevond, Guerres, P. 138:

٥- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٦. وقد نقل عنه كل من ابن الأثير وابن شداد ودحلان انظر : ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٥؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٤؛ دحلان : الفتوحات، ص ٢٧٦.

هذا بروكس من المؤرخين الحديثين (١) نقلا عن المصادر العربية. ورغم أن الطبرى أشار إلى موضوع طلب الصلح، إلا أنه لم يذكر بوضوح موضوع الجزية.لذا يجب معالجة هذا الأمر بحرص خاصة وإن الشواهد اللاحقة لاتؤكد وجود صلح بمقتضى هذه الجزية، إذ لم يتوقف النشاط العسكرى. بل إن بعض الآراء تقول إن المنصور رفض هذا العرض. ويؤيد الباحث وجهة النظر القائلة بأن الإمبراطور عرض الصلح مع دفع الجزية ولكن المنصور رفض هذا ويؤكد ذلك أنه فى العام التالى ١٥٦هـ/٧٧٣م يشترك الطبرى نفسه - صاحب الرأى القائل بعقد صلح - فى ذكر أخبار عن صائفة بقيادة أحد قادة المنصور، وهو زُفَر بن عاصم الهلالى، الذى أغار على مشارف حدود بيزنطة فى آسيا الصغرى، فى منطقة تسمى قنبة وقُونية (٢). واذا كانت المصادر العربية فقط هى التى أشارت إلى هذه الصائفة، فقد انفرَدت المصادر البيزنطية بالإشارة إلى واقعتين حدثتا فى نفس العام. الأولى : هى أن الخليفة نفسه خرج على رأس جيش مكون من ثمانين ألف مقاتل من رجاله إلى كمخ. وقد فوجىء قائدها البيزنطى بهذا الهجوم، ولقى هزيمة من المسلمين، وإن كان الخليفة قد حاول دخولها بعد أن حاصرها، واستمر الحصار حتى الشتاء فعاد ادراجه (٣). أما الواقعة الثانية فهى أن القائد العباسى ثمامة بن وقاص خرج على رأس صائفة متجهة إلى الحدود

١- Brooks, The Byzantines and The Arabs in the Time of Early Abbaside, in. "E.H.R." London ,1900, Vol XV, PP. 728-747; Brooks, The Byzantines and The Arabs, E.H.R., Vol XVI, London 1901, PP. 84-92. ويؤكد بروكس أن الجزية قد دفعت بالفعل. وتؤيد هذا الرأى أيضا الدكتورة سيدة الكاشف. انظر: سيدة إسماعيل الكاشف : دراسات فى النقود الإسلامية، مقال بمجلة الجمعية التاريخية، مجلد رقم ١٢، القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٠٢.

٢- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٥؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٢٤؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٥٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ١١. وان كان النويرى يخرج على هذا الإجماع بقوله إنه لم يكن فى هذا العام من الحوادث ما يذكر فى هذا الموضع. انظر : النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ١٠٠.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 896. وتجدر الاشارة إلى أن الترجمة الانجليزية لهذه الحولية قد اغفلت القول أن جيش الخليفة كان يتكون من ثمانين ألف رجل. انظر : Turtledove, H , The Chronicle of Theophanes, PP.131-132.

البيزنطية، ونجح فى العودة بأعداد هائلة من الأسرى (١). وهذا يؤكد استمرار النشاط الحدودى بين القوتين المتصارعين، دون أن يوقفها اتفاق أو صلح أو جزية.

كذلك شهد عام ١٥٧هـ/٧٧٣م صائفة ليزيد بن أسيد السلمى، ، وتمكن من مهاجمة بعض حصون آسيا الصغرى، والاستيلاء على الغنائم وأسر السبايا (٢). وهناك صائفة أخرى اكتفت المصادر العربية بذكر اسم قائدها فقط (٣).

ثم شهد عام ١٥٧هـ/٧٧٣م أشد نشاط عسكرى شهدته العلاقات البيزنطية الإسلامية قبل نهاية عهد كل من الإمبراطور قنسطنطين الخامس والخليفة المنصور فقد خرجت حملة برية بحرية إسلامية إلى قبرس، دليلا على استمرار نشاط البحرية الإسلامية وعدم توقفه بعد قيام الخلافة العباسية، من موانى الشام بقيادة ثمامة بن وقاص، الذى يسميه ثيوفان باسم Banaces. . وقد نجح ثمامة فى الوصول إلى مدينة سيك Syke بالقرب من أيسوريا وحاصرها (٤)، فأرسل الإمبراطور جيشا بريا وبحريا. وكانت القوات البرية تتألف من ثيمات الأناضول وأرمينيا والبوكلارى، كما ضمت عددا من مشاهير قادة هذه الثيمات مثل ميخائيل قائد ثيم الأناضول، وبارادنيس قائد الثيم الأرمينى، وبانيس Banes قائد الثيم البوكلارى وقد توجهت هذه القوات إلى اقليم ايسوريا واحتلت الطرق التى سيعبرها المسلمون فى عودتهم. أما القوات البحرية فكانت تتألف من ثيم كبير هايوت الذى تولى قيادته قائد الثيم نفسه وهو بطرس الوزير الأول. وانقسمت هذه القوات قسمين، توجه أولهما إلى المياه الاقليمية أمام شاطـــىء ايسوريا لقطع الاتصال بين القائد العباسى ثمامة وبين سفن الشـــام، وتحصّن الثانى بميناء قبرس للدفـــاع عنها فيمـــا لو وصـــل

١- Theophanes, Chronographia, col. 897.

٢- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٦؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٨٣؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ١٣؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٤.

٣- هو زفر بن عاصم كما يذكر الطبرى. ويذكر أن هذا القائد كان واليا على اقليم الجزيرة إلى ان عزله الخليفة المهدى عام ١٦٣هـ/٧٧٩م، انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٥٣؛ ابن الأثير الكامل، جـ٦، ص ٦١.

٤- Theophanes, Chronographia, col. 897.

إليها المسلمون (١). وهكذا أصبح موقف المسلمين غاية فى الصعوبة، بسبب هذا الحصار البرى والبحرى المضروب حول القائد العباسى الذى كاد اليأس يتسرب إليه. ولكنه أخذ يبث الشجاعة فى قلوب رجاله، وانطلق يهاجم الفرسان البيزنطيين مطلقا صيحات الحرب، فتفرق شمل الفرسان، وخرّب مواقع متعددة وسيطر عليها وتمكن من أن يفلت من هذا الحصار، وسار يواكبه أسطواله. وعندما اقترب من ثيم كبيرهايوت اعتلى أسطوله وتوجه إلى قبرس ودخلها وأسر حاكمها، الذى يدعى بروسوبو (٢).

ولم يشأ الخليفة المنصور أن يرهق القبارسة بجزية جديدة، بل ألغى إتاوة اضافية كان الخليفة هشام قد فرضها عليهم. وعاد المنصور إلى نفس الشروط التى كان قد وضعها معاوية(٣) .

ولما كان الإمبراطور قنسطنطين الخامس يرغب فى التفرغ للبلغار ولمشاكله الداخلية، فقد عرض مرة أخرى طلب السلام، ولكن الخليفة رفض هذا الطلب (٤)، وأرسل فى ١٥٨هـ/٧١٤م صائفة من درب الحدث بقيادة معيوف بن يحيى. ورغم لقائه مع جيش بيزنطى فى المنطقة ما بين الحدث ونهر جيحان، فقد رجع بدون نتائج (٥).

ثم كانت وفاة الخليفة المنصور فى ١٥٨هـ/٧٧٥م، وخلفه المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) (٦) الذى أغزى على الفور عمه العباس على صـــائفة اشترك فيها القائد

١- Theophanes, Chronographia, col. 900.

٢- Theophanes, Chronographia, col. 900; Cf, Also : Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H., 1967, P. 705 ولم تتعرض المصادر العربية لهذه الحملة.

٣- Theophanes, Chronographia, col. 900.

٤- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٤٦ وأيضا : Canard, Byzantium and the Muslim, C.M.H., 1967, P. 705 .

٥ -خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٦٧؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٥٧؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٣٥؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٤. انظر الخريطة رقم ٤.

٦- النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ٨٢، ١٠٣، ١٠٨.

الحسن الوصيف، وفتحوا حصنا بيزنطيا على الحدود ، ورجعوا دون خسائربينهم (١).

وبعد خمسة وعشرين يوما من وفاة المنصور، وفى شهر سبتمبر ٧٧٥ م/ذو القعدة ١٥٨هـ توفى الإمبراطور قنسطنطين الخامس فى احدى حملاته على البلغار(٢)، تاركا إمبراطورية قوية وغنية (٣)، ومطمئنا على عرش ابنه من بعده (٤).

ورغم الإنجازات التى حققها الإمبراطور قنسطنطين الخامس، فقد قام أعداؤه فى النزاع الدينى بالقضاء على المادة التاريخية التى تتناول إيجابيات عصره، ولم يبق سوى الروايات المشوهة. ولو كانت الحقائق التاريخية قد وصلتنا كاملة، لربما كنا قد أفدنا منها فى دراستنا هذه. وهكذا اختفى من العالمين البيزنطى والإسلامى اثنان من أعظم شخصيات العالم فى ذاك الوقت، شغلا الجنس البشرى طويلا بقوتيهما وبسياستيهما(٥).

ولكن بنهاية عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس تكون قد طرأت متغيرات جديدة فى توازن القوى الدولى. فإذا كان أبوه ليو الثالث قد ساهم، بسياسته الدينية، فى غرس بذرة الشقاق بين بيزنطة والبابوية، فإن سياسته فى معاملة الرهبان (٦)،

١- ابن خلدون : العبر، جـ٥، ص ٤٥١؛ انظر أيضا أحمد زينى دحلان : الفتوحات ص ٢٧٦ ولم يستدل على اسم هذا الحصن.

٢- Theophanes, Chronographia, col. 905; Georgius Hamartolus, Chronicon, col. 948.

٣- استمر أباطرة بيزنطة ينفقون من خزانة بيزنطة الزاخرة من عهد هذا الإمبراطور. انظر: Cedrenus, Historiarum, col. 900.

٤- فقد توج ابنه فى حياته، وعين اثنين من أبنائه قيصرين، أى فى أعلى مراتب الوظائف البيزنطية، كما عين اثنين آخرين نبيلين. انظر : Theophanes, Chronographia, col. 896; Nicephorus, Breviarum, col. 980; Cedrenus, Historiarum, cols. 897-900; zonaras, Annalium, col. 1340.

٥- Theophanes, Chronographia, cols, 900, 905.

٦- كانت معاملته إياهم قاسية لكونهم أشد المتحمسين للصور. انظر :
Theophanes, Chronographia, col. 900; Cedrenus, Historiarum, col. 896; Vita Stephani, Diaconus, Ed Migne, Patrologia Graeca, Tome. C, Paris 1860, cols 1112, 1172.

أضفت على هذه المشكلة اعتبارات سياسية لاتقل وزنا على الاعتبارات الدينية(١). ويضاف إلى ذلك، الدور الذى قام به فى مجلس هيريا عام ٧٥٤م/ ١٣٧هـ. كل هذا ساعد على تعميق الشقاق بين الشرق والغرب، مما جعل البابوية ترى فى الفرنجة حليفا بديلا (٢)، وبذلك أصبح الشقاق سياسيا بعد أن كان دينيا، وفقدت بيزنطة مكانتها فى إيطاليا، بل وأصبح نائب الإمبراطور فى إيطاليا - وكان فى ذاك الوقت أنتيوخوس - بدون نفوذ (٣).

وحاول قنسطنطين الخامس تدارك هذا الانهيار، فتقرب من الفرنجة عن طريق المصاهرة مع بن القصير بالزواج بين ابنه ليو وابنة بن المسماة جيزيل Gisela، ولكن يكتب النجاح لها. فحاول معه مرة أخرى بأن يقنعه بإعادة رافنا التى كان قد استولى عليها من اللمبارديين بناء على طلب البابوية، ولكن فشلت هذه المحاولة أيضا(٤). هكذا وكأن نشاط قنسطنطين الخامس على الجبهة الشرقية تجاه المسلمين، وعلى الجبهة الشمالية تجاه البلغار، كان على حساب المحافظة على السلطة الإمبراطورية فى إيطاليا، بعد أن

١- Theophanes, Chronographia, cols 884, 889.892; Nicephorus, Breviarum, cols 985-988; Cedrenus, Historiarum, col 883; Joannes IV, Antiochenus, De Monasteriis laicis non tradendis, Ed Migne, Patrologia Graeca, Tome, CXXXII, Paris, 1864, col 1128; Cf. Also : Cyril Magno, Historial Introduction, Birmingham, 1977, PP. 3-4.

٢- ساليفان : ورثة الإمبراطورية، ص ١٠٨ ؛ وأيضا : Ostrogorsky, Byz State, P. 151.

٣- حسنين ربيع : الدولة البيزنطية، ص١١٦؛ ايضا : Guilland, Patrices, P. 321.

٤- Einhard and Notker the stammerer, Two lives of Charlemagne, Translated with an Introduction by lewis thorpe, Penguin books, U.S.A., 1974, P. 3; Stephani III, Papae Epistolae, Recueil Des Historiens Des Gaules et De la France, Tome, V, Paris, 1869, P.543; Cf. Also : Pirenne, Mohamed and Charlemagne, New York, 1939, PP.226-227.

حلت فيها الفرنجة محل بيزنطة، التى كانت عاجزة عن حماية مصالح البابوية أولا ومصالحها ثانيا (١).

وبذلك أصبح الغرب الأوربى يضم قوتين، الأولى الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، والثانية دولة الفرنجة وعاصتها اكس لاشابل، باعتبارها دولة منافسة لبيزنطة، وبذلك اهتز بعنف استقرار غرب أوربا كذلك، ، فعقب سقوط الدولة الأموية أصبح العالم الأسلامى يضم قوتين: الأولى الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد، والثانية الإمارة الأموية المنفصلة فى الأندلس، وعاصمتها قرطبة، باعتبارها دولة منافسة للعباسين. ونظرا للاحتكاك الجغرافى بين دولة الفرنجة والإمارة الأموية فى الأندلس، والوضع السياسى للفرنجة باعتبارها قوة منافسة لبيزنطة التى هى الخصم اللدود للمسلمين فى الشرق، كان التقارب بين العباسيين والفرنجة (٢)، فى نفس الوقت التى اتخذ فيه البيزنطون من الأمويين فى الأندلس، وهم خصوم العباسيين، صديقا جديدا لهم فى مواجهة بغداد وهكذا أصبح العالم يواجة منعطفا جديدا فى العلاقات الدولية، إذ زادت القوى المهيمنة على أحداثه وأصبحت المصالح المشتركة هى التى ستوجه الأحداث التالية.

١- Vulgo Eginhardo Adscripti, Annales Rgum Pippini et Caroli, R.H.G.F., Tome, V,P.198.

٢-وبدأت السفارات المتبادلة بينهما عام ٧٦٢م/ ١٤٥هـ من بين إلى المنصور، وبعد ثلاث سنوات كان رد هذه السفارة التى حملت الهدايا إلى المنصور. انظر : عزيز سوريال: العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٣-٢٤؛ عبدالعزيز سالم:العصر العباسى الأول، ص٢٤٣.

الفصل الثالث

العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية

فى عهد الإمبراطور ليو الرابع

٧٧٥-٧٨٠م/١٥٨-١٦٤هـ

-أحوال بيزنطة الداخلية والخارجية عند اعتلاء ليو الرابع العرش، وأثر ذلك فى العلاقات بين بيزنطة والمسلمين.

-ليو الرابع يهاجم سميساط فى عام ٧٧٥-٧٧٦م/١٥٩هـ: الأسباب والنتائج.

-استيلاء العرب على كاسن kasin فى ١٦٠/٧٧٦م، وأهمية ذلك.

-الحملة البيزنطية على كل من مرعش و الحدث ٧٧٨م/١٦١هـ: أحداثها ونتائجها .

- رد الخليفة المهدى على النشاط البيزنطى العسكرى: فى عامى ١٦١-١٦٢هـ/٧٧٨م.

-حملة الأمير هارون على بيزنطة، وسقوط حصن سمالو فى أيدى المسلمين فى١٦٣هـ/ ٧٨٠م.

-استمرار العلاقات بين العباسيين والفرنجة فى اطار المتغيرات الدولية الجديدة، وانعكاسها على العلاقات العباسية البيزنطية.

اعتلى الخليفة المهدى العرش فى ١٥٨هـ/٧٧٥م، وسار على نهج أبيه المنصور بشأن مواصلة سياسة محاربة الإمبراطورية البيزنطية(١).

وكان اعتلاء الإمبراطور ليو الرابع العرش فى نفس العام، بعد اعتلاء الخليفة المهدى، وقد امتد حكمه خمس سنوات (٧٧٥-٧٨٠م/١٥٨-١٦٤هـ) (٢). اشتد حرصه على المضى فى سياسة سلفيه السابقين، وكان قادرا على مواصلة الحروب على الجبهة الإسلامية بطريقة أكثر حماسة وقوة من أبيه قسطنطين الخامس، الذى انشغل بالبلغار حتى أنه لم يهتم بدرء الهجمات العربية (٣).

١-كان الخليفة المنصور قد أوصى المهدى بشحن الثغور وضبط الأطراف، والحرص على الجهاد، والدفاع عن الدين، ومحاربة البيزنطيين انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٦ ص٧؛ مؤلف مجهول: العيون، ص٢٦٩؛ ابن العمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، ص٦٩.

٢-يخطىء ميشيل السريانى إذ ذكر أن المهدى تولى عرش الخلافة بعد تولى ليو الرابع بخمس وعشرين يوماً، بينما العكس هو الصواب: فقد كانت تولية المهدى قبل ليو، وذلك على النحو الذى بيناه فى نهاية أحداث الفصل الثانى انظر:

Michel le Syrien, Chronique, Editeé pour la premiere fois et traduite en francais par chabot,j.B.Paris 1905, Tome III, P.1. ويذكر أن ليو كان فى الخامسة والعشرين من عمره وقت إعتلائه العرش. والغالب أنه كان يعانى مرضاً أودى بحياته بعد خمس سنوات. وقد لقب بـ"الخزرى" نسبة إلى جنسية أمه ابنة ملك الخزر. انظر:

Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 937; Zonaras, Historiarum, Col.1341; Cedrenus, Historiarum col.900; Bar Hebraeus, The Chronography, PP.110-113; cf also: Finlay, Byzantine Empire, P.65; Jenkins, The Imperial, P.90; Maccape, J., The Empresses of constantinople, London, 1913,P.87. راجع أيضاً: إلياس القديم: تاريخ سوريا، جـ٣، مجلده، بيروت ١٩٠٠م ص٤٩٤.

٣- Canard, Byzantium and the muslim world, C.M.H., vol IV, Part I, 1967, P.705; Anastos, Imperial Rule, C.M.H, vol IV, Part I,1976, P.81.

وهكذا كان اعتلاء كل من المهدى وليوالرابع العرش فى سنة واحدة. ومع بداية حكمهما كانت الشواهد الأولى تدل على أن العلاقات السياسية بينهما سوف تميل إلى الدبلوماسية والهدوء أكثر منها إلى الحروب والمشاكل. فقد قام الإمبراطور البيزنطى الجديد" ليو الرابع"مع بداية حكمه بإطلاق سراح كل المسجونين المسلمين الذين فى حوزته، ورد الخليفة العباسى المهدى بالمثل، فأطلق سراح المسجونين المسيحيين الذين فى حوزته (١). كما قام الإمبراطور "ليو الرابع" بإهداء الخليفة المهدى كتاب "جان وجامبريس" Book of jannes and jambres, عن السحر والشعوذة عند المصريين القدماء، إذ علم أن الخليفة شغوف بدراسة علم التنجيم والسحر (٢). وقد أمدنا العينى برواية تفيد أن سفيرا بيزنطيا حضر إلى الخليفة المهدى مهنئا بمناسبة اعتلائه عرش الخلافة. وكانت تلك عادة عاهلى الدولتين الكبرتين كلما اعتلى العرش عاهل جديد. ففى ٧٧٥م/١٥٨هـ وصل السفير البيزنطى إلى بغداد، وكان اسمه طارات بن الليث بن العيزار بن طريف. وأثناء مقابلة الخليفة للسفير قال الأخير – عن طريق المترجم " إننى لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض. وإنما قدمت شوقا اليه، والنظر إلى وجهه، لأننا نجد فى كتبنا أن الثالث من أهل بيت بنى هذه الأمه يملأ الأرض عدلا ، كما ملئت جورا."(٣) وبعد هذه التهنئة قال له الخليفة العباس المهدى:" لقد سرنى ما قلت، ولك عندنا ماتحب" ثم أمر وزيره الفضل بن الربيع بإكرام وفادته (٤).

١- Michel, Le Syrien, Chronique, tome III,P.I; Agapius, Al-Unvan,p. 547

٢- Bar Hebraeus,The Chronography,p.116'; Michel Le Syrien, Chronique, tome III,p.1

٣-العينى. عقد الجمان، جـ١١، القسم الثانى، لوحة رقم ٢٩٢. ويذكر أن هذا السفير من أسرة بيزنطية عريقة إذ كان والده من كبار قادة بيزنطة الذين وقفوا أمام غزوات معاوية بن أبى سفيان(٤١–٦٠هـ/٦٦١–٦٨٠م).

٤-وعن هذا السفير البيزنطى يذكر أن" الفضل بن الربيع" قد أحسن ضيافته، وكان ملازما له فى تجواله فى أرجاء الخلافة العباسية. وذات يوم مر السفير فى إحدى جولاته بموضع يسمى عند العباسيين (الأرحاء)، فنظر إلى المكان متأملا، وقال لرفيقه الفضل بن الربيع "اقرضنى خمسمائة ألف درهم أبنى بها مستقلا فى هذا المكان، يعود بربح فى العام الواحد قدره خمسمائه ألف درهم" فأخبر الفضل خليفته المهدى بهذا فأمر الخليفة بمنحه ضعف ما طلب، بل أمر أيضا بمنحه ماقد يحتاج إليه زيادة على ذلك لإتمام مايريد. كما أمر الخليفة وزيره الفضل بأن يتم إرسال ربح هذا العمل كل سنة إلى هذا السفير عند عودته إلى بلاده. وبالفعل كان يتم هذا بانتظام حتى مات السفير فى ٧٨٠م/١٦٣هـ انظر: العينى. عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم٢٩٢، راجع أيضا: لسترانج: بغداد فى عهد الخلافة العباسية صفحات ١٢٧–١٢٨

ولكن محاولات الود الدبلوماسية هذه لم تغير شيئامن طبيعة العلاقات بين القوتين المتصارعتين، التى سارت سيرها الطبيعى، الذى غلب عليها طابع القوة والعنف.

ومن تتبع حركة الصراع المستمرة بين العالمين البيزنطى والإسلامى يتبين أن فترات الانتقال فى العالم البيزنطى من إمبراطور إلى آخر، وفى العالم الإسلامى من خليفة إلى آخر، كانت فرصة مواتية لأحد طرفى الصراع لاستغلالها بالمبادرة بالهجوم. ولذلك، ونظرا لانتقال الحكم فى بيزنطة من الإمبراطور قنسطنطين الخامس إلى الإمبراطور ليو الرابع، كان من المتوقع أن ينتهز الخليفة المهدى تلك الفرصة باتخاذ زمام المبادرة، وخاصة أن الإمبراطور الجديد لم يتمرس بعد على شئون الحكم.

وهناك عوامل عدة ساعدت على إيجاد أوضاع استثنائية على غير ما كان معتادا. حيث كانت الأحوال الداخلية للإمبراطورية البيزنطية فى تلك الآونة تعكس نوعا من الاستقرار فى جميع مظاهر الحياة، لم تلمسه الحياة البيزنطية منذ فترة طويلة مضت. ومن المؤكد أن سياسة الاعتدال الدينى التى انتهجها الإمبراطور الجديد قد ساهمت إلى حد كبير فى استقرار الأوضاع وهدوئها(١). هذا، بالإضافة إلى أن الإمبراطورية البيزنطية قد نعمت هى أيضا بالاستقرار على جبهتها الخارجية الشمالية المواجهة للبلغار. فقد خمد مدة من الزمن خطر البلغار، الذى كان الشغل الشاغل لسلفه

١– فقد بدأ بالإفراج عن المساجين والمنفيين– بسبب اعتناقهم لمذهب عبادة الأيقونات– منذ عهد أبيه. ويصف المؤرخ ثيوفان هذا بقوله أن ليو الرابع كان يكن شعورا طيبا تجاه هؤلاء الأيقونيين فى الفترة الأولى من حكمه.. Theophanes, Chronographia,. Col.905

الإمبراطور قنسطنطين الخامس. وبسبب تلاشى هذا الخطر يرجع إلى تدهور أحوال البلغار وضعف قوتهم العسكرية، نتيجة لحروبهم المتعددة فى الفترة السابقة، وخسائرهم التى نتج عنها انهيار قوتهم إلى حدكبير. ثم انتهى الأمر بهروب حاكم البلغار تيليرجيوس أوبيليرجيوس Tellerigius Pellerigius الى القسطنطينية، حيث عاش واعتنق المسيحية، وعاش بالعاصمة، وعين بطريقا. كما زوجه ليو الرابع بإحدى أخواته (١).

سمح هذا الاستقرار النسبى للإمبراطور ليو الرابع بتعزيز قوته العسكرية فى الإمبراطورية، فزاد من عدد جنود ثيمات الإمبراطورية، خاصة الشرقية منها المنتشرة فى آسيا الصغرى، لمواجهة خطر المسلمين. كما زاد عدد الجنود فى بقية تشكيلات الجيش، سواء فى حرس القصر أو فى الحرس الإمبراطورى، واهتم بالثيمات الأوربية والبحرية، بالإضافة إلى أنه احتفظ بالقادة ذوى الخبرة والكفاءة ممن عملوا مع والده الإمبراطور قنسطنطين الخامس، بل إنه وطد علاقته مع أولئك القادة (٢).

والحقيقة أن اهتمام الإمبراطور بقوته العسكرية وبقادة جيوشه، قد ترك أثرا طيبا فى نفوس جنوده وقادته، فزاد إخلاصهم واحترامهم له، واعتبروه امتدادا لأبيه الإمبراطور قنسطنطين الخامس صاحب الفضل عليهم. وأصبح أولئك القادة خير عون للإمبراطور الجديد فى توطيد دعائم عرشه فى مواجهة الخطر العباسى. وأكد هذا الولاء أن الإمبراطور قنسطنطين الخامس أوصى هؤلاء القادة خيرا بالإمبراطورية البيزنطية، وبالمقدسات وبالعاصمة وبابنه ليو الإمبراطور الوريث (٣).

انتهز الإمبراطور ليو الرابع هذه الظروف المواتيه. وهكذا حدث الاستثناء إذ بادر الإمبراطور، الأكثر حماسة كما ذكر كنارد، عام (٧٧٥-٧٧٦م/١٥٩هـ) بشن

١- Cedrenus, Historiarum, Col. 900;Cf. Also: Guilland, Patrices p. 365

٢- Theophanes, Chronographia,Col. 905.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 905; Cedrenus, Historiarum, Col. 900.

هجوم على سميساط الواقعة على شاطىء نهر الفرات، وتمكن من أ.. ر بعض المقاتلين المسلمين. ولكن المهدى أرسل أحد مواليه وتمكن من إنقاذ المدينة من البيزنطيين(١) ولكن هل كانت حماسة ليو الرابع فقط هى التى دفعته إلى شن الحملة ؟الحقيقة أن قيام الإمبراطور والخليفة باطلاق سراح المساجين طرف كل منهما أظهر حسن النوايا. وإن كان يخفى حقيقة أن الصراع بين تلك القوتين العظيمتين البيزنطية والإسلامية يرتبط ببقائهما. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالأغلب أن الإمبراطور البيزنطى ليو الرابع كان لديه احساس بأن الخليفة المهدى سيبادر بالهجوم، الأمر الذى دفعه إلى أن يسبق ويبادر هو بالهجوم على سميساط (٢).

وعن تحديد هذا الهجوم، يذكر المؤرخ الأرمينى جيفوند أن هذه الحملة وقعت فى بداية حكم ليو الرابع. والمعروف أنها أولى حملاته العسكرية، فالأرجح أنها وقعت فى ربيع أو صيف عام ٧٧٦م/١٦٠هـ نظرا لأن توليه العرش كان فى سبتمبر ٧٧٥م/ ١٥٩هـ (٣) وتولى قيادة هذه الحملة ثلاثة من القادة يحملون لقب ستراتيجوس وهم ارتفاسدوس ماميكونيان Artavasdos Mamikonina وتاتزاتيس اندزيفاتسك Andzevatsik Tatzates وهما من ناخارارات الأرمن Armenian Nakharars(٤).

١-اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣٥؛ ابن شداد؛ الأعلاق، جـ٣، القسم الثانى،ص٨٠١.

٢-انظر الخريطة رقم٧.

٣-Ghevond, Guerres, p. 150

٤-المقصود بناخارارات الأرمن الطبقة الأرستقراطية القوية المالكة للأرض فى أرمينيا. وعن القائد تاتزاتيس يقول المؤرخ جيفوند الذى عاصره أنه كان رجلا عسكريا تمتع منذ نشأته بالسلطات السياسية العسكرية والاجتماعية. وقد رحل من أرمينيا إلى بيزنطة بسبب الصراع المستمر على السلطة، وبسبب العلاقة السيئة بين العرب والأرمن، وكذلك بسبب إغراءات الخدمة فى بيزنطة. وكان انتقاله هذا فى عام ٧٦٠م/١٤٣هـ فى عهد الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس الذى جنده فى جيشه. وقد كسب شهرة كبيرة فى ميادين الحروب ضد البلغار، مما استلفت نظرالإمبراطور الذى كرمه وعينه قائدا (استراتيجوس) على الثيم البوكلارى. وقد تناولته المصادر الأرمينية تحت اسم تادجات انتزيفاتس Tedjata Antzevatsi انظر: Ghevond, Guerres, pp. 150- 153; Cf.Also:der Nersessian Armenienes, p. 22; Tritle lawrence, A., Tatzates Flight and The Byzantine- Arab Peace Treaty of 782, in "b", Tome XLVII, Bruxelles, 1977. p 28٦

أما القائد الثالث فلم تذكر المصادر اسمه، واكتفت بالإشارة إلى أنه يونانى (أى بيزنطى) لذا يرجح أنه ميخائيل لاخانودراكون، لأنه كان من أكثر قائدة بيزنطة خبرة بالجبهة الشرقية؛ بالإضافة إلى أن ليو الرابع كان قد قرر استعراض قوة بيزنطة فى هذه الحملة، فاختار اكفأ قادته على الإطلاق، وكان أولئك القادة الثلاثة من المشهود لهم بالكفاءة منذ عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس.

وقد اتجهت قوات هؤلاء من ثيمات الأناضول، والبوكلارى، والتراقسيانى إلى المنطقة المحيطة بسميساط، وقاموا بتخريب المدن والقوى المحيطةبها، واستولت قواتهم على الكثير من الأسرى والغنائم وتذكر المصادر أن أحد هؤلاء القادة الثلاثة، وهو تاتزاتيس، قد أبلى بلاء حسنا فى هذه الغزوة، ولعب دورا هاما فى أحداثها، خاصة أن بعض زملائه من القادة حذروه من الطريق الذى اختار أن يسلكه فى طريقه إلى سميساط ولكنه أصر على اختياره قابلا العزل إذا فشل فى مهمته. ولكن نجحت الغزوة وعاد الجيش البيزنطى بالغنائم، وقام البيزنطيون بإسكان الأسرى داخل الإمبراطورية، وكرم الإمبراطور القادة الثلاثة فى القسطنطينية (١).

وبنظرة إلى تلك الغزوة البيزنطية، نجد أن اختيار ثلاثة قادة على هذا المستوى بجيش من ثلاثة ثيمات، وتوقيت الحملة بعد تولية الإمبراطور ليو مباشرة، وتسييرها تحت أمرة قادة خدموا مع قنسطنطين الخامس، نجد أن الحملة تعكس معنى واضحا. فقد كانت استعراضا للقوة يثبت للعباسيين أن سياسة الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين

١- Theophanes, chronographia, col. 909; Cf. Also : Tritle, tatzates' Flight, P.283.

الخامس العدائية للمسلمين مستمرة فى عهد ابنه ليو الرابع.

ومن هنا كان عنف الغضب الذى أصاب المهدى، فقرر الانتقام. فجمع جيشا ضخما ضم جنودا من خراسان ومناطق أخرى. ويقال إن الخليفة لم يجمع مثل هذا الجيش منذ معركة أكروينون عام ١٢٣هـ/٧٤٠م، وقد جعل قيادة هذا الجيش لعمه العباس بن محمد، الذى اختار أحد موالى المهدى وهو الحسن الوصيف وجعله على رأس الجيش (١).وسار المهدى مع هذا الجيش إلى أن عبر الحدود الإسلامية، ووصل إلى نهر البردان وعسكر به (٢)، ومنه شيع قائده العباس الذى اندفع فى عمق الإمبراطورية البيزنطية، وأقام الحصار حول كاسن Kasin (٣)، ولكنه لم يتمكن من حصارها. وتذكر المصادر أنه لم يستول عليها إلا فى طريق عودته. ذلك أن العباس ترك قوة من جيشه على مشارف كاسن، وسار متقدما حتى أنقرة الواقعة فى الثيم البوكلارى (٤). ورغم أن الوصول إلى أنقرة تعتبر توغلا فى عمق الحدود البيزنطية، إلا أن الأمر لم يزد على ذلك، فلم يقم بأى محاولة لفتحها. ويعلق المؤرخ أجابيوس على ذلك بقوله : " إن العباس دخل أنقرة ولم يصنع بها شيئاً " أما عن كاسن، فقد عاد إليها العباس وفتحها (٥)، وكان مصرا على سقوطها

١- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٣٥. وكان هذا بداية ظهور الموالى المسلمين فى الغزوات العسكرية للخلافة العباسية. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام جـ١، ص ٢٤٣.

٢- سمى بهذا الاسم نسبة إلى مائة البارد، وينبع من مرتفعات دولجر Dulgar Daght الموجودة فى وسط قيليقيا، ويصب فى البحر المتوسط. انظر : Canard, M., Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de syrie, Paris, 1951, 281-282.
انظر ايضا : الخريطة رقم (٧).

٣-وتقع فى سهول فيناسا Venasa فى قبادوقيا قرب مالاكوبيا فى جنوب منطقة الأناضول انظر Ghevond, Guerres, P.150; Cf. Also : Ramsay, W.M., The Historical Geography of Asia Minor, London, 1890, P. 356. انظر أيضا : الخريطة رقم ٧.

٤- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٣٥.

٥- بعد أن صنع الدخان على الحامية البيزنطية حتى استسلمت. انظر: Agapius, Al-Unvan, P. 547.

في يده، وذلك لأهميتها كمخازن غنية بالقمح الذى كان العباسيون بحاجة إليه. ثم عادوا بغنائمهم وسباياهم منتصرين. وقد تناول كل من الطبرى وابن الأثير هذه الرواية، ولكن بشيء من الغموض، إذ اكتفيا بالإشارة إلى أنه تم فتح مدينة للروم ومطمورة معا (١)، ولم يحددا الأسماء. وسبب الغموض أنهما يذكران : (أنه فتحت مدينة) بينما هذا لم يحدث؛ فالمدينة المذكورة فى هذه الرواية وهى أنقرة لم تفتح، بينما كاسن وهى التى فتحت بالفعل ليست مدينة، بل هى حصن. والأرجح أن كليهما قصد بالمدينة كاسن، وبالمطمورة المخازن الخاصة بالقمح (٢). وبينما العباس لم يعد بعد من حملته، أرسل المهدى قائده معيوف بن يحيى إلى الحدود البيزنطية فنجح فى أسر أعداد كبيرة من البيزنطيين (٣). كان هذا النشاط قد وصل إلى ذروته، رغم أن المسلمين فى ١٥٩هـ/ ٧٧٥م قد أرسلوا القائد عبد الملك بن شهاب المسمعى على رأس أسطول إلى بلاد الهند، وتمكن من فتح مدينة اربد فى العام التالى (١٦٠هـ/٧٧٦م)(٤). وفى تلك السنة أيضا خرج على المهدى رجل يقال له يوسف البرم، ولكن الخليفة تصدى له وهزمه (٥). وهذه الأعمـــال الجانبية تعتبر دليلا على أن الخلافة العباسية فى تلك الفترة كانت من

١- المطمورة هى حفرة أو مكان تحت الأرض صممت لكى يُطْمَر فيه الطعام والمال وكانت ملجأ للأهالى فى أقاليم قبادوقيا. انظر الهرثمى : مختصر سياسة الحروب، ص ٥٦. وأيضا فازيلييف ا.ا، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة فؤاد حسنين على، القاهرة، بدون تاريخ، مطبعة دار الفكر العربى، ص ٩٤.انظر أيضا: .Tritle,Tatzates' Flight,P. 284

٢- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١١٦؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٤٧؛ العينى : عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٢٩٩؛ ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٤.

٣- خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط : القسم الثانى، ص ٦٦٨. وقد أصبح معيوف من مشاهير القادة على الجبهة البيزنطية . انظر : ابن خلدون : العبر، جـ٥، ص ٤٣٣.

٤- وقد بلغ الجيش العباسى حوالى ثمانية آلاف مقاتل، ولم تفتح إلا باستخدام المجانيق ولكن منى المسلمون أيضا ببعض الخسائر. انظر : الطبرى : تاريخ الرسُل، جـ٨، ص ١١٦-١١٧؛ العينى عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٠٠.

٥- العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحات ٣٠٤-٣٠٥.

القوة بما يجعلها تواصل نشاطها على الجبهة البيزنطية؛ فى نفس الوقت الذى ترسل فيه قوات لها إلى مناطق بعيدة، أو تواجه بعض الاضطرابات الداخلية.

استمر النشاط الإسلامى فى منطقة الحدود البيزنطية عام ١٦١هـ/٧٧٧م؛ دون أن يتخذ شكل الصوائف واكتفت المصادر العربية بذكر اسم القائد العربى. فقد أرسل الخليفة خاله القائد عيسى بن على، وعبر الحدود البيزنطية فى صائفة، ولكنه تعرض لحصار من جيش بيزنطى لم يطل، ولم نعرف مكان هذا الحصار أو أى تفاصيل أخرى، خاصة وأن اليعقوبى الذى انفرد بهذه الرواية ذكرها بهذا الإيجاز (١) . ومع ذلك فمن الممكن أن نحدد مرعش مكانا لهذه الصائفة، وذلك لأن عيسى بعد أن تخلص من الحصار الذى تعرض له استمر فى نفس المنطقة - وهى مرعش - للعام التالى. فعندما هاجم البيزنطيون مرعش فى العام التالى وجدوا فى مواجهتهم عيسى بن على. لذا فالمرجح أنه أمضى طوال الوقت فى منطقة مرعش ولم يعدإلى بغداد (٢).

وفى نفس عام ١٦١هـ/٧٧٧م وأيضا خرج القائد العباسى ثمامة بن الوليد بن القعقاع بن خليد العبسى على رأس صائفة (٣)، تناولها اليعقوبى بإيجاز أيضا، ولم يزد خليفة بن خياط على أن ثمامه قد غنم وسلم. والحقيقة أن قلة المادة الموجودة فى المصادر كانت سمة غالبة على أحداث تلك الفترة؛ فلم يهتم المؤرخون القدامى بالسياسة الخارجية قدر اهتمامهم بالشئون الداخلية فالطبرى أيضا يتبع نفس الأسلوب حينما يوجز رواية عن غارة بحرية إسلامية فى بحر الشام بقيادة الغمر بن العباس الخثعمى، ولم يعط تفاصـــيلا أكثر من ذلك، وقد نقل عنه بنفس الاقتضاب كل من ابن الأثير وابن

١- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٣٥. وانظر أيضا : Brooks, The Struggle, C.M.H., vol IV, 1936, P.123.

٢- ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٤. عن موقع مرعش انظر الخريطة رقم (٧).

٣- تذكر المصادر اليونانية القائد ثمامة باسم عثمان بن قاقا انظر : Theophanes, Chronographia, col.909.

شداد. ونظرا لقلة هذه المادة، لم يتمكن الباحث من الوصول إلى تفاصيل أحداث أو نتائج هذا النشاط (١).

ثم تغير الحال وأصبح النشاط بين القوتين المتصارعتين على أشده. ولكن تمكنت القوات البيزنطية من حسم الأمر لصالحها. ففى منتصف عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م، أرسل الخليفة المهدى قائده المحنك ثمامة بن الوليد (٢) على رأس قوة كبيرة، فعسكر ثمامة بالقرب من حلب فى منطقة دابق (٣)، التى اتخذ منها مركزا له استطاع أن يوجه منه قواته، التى قامت بتخريب المناطق المحيطة. وبينما لم يصطحب ثمامة سوى قوة عسكرية محدودة لصائفته هذه، كانت القوات البيزنطية تعد عدتهاللقيام بنشاط كبير فى منطقة الحدود. فقد تشجعت هذه القوات بنصر ٧٧٦م/ ١٦٠هـ لإضافة نصر آخر. ولذا فقد ضاعف البيزنطيون من حجم جيشهم هذه المرة، إذ أضيف إلى الجيش الذى انتصر فى المرة السابقة بثيماته وقادته الثلاثة، جيشان من ثيمى أرمينيا والأوبسيكيون، ومعهما قائدا هما:كارستيروتزيس Garisterotzes قائد الثيم الأول، وجريجورى Greogory قائد الثيم الثانى (٤).

١- وقد يكون سبب قلة المادة التى أوردها خليفة بن خياط هو وفاة جده فى هذا العام ١٦٠هـ/٧٧٦م. انظر خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٧٠؛ اليعقوبى . تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٣٥؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٢٩، ص ١٤٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٥٥؛ ابن شداد : الأعلاق ص ٥٤.

٢- وبذلك يكون قد خرجت صائفتان متعاقبتان متتاليتان بقيادته. ابن شداد : الأعلاق، ص٥٤.

٣- المسافة بينها وبين حلب ٢٤كم، ودابق هى ثيباسا Thebasa وتقع فى ليكونيا الغربية على الطريق إلى ايكونيوم Iconium التى تعرف الآن بالكرك فى الأردن شرق البحر الميت. انظر : Theophanes, Chronographia, col. 909 وراجع أيضا : ابن شداد : الأعلاق، ص ٨٢٧؛ وأيضا : Ramsay, Historical Geography, PP.339-340; Brooks, W., Byzantines and The Arabs, E.H.R., P.735; Brooks, The struggle, C.M.H., vol IV, 1936, P.123. وانظر أيضا : الخريطة رقم ٧.

٤- من مجموع هذه الحملة والسابقة يبرز حجم القادة الأرمن وأهميتهم بين كافة القادة. انظر Theophanes, Chronographia, col. 909; Cf. Also : Der Neressian, Armenienes, P. 22: Tritle, tatzates' Flight, P. 286.

ويتضح من هذا الاستعداد أنه لم يكن مجرد غارة حدودية على الإطلاق، بقدر ما هو من أجل غزو كبير(١).فجيش مكون من مائة ألف مقاتل تحت قيادة خمسة من أفضل قادة الإمبراطورية، يؤكد هذا المعنى. هذا إلى جانب أنه من المستبعد أن تبذل بيزنطة كل هذا الجهد من أجل إغارة عادية. وهكذا فمن الواضح أنها كانت تستهدف الاستيلاء على مرعش.

وقد وصل الجيش البيزنطى الضخم إلى مدينة مرعش، التى كان فى حصنها خال المهدى عيسى بن على (٢) بقوة كبيرة تقدر بحوالى ثمانين ألف مقاتل (٣). وكادت القوات البيزنطية أن تستولى على المدينة، ولكن المؤرخ ثيوفان يذكر أن عيسى بن على تمكن من إنقاذ المدينة. فقد اتصل بالقائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون ورشاه بالهدايا ليعود. فترك ميخائيل المدينة إلى مناطق أخرى لاستكمال نهبها (٤). ويرى الباحث أن رواية رشوة القائد البيزنطى مشكوك فيها. والأمر الأكثر احتمالا أن الجيوش البيزنطية عندما وصلت إلى مرعش، وشرعت فى محاصرتها، نما إلى علم هذه الجيوش أخبار أعمال التخريب والنشاط الذى يقوم به القائد العباسى ثمامة بن الوليد فى المنطقة المحيطة بدابق. فكان على القوات البيزنطية مواجهة ثمامة أو على الأقل شغله حتى تمنعه من التقدم إلى مرعش بعد ذلك. ثم تذكر المصادر العربية أن القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون تقدم بجيشه ودارت معركة بينه وبين جيش ثمامة (٥).

١- بلغ مجموع هذا الجيش مائة ألف مقاتل. انظر : Theophanes, Chronographia, col.909.

٢- وتذكره المصادر اليونانية تحت اسم (Isbaali) انظر : Theophanes, Chronographia, col. 909. وهو الخال الأكبر للخليفة المهدى. انظر : Brooks, The Struggle, C.M.H., vol IV, 1936, P.123.

٣- ابن شداد : الأعلاق، ص ٥٤.

٤- Theophanes, Chronographia, col. 909.

٥- ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٥٥؛ ابن شداد : الأعلاق، جـ٣، قسم٢، ص ٨٢٧.

وهذا يتعارض مع رواية الرشوة والأرجح أنها اتهام مستعمد من المؤرخ ثيوفان للقائد ميخائيل كان الغرض منه تشويه سمعة ميخائيل على النحو الذى سيشير إليه الباحث بعد قليل.

ونستشف من المصادر العربية أنه عندما اجتمع قادة الجيش البيزنطى الخمسة لمناقشة أمر ثمامة فى دابق، اتفقوا على تقسيم الجيش إلى قسمين : الأول يبقى فى مرعش لحصارها، والثانى يتحرك لملاقاة ثمامة. ونفهم من هذه المصادر أن ميخائيل قد تولى قيادة القسم الثانى، رغم أن هذه المصادر أهملت توضيح اشتراك بعض القادة (الخمسة) معه. ويؤكد هذا أن ميخائيل سار من مرعش إلى دابق لمواجهة ثمامة بجيش يتألف من ثمانين ألف جندى (١). ولما كان مجموع عدد أفراد الجيش الذى خرج أصلا فى هذه الحملة هو مائة ألف (٢)، لذلك فجيش القسم الثانى الذى بقى فى مرعش لحصارها كان عشرين ألف جندى، وبالتالى فمن المفروض أن يكون قادة جيش القسم الأول أكثر من قادة القسم الثانى.

ومهما يكن من أمر، فقد تقدم الجيش البيزنطى بقيادة ميخائيل لاخانودراكون نحو ثمامة بن الوليد، الذى تحرك لصد هذا الهجوم وقد حاولت مجموعات الاستطلاع الخاصة بثمامة تحذيره وإثنائه عن مواجهة الجيش البيزنطى نظرا لضخامته، إلا أن ثمامة لم يعبأ بذلك وتصف المصادر العربية موقف ثمامة بأنه لم يحفل بذلك اغترارا واعتزازا وخرج من دابق ووصل إلى الحدث وحاصرها (٣) ودارت معركة عنيفة بين

١- البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ٢٢٥؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٥٥. راجع أيضا: Brooks, The Struggle, C.M.H., vol IV, P.123; Tritle, Tatzates' Flight, P.287.

٢- تجدر الإشارة هنا وفى أماكن متعددة، بشأن الأرقام التى تذكر عن حجم الجيوش المشتركة فى الحملات، أنه لايجب أخذ هذه الأرقام دون أن نضع فى الحسبان أنها تجنح إلى المبالغة، وخاصة أن هناك حقيقة تقول إن أعداد الفرق المواجهة للمسلمين فى آسيا الصغرى كانت حوالى ٧٠ ألف جندى، وهناك مثلهم فى حرس القصر وقوات الجيش. ومن الصعب الخروج بالمائة ألف وترك بقية البلاد تعانى خللا. انظر : Oman, Art of War, P.43.

٣- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٤٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٥٥؛ انظر أيضا : الخريطة رقم (٧).

الجيشين البيزنطى والعباسى ، وتمكن ثمامة من هزيمة ميخائيل فى بداية الأمر. ولكن تحول سير المعركة لصالح البيزنطيين، وقتل الكثير من جند الجيش العباسى: بيد أن المصادر العربية لم تذكر عددهم. ويذكر المؤرخ اليونانى ثيوفان أن خسائر ثمامة كانت ألفين من الجنود وخمسة من الأمراء (١) وتعزو المصادر العربية هذه الهزيمة إلى اصرار ثمامة على مواجهة هذا الجيش الضخم (٢). وبذلك تمكن ميخائيل من حصن الحدث، كما دخل عدة قرى أخرى فى نفس المنطقة مثل قرية عَقَبَة حرتنا وقرية عنزران، وسبى وغنم الكثير من القريتين، بل و احرق القرية الثانية (٣) وبعد هذا النصر الذى حققه القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون، رجع إلى مرعش التى كانت بقية قوة الجيش البيزنطى تحاصرها واكتملت جيوش الحملة فى مرعش، وبمجرد دخول ميخائيل اياها خرجت إليه موالى عيسى بن على وبعد قتال عنيف بين الطرفين لجأ القائد البيزنطى إلى الخداع فتظاهر با لانسحاب (٤)، ثم استجمع قوته وباغت العباسيين وتمكن من تحقيق نصر سريع وقتل من موالى عيسى ثمانية، وفر الباقون(٥).

ولم يجد ميخائيل ورملاؤه من القادة أى مبرر لمواصلة حصار مرعش، خاصة وإن أعياد القيامة (الفصح) كانت على الأبواب فرفع الحصار ومضى عبر نهر جيحان عائدا إلى بيزنطة، بصحبة أعداد ضخمة من الأسرى من السوريين اليعاقبة، وهم من سكان مرعش والمناطق المجاورة وقد أمر الإمبراطور ليو الرابع بتسكين هؤلاء الأسرى فى منطقة تراقية (٦)

١- Theophanes. Cgronographia. col.909

٢- ابن الأثير الكامل، جـ٦ ص ٥٥

٣- خليفة بن خياط. تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٦٨٥، الطبرى. تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٤٢، العينى عقد الجمان، جـ١١ لوحة رقم ٣٢، ابن خلدون العبر، جـ٥، ص٤٥١

٤- Theophanes Chronographia, col. 912

٥- Brooks. The Struggle. C.M.H vol IV 1936 P 123

٦ ويذكر هذا العيد فى المصادر اليونانية بعيد المايوما Maiuma وكان تاريخه ذلك العام ١٩ إبريل/٢٥ رجب، ولذلك يكون تاريخ هذه الحملة أواخر مارس أو أوائل ابريل ٧٧٨م/ أوائل رجب ١٦٢هـ انظر Theophanes. Chronographia Cols 909-912

وإذا ألقينا مزيدا من الضوء على رواية ثيوفان عن هذه الحملة بصفة عامة، وعن دور ميخائيل بصفة خاصة، نجد أن تعمد ثيوفان إلصاق تهمة الرشوة لهذا القائد، وكذلك حرصه على الحط من شأن ميخائيل أكثر من حرصه على توضيح أحداث الحملة، قد جعل أحداث روايته مبهمة وغامضة ويعوزها الكثير من التوضيح، سواء عن دور ميخائيل نفسه أو دور القادة الآخرين المشتركين معه فى قيادة هذه الحملة (١). وعلى الرغم من الدور البارز الذى لعبه القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون فى هذه الحملة، فقد تمكنت كراهية المؤرخ له إلى الحد الذى أشرنا إليه. وتفسير هذه الكراهية أن هذا القائد كان الرجل الأول الذى استخدمه الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس فى اضطهاد معتنقى الأيقونات ولاسيما الرهبان، وهذا المؤرخ واحد منهم(٢).

١- Theophanes, Chronographia, Cols. 909-912; Cf. Also : Tritle, Tat zates' Flight, P.286.

٢- سبق أن أشرنا فى الفصل الثانى، وبشكل سريع، إلى اضطهاد قنسطنطين الخامس لعبدة الأيقونات. ويذكر أن ميخائيل لاخانودراكون وهو ستراتيجوس ثيم تراقيا (التراقسيون) كان أبرز من طبق سياسة الاضطهاد من بين قادة الثيمات.ففى عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس، وبالتحديد فى عام ٧٧٢م/١٥٦هـ، جمع هذا القائد كل رجال الدين والرهبان من سكان ثيم، فى مدينة افسوس فى وادى فى المدينة يقال له وادى تزوكاينستريون Tzucanisterium وخَيَّر الرهبان بين الزواج (حتى يجبرهم على الخروج من الرهبنة) وبين التعذيب. فقال لهم: " من يرد منكم أن يطيع الإمبراطور ويَسر على طريقتى فَليرتَدِ الرداء (الثياب) الأبيض، وليصطحب له زوجة فى تلك الساعة. أما الذى لن يفعل ذلك فسيمضى منفيا مسمول العينين إلى قبرس."ونظراً لأن غالبية الرهبان قد رفضوا هذا العرض المصحوب بالتهديد، فقد نفذ ميخائيل لاخانودراكون تهديده وقام بسمل أعين بعض منهم، وأعدم البعض الآخر.وهكذا اشتهر ميخائيل من بين بقية قادة بيزنطة بقسوة التعذيب، سواء للرهبان أو لرجال الدين أو لعامة الناس من أصحاب مذهب عبادة الأيقونات =

وقد لاحت له فرصة الانتقام من ميخائيل عن طريق الكتابة التاريخية (١) .

وهناك دليل آخر يدحض اتهام ميخائيل بالرشوة وهذا الدليل يسوقه ثيوفان نفسه حينما يسرد الأحداث التالية للحملة، فيرى أن الإمبراطور البيزنطى ليو الرابع قد اقام الاحتفالات للقادة المنتصرين بعد عودتهم. ولو كان ميخائيل قد ارتشى بحق ما كان ليحارب قوات المسلمين على ذلك النحو، أو يبقى فى الجيش كقائد كبير، فما بالك أن الإمبراطور قد كرمه ضمن بقية القادة المشتركين معه فى المعركة – باعتراف ثيوفان

= وسمع الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس عن هذه الأعمال التى قام بها هذا القائد، فسعد به لأنه أحسن تنفيذ سياسته، وكتب إليه مهنئا : " لقد وجدت فيك ضالتى، ولقد حققت رغباتى". ولم يكن هذا القائد هو وحده المتشدد فى اضطهاد أصحاب هذا المذهب، وإنما كان هناك آخرون ينفذون هذا الاضطهاد، مستمدين تشددهم هذا من تشجيع الإمبراطور قنسطنطين الخامس نفسه لهم. وعلى الرغم من أن الدخول فى تفاصيل ذلك يبعدنا عن جوهر البحث، إلا أنه يكفى للدلالة على ذلك الإشارة التى ساقها المؤرخ ثيوفان حين قال إن الاضطهاد الذى مارسه الإمبراطور قنسطنطين الخامس لايعادله سوى اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م). هذا، وقد عانى المؤرخ اليونانى ثيوفان نفسه هذا الاضطهاد الذى كان سمة عامة للدولة. ولكن ثيوفان نجا من بطش ميخائيل لأنه لم يكن من سكان ثيمه. ولقد تدرج ثيوفان فى سلم الرهبنة حتى تلقب بلقب "المعترف" Confessor وفى وقت لاحق نفى من الدير الذى أسسه ومات فى جزيرة تسمى ساموطراقيا Samothraca فى ٨١٧م/٢٠٢هـ للمزيد انظر Theophanes, Chronographia, cols. 897-900; Stephanis, Diaconus, cols. 1136-1137.

١- وهذه واحدة من مجموعة صعاب تواجه الدارس لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية فى تلك الآونة. فالمعلومات التى وصلتنا عن طريق المؤرخين الأيقونيين لم تنصف أباطرة هذه الفترة، وبصفة خاصة اباطرة الأسرة الأيسورية ، ولاقاداتهم، بل نالت منهم ومن أعمالهم إلى حد كبير، فى الوقت الذى تم فيه اتلاف المادة التاريخية لإنجازاتهم. انظر : عمر كمال توفيق : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٦٧، ص ٧٩.

نفسه – هذا التكريم الذى يعكس تقدير الإمبراطور للنصر الذى تحقق (١).

كان النصر الذى حققته بيزنطة على الخلافة العباسية فى تلك الحملة ذا مغزى بالنسبة للخليفة المهدى، الذى أدرك حجم الخطر الذى تمثله مثل هذه الحملات البيزنطية. ومن هنا كان على الخلافة أن تثبت وجودها، خاصة مع ارتفاع الروح المعنوية للبيزنطيين. ففكر الخليفة فى الانتقام، وبدا بنقل القيادة من عمه العباس بن محمد إلى الحسن بن قحطبة الذى سيره فى نفس عام ١٦١هـ/٧٧٨م على رأس جيش كبير مكون من ثمانين ألف مقاتل، ضم قوات من خراسان والموصل والشام واليمن، هذا غير المطوعة من العراق والحجاز (٢). دخل هذا الجيش ممر درب الحدث ما بين مرعش والبستان، حيث يوجد عدد من الممرات مثل درب الجوازات ودرب مفارة (٣)، ووصل إلى الأناضول وزحف إلى دروليوم Darylaeme – شمال غرب عمورية – فى ثيم الأوبسيكيون (٤).

١- Theophanes, Chronographia, Col.912;Cedrenus, Hiistoriarum COl. 900; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 953.

٢-البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٠٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦ ص٥٨؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ١٣٩؛ الذهبى: العبر، جـ١، ص٢٣٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥١. والمتطوعة هم المسلمون المتطوعون للدفاع عن الخلافة، وقد استخدموا منذ الخلافة الأموية وزاد استخدامهم فى عهد الخلافة العباسية. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل،جـ٨، ص١٤٢؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٤ حيث يذكر الطبرى أن عدد هذا الجيش كان ثلاثين ألف مرتزقة سوى المطوعة. للمزيد من التفاصيل انظر: Theophanes, chronographia, Col. 912; Brooks, The Struggle,C.M.H,vol Iv, 1936, p.123.

٣-لسترانج: بلدان الخلافة، صفحات ١٥٤-١٥٥. وعن موقع البستان وممردرب الحدث ودروليوم انظر الخريطة رقم (٧).

٤-Theophanes,Chronographia, Col. 912 أما الطبرى يسمى هذه المدينة باسم أذرولية. ويقول إن الحسن وصل أيضا إلى منطقة مجاورة تسمى حمة، لذا يسميها ابن الأثير باسم حمة أذرولية.انظر الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٢-١٤٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦ ص٥٨. أما اليعقوبى فلم يزد فى حديثه عن هذه الغزوة على القول بأن الحسن قاد غزوة عام ١٦٢هـ. ويُذكر أن اليعقوبى اتبع نفس أسلوب الإيجاز هذا فى السنوات من ١٥٩الى١٦٨هـ. (٧٧٥-٧٨٤م)انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣ ،ص١٣٥. كذلك انظر الخريطة رقم (٧).

وفى تلك الأثناء أوصى الإمبراطور قادته بألا يقاتلوا هذا الجيش بقوة مجتمعة، فى ميدان مفتوح، بل يعملوا على تحصين معسكرهم، ويحثوا الجنود على حراسته. كما أمر أولئك القادة- الخمسة الذين انتصروا فى المعركة السابقة- أن يجمعوا من كل جيش ثلاثة آلاف من خير الجنود لمهاجمة مؤخرة الجيش العباسى، وبث الفرقة والخوف فى هذا الجيش، كما أوصاهم بحرق الحقول ومراعى الجياد، وأن يشعلوا النار فى مؤنهم ان استطاعوا (١).

وصل العباسيون إلى دروليوم وحاصروها سبعة عشر يوما، وفى نفس وقت هذا الحصار قاموا بأعمال السلب والنهب فى المناطق المجاورة التى تعرضت أيضا لأعمال التدميروالحرائق، دون أن تكون هناك مقاومة (٢). وتذكر المصادر أن أعمال الحسن بن قحيطة قائد هذا الجيش قد ثقلت وطأتها على الأهالى البيزنطيين حتى أنهم صوروه فى الكنائس وسموه باسم التنين (٣). ومن المصادر العربية انفرد المؤرخ خليفة ابن خياط برواية تفيد أن الجيش العباسى بقيادة الحسن بن قحطبة قد وجه ابنه محمد بن الحسن

١- Theophanes,Chronographia, Col. 912 ونصائح ليو الرابع هذه تمثل تكتيكا عسكريا أشار إليه الإمبراطور المؤرخ ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م/٢٧٣-٣٠٠هـ) الذى يحذر من ضرورة توافر المقدرة التكتيكية للقائد البيزنطى الذى سيتعامل مع المسلمين الذين تتوافر فيهم مهارة العمليات العسكرية. انظر Theophanes,Chronographia, Col. 912 ;Leo Sapiens, Tactica, Ed. Migne, patrologia Graeca,Tome. CVII,Paris, 1863; COl. 975.

٢- Theophanes,Chronographia, Col. 912 وقد اخطأت الترجمة الانجليزية لهذا المصدر فى تحديد مدة حصار دروليوم، فقد ذكرت أنه استمر خمسة عشر يوما. انظر: Harry Turtledove, The Chronicle of Theophanes, p.138. وللمزيد انظر:الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٣.

٣-الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٥٨ .أو الشيتن انظر.البلاذرى: فتوح البلدان، ص٢٠٠.

بن قحطبة إلى عمورية. ومما يؤيد هذه الرواية، أنها مؤكدة عند المؤرخ اليونانى ثيوفان. وعلى الرغم من أن محمد بن الحسن قد حاصر عمورية، إلا أن ذلك لم يدم أكثر من يوم واحد فقد انضم الحسن لابنه فى هذا الحصار، ولكن حين علموا مدى تحصين المدينة بأسوارها وأسلحتها وقوة جنودها، تراجعوا عن فكرة دخولها.(١) وكان على الحسن سرعة الانسحاب من قلب آسيا الصغرى نظرا لقلة الإمدادات التى تكفى حاجة قواته أوجياده، مما أدى إلى موت أعداد كبيرة منها (٢). ولم يكن انسحابه مأمونا، فقد تعرض لتحرشات من جيش بيزنطى قيادة القائد ميخائيل لاخانودراكون، الذى شن هجماته على مؤخرة جيش الحسن تطبيقا لنصائح الإمبراطور لقادته (٣). وتعليقا على هذه الحملة نجد أنها لم تحقق أهدافا ذات قيمة، على الرغم من توغلها فى قلب آسيا الصغرى وتجاوزها عمورية، سوى أنها كانت إثباتا لوجود الجيش العباسى واستعراضا لقوته. ذلك أنه لم يتم فتح أي حصن سواء فى طريق الذهاب أوالعودة (٤). وترتب على هذه الحملة أيضا أنه أثناء مورر الحسن بحصـــن الحدث شاهد ما تعرض له من دمار

١-أثبتت المناوشات التى دارت بين الحسن وبين أهالى عمورية أنه من الصعب دخولها. انظر: خليفة بن خياط:تاريخ ابن خياط،القسم الثانى،ص٦٨٦وأيضا,Theophanes, Chronogeaphia, Col. 912 وعن قوة ومناعة عمورية انظر: وديع فتحى عبد الله: ثيوفيلوس، صفحات ١٧٧-١٧٨. انظر أيضا الخريطة رقم (٧).

٢- Theophanes,Chronographia, Col. 912.

٣- Theophanes,Chronographia, Col. 912

٤-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٦٨٦؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٢؛ راجع ايضا: Pargoire, R.P.J., l 'Eglise Byzantine De 527 A847, Troisieme Edition, Paris, 1923, P.275.

فاقترح على الخليفة المهدى بناءه، فوافق مرحبا بالاقتراح نظرا لأهمية الحصن (١). كذلك فأثناء الحملة كان الحسن قد نزل بمرج طرسوس، وكانت تعانى الخراب أيضا، فقام بحصر عدد سكانها فوجدهم مائة ألف، فاقترح على المهدى أيضا بناء ها مبينا الفوائد التى تعود على الخلافة العباسية إذا تم بناء وتحصين طرسوس وتزويدها بالمقاتلين المسلمين (٢). وبالإضافة إلى الحدث وطرسوس، هناك آراء تقول أن المهدى قد بدأ فى بناء كَفَرْبيا (٣) .

وإذا كانت حملة الحسن هذه لم تفتح حصونا، فان القائد العباسى يزيد بن أسيد السلمى قد تمكن فى نفس عام١٦٢هـ/٧٧٨م من عبور أبواب قيليقيا، وفتح ثلاثة حصون لم تدلنا المصادر العربية على أسمائها، واكتفت بقولها إنه غنم وسبى عـــددا

١- ففي عام ١٦٨هـ/٧٨٤م أمر الخليفة على بن سليمان بن على ببناء مدينة الحدث، وبدأالعمل فى العام التالى (١٦٤هـ/٧٨٠م)، واستمر حتى عام ١٦٩هـ/٧٨٥م. وأطلق عليها أحيانا المهدية (أو المحمدية) على اسم محمد المهدى كما أطلق عليها اسم الحدث الحمراء لحمرة أرضها. وكان بناؤها بالطوب اللبن، ولذلك كانت ضعيفة فتعرض سورها للهدم فى عهد الرشيد بفعل الشتاء. وخصص لها حماية تضم أربعة آلاف رجل، كما نقل إليها ألفين من بعض الحصون المجاورة مثل ملطية وكيسوم ودلوك ورعبان. ونلاحظ أن البيزنطيين يسمونها أداتا Adata للمزيد من التفاصيل انظر: خليفة بن خياط، القسم الثانى، ص٦٩٢ ؛البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، صفحات ٢٠٠، ٢٢٦-٢٢٧؛ وأيضا:. Michel Le Syrien Chronique, Tome III,p.2

٢- وكانت طرسوس تسمى قديما بارسين (أوبارشين) ثم عربت إلى طرسوس التى يقال إنها نسبة إلى طرسوس بن اليقن بن سام بن نوح، وفقا لرواية المؤرخ وليم الصورى ولكن المهدى لم يشرع فى بنائها واستمرت خرابا حتى اعتلاء الرشيد. انظر : البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٢٦ ابن شداد: الأعلاق ص٢٤-٣٥ وأيضا: William Archbishop of Trye, A History of Deeds Done Beyond the Sea, 2 Vols, Translated and Annotated By Emily Atwater Babcock and A. C.Krey New York, 1943, Vol . I,PP.178- 179; CF.Also: Aly Mohamed Fahmy , Muslim Naval Organisation, p. 56

٣-البلاذرى: فتوح البلدان ، القسم الأول ، ص١٩٧. من المعروف أن الرشيد غير بناءها بعد ذلك وحصنها بخندق.

كبيرا (١).

ومن مجمل الأحداث السياسية بين العالمين البيزنطى والإسلامى فى فترة المواجهة السابقة بين العاهلين الكبيرين الإمبراطور البيزنطى ليو الرابع، والخليفة العباسى المهدى، تجدر الإشارة إلى أن المهدى لم يكن يقل عن اسلافه سواء فى الكفاءة أو النظرة الحاسمة تجاه الخطر البيزنطى. لذا استمر فى سياسة سلفه الخليفة المنصور، فلم يتخل عن سياسة بناء وترميم الحصون، وحشد الجنود بها، كما واصل التصدى بقوة لحملات ليو الرابع على مناطق الثغور و الحدود الإسلامية. هذا، على الرغم من أنه فى ذلك العام ١٦٢هـ/٧٧٨م ظهرت الملامح الأولى للحركة الخرمية (٢). وكان قد سبقها فى ١٦١هـ/ ٧٧٧م ظهور فكرة تناسخ

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٣؛ ابن الأثير: الكامل، ص٥٨؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٢٠.

٢- سميت هذه الحركة فى بداية ظهورها ب " المحمرة " حيث ارتدى أصحابها الثياب الحمراء ، وكان أول ظهورهم فى أواخر عهد الدولة الأموية فى عهد مروان بن محمد عام ١٣٢ هـ/٧٤٩م، حتى زاد عددهم. وفى عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨م أعلنت جماعةالمحمرة هذه فى بعض مناطق خراسان خروجها على الخلافة العباسية تحت زعامة قائد تسميه بعض الروايات باسم عبد الوهاب، والبعض الأخرباسم عبد القهار (وهي التسمية الغالبة) ثم انضمت إليها جماعات أخرى من المحمرة، ولكن فى منطقة أخرى هى منطقة جرجان بزعامة رجل ادعى أنه ابن أبى مسلم الخراسانى وكان اتحاد الحركتين تحت زعامة قائدهم عبد القهار. وزاد عددهم وخطرهم وتخريبهم وقتلوا الكثير من الناس وهددوا استقرار وأمن البلاد. وكان على المهدى مواجهة هذا الخطر، فأرسل قائده عمر بن العلاء من طبرستان. وتمكن هذا القائد من القضاء على هذه الحركة. انظر الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٣؛ مؤلف مجهول: العيون، ص٢٧٣؛ راجع أيضا محمد سالم العونى: الخرمية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد السابع عام ١٩٨٣م صفحات ٤١-٤٢. وعن تطور هذه الحركة حتى أصبحت الحركة الخرمية انظر: وديع فتحى عبد الله: ثيوفيلوس، ص١٥٥-١٥٦.

الأرواح (١)كحركتين خطيرتين تهددان استقرار البلاد. فكانت مواجهة الخليفة العباسى المهدى لهذه الحركات الفكرية الداخلية، التى خرجت على الخلافة العباسية واشتد خطرها واتخذت اسلوب القوة والعنف والقتل،تثبت أن هذا الخليفة قادر على مواصلة أداء مهام سياسته بكفاءة ومقدرة، سواء السياسة الداخلية أو الخارجية. وهذا ماتأكد خلال سنوات حكمه السابق. فلم يهتم بمواجهة هذه الحركات على حساب سياسته الخارجية، كما أنه لم يترك هذه الاضطرابات تستشرى من أجل الاهتمام بمواجهة الخطر البيزنطى، بل سار فى سياسة متوازية ومتوازنة.

ولم تكن الأفكار المتطرفة فقط هى التى هددت الاستقرار والأمن الداخلى للخلافة فى عهد المهدى، بل كانت هناك بعض الثورات وحركات التمرد التى هددت استقرار البلاد أيضا. ففى ١٦١هـ/ ٧٧٧م تمرد عبد الله بن مروان بن محمد الأموى ببلاد الشام ولكن المهدى أخمد تمرده (٢). كذلك فى عام ١٦٢هـ/٧٧٨م ظهرت حركة تمرد فى قنسرين بقيادة عبد السلام بن هاشم اليشكرى، واشتدت شوكته وخطره وهزم عددا من قادة المهدى. وأخيرا تمكن القائد شبيب بن واج من قتله(٣).كذلك انشغل المهدى بحركات تمرد فى بلاد الأندلس والبربر (٤). غير أن كل هذا لم يمنع المهدى – حسبما أسلفنا– من الاهتمام بمناطق الحدود مع بيزنطة.

١– كان أول ظهورها فى خراسان فى قرية من قرى مرو، وتزعمها رجل يدعى حكيم المقنع وانضمت إليه أعداد من الناس، ووجه إليه عدد من القادة كان آخرهم سعيد الحرشى الذى حاصرهم وهزمهم. انظر :الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٣٥ ، ١٤٣؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٧٣.

٢– الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٣٥.

٣– الطبرى : تاريخ الرسل، جـ ٨، ص١٤٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص٥٨؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣١٩.

٤– أرسل المهدى عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨م أربعة جيوش لإخمادها. انظر : ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٥٨–٥٩.

زاول البيزنطيون نشاطهم وأغاروا على الحدث وهدموا سورها فى ٧٧٩م/ ١٦٣هـ (١). وعلى الرغم من عدم خطورة الغارة، إلاّ أن المهدى حرص على أن يكون رده قويا خاصة وأن الحدث أصبحت هدفا لضربات متوالية من جانب البيزنطيين . بل إن ميزان القوى لم يعكس تفوقا واضحا وملموسا لأى من طرفى الصراع، بل كانت الحرب سجالا بينهما، وكانت الكفة تميل لصالح الطرف الذى يمسك بزمام المبادرة. فأراد الخليفةالعباسى أن يوجه ضربة تحسم الأمر لصالحه إلى حد كبير.

وفى رجب ١٦٣هـ/ مارس ٧٨٠م جهز الخليفة المهدى جيشا كبيرا لغزو الحدود البيزنطية، وأشرف الخليفة بنفسه على الإعداد لهذه الحملة وقيادتها. فجمع جنودها من جميع الأجناد من أهل خراسان حتى بلغ عدد أفراد الجيش المشترك فى الحملة وفقا للمصادر العربية حوالى مائة وخمسين ألفا (٢). وسار المهدى بالحملة بعد أن استخلف ابنه موسى الهادى على بغداد (٣). وعسكر بالبردان نحوا من شهرين للاستعداد، ثم سار إلى الموصل مارا فى طريقه بالجزيرة، وعبر الفرات إلى حلب التى اتخذ منها مركزا لأعماله الحربية (٤).

١- ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص٥٨؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٣٩.

٢- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٤؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص٦٠، راجع أيضا : حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ص٢٤٤. ولاشك أن الرقم الخاص بتعداد لحملة فية مبالغة.

٣- كان يبلغ من العمر عشرين عاما. انظر: الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٠.

٤- بينما تجمع المصادر العربية على أن المهدى اتخذ من حلب قاعدة حربية له، فإن المؤرخ اليونانى ثيوفان يذكر أن دابق كانت هى القاعدة التى اتخذها المهدى . رغم أن المسافة بين حلب ودابق لاتزيد على أربعة وعشرين كم، إلا أننا نرجح ما أخذت به المصادر العربية من تحديد حلب، لأن هذه المصادر أكثر دراية بأسماء ومواقع هذه المنطقة نظرا لكونها أقرب للحدود الإسلامية منها للحدود البيزنطية. انظر : ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢ ،ص١١٤. وأيضا: Theophanes,Chronographia, Col. 912. وقد قام المهدى فى حلب بجمع الزنادقة الذين كانوا يعيشون فى خيام حول حلب، وأدخل منهم فى الإسلام حوالى خمسة آلاف، كما طارد الباقين منهم . انظر: الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٤-١٤٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٠؛ أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، طـ١، القاهرة ١٣٢٥هـ ، جـ٢، ص٩؛ العينى : عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٣١؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ،ص٢٧٣. وأيضا: Bar Hebraeus, The Chronography, P.117; Michel Le Syrien, Chronique. P .I. وعن الزنادقة وحركتهم انظر: جمال سرور: الحياةالسياسة فى الدولة العربية، القاهرة ١٩٧٩، طـ٦، جـ٢، ص١٨٦.

وفي حلب شيع المهدى ابنه هارون، الذى كان قد اصطحبه، وجعله قائدا على الحملة . وقبل المضى فى ذكر أحداثها يجب الإشارة إلى أنه مع ضخامة هذه الحملة، فإنه لا يمكن التسليم بأن هارون قد لعب دور القائد الفعلى والمباشر فيها، خاصة إذا ما علمنا أن هارون لم يكن فى ذلك الوقت قد تجاوز السابعة عشرة (١). ولهذا نجد أن المهدى حرص أشد الحرص على أن يصاحبه كبار قادة الخلافة العباسية من أصحاب الرتب العالية، والخبرة والكفاءة.فقد صحبه أربعة من أسرة البرامكة، هم خالد بن برمك وابنه يحيى، وأخوه خالد الحسن وسليمان بن برمك، هذا بالإضافة إلى القائد عيسى بن موسى، وعبد الملك بن صالح، والربيع بن يونس- الذى كان مولى المهدى- كما كان مع يحيى بن خالد أقرب المستشارين إلى هارون، بينما اختص خالد بن برمك بأمر العسكر والنفقات بالإضـــــافة إلى عمله كمستشار لهارون، وأيضـــــا الحسن بن قحطبة (٢).

١- المرجح أنه ولد فى ذى الحجة عام ١٤٥هـ/ مارس٧٦٣م- هناك من يقولون خطأ أنه ولد فى ١٤٨هـ/٧٦٦م- انظر: الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٠؛ ابن عمرانى: الأنباء، ص٧٥.

٢-الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص ٦٠-٦١؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص٢٧٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥،ص٤٤٧. وايضا: Brooks, Byzantines and The Arabs,E.H.R,.P. 736; Canard, Byzantium and The Muslim World, C.M.H., 1967 P. 705. ويرى الأستاذ فتحى عثمان أن المهدى قد استعفى الحسن بن قحطبة من هذه الحملة بينما تذكر المصادر عكس ذلك . وربما كان تبرير رأي الأستاذ فتحى عثمان أن المصادر لم تشر لنشاط قام به الحسن فى احداث هذه الحملة، وهو القائد المتميز. انظرفتحى عثمان: الحدود الإسلامية، جـ٢، ص١٥٢.

ودّع المهدى ابنه هارون من حلب، وعبر هارون درب الحدث، وبلغ نهر جيحان(١)، ثم دخل مدينة المهدية، ومنها إلى منطقة البستان المعروفة عند البيزنطيين باسم أرابيسوس Arabissos (٢). ومنها أخذ طريقه متوغلا فى آسيا الصغرى، ووصل إلى ثيم أرمينيا بشكل يذكرنا بما كان يفعله الأمويون حينما اعتادوا تهديد هذا العمق البيزنطى (٣). ونزل هارون عددا من الحصون البيزنطية أهمها حصن سمالو(٤)، ولم يفتح هذا الحصن بسهولة فقد استعصى ذلك على هارون فى البداية، ففرض عليه الحصار ونصب عليه المجانيق(٥) وتعرض الحصن للتخريب كما تعرض أهله للعطش والجوع. وكانت الخسائر بين الطرفين كبيرة بسبب اشتداد المقاومة. ولكن لم يجد أهل الحصن فائدة من مواصلة المقاومة فاستسلموا بعد أن اعــطاهم الرشيد الأمان الذى

١- Michel Le syrien, Tome III, P.I. ويسمى عند البيزنطيين باسم بورامس Puramon يقع بالقرب من المصيصة بحوالى عشرة كم. انظر: ابن حوقل النصيبى: صورة الأرض، القسم الأول، طـ٢ ليدن ١٩٣٨، مطبعة بريل، ص١٨٣. وانظر الخريطة رقم (٧).

٢- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٢٩؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٠؛ العينى: عقد الجمان جـ١١، لوحة رقم ٣٣١. ويخطىء ابن العبرى والسريانى عندما يقولا أن المهدى هو الذى دخل البستان، فالصحيح أنه هارون أنظر: Bar Hebraeus, The Chronography, p.II7; Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,P.I

٣- Theophanes,Chronographia, Col. 913

٤- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٦٨٧؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣صفحات ١٢٩، ١٣٥؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ص١٤٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٤. أما ابن الأثير فيكتبها سمالوا انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦١. انظر أيضا Bar Hebraeus, the Chronography , p. 118; Michel Le syrien, Chronique, Tome III,P.1. و انظر الخريطة رقم (٧).

٥- المنجنيق كلمة فارسية معربة. وقداستخدم المسلمون هذا المنجنيق منذ عهد الرسول علية الصلاة والسلام، ثم أدخلوا عليه كثيرا من التحسينات. وقد أستخدم للمرة الأولى فى غزوة الخندق. انظر: سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٧٢، ص٢٢٣.

طلبوه، وعقد معهم معاهدة سلام فى المحرم ١٦٤هـ/ سبتمبر ٧٨٠م بشرط أن يبقى على حياتهم وألايفصل أحدهم عن الأخر (١) .

وقد تعددت آراء المؤرخيين فى مدة حصار حصن سمالو، إذ ذكر بعضهم أن الحصار دام ثمانية وثلاثين يوما(٢)وذكرأخرون أنه دام أربعين يوما(٣)وهاتان المجموعتان من الآراء تتعلقان بالمصادر العربية. أما المصادر اليونانية،فيقول ثيوفان، وهو المعاصر لهذه الأحداث، أن الحصار دام طوال الصيف(٤)ورغم التفاوت الكبير بين المصادر العربية و اليونانية،إلا أن تتبع الأحداث يمكن أن يساعدنا فى الوصول إلى رأى بهذا الصدد. فالحملة خرجت من بغداد فى رجب١٦٣هـ/ مارس٧٨٠م،ثم دخلـــت

١- Theophanes, Chronographia, Col. 916; Geogrgius Hamartolus,Chronicon, col. 956. وهذان المصدران اليونانيان يستخدمان لفظ الأجارينيين Agarenes للدلالة على المسلمين. وهو لفظ مشتق من كلمة هاجر زوج إبراهيم عليه السلام. انظر قنسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية ، ترجمة وتعليق محمودسعيدعمران، بيروت،١٩٨٠، ص٧٩. ويخطئ المؤلف المجهول صاحب كتاب العيون والحدائق فى قوله أن هارون حينما دخل الأراضى البيزنطية سمع بوفاة الإمبراطور ليو الرابع، ويحدد لذلك عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩-٧٨٠م. والصواب أن الإمبراطور كان على قيد الحياة، لأن وفاته ٨ سبتمبر ٧٨٠م/٢ محرم ١٦٤هـ . انظر مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص٢٧٨. ولم تحدد المصادر تاريخ دخول هارون إلى الأراضى البيزنطية، وإن كان الباحث يرجح أنه دخلها فى رمضان ١٦٣هـ/ مايو ٧٨٠م، نظرا لأن المهدى سار بالحملة فى رجب ١٦٣هـ مارس ٧٨٠، وأنه مكث بالبردان شهرين استعدادا لدخول الحدود البيزنطية.

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢ ،ص١١٤.

٣- العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٣١.

٤- Theophanes,Chronographia, Col. 956. وعلى الرغم أن المؤرخ همرتولس كان معاصرا لهذه الأحداث، إلا أنه لم يشر لهذه الحادثة بأكثر من سطر. انظر: Georgius, Hamartolus,Chronicon, Col. 956

الأراضى البيزنطية فى رمضان١٦٣هـ/مايو ٧٨٠م ونفترض أن دخول الأراضى البيزنطية والتوغل فى قلب آسيا الصغرى، وفتح الحصون التى صادفته قبل سمالو قد استغرق ما يقرب من شهر واحد، فتكون إذن فى شهر شوال١٦٣هـ/اواخر يونيو ٧٨٠م ومنذ هذا التاريخ حتى توقيع معاهدة الصلح، يتبقى مدة تزيد على الشهرين بأيام قليلة، وهى المدة التى حوصر أثناءها حصن سمالو. لذلك لا يمكن الأخذ برأى المصادر اليونانية التى اعتمد عليها السيد أحمد بن زينى دحلان وقال إن الحصار استمر ثمانية وثمانين يوما، خاصة وقد أمدنا ثيوفان بمعلومات قيمة تقول إن معاهدة الصلح قد وقعت فى سبتمبر ٧٨٠م/ محرم ١٦٤هـ، وإن ليو الرابع قد توفى فى ٨سبتمبر، وان الاتفاقية قد وقعت فى عهده لذلك يجب استبعاد شهر سبتمبر من حسابات مدة الحصار، خاصة وأنه سبق معاهدة الصلح مفاوضات بين الطرفين للاتفاق على شروط السلام (١). هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن حصنا مثل حصن سمالو، وفى ظل وجود قوات مثل قوات هارون البالغة الضخامة، لايجب التسليم بأنه يصمد طوال الصيف أو طوال ثمانية وثمانين يوما كما يرى زينى دحلان الذى يُعتقد أنه نقل هذا الرأى عن ثيوفان(٢). كما أنه لايسوغ أن تترك بيزنطة هذا الحصن رهنا للحصار طوال هذه المدة الطويلة دون تدخل. لهذه الأسباب يرى الباحث أنه من الأفضل الأخذ برأى الطبرى، الذى يعتبر مصدر ثقة بشأن هذه الأحداث، والذى يرى أن الحصار استمر ثمانية وثلاثين يوما(٣).

على أى حال،عاد هارون بقواته سالمة، إلاّ من كان قد تعرض من جنوده للإصابة بعد أن نجح فى ضم سمالو إلى سلطانه(٤) وقد حمل معه بعض أسـرى الحصن

١- Theophanes,Chronographia, Col. 916 .

٢- السيد أحمد بن زينى دحلان: الفتوحات الإسلامية، جـ١، ص٢٧٧.

٣-الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٤٨ . خاصة وإن اليعقوبى لم يذكر تفاصيل عن هذه الحادثة. كذلك فقد تناولها خليفة بن خياط باختصار لايفيد. انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص١٣٥؛ خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٨٦.

٤- Theophanes,Chronographia, Col. 916

إلى بغداد، وأنزلهم على باب الشمّاسية، فسموا موضعهم هذا سمالو، وكان هارون قد باع من بقى في الحصن(١). وكان هارون وهو في طريق عودته إلى بغداد قد مربيت المقدس وصلى في مسجده (٢). وهذه الحملة من أهم حملات الخليفة المهدى، الذى كافأ ابنه هارون على هذا النجاح بأن ولاه على المغرب كله وآذربيجان وأرمينية ليكسبه مزيدا من الخبرة (٣).

ثم ينفرد المؤرخ ثيوفان برواية عن حملة أرسلها الخليفة المهدى بقيادة ثمامة بن الوليد على رأس جيش مكون من خمسين ألف مقاتل دخلوا آسيا الصغرى. ولكن حدثت مواجهة بين جيشه وجيش بيزنطى يقوده ميخائيل لاخانودراكون، وبعد معركة قصيرة وضح تفوق الجيش البيزنطى، إذ تمكن ميخائيل من قتل شقيق ثمامة الذى آثرالانسحاب(٤).

وعلى الرغم من انفراد المؤرخ ثيوفان بهذه الرواية من بين المصادر اليونانية أو العربية، إلا أن الباحث يطمئن إلى صحتها، مادام القائد البيزنطى المنتصر هو ميخائيل لاخانودراكون، الذى لايكن له ثيوفان أى عاطفة من أى نوع. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالأحداث أثبتت أهمية دور هذا القائد فى الدفاع عن الحدود البيزنطية عامة، لا عن ثيمه فقط. فليس معنـــى أنه استراتيجوس لثيم التراقيسيون الواقع فى الـــركن

١- وكان ضمن هؤلاء الأسرى أسير حبشى يسب هارون، فتم صلبه على برج من أبراج الحصن. انظر البلاذرى : فتوح البلدان، ص٢٠٢وأيضا:Michel Le syrien , Chronique, tome III, p. I.

٢- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٠٢؛ الطبرى: تاريخ الرسل جـ٨ ص١٨٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٠. وأيضا:Michel Le Syrien ,Chronique, Tome III,p.I

٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦١؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٣٧؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٤.

٤- Theophanes,Chronographia, Col. 916

الجنوبي الغربي للثيمات البيزنطية(١) أن حملة ثمامة الأخيرة قد وصلت إلى هذا الثيم، فلم يكن من السهل ذلك، إذ كان عليه عبورثيمات أخرى كانت ستقاومه بالضرورة،كما أنه لم يكن قد مضى الا أيام قليلة على عودة حملة هارون الطويلة التي فتح فيها حصن سمالو . وتفسير هذا أن القائد ميخائيل كان يتبوأ مركزا متقدما بين قادة الثيمات كلها، جعله يقوم بمهمة صد أى هجوم إسلامى فى إرجاء آسيا الصغرى مادامت الفرصة سانحة.ومن جهة ثالثة، فنشاط الخليفة المهدى فى هذه السنة (١٦٣هـ/٧٧٩م) بهذا الشكل يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من أن المهدى يريد لدولته أن تكون ندا قويا للإمبراطورية البيزنطية، بل وأن تكون لها اليد العليا فى الصراع الدائر بينهما إن أمكن، كما يريد لنفسه أن يكون خير خلف لسلفه المنصور.

تعتبر الحملة التى قادها هارون فى ١٦٣هـ/٧٧٩م من أهم حملات الخليفة العباسى المهدى على جبهة الحدود البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو الرابع.فعلى الرغم من أن النشاط الحدودى مازال سجالا بين القوتين المتصارعتين البيزنطية والإسلامية، فمن الواضح أن السياسة البيزنطية، على الجبهة الإسلامية قد أصابها بعض التراجع فى السنتين الأخيرتين (٧٧٨-٧٧٩م/١٦٢-١٦٣هـ) ويرجع هذا من ناحية إلى أن الخلافة العباسية قد بدأت فى الوصول إلى ذروة النضج والقوة، كما يرجع من ناحية أخرى إلى أن المهدى قد بدأ فى بعث روح جديدة فى الجهاد ضد البيزنطيين(٢).

١- انظر الخريطة رقم(٢).

٢-الحقيقة أن هذه الروح استمرت فى عهد الخليفة المهدى هو وابنه هارون. وقد ساعدت ظروف تنشئة هارون على ذلك. فقد ساهم هذا الأمير بدور فى الحملة الأخيرة، وسيستمر دوره بعد ذلك. ولاخلاف أن ُحسن التربية اكسب هارون من الخبرة والثقة ماجعل أباه يطمئن عليه حتى أشركه فى الحملات الضخمة رغم حداثة سنه. وقد أظهر فيها من البراعة ماجعل المهدى يستبشر خيرا فى ابنه، مما حمله على توليته قيادة جيشه فى السنوات التالية من عهده. انظر: النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٦؛ راجع أيضا: فاروق عمر: الخلافة العباسية، بغداد ١٩٧٧م، الطبعة الثانية، ص٢٤.

وتعلق بعض الآراء على هذا النشاط العباسي في تلك الفترة بقولها إن الهدف من هذا النشاط في الأراضي البيزنطية كان السلب والنهب، والحصول على أكبر قدر ممكن من العبيد لبيعهم في الأسواق الخاصة بذلك داخل الخلافة العباسية، ولم يكن الهدف هو الاحتلال الدائم لأراض بيزنطية(١).

والحقيقة أن هذا الرأى الأخير يحتاج إلى وقفه. فإذا كان هدف هذا النشاط اقتصاديا للحصول على العبيد، فلم يكن العباسيون في حاجة إلى مثل هذه الأعداد الضخمة من جنود الحملات للمغامرة في معارك تُمنى فيها بخسائر من أجل هذا الهدف. كذلك فإن سياسة الاحتلال الدائم كانت سياسة الخلافة الإسلامية في فترة الفتوحات الإسلامية ، وحتى عهد الخلافة الأموية. أما وقد وصلت حدود الخلافة إلى أقصى اتساع لها، فقد تغيرت الاستراتيجية العامة للعالم الإسلامي من الخلافة الأموية إلى الخلافة العباسية على النحو الذى سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني. ومن هنا يتضح أن الغزوات العربية لم تكن دوافعها سياسية أو اقتصادية، بل دينية فقد كان الجهاد من أقوى دوافعها. فالصراع بين العرب والبيزنطيين، لم يظهر إبان الحكم العباسي فقط. بل هو صراع قديم يمكن أن تؤرخ بدايته بظهور الإسلام، الذى جاء بمبدأ الجهاد في سبيل الله (٢). ولقد كانت مناطق الحدود المشتركة بين العالمين البيزنطـــي و الإسلامي مناطق عســـكرية، أسس المســـلمون في المراكـز الأمامية

١- Zonaras, Annalium, Col. 1341; Michel Le Syrien, Tome III, p.I; Cf . Also: Finlay, Byzantine Empire, p.84. ويزيد فنلاى رأى المصدرين المشار اليهما، ويضيف أن هذه الحروب بهذا الشكل كانت عبارة عن صفقات تجارية، حتى أن الخلفاء احتفظوا بالأسرى من الطبقات السفلى لبيعهم في سوق العبيد، بينما استبقوا أهل الطبقات الأعلى لكى تدفع عنهم فدية أو يبادلوهم بمن هم في مرتبتهم من العرب الذين في حوزة البيزنطيين.

٢- الدميرى : حياة الحيوان الكبرى ، جـ١، ص٦٩؛ راجع أيضا: محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام، القاهرة (دار الفكر العربي) بدون تاريخ، ص١١٥.

والاستراتيجية منها حاميات وحصونا، وأقاموا بها جماعات عسكرية سميت بالمرابطين مهمتها الدفاع عن هذه المناطق، وحاربوا بشجاعة وبطولة ليست من أجل الجهاد والمجد فحسب، وانما من أجل الشهادة أيضا(١) .

ولم تكن الدولة العباسية فقط هى المتأثرة بالفكرة الدينية. بل إن العالمين البيزنطى والاسلامى قد سيطرت عليهما هذه الفكرة، حتى أصبحت هى الموجهة لسياسات وعلاقات طرفى النزاع إلى حد كبير. وبعبارة أخرى، فقد كان الصراع العسكرى بين هذين العالمين مرآة تعكس الصراع الدينى، على أن كليهما اعتبر نفسه مسئولا عن الدفاع عن عقيدته الدينية،حتى أصبحت هذه الحرب المقدسة بمثابة الواجب الدينى(٢).

وفى هذه الظروف توفى الإمبراطور ليو الرابع فى٧٨٠م / ١٦٤ هـ (٣) ، وكان ابنه الصغير قنسطنطين السادس فى العاشرة من عمره (٤). ورغم أن الإمبراطور ليو كان رافضا فكرة تعيين ابنه إمبراطورا وهو صغير، إلا أن المصادر اليونانية تشير إلى أن الإمبراطور وافق على تتويج ابنه إمبراطورا بناء على رغبة قادة الجيش، الذين تمتعوا بمنزلة كبيرة لديه. ولم تكن موافقة الإمبراطور بمثابة خضوع لرأى هؤلاء القادة، بقدر ما كانت رغبة منه فى ارضـــــائهم، وذلك إشارة منه إلى قوتهم، واعتماده عليهم،

١- Chevond, Guerres p.7; Cf .Also: Constantelos,D.J The Moslem Conquests, p. 345 ; Canard, Byzantium and the MosLim World , C.M.H., Vol Iv, part,I, 1967, p. 696; Oman, the Art Of War, p. 38; lot, I Art Militaire , p. 61.

٢- Canard, Byzantium, and The Moslim World, C.M. H,.Vol, IV.1967. p.696 وأيضا : عز الدين أسماعيل : فى الشعر العباسى، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٦٤-١٦٥.

٣- يخطىء ابن العبرى فى قوله إن الوفاة حدثت عام ٧٨١م/ ١٦٥هـ. انظر Bar Hebraeus, The Chronograhy, p . 117.

٤- Theophanes,Chronographia, Col. 905 بينما يرى ميشيل السريانى أنه كان يبلغ من العمر اثنتا عشرة سنة. انظر: Michel Le Syrien , Chronique, Tom III,p.2 انظر أيضا الملحق رقم ٦.

بالإضافة إلى عدم رغبته فى تقويض البناء العسكرى الذى ورثه(١). وتذكر رواية للمؤرخ الدينى المعاصر جورج موناخوس همرتولس أن هؤلاء القادة تجمعوا مطالبين الإمبراطور ليو بأن يتولى ابنه قنسطنطين عرش الإمبراطورية ، فكان رد الإمبراطور ليو الرابع عليهم : " أن ولدى – وهو وحيدى وليس لى غيره– صغير. وإنى أخاف أن أعينه فى هذا المنصب ثم تقوموا أنتم بعزله عند موتى بسبب صغر سنه ، وتنصبوا مكانه أميرا آخر. " . ولكن القادة أقسموا بالاخلاص له ولابنه (٢). ولم يكن الإمبراطور قد حصل على قسم الجيش فقط، بل أقسم له الشعب ومجلس الشيوخ هذا القسم نفسه، كما أقسمه أصحاب حرف التجارة والصناعة، والطبقات المتميزة فى المجتمع البيزنطى. بل إن الطبقات العادية من عامة الناس أعلنوا سعادتهم وتأييدهم، خاصة وأن الإمبراطور كان يقوم دائما بتوزيع الأموال التى فاضت بها خزائن البلاد عليهم(٣). وقد أوصت هذه الطبقات على كتابة هذا القسم كميثاق وشهادة عليهم. واحتفل بتنصيب ابنه قنسطنطين السادس وهو يعلن للمجتمعين: " إنكم ترون ياأخوتى أننى ألبى رغبتكم، وأجعل من ولدى إمبراطورا عليكم ." ومرة أخرى يقسم المجتمعون على أن يحافظوا على سلامة ابنه الإمبراطور الجديد(٤).

وبالطبع يجب أن نفترض أنه عندما كان الجيش وقادته يطالبون الإمبراطور بتتويج ابنه، فإنهم كانوا يتصرفون هذا بوحى من رغبة واقتراح الإمبراطور نفسه، وما حركة الشعب المؤيد لهذا المطلب إلا تجاوبا مع هذه الرغبة، وبإيعاز من رجال البلاط والجيش(٥). وكان هذا كله من أجل تقليد خلافة الإمبراطورية إلى الابن الأكبر، وضمان استقرار الأمور فى أرجاء الإمبراطورية حتى لاتحدث صـراعات على العرش.

١- Theophanes,Chronographia, Col. 905

٢- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 905.

٣- Theophanes,Chronographia, Col. 905

٤- Theophanes,Chronographia, Col. 908

٥- Zonarras, Annalium, col.1314; Cf .Also : Manojlovic, Le Peuple De Constantinople, pp. 703-705. انظر الملحق رقم ٦ .

ولا شك أن تزايد اهتمام ليو الرابع بهذا الموضوع- أكثر من غيره من الأباطرة- مرجعه قلقه الدائم على حالته الصحية، التى كانت سيئة منذ اعتلائه العر ش(١). ثم انه كان حريصا على مواصلة سياسة سلفه، وكان يرغب فى أن يواصل ابنه هذه السياسة نفسها وخاصة فيما يتعلق بسياسة بيزنطة الخارجية حيال الجبهة الإسلامية الشرقية.

وقد لاحظنا أن الظروف هيأت الفرصة للإمبراطور ليو الرابع لمحاربة المسلمين، بشكل أفضل مما هيأت لسلفه الإمبراطور قنسطنطين الخامس. ففى الداخل عاشت الإمبراطورية فترة استقرار داخلى ورخاء اقتصادى. وفى الخارج أمن ليو الرابع خطر البلغار كما أشرنا، وأصلح من قواته العسكرية التى خرجت منهكة بعد سلسة من حروب طويلة فى عهد سلفه. ولذلك فبعد أقل من تسعة أشهر من تولية ليو الرابع العرش، هاجم سميساط فى صيف ٧٧٦م/١٦٠هـ محاولا جس نبض القوة العباسية، وإفهام المسلمين أن السياسة البيزنطية التى بدأها سلفه سوف تستمر، وكذلك لاستعراض القوة البيزنطية، معتمدا فى ذلك على مجموعة قادة أوفياء سبق لهم أن خدموا فى عهد قنسطنطين الخامس. وكان يهدف إلى تحقيق نصر يرفع الروح المعنوية لجنوده فى بداية توليه العرش، ومع حركة ردود الأفعال التى ميزت تلك الحقبة من تاريخ العلاقات بين العالمين البيزنطى والإسلامى، بادر المهدى بالرد على النشاط البيزنطى، فاستولى على كاسن فى عام ١٦٠هـ/٧٧٦م ردا على الحملة البيزنطية. فهو يهدف أيضا إلى تحقيق نصر فى عمق الحدود البيزنطية فى آسيا الصغرى،، وليستعرض قوته، معلنا للبيزنطيين أن سياسة الخليفة المنصور مستمرة فى عهد ابنه المهدى. ومن هنا استمر فى الصوائف فى العام التالى (١٦١هـ/٧٧٧-٧٧٨م).

ومره أخرى، تأخذ بيزنطة بزمام المبادأة فى عام٧٧٨م/١٦١هـ، وتهاجم منطقتى مرعش والحدث بحملة ضخمة عليها مجموعة أكبر من أفضل قادته. وحققت نصراً واضحا كان له أثره المتباين على القوتين طرفى الصراع. فبينما احتفل الإمبراطور بهذا النصر وكرم

١- Georgius Hamartolus, Chronicon, col.953.

قادته ، وفى غمار هذه الاحتفالات نصب ابنه إمبراطورا، نجد أن الخليفة أصبح فى موقف جعله يقرر سرعة الانتقام عن طريق اعداد حملة تستعيد بعض مافقدته الخلافة العباسية فقام الخليفة بتغيير قائده الأعلى بالحسن بن قحطبة، الذى نجح فى ١٦١هـ/ ٧٧٨م فى التوغل فى قلب آسيا الصغرى، ووصل إلى درولیوم وعمورية. ولأنه لم يسيطر على أحد القلاع أو الحصون أو المدن، فقد سارع المهدى بارسال أحد قادته فى بداية عام ١٦٢هـ/٧٧٨م وفتح ثلاثة حصون محاولا استعادة الروح المعنوية وهيئة الجيش العباس، غير عابىء بالاضطرابات التى تعرضت لها الخلافة سواء فى الداخل أوالخارج بل أثبت مقدرة إذ واجه هذه المشاكل فى نفس الوقت الذى اهتم فيه بالجبهة البيزنطية. وإن كان أهم ماترتب على حملة الحسن هذه أن المهدى شرع فى بناء وتحصين الحصون وحشدها بالجنود، استعدادا لأى مصادمات أخرى محتملة. ثم كانت أقوى الحملات التى أرسلها المهدى فى حكم الإمبراطور ليو الرابع فى ١٦٣هـ/٧٧٩م، وجعل على قيادتها ابنه هارون. وقد توغلت فى قلب آسيا الصغرى ووصلت الى حصن سمالو الهام، وعقدت معاهدة صلح مع البيزنطيين وبذلك حسم المهدى- إلى حد ما- كفة الصراع المتأرجحة لصالحه، مع استمرار نشاط الإغارات ذات الأهداف المحدودة فى منطقة الحدود. وأهم نتائج هذه الحملة أن المهدى قد بدأ فى بعث روح جديدة فى الجهاد ضد البيزنطيين. فأصبح الصراع السياسى بين العالمين البيزنطى والإسلامى- مرة أخرى بعد الفتوحات الإسلامية- مرتبطا بالدوافع الدينية.

وإذا كانت فترة حكم الإمبراطور ليو الرابع لم تشهد تطورات هامة فى العلاقات بين بيزنطة وروما أو بين بيزنطة والفرنجة، فقد سار المهدى على سياسة سلفه فيما يتعلق بالفرنجة. اذ تجددت العلاقة بين المهدى وشارل العظيم (٧٧١-٨١٤م/١٥٥-١٩٩هـ) ويؤكد هذا التدخل العسكرى لشارلمان فى الأندلس، الذى تم بناء على اتفاق بين كل من المهدى وشارل بحكم مالهما من مصالح مشتركة، وكذلك لعدائهما المشترك لكل

من البيزنطيين المتاخمين للعباسيين، والأمويين فى الأندلس(١). وبعبارة أخرى فإن تشابك المصالح المشتركة جعل العالم على مشارف مفاهيم جديدة للعلاقات السياسية وموازين القوى.

١- شجع المهدى حركات التمرد داخل الأندلس ومنها ثورة سليمان بن العربى، وتدخل شارل أيضا وساعد هذه الثورة فى إطار تنفيذ سياسته بصفة عامة، وتأمين حدوده الجنوبية بصفة خاصة. ولكن على الرغم من توغل جيش شارلمان فى بلاد الأندلس ومعه قوات الثوار، إلا أنه لاقى العديد من المصاعب التى جعلته يتراجع، ولكنه تعرض لهزيمة نكراء أثناء ذلك فى ممر رونسفالة Roncesvalles فى ٧٧٨- ٧٧٩م /١٦١ /١٦٢هـ. انظر : Einhard and Notker The Stammerer, Two Lives of Charlemagne ,Translated with an Introduction by Lewis Thorpe ,Penguin books ,1969 , p.6. وأيضا : ابن الاثير، الكامل، جـ٦، ص٦٤. راجع أيضا: محمد الشيخ : الفرنجة، ص١٣٧-١٦١؛ عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول ،ص٢٤٣؛ محمد أحمد أبو الفضل: حول السفارات الأندلسية إلى دول أوربا، فصلة فى مجلة كلية الآداب، مجلد ٣٢،عام ١٩٨٣- ١٩٨٤م، الإسكندرية ١٩٨٥، ص ٥٤-٥٥.

الفصل الرابع

العلاقات السياسية

بين الإمبراطورية البيزنطية و الخلافة العباسية

فى عهد الإمبراطور قنسطنطين السادس

(٧٨٠-٧٩٧ م-١٦٤-١٨١هـ)

- السياسة الداخلية و الخارجية للإمبراطورة ايرين ، وأثر ذلك فى الصراع البيزنطى الإسلامى.
- هزيمة القائد العباس عبد الكبير فى ميلوس Melos عام ١٦٤هـ/ ٧٨١م.
- حملة الخليفة المهدى إلى البوسفور فى ١٦٥هـ/٧٨٢م .
- مظاهر الضعف البيزنطى، وأثرها فى ميزان القوى فى الصراع بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية.
- هارون يهزم الجيش البيزنطى فى موقعة بوداندوس فى الأناضول عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م.
- حملة الأسطول العباسى على قبرص فى عام ١٧٤ هـ/٧٩٠ م.
- استيلاء العباسيين على حصن ربسه فى عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م، وعلى مدينة كمخ فى عام ١٧٧هـ ٧٩٣ م.
- قنسطنطين السادس يصد حملة عباسية على الساحل الغربى فى مايو ٧٩٥م/ ربيع الثانى ١٧٩هـ.
- القوات العباسية تهاجم عمورية وأنقرة فى عامى ١٨٠-١٨١هـ /٧٩٦ -٧٩٧م، ونتائج ذلك .

توفى الإمبراطور ليو الرابع، ولم يكن قنسطنطين السادس قد تجاوز العاشرة من عمره. ونظرا لأنه كان قاصرا، فقد أصبحت أمه إيرين وصية عليه، وامتدت فترة الوصاية حتى عام ٧٩٧م/١٨١هـ (١). ويخطيء المؤرخ ابن العبرى القول بأن إيرين كانت مشاركة لابنها فى الحكم، والصواب أنها كانت وصية عليه (٢). وسرعان ما أحبطت إيرين محاولة تمرد قام بها القيصر نقفور (٣) لاعتلاء العرش بعد أربعين يوما فقط من موت زوجها الإمبراطور ليو الرابع. فقد تمكنت من القبض عليه وعلى أعوانه، ثم أخمدت بعدها مباشرة مؤامرة أخرى قام بها أشقاء زوجها (٤) .

١- تخلل هذه الفترة سنتان انفرد فيها قنسطنطين السادس بالحكم فى ٧٩٠-٧٩٢م/ ١٧٤-١٧٦هـ ، بعد عزل أمه على ما سيتعرض له الباحث فى هذا الفصل فى حينه انظر : Annalium de Gestis Carli Magni Libri quinque metrice` Scripti, R.H.F.G., Tome V, PP. 158, 161. وتجدر الإشارة إلى خطأ المؤرخ ميشيل السريانى أن قنسطنطين السادس كان يبلغ من العمر اثنتى عشرة سنة وقت وفاة والده وليس عشرة سنوات. انظر : Michel Le Syrien, Chronique, Tome III, P.2.

٢- Bar Hebraeus, The Chronography, P. 117. كان لنظام الوصاية هذا أهمية كبيرة فى الحفاظ على توريث العرش فى الأسرة الحاكمة، حتى لقد احتفظ هذا الوصى بلبس التاج وباللقب الإمبراطورى، وظهور صورته بجوار صورة الإمبراطور الفعلى على قطع النقود. بل كان هذا الوصى أقرب الاشخاص وصولا للعرش فى حالة وفاة الإمبراطورالفعلى. انظر Theophanes, Chronographia, Col. 916; Zonaras, Annalium, Cols. 1340-1341; Cf. Also : Metcaf. D.M., How extensiue, was the Issue of Folles during the years 775-820? in "B" vol. 37, Bruxelles, 1967, P.279;

٣- Nicephorus, Breviarum, Col. 989; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 948.

٤- هم من الوزراء وأعضاء مجلس السناتو. وقد علمت إيرين بتفاصيل هذه المؤامرة قبل تنفيذها فقبضت عليهم. كما قبضت على نقفور وأشقائه الآخرين وأجبرتهم على التنازل عن حقوقهم فى العرش، فى يوم عيد الميلاد من عام ٧٨٠م/١٦٤هـ فى كنيسة اياصوفيا، كما أجبرتهم على الدخول فى سلك الكهنوت حتى يعرف الناس أنهم أصبحوا شخصيات دينية. أما بقية المتآمرين من القادة مثل بارداس الاستراتيجوس السابق لثيم أرمينيا، وقائد الحرس الإمبراطورى، وأدميرال الأرخبيل، والمشرف العام على الوظائف، فقد تم جلدهم ونفيهم. ولم ينج من العقاب سوى القائد نقفور دوكاس الذى فر إلى العرب انظر Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 957; Theophanes, Chronographia, Col. 916; Cedrenus, Historiarum, Col. 901; Zonaras, Annalium, Col. 1341. راجع أيضا: علية عبد السميع الجنزورى ، المرأة، ص ٢٥.

ولما كانت الوصية إيرين على يقين من اختلاف قدراتها وسياستها عن الأباطرة السابقين، في الوقت الذي كانت فيه الأخطار تحيط ببيزنطة من قبل البلغار في الشمال والمسلمين في الشرق، فقد أخذت تبحث عن سبيل لتقوية مركزها، حتى تتمكن من الانطلاق لتحقيق أهدافها، سواء الدينية منها بارجاع عبادة الصور والأيقونات، أو السياسية بالسيطرة على الحكم. وقد هداها تفكيرها إلى أنه لكى تحقق سياستها وتؤمّن سلطتها داخل الإمبراطورية، يجب أن ترتكن إلى أمور تزيدها قوة. ففكرت في التحالف مع الفرنجة بأن تكسب شارلمان حليفا لها. وفي ربيع ٧٨١م/١٦٥هـ أرسلت تطلب من شارلمان خطبة ابنته لابنها قنسطنطين السادس (١). ولقد سعدت إيرين بهذا التحالف، إذ رأت انه سيترتب عليه وقف التدخل الفرنجي في الثورات الصقلية بشكل مباشر أو غير مباشر، وضمان استقرار الأمور في غرب الإمبراطورية، وحرمان محطمي الصور والأيقونات من أى أمل في الحصول على

١- وافق شارلمان على خطبة ابنته روتدروديم Rotdrudim لابن إيرين، وتم الاتفاق مع القس المربى اليسايوس Elisaius في آخن ليقوم بتعليمها اللغة اليونانية وآدابها والعادات والأخلاق اليونانية. انظر : Theophanes, Chronographia, cols, 917-920; Cedrenus, Historiarum, Col. 903; Zonaras, Annalium, Col. 1341; Charlius Magnius, Vita ad Eginhardo Scripta, R.H.F.G., Tome V, P.97; Annalium de Gestis Caroli Magni Libriquinque metrice` scripti, R.H.F.G., Tome V,p. 177; Ex Vita Carli Magni per Monachum Engolismensem, R.H.F.G. Tome V, P. 187; Einhard and Notker The Stammerer, Two Lives of Charlemagne, P.7; Cf. Also Pirenne, Mohamed and Charlemagne , P.229. :راجع أيضا: ديفز. كارلس. هـ. و : شارلمان، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٩؛ علية عبد السميع الجنزورى: الإمبراطورة إيرين، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١، ص ٢٩.

مساعدات أجنبية وبذلك تحصص كل طاقتها السياسة الداخلية. ورغم كل ذلك فقد تراجعت عن هذا المشروع بعد سبع سنوات، خوفا على الحكم وحتى تزداد قوة ابنها بدعم الفرنجة له (١).

لم تنشغل بيزنطة بهذه الأحداث عن الجبهة الإسلامية مدة طويلة. ففى شهر يونيو ٧٨١م/شوال ١٦٤هـ، أى بعد حوالى تسعة أشهر من وفاة الإمبراطور ليو الرابع، أعادت إيرين تنظيم الثيمات البيزنطية فى منطقة آسيا الصغرى، وحرصت على نشر القوات البيزنطية فى منطقة الحدود بينها وبين الخلافة العباسية، تحسبا للإغارات العربية (٢). كما لم تعهد هذه القوات إلى أى من القادة القدامى المحنكين أصحاب الولاء للأباطرة السابقين، وإنما اختارت لذلك جون ساكيلاريوس John The Sacellarius وكان من أقاربها، وموظفا فى بلاطها فى نفس الوقت (٣). ويعكس تعيين موظف بالقصر كان ولاؤه لإيرين فقط فى مثل هذه الوظيفة القيادية ذات المستوى العالى، وعدم ثقة إيرين الوصية على العرش فى ضباط ارتبط اسمهم ومجدهم بأباطرة سابقين، أحست فى داخلها أنها تختلف عنهم كل الاختلاف فى ميادين عديدة. كما أن

١- ففى ٧٨٨م/ ١٧٢هـ تراجعت إيرين عن هذا الارتباط، وزوجت ابنها فتاة من ولاية أرمينيا أو بافلاجونيا على الرغم من معارضة الابن. وهناك تناقض بين روايتين عن موقف شارلمان. الأولى تذكر أنه فى عام٧٨٦م/ ١٧٠هـ أعاد شارلمان - بنفسه - إعلان موافقته على هذه الخطبة ولكن دون جدوى؛ والثانية تقول بإنه قد تراجع بنفسه، فلم يطق فراق ابنته على حد قول الفرنجة. المهم أن هذه الزيجة لم تتم. انظر : Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.957; Zonaras, Annalium, Col. 1344; Mauglais, H, J., Byzantine, Christianity, Emperor, Chruch, and The west, London, 1970, P.95; Warren, T., Treadgold., The Bride, shows of The Byzantine Emperors, B, vol XLLX, 1979, P. 396.

٢- zonaras, Annalium, Col. 1341.

٣- كان جون موظفا مختصا بالشئون المالية فى القصر، وهو رجل بيروقراطى قليل الخبرة. ويذكر المؤرخ ثيوفان أنه كان من أقارب إيرين، ويضيف أيضا أنه كان من الرهبان انظر : Theophanes, Chronographia, Cols. 917-920. وقد أرسلته إيرين بجيش لحراسة المناطق المتاخمة للعرب؛ لسد طريق خروج الصقليين أثناء ثورتهم ضد بيزنطة بقيادة قائدهم البيديوس. انظر : Tritle, Tatzates' Flight, P. 288.

هذه السياسة كانت مقدمة لما سيكشف عن نواياها فى تجريدهم من قوتهم ونفوذهم. وعلى الرغم من ذلك، فإن قادة الثيمات الذين كانوا هدفا لهذه السياسة التزموا بعملهم على أحسن وجه إلى حد كبير فى المعركة التالية.

ففى نفس عام ١٦٤هـ/٧٨١م، أرسل الخليفة المهدى قائده العباسى عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب(١).فخرج من درب الحدث، وتصدى له جيش بيزنطى فى مواجهة وقعت فى شمال ممر الحدث بقيادة الاستراتجوس ميخائيل لاخانودراكون، وتاتزاتيس، وارتفاذ الأرمينى(٢). فقد بلغ عدد أفراد الجيش البيزنطى حوالى ٩٠ ألف مقاتل. وتجمع المصادر على أن القائد العباسى خشى حجم الجيش البيزنطى، فدب الرعب فى قلبه، وانسحب دون مواجهة وبشكل مخز، مما أغضب عليه المهدى وكاد يقتله عقابا وانتقاما، إلا أنه تراجع نتيجة لإلحاح المقربين منه، فاكتفى بحبسه (٣).

وإذا كانت رواية المصدر العربى وهو الطبرى، ورواية المصدر اليونانى وهو ثيوفان تتفقان على أن تراجع القائد العباسى عبد الكبير قد تم بشكل مهين (٤)، فإن الطبرى يوحى من بين سطور روايته أن عبد الكبير انسحب عندما شاهد القوات البيزنطية بذلك الحجم، وعندما قابل القائدين لاخانودراكون وتاتزاتيس لما هو معروف عنهما من الكفاءة، فآثر الانسحاب على القتال .

والحقيقة أن تناول المصادر العربية لهذه الهزيمة ولسلوك هذا القائد على هذا النحولايطمئن الباحث، خاصة أن الأحداث المتعاقبة تطرح عددا من الحقائق تتعلق بهذا

١- يذكر المؤرخان العينى والحنبلى هذا القائد باسم عبد الكريم وليس عبد الكبير انظر : العينى : عقد الجمان، جـ١١، لوحة ٣٣٧؛ الحنبلى : شذرات، ص ٢٥٨. أما المصادر اليونانية فلم تذكر اسمه، ماعدا ثيوفان الذى يذكره باسم كبير Keber انظر : Theophanes, Chronographia, Col. 917.

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٦٣؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة ٣٣٧.
Tritle, Tatzates' Flight, PP. 289-290.

٣- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط : القسم الثانى، ص ٦٨٨؛ البلاذرى : فتوح البلدان، القسم الأول، ص ٣٤٦؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٦٣ وعن مكان المعركة، انظر الخريطة رقم (٧).

٤- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٠ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 917.

الموضوع.فأولا، لم تكن هذه هى المرة الأولى التى ينسحب فيها أحد القادة العباسيين، تفضيلا للانسحاب على القتال مادامت ظروف المعركة تقتضى ذلك، وحتى لايضحى بدماء جنوده دون فائدة. فقد سبق أن توغل القائد العباسى صالح بن على فى قبادوقيا بجيش مكون من ثمانين ألف مقاتل فى عام ١٤٠هـ/٧٥٧م فى عهد المنصور. ولما وجد أنه سيواجه الإمبراطور بجيش مكون من مائة ألف، فضل العودة دون خسائر ولم يتعرض لغضب الخليفة (١). بل إنه تجنب بحكمته خسائر ضخمة كانت ستنتج عن معركة مجموع طرفيها مائة وثمانون ألف مقاتل. فليس فى ذلك إذن تقليلا من شأن القائد.وقد تصادف أنه فى العام نفسه انسحب الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس من مواجهة الجيش العباسى فى ملطية، وكان جيشه يتكون من سبعين ألف مقاتل، والجيش العباسى من مائة ألف مقاتل (٢). ثم فى عام ١٥٢هـ/٧٦٩م، وصل العباس بن محمد إلى الحدود الأرمينية، ولكنه تراجع أمام الجيش البيزنطى الذى كان يرابط فى تلك المناطق. وقد سبق أن أشرنا إلى هذه الأمثلة فى الأماكن المناسبة (٣). وثانيا، أنه قد حدث العكس فى عهد المهدى، عندما تصرف أحد القادة تصرفا متهورا. ففى ١٦١هـ/٧٧٨م حدث أن أصرّ القائد العباسى ثمامة بن الوليد على الخروج لمواجهة الجيش البيزنطى المكون من ثمانين ألف مقاتل بقيادة ميخائيل لاخانودراكون، على الرغم من صغر حجم جيشه هو، ضاربا بتحذيرات عيونه وطوالعه من مغبة هذه المواجهة عرض الحائط. كما أصر على موقفه وتسبب غروره فى قتل ألفين من قواته وأسر خمسة من أمراء جيشه (٤).

وثالثا، فإن معظم المصادر العربية قد أغفلت التعرض لمواجهة تمت بين الجيش العباسى بقيادة القائد عبد الكبير، والجيش البيزنطى بقيادة لاخانودراكون وتاتزاتيس،

١- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٠ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 865.

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص ٥٠٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص ٤٨٨.

٣- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص ٦٦٠؛ ابن الأثير الكامل، جـ٥، ص ٦٠٨.

٤- ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٥٥، وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 909.

وإن كان قد أشار إليها المؤرخ العينى من المصادر العربية، والمؤرخ ثيوفان من المصادر اليونانية. ففيها لقى العباسيون هزيمة بعد معركة سقط فيها عدد من القتلى، ونجح عبد الكبير نفسه فى قتل أحد كبار القادة البيزنطيين (١). وكانت هذه الهزيمة فى موقع يدعى ميلوس Melos(٢) ولا يعنينا فى هذا المقام التعرض لهذه الهزيمة، قدر ما نستدل منها على أن القائد عبد الكبير واجه الجيش البيزنطى وأمام هذه الحقائق التى تفرض نفسها، وربطها بموقف الخليفة المهدى الذى كاد أن يقتل قائده، فمن المرجح أن هناك ما عكر صفو العلاقة بين الخليفة وبين قائده الأمر الذى جعله يغضب عليه.

هذا عن الجانب العباسى، أما عن الجانب البيزنطى ففى المعركة السابقة لم يكن هناك ذكر للقائد الجديد جون ساكيلاريوس، مما يشير إلى أنه كان قائدا بالاسم فحسب. فالمصادر العربية تعرف القائدين ميخائيل لاخانودراكون، وتاتزاتيس، وتذكر أنهما القائدان البيزنطيان المسؤولان عن هزيمة عبد الكبير، تلك الهزيمة التى تعكس الدليل القوى على استمرار ولاء كليهما للإمبراطورية رغم تعيين هذا القائد الجديد(٣). والحقيقة أن ايرين أحست بنظرة هذين القائدين لقائدها المعيَّن من قبلها خاصة أن فارق الكفاءة كان لصالحهما ومثلما قضيا على مكانة قائدها فى هذه المعركة وسيطرا على مجرياتها حتى حققا النصر بخبرتهما، فمن الممكن أن يواصلا ذلك فى المعارك التالية، وبدأت ايرين أن تتوقع أن يتصرفا بغدر فيصبحا مصدر تهديد صريح لها. لذلك نجدها بعد ذلك، وبخاصة فى عام ٧٨٢م/١٦٥هـ، تتخذ احتياطها إذ عهدت بالقيادة إلى ستاوراكيوس بدلا من جون، لتضيع على القائدين أى فرصة متاحة لهما(٤).

١- ويحدد العينى هذا القائد بأنه تاتزاتيس. وهذا خطأ لأن تاتزاتيس لم يمت إلا فى عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. لذا فالأرجح أن عبد الكبير قتل قائدا كبيرا برتبة بطريق، وهذا يؤكد أن عبد الكبير لم ينسحب.انظر العينى:عقد الجمان،جـ١١، لوحة رقم ٣٣٧؛ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 917.

٢- يوجد فى أحد الكليزورات المؤدية إلى قيليقيا عبر طوروس انظر Theophanes, Chronographia, Col. 917; Cf, Also : Ramsay, Historical Geography, P. 355.

٣- فى ٧٨١م/١٦٥هـ عهدت ايرين بقيادة الثيم الأناضولى إلى جون، مما جعله قائدا شكليا لفارق الكفاءة والخبرة بينه وبين القادة القدامى. انظر Theophanes, Chronographia, Cols. 917-920.

٤- سوف نعاود الحديث عن ستاوراكيوس حين يزداد نشاطه. انظر : Theophanes, Chronographia, Col. 920.

وبينما لم تكن الأحوال قد استقرت بعد فى بيزنطة، ولم تفرغ من المشاكل التى واجهتها، حتى ظهرت مشكلة جديدة، لتحمل بيزنطة أعباء فوق أعبائها من جانب، ولتهيىء الفرصة للمسلمين للرد على هزيمة قائدها عبد الكبير من جانب آخر.ففى سنة ٧٨١م/١٦٥هـ اندلعت ثورة فى صقلية بقيادة البيديوس Elpidius(١) ولما كان ضمن المعارضين لسيطرة إيرين على حكم البلاد، لذلك ساند القياصرة إخوة ليو الرابع ضدها (٢).

فأرسلت ايرين وزيرها ثيوفيلوس إلى صقلية ليعيد البيديوس،ولكن أهلها رفضوا التخلى عن قائدهم وتسليمه.فأرسلت البطريق ثيودور مع جيش قوى لملاقاة البيديوس الذى هزم فى عدة معارك، ولكنه تمكن من الهرب مع زميله نقفور دوكاس إلى أفريقيا، حيث رحب به العرب وأعلنوه إمبراطورا على البيزنطيين فى عام٧٨٢م/١٦٦هـ (٣).

ولم يكن من السهل على بيزنطة فى تلك الحقبة من تاريخها، وبسبب النشاط العباسى فى آسيا الصغرى، مواجهة هذه الثورة. لذلك تشتتت القوات البيزنطية ما بين صقلية للقضاء على الثورة،، وبين أسيا الصغرى لمواجهة المسلمين على الحدود (٤).

١- وكان تولى قيادة صقلية فى ٧٨٠م/١٦٤هـ. انظر :
Zonaras, Annalium, Col. 1344.

٢- Zonaras, Annalium, Col. 1344. ولكن ابن العبرى يذكر أن الخلاف بين البيديوس وبين البلاط الإمبراطورى يرجع إلى غضب قنسطنطين السادس، لأنه علم أنه على علاقة بأمه، ولم يذكر موضوع تمرد القادة والقياصرة. انظر : Bar Hebraeus, Chronography, P. 119 وراجع أيضا : علية عبد السميع الجنزورى : ايرين، ص ٣٢.

٣- Theophanes, Chronographia, Cols. 917-920; Zonaras, Annalium, Col. 1344. ولكن إيرين كانت قد قبضت على أسرة البيديوس وجلدت أفرادها ونفت زوجته انظر : Joseph, Empresses, P. 90.

٤- عندما توصلت بيزنطة إلى الصلح مع المسلمين فى العام التالى، كان قد فر للعرب فى أفريقيا فلم تتمكن منه. انظر Theophanes, Chronographia, Col. 917; Zonaras, Annalium, Col. 1344. راجع أيضا : أسد رستم : الروم، جـ١، ص ٢٩٦.

وعلى أى حال، تجمعت هذه الظروف لإثارة رغبة المسلمين فى الرد على هزيمتهم. فكان غضب المهدى حافزا لزيادة حدة النشاط العربى فى عام ١٦٥هـ/ ٧٨٢م. وهذا ما توحى به حملة الخليفة التى قام بتجهيزها؛ حتى أن أحد المؤرخين يصف هذا بقوله إن المهدى " عبأ جيشا لم يتعبأ مثله فى الإسلام" (١). ورغم هذه الصورة المبالغ فيها. فإننا لو استبعدنا المبالغة لوجدنا أن هذا التجهيز خير دليل على أن الخلافة العباسية لم تدخر وسعا فى أن تلقى بثقلها فى هذه الحروب المستمرة عامة، وفى نشاطها السياسى تجاه بيزنطة خاصة . جهز الخليفة جيشا ضخما قوامه خمسة وتسعون ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعون مقاتلا، وضم عناصر من سوريا والعراق وخراسان (٢). ويقال إن هذا الجيش ضم بعض الشخصيات الأسطورية (٣). وأنفق على هذه الحملة أعدادا كبيرة من قناطير الذهب، ومن الدنانير والدراهم (٤).

وجعل الخليفة قيادة هذه الحملة لابنه هارون، وأخذ حيطته، فأرسل معه عددا من أتباعه ومستشاريه المقربين، ومنهم مولاه الربيع بن يونس الحاجب (٥)، وواحدا

١- مؤلف مجهول : العيون والحدائق : ص ٢٧٩ وأيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٢- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٦٦. ويذكر عدد الجيش ٩٥٧٩٣ عند الطبرى، و ٩٥٩٩٣ عند ابن الأثير. ونلاحظ الدقة البالغة فى ذكر هذه الأرقام، مما يعنى وجود سجلات عسكرية ضمت بعض تفاصيل هذه المعارك. انظر أيضا : Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٣- مثل رابعة العدوية، وهى أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية، من البصرة، وقد تحولت من حياة الفسق إلى حياة الزهد حتى عرفت بالعبادة والتقوى، كما كانت شاعرة أيضا، وعاشت فى الفترة الواقعة بين عامى ٩٥ و ١٨٥ هـ (٧١٣-٨٠١ م) انظر دائرة المعارف الإسلامية، طبعة بيروت، لبنان، ١٩٧٢م، نشر بطرس البستانى، مجلد ٨، حرف الراء. وأيضا : Finlay, Byzantine Empire, P.82; Jenkins, the Imperial, P. 92.

٤- كما حمل معه من العين مائة وأربعة وتسعين الفا وأربعمائة وخمسين دينارا، ومن الورق واحدا وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر الفا وثمانمائة درهم عند الطبرى، وعند ابن الأثير مائة ألف دينار وثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسين دينارا. انظر الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٦٦؛ العينى : عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٤٣؛ الزينى دحلان: الفتوحات، ص ٢٧٨.

٥- الذى سبق له الخروج مع هارون أثناء قيادته للحملة السابقة فى عام ١٦٣هـ/٧٨٠م. انظر الطبرى: تاريخ الرسل جـ٨، ص ١٥٢.

على الأقل من البرامكة (١). ومرة أخرى نتعرض لدور هارون فى قيادة هذه الحملة، وقد بلغ من العمر الآن تسع عشرة سنة. فرغم مرور سنتين منذ آخر حملة قادها، إلا أن الأرجح أنه لم يؤد دورا قياديا منفردا فى هذه الحملات، بدليل هذا الحشد من المستشارين(٢).

وبعد أن استكمل الخليفة المهدى استعداداته الكبيرة، تحركت القوات الإسلامية فى ١٧من جمادى الآخرة ١٦٥هـ/٩ فبراير ٧٨٢م بقيادة هارون، الذى عبر بوابات قيليقيا (٣)، وتوغل داخل الحدود البيزنطية، ثم هاجم قلعة ماجدة، وهى أولى القلاع على الحدود السورية، وتتميز باحتوائها على مخازن للقمح تحت الأرض (٤).

ثم توغل هارون إلى فريجيا فى ثيم الأناضول، حيث ترك القائد الربيع ومعه الجيش لحصار ناكوليا Nacolea واستمر هارون فى السير، مستهدفا السيطرة على المناطق الاستراتيجية التى يدخلها، جاعلا الربيع بمثابة المؤخرة لجيشه – حين أخذ طريقه فى التوغل – حماية لظهره (٥).

١– الغالب أنه يحيى البرمكى. انظر Michel Le Syrien, Chronique,Tome III, P.2.

٢– للمزيد من التفاصيل انظر : Brooks, Byzantines and Arabs, E.H.R.P. 737.

وفى هذا المجال يذكر خليفة بن خياط هارون فى هذا التوقيت على أنه أمير المؤمنين، مع أنه لم يكن قد اعتلى عرش الخلافة بعد. انظر خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط :، القسم الثانى ٦٨٩.

٣– اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ٢٩؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص ٦٦ وإن كان لم يحدد أى يوم فى جمادى الآخرة. وقد قابل بروكس التاريخ الميلادى ٩ فبراير بالتاريخ الهجرى. مع أنه بحسب الأساليب المعتادة لمقابلة التاريخين، يكون التاريخ الميلادى ٧ فبراير أو ٨ وليس ٩. ولكن من الممكن أن يكون بروكس قد راعى عدم انتظام التقويم الهجرى، وارتباط بداية الشهور برؤية الهلال، ولذلك قدم من ٧ إلى ٩ فبراير. انظر : Brooks, Byzantines and Arabs, E.H.R., P.737; Brooks , The struggle, C.M.H., 1936, P.124.

٤– تبعد ماجدة عن قلعة لؤلؤة بحوالى ٦٧,٥ كم. للمزيد انظر : الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٢، انظر الخريطة رقم (٨) الخاصة بهذه الحملة. راجع أيضا :

Honigmann, Die Ostgrenze, P.47; Tritle, Tatzates' Flight, p.290.

٥– يسمى المؤرخ ثيوفان القائد ربيع باسم بونيسيوس Bunusus ويعتقد أنه تحريف لاسم والده يونس (الربيع بن يونس). أما السريانى فيسميه عبد الملك، ويذكر أنه منى بهزيمة قاسية، وهذا خطأ. انظر : Theophanes, Chronographia, Col. 920; Michel Le Syrien, Tome III, P.2; Cf. Also : Brooks, the struggle, C.M.H., 1936, P.124. انظر الخريطة رقم (٨).

ولم تفطن بيزنطة إلى الهدف الأصلي لهذه الحملة، خاصة أن الجيش العباسي قد صبغ تحركاته بالمفاجأة وسرعة المناورة، وإمعانا في ارباك البيزنطيين، وتشتيت مقاومتهم وانتباههم، قام العباسيون بتنظيم هجوم فرعي آخر غير الهجوم الذي قام به الربيع. فقد أرسل يحيى البرمكي على رأس قوة نحو ثيم تراقسيان، حيث وقع صدام بين هذه القوة وبين جيش هذا الثيم بقيادة ميخائيل لاخانودراكون، في معركة طاحنة دارت رحاها في موقع يسمى دارينو Dareno على الحدود الشرقية للثيم (١). وقد مني التراقيسيون بهزيمة فادحة وخسائر كبيرة بلغت نصف تعداد الجيش، الذي كان يتألف من ثلاثين ألف مقاتل وفقا لما جاء على لسان المؤرخ البيزنطي ثيوفان (٢).

واصل هارون تقدمه ومعه القوة الرئيسية للجيش - بعد أن اتضحت الرؤية للبيزنطيين وفطنوا إلى أن القسطنطينية كانت هدف هذه الحملة - سالكا طريقه صوب العاصمة (٣)، فدخل أراضي ثيم الأوبسيكيون، رغم محاولة كونت هذا الثيم وقف هذا الزحف فقد حاول الكونت نيكيتاس Nicetas مقاومة العباسيين، وحدثت معركة بين الطرفين، وخرج أحد قادة هارون ويسمى يزيد بن الشيباني لملاقاة الكونت الذي هزم، وتمكن يزيد من الاستيلاء على معسكر قيادة الثيم، واستمر الزحف العباسي بقيادة هارون(٤).

١- Diehl, Leo III, C.M.H,. 1936, p. 20; Diehl, Le Mond Oriental, p. 279 ; Brooks, The struggle, C.M.H., 1936, p.124. انظر الخريطة رقم (٨)

٢- هذا، بينما يقول السرياني إن خسائر البيزنطيين بلغت عشرة آلاف قتيل. وهو عدد يمثل أيضا نسبة عالية من الخسائر ، إذ تبلغ ثلث حجم الجيش، بينما هي النصف عند ثيوفان انظر: Theophanes,Chronographia,Col.920.; Michel Le Syrien,Chronique, Tome III, p.2.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٤- نجح الكونت في أن يوقع يزيد من فوق صهوة جواده، ولكن الكونت تعثر بعد ذلك. فطعنه يزيد وجرحه ، وهرب جنود الكونت من المعركة. انظر الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٢؛ العيني: عقد الجمان جـ١١، اللوحة رقم ٣٤٤؛ النويري: نهاية الأرب ، جـ٢٢، ص١١٥؛ ابن خلدون: العبر جـ٥، ص٤٥٢. انظر الخريطة رقم (٨).

أمام هذا التوغل العربى فى قلب آسيا الصغرى، وفشل ثيم الأوبيسيكيون فى وقفه، اضطرت إيرين الوصية على العرش إلى أن تدفع بالفرق العسكرية المخصصة أصلا للدفاع عن العاصمة، وهى المعروف بأسم التجماتا الإمبراطورية Imperial Tagmata فى محاولة لمواجهة هذا الخطر الزاحف، فأرسلت أنطونيو الدومستيقى بقواته بحرا من القسطنطينية إلى نهر السنجاريوس(١). وتمكن هذا القائد من الاستيلاء على بحيرة بانيس Banes المطلة على هذا النهر، وكذلك على المنطقة الجبلية الواقعة شرقى نيقوميديا(٢). وقد أقام أنطونيو فى هذه المناطق مركزا دفاعيا قويا، كان بمثابة خط الدفاع الأخير لحماية الطرق المؤدية للقسطنطينية(٣).

وتابع هارون خط سيره بعد أن هزم الكونت نيكيتاس، وسار بمحاذاة وادى نهر سانجاريوس المطل على ساحل البحر الأسود، و أصبح وجها لوجه مع قوات أنطونيو الدومستيقى، الذى نجح فى سـد الطريق أمام هـارون ووقف تقدمه. وقبل أن يشرع العباسيون فى مواجهة هذا الوضع الجديد، سواء بالمراوغةأو حتى بالتراجع، قام قسم من الجيش البيزنطى بتطويق القوات العباسـية من الجنوب والجنوب الشرقى. وهكذا أصبح هارون محاصـرا بين الجـبل الموجـود بالقرب من نيقومـيديا من الشمـال، وبين نهر سـانجاريوس مـن الجـنوب (٤).

١-كانت التاجماتا تضم حرس القصر الذى يرأس فصائله رئيس حرس القصر ويسمى الدمستق Domesticus، وكان أنطونيو يشغل هذا المنصب آنذاك. وكانت التاجماتا تشترك فى الحرب فى حالتين، أولاهما عندما كان الإمبراطور يقود المعركة بنفسه، والثانية عندما كانت الضرورة تستدعى ذلك. انظر Michel le Syrien, Chronique, Tome III, p.2; Cf. Also: Brooks, The Struggle, C.M.H 1936, p. 124. راجع أيضا: الخريطة رقم (٨) والرسم رقم١ .

٢- مدينة تقع فى ثيم بافلاجونيا (وهى اليوم خراب) . ابن خرداذبة: المسالك، ص ١٠٦، الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ص١٥٢، انظر الرسم رقم١. ايضا : Canard, Expeditions J.A,. P. 103

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 920.; Georgius Hamartolus, Chronicon ,Col. 957; Zonaras, Annalium, Col. 1344 .

٤- Bar Hebreaus, Chronography, p.118; Cf . also: Brooks, Byzantines and Arabs E.H.R., p.738. انظر ايضا الملحق رقم ٧.

بينما استكملت القوات البيزنطية حصار جيش هارون من الغرب ثم من الجنوب الشرقى هذا، بالإضافة إلى أن البيزنطيين سيطروا على كل طرق ووسائل الهرب، بعد أن أصبح هارون وجيشه رهن الحصار بين الجبل والنهر (١).

ولابد من التعرض لقدرة القائد أنطونيو فى وقف زحف هارون، وكيف أنه سد عليه الطرق، وكذلك كيفية التنسيق والتعاون بين مختلف الجيوش البيزنطية، الأمر الذى أحكم الحصار حول الجيش العباسى من الجنوب ومن الجنوب الشرقى.

والحقيقة أنه ما كان يمكن لأنطونيو أن يقوم بهذه العملية الحربية كاملة بدون مساعدة. إذ لابد أن يكون قد حدث تعاون وتنسيق مع قوة بيزنطية أخرى كانت تتابع تحركات الجيش العباسى. وفى اللحظة المناسبة، حينما توقف هارون فى مواجهة أنطونيو، قامت القوة البيزنطية بتطويق هارون من جهات أخرى غير تلك التى طوقها أنطونيو. والحقيقة أن المصادر لم تحدد هوية القوة التى ساعدت القائد أنطونيو. والأرجح أن هذه المساعدة كانت من الثيم البوكلارى تحت قيادة ستراتيجوسها تاتزاتيس (٢). أما عن كيفية الوصول إلى هذا الرأي، فقد سبقت الإشارة إلى أن ثيم تراقسيون بقيادة ميخائيل لاخانودراكون قد لقى هزيمة على يدى يحيى البرمكى. ثم لقى ثيم الأوبسيكيون هزيمة على يد يزيد الشيبانى لذلك فمن المستبعد أن يكون هذان الثيمان قد قاما بمثل هذه المناورة. وبما أن الثيم الأرمينى بعيد إلى حدما إلى الشرق بحيث لا تتوافر له السرعة المطلوبة لإتمام هذا التطويق، فيتبقى ثيما الأناضول والبوكلارى. وقد أشرنا إلى أن ثيم الأناضول قد اشتبك مع قوة من جيش هارون بقيادة الربيع بن يونس فى ناكوليا. واستمر هذا الثيم فى حالة حرب حيث استمر الربيع كمؤخرة للجيش كما أشرنا.

١- Georgius Hamartolus, Chronicon, Cols, 957-960 . Zonaras, Annalium,col .1344 ; Ghevond , Guerres, p. 153; Michel Le Syrien, Chronique, Tome III, p.2. ويذكر السريانى "أن البيزنطيين حاصروا العرب قرب نهر سنجاريوس. فكان يحاصرهم الجبل من ناحية ومياه النهر من ناحية أخرى". وتذكر المصادر المذكورة أن هارون طلب الصلح بناء على الموقف السيء الذى أصبح فيه. ولكن الصفحات التالية سوف تكشف خطأ هذا الرأى. انظر الخريطة رقم (٨) ؛ والرسم رقم ١؛ والملحق رقم ٧

٢- Tritle, Tatzates ' Flight, p. 292.

من هذا التحليل نستنتج أن جيشا من الثيم البوكلارى بقيادة تاتزاتيس هو الذى أوقع هارون فى مصيدة الحصار، مما جعل موقفه سيئا للغاية.

وفى ظل هذا الوضع أصبح للجيش البيزنطى الكلمة العليا، كما بات ضروريا للعباسيين أن يفكروا جديا، فى كيفية الخروج من هذا المأزق.

وتشير المصادر اليونانية إلى أن تاتزاتيس قائد الثيم البوكلارى ارتكب خيانة فى حق الجيش البيزنطى قلبت الأوضاع رأسا على عقب، فلم يفقد البيزنطيون تفوقهم أو فرصة إملاء شروطهم على هارون فحسب بل فقدوا أيضا أبرز قادتهم (١). فقد استخدم العرب ذكاءهم للخلاص من هذا الحصار، واستمالوا القائد تاتزاتيس الذى وضع لهم خطة لذلك. وقد مرت الخطة بالمراحل التالية: طلب هارون التفاوض مع البيزنطيين، وتم توصيل هذا المطلب إلى القادة الإمبراطوريين الموجودين فى ميدان المعركة، ومنهم ستاوراكيوس وأنطونيو وكبير الضباط بيتر، وتدخل تاتزاتيس لديهم ليجعل هؤلاء القادة يوافقون على طلب هارون التفاوض (٢).فقد كان هذان القائدان الأخيران يقدران لتاتزاتيس إخلاصه وكفاءته ولم يتسرب الشك إلى قلبيهما فى أن يكون خائنا، بل إنهما وافقا على طلب هارون بناء على مشورة تاتزاتيس نفسه، وانضما إليه فى نصح ستاوراكيوس- القريب إلى إيرين - بتدبير لقاء مع هارون لمناقشة طلبه الخاص بالتفاوض(٣).

ووسط احاسيس البيزنطيين بنشوة النصر السياسى والعسكرى، أصبحت المفاوضات على وشك البداية، معتقدين أن تفاوضهم سيكون من مركز القوة، ولن يكون أمام المسلمين وقائدهم هارون سوى الرضوخ لشروطهم فيحققوا تفوقا دبلوماسيا لم تشهده بيزنطة منذ زمن بعيد. وفى ظل هذا الوضع اتخذت الترتيبات اللازمة للمفاوضات بسرعة، وكأن الفرحة قد أنستهم واجبهم الأساسى، حتى أنهم لم يفطنوا إلى ضرورة اتخاذ تدابير الاحتياط الأولية اللازمة، بأن يتم تبادل أولى للأسرى(٤). وبالفعل ماكاد ستاوراكيوس وأنطونيو وبيتر

١- Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٢- ستاوراكيوس الذى عين بدلا من جون الدومستيقى كما أسلفنا، وأنطونيو قائد حرس القصر وأيضا بيتر القائد الكبير، انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 920.; Cf Also Anastos, Imperial Rule, C.M.H., 1967,p 83

٣- Georgius Hamartolus,Chronicon,Col 960;Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٤- Chrorgius Hamartolus, Chronicon, Col. 960; Zonaras, Annalium, Col 1344; Cf Also: Anastos, Imperial Rule. C.M.H.. 1967,P 83.

يدخلون معسكر هارون حتى قبض عليهم، وكبلوا بالقيود وأصبحوا أسرى. وتحولت كفة المعركة، بل كفة الحملة كلها، لصالح هارون، بعد أن أصبح القوات البيزنطية بدون قائد، نظرا لأن القائد الوحيد خارج الأسر كان هو تاتزاتيس، أصبح مواليا لهارون (١).

وهكذاأصبحت الفرصة متاحة لهارون لاستغلال الهزة التى أصابت الجيوش البيزنطية وحالة عدم التوازن الى ألمت بها وبالفعل تقدم إلى كريسوبوليس Chrysopolis على البوسفور فى ثيم تراقسيون(٢)،المواجهة للعاصمة، وبلغ خليج القسطنطينية عند مضيق البوسفور(٣)، وأصبحت العاصمة نفسها مهددة بالخطر، مما

١- Theophanes, Chronographia, col.920; Zonaras, Annalium, col. 1344; cf.also: Brooks, the struggle, C.M.H., 1936, P.124; Tritle Tatzates, Flight, P.293.

٢- Georgius Hamartolus, Chronicon, col.957; Theophanes, Chronographia, col.920; Canard, Expeditions, J.A., PP.102-103; Ramsay, Historical, Geography, P.159; Diehl, Hist of Byz Empire p.62. انظر الرسم رقم ١.

٣- لم يتعرض خليفه بن خياط لتفاصيل هذه الحمله، واقتصر على القول"إن هارون غزا الصائفة حتى نزل بالخليج وعاد سنه١٦٦هـ"ونلاحظ أنه لم يحدد اسم الخليج، رغم أن الوصول إلى خليج القسطنطينية لم يحدث إلا قليلاً. انظر خليفة بن خياط: تاريخ بن خياط، القسم الثانى، ص ٦٨٩. وللمزيد انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣٥؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٢؛ البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص١٩٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٦؛ النويرى: نهاية الارب، جـ٢٢، ص١١٥؛ الحنبلى: شذرات، ص٢٦٠؛ الزهرى: كتاب الجغرافية B.E.O. ، ص١٣٣؛ الحميرى: الروض المعطار، ٤٨١-٤٨٢؛ الذهبى: العبر، ص٢٤٤-٢٤٥. ويذكر المؤلف المجهول صاحب كتاب العيون والحدائق أن هارون انتهى إلى القسطنطينية نفسها. ولكن هذا لم تؤيده روايات المصادر الأخرى، كما لا توجد إشارة لوجود اسطول استخدم لعبور مضيق البوسفور أو بحر مرمرة للوصول للعاصمة. انظر مؤلف مجهول: الحدائق، ص٢٧٩. وللمزيد انظر: Diehl, le mond oriental, p.279; Canard, Byzantium and the muslim world. C.M.H., 1967, P.706; Brooks, the struggle, C.M.H., 1936, P.134, Brooks, Byzantinus and arabs, E.H.R., 1900, P.P. 732-739; Oman, Dark ages, P.319.

أثار خوف إيرين التى لم تكن فى وضع يتيح لها المساومة أو الاختيار، إذ أن قادتها أسرى لدى المسلمين، وجيوشها منهزمة، وهى بلا قادة أكفاء أو مستشارين. وأهم من هذا وذاك أن تطور الأحداث ليس فى صالحها بقدر ما هو فى صالح هارون الذى كان يستطيع أن يحكم الحصار على العاصمة القسطنطينية. وأمام كل هذا طلب البيزنطيون الصلح، وخضعت بيزنطة لشروط هارون(١) وجرت بين هارون وإيرين الرسل والسفراء لوضع تفاصيل اتفاق الصلح والموادعة الفدية(٢).

وعقدت معاهدة الصلح فى ١٦٦هـ/٧٨٢م. وقد نصت على عدد من الشروط منها: أولا: عقد معاهدة صلح بين القوتين المتحاربتين مدتها ثلاث سنوات تبدأ من١٦٦هـ/٧٨٢م (٣). ثانيا: تدفع الوصية إيرين للخلافة العباسية جزية سنوية تسدد على دفعتين فى شهرى إبريل ويونيو من كل عام، وتتراوح ما بين سبعين ألفا وتسعين ألفا من الدنانير(٤)

١- Zonaras, Annalium, Col. 1344; Cf. Also: Brooks, Byzantines and Arabs, E.H.R., p. 738.

٢- Zonaras, Annalium, Col. 1344. وايضا: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص١٢٩؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٢؛ ابن شداد: الأعلاق ،ص٥٥.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 920; Cedrenus, Historiarum, Col.903;Michl Le Syrien,Chronique,Tome III, p.2; Ber Hebraeus, Chronography, p. 118. راجع ايضا: الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٢؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص٦٦؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص١٧٩. وأيضا: حسنين ربيع: الدولة البيزنطية، ص١٢٠.

٤-هناك من يذكر أن الجزية كانت سبعين ألفا أو تسعين ألفا من الدنانير انظر الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٢-١٥٣؛ وأيضا : أسد رستم: الروم، جـ١، ص٢٩٧ وأيضا Anastos, Imperial Rule, C.M.H 1967,p. 83. وهناك من يحددها بسبعين ألف دينار، انظر ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٦؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٥؛ ابن خلدون: العبر ، جـ٥، ص٤٥٢؛ البلخى: البدء و التاريخ، جـ٦، باريس١٩١٩، ص٩٦؛ وابن شداد الذى لم يذكر أنها كانت تسدد على قسطين إبريل (نيسان) ويونيو (حزيران)، بل ذكر القسط الأخير فقط. انظر ابن شداد: الأعلاق، ص٥٥. ويذكر سيديو أنها ستون ألفا. انظر سيديو: خلاصة العرب، ص١١٠؛ سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٨٧.

ثالثا: يتم تبادل لأسرى كل من الطرفين (١). رابعا: تلتزم بيزنطة بفتح الأسواق للتجار العرب فى رحلة العودة(٢). خامسا: تقوم بيزنطة بامداد جيش هارون بالأدلاء فى طريق عودتهم (٣) سادسا: يسمح للجيش العربى بالرجوع بكل غنائمه بدون اعتراض أو مقاومة(٤). وقد حرص هارون على بيان هذا الشرط، لإدراكه أنه بدون هذا الأمان سوف يتعرض لصعوبات خطيرة أثناء عودته ، نظرا لأنه قد دخل مدخلا ضيقا تسبب فى خوف لدى المسلمين، لأن الانسحاب كان محفوفا بالخطر بسبب استيلاء البيزنطيين على بحيرة بانيس(٥).

وهكذا فقد وافقت إيرين على هذه الشروط، ولم يكن أمامها سوى قبول الأمر الواقع.كما كانت تريد أن تخفف حدة توتر الأوضاع على تلك الجبهة حتى تتفرغ لطموحاتها. وعن هذه الموافقة، نجد أن بعض المؤرخين قد ابتعدوا عن الحقيقة. فيقول المؤرخ اليونانى ثيوفان إن التطويق الذى تعرض له هارون دفع المسلمين إلى طلب السلام(٦). ويؤيده فى هذا كل من ابن العبرى والسريانى، والأخير يقول بنص كلماته : "إن البيزنطين حاصروا العرب بين النهر والجبل، وكان العرب فى مأزق شديد، وطلبوا السلام، واستجابت لهم إيرين بحكم طبيعتها الأنثوية، وخرج العرب من ضائقتهم" (٧).

١-ينفرد المؤرخ خليفة بن خياط بذكر أن عملية تبادل الأسرى والفداء بين البيزنطين والمسلمين قد تمت على يد عبد الحميد بن الضحاك . انظر خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط: القسم الثانى، ص٦٩١، والمزيد انظر : الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٣.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ١٥٢- ١٥٣ وأيضا. Boorks, The Struggle,C.M.H,. 1936, p. 124.

٣-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٣، وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٤-الطبرى: تاريخ الرسل جـ٨، ص ١٥٢- ١٥٣؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥٢ وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col. 920; Cf. Also: Ramsay, Historical Geography, p. 159.

٥- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ،ص١٥٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥٢ وأيضا Theophanes, Chronographia, Col. 920 ; Cf. Also: Ramsay, Historical Geography, p.159; Finlay, Byzantine, Empire, p.83.

٦- Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٧- .Bar Hebraeus, Chronography, p.118; Michel Le syrien, Chronique, Tome III, p.3

فهو يرجع الهدنة إلى ضعف النساء وشعورهن المرهف، وإيضا بناء على طلب العرب ويؤيد هذا الرأى مؤرخون آخرون مثل جيفوند وجورج همرتولس وجون زوناراس(١). والحقيقة أن هذا الاتجاه لا يعكس الحقيقة التى أوضحت حتمية بحث إيرين عن السلام، بعد أن أصبحت قواتها فى وضع لا تحسد عليه . بالإضافة إلى ماسبقت الإشارة إليه بشأن رغبة ايرين فى الوصول إلى صلح لتتفرغ لسياستها. بل أن بعض المؤرخين الغربيين الذين يؤيدون نفس الرأى يناقضونه بعد ذلك.إذ يقولون "إن ايرين كانت تريد التفرغ لطموحاتها الشخصية المتعددة فى أن تكون مطلقة اليدين بدون قيود" (٢). وإذا كان العرب هم الذين طلبوا الصلح بسبب المأزق الذى كانوا فيه، فلماذا كانت بنود الصلح فى غير صالح بيزنطة كما هو واضح ؟ بل إن بعض الآراء تصف هذا الصلح بأنه " كان صلحا مهينا جدا لبيزنطة "(٣)، ويؤكد هذا أن نتائج المعركة لم تكن فى صالحها، فإذا كانت الهدنة قد نصت على تبادل أسرى الطرفين، فقد سبى المسلمون خمسة آلاف وستمائة وثلاثة وأربعين أسيرا بيزنطيا (٤).

وإذا كانت المصادر العربية لم تذكر أعداد الأسرى أو القتلى من المسلمين فى هذه الحملة، وذكرت فى هذا الصدد ما يخص الجانب البيزنطى، فان المصادر اليونانية لم تذكر شيئا عن هذه الأرقام لكلا الطرفين. ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الأرقام وإن لم تخل من المبالغة، تعنى أن إيرين كانت فى وضع صعب. فيقال إنه قتل من

١- Gevond, Guerres, p. 153; Geogius Hamartolus, Chronicon, Cols. 957- 960; Zonaras, Annalium, Col. 1344.

٢- Finlay,Byzantine,Empire,p.83; Diehl, Le Monde, Oriental,p. 279.

٣- Ostrogorsky, Hist Byz state , p.162 راجع أيضا: حسنين ربيع: الدولة البيزنطية، ص١٢٢.

٤-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٥٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٧٠ يقول الطبرى أنه أعدم من هؤلاء الأسرى، قبل الموافقة على مفاوضات الصلح، حوالى ٢٠٩٠ اسيرا. انظر أيضا Brooks, Byzantines and Arabs, E.H.R.,p. 738.

البيزنطيين أربعة وخمسون ألفا(١). كما غنم المسلمون الكثير من الغنائم تقدر بعشرين ألف رأس من الماشية الحية ، وذبحوا مائة ألف من الماشية، حتى بيع الفرس بدرهم واحد، والبغل الجيد بعشرة دراهم أو أقل، وبيع أيضا الدرع بأقل من درهم، والعشرون سيفا بدرهم (٢). حتى لقد قال الشاعر مروان بن حفصة (٣) في هذه الحملة قصيدة جاء فيها:

أطفت بقسطنطينية الروم مسندا | إليها القنا حتى اكتس الذل سورها
ومارستها حتى أتتك ملوكها | بجزيتها والحرب تغلى قدورها(٤)

وأمام كل هذا الانجاز الذي حققه هارون وما أظهره من بسالة جعلت أباه المهدى يلقبه بالرشيد في عام ١٦٦هـ/٧٨٢، إذ قاد حملتين في عامي ١٦٣هـ/٧٧٩م، ١٦٥هـ/ ٧٨٢م تعتبران من أهم حملات المهدى على الجبهة البيزنطية في تلك الفترة (٥)، وكانت الأخيرة خاتمة الحـــــملات العربية على البوسفور(٦)؛ فلا يمكن اعتبار وصول القوات

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٧؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥٢؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٥؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٥. وخمسون ألفا في رأى آخر. انظر الذهبى: العبر، ص٢٤٤- ٢٤٥؛ الحنبلى: شذرات، ص٢٦٠. وخمسة وأربعون ألف في رأى ثالث. انظر البلخى: البدء والتاريخ، جـ٦، ص٩٦.

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ١٥٣؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٧٩؛ الذهبى: العبر، ص٢٤٤-٢٤٥ الحنبلى: شذرات، ص٢٦٠.

٣- تمتع الشاعر مروان بن حفصة بمكانته في الدولة العباسية، وزادت هذه المكانة في عهد هارون الذي كافأه ذات مرة نظير أحدى قصائده بمبلغ خمسة آلاف دينار، كما منحه هدايا أخرى منها عشرة من العبيد البيزنطيين. انظر السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٥.

٤- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٣؛ ابن خرداذبة: المسالك، ص١٠٣؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٤٣؛ البلخى: البدء والتاريخ، جـ٦، ص٩٦. وأيضا: Canard, Expeditions, J.A,. p. 102.

٥- لاريب أن حسن الاعداد والتربية أكسبت الأمير هارون مميزات الكفاءة والصلاحية التى صقلتها ثقة أبيه رغم حداثة سنه، مما جعل المهدى يوليه قيادة حملات هامة. وقدساهم هذا بلا شك في أن يتبوأ هارون بعد ذلك مكانة متميزة في التاريخ. انظر: النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٦.

٦- شهد عهد معاوية ثلاث حملات وصلت إلى البوسفور: الحملة الأولى في ٣٤هـ/٦٥٥م ، والثانية في ٤٨هـ/٦٦٨، الثالثة في ٥٤هـ/٦٧٤م . وشهد عهد سليمان بن عبد الملك واحدة في ٩٧هـ/ ١١٥م، ثم كانت هذه المحاولة. انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦٤؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٧؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٧٨-٢٧٩ وأيضا: Canard, Expeditions, J.A., PP. 102- 104.

العباسية بقيادة هارون إلى مشارف العاصمة القسطنطينية مجرد صائفة، على ما يذهب إليه كل من خليفة بن خياط وابن خلدون (١). فعلى الرغم من أنها لم تفتح أراضى جديدة، إلا أن النتائج التى ترتبت عليها تجعلها حملة لها أهميتها. ويؤيد هذا أن بعض المؤرخين يذكرون أن كثير من الناس اعتبروا ذلك هو الفتح الذى وعد الله به، إذ استرجع العباسيون حصونا وقلاع فى قيليقيا كانوا قد فقدوها فى عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨(٢). هذا، علاوة على ماتحقق لهم من غلبة وتفوق وذيوع الصيت كقوة عالمية فى ذلك الوقت. فقد زادت مكانة وهيبة الخليفة العباسى، وتمكن من فرض الطاعة على منطقة آسيا الوسطى واعلنت بعض المناطق الولاء والطاعة له(٣).

وباتمام اتفاق الصلح بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية، بدأ العرب فى الانسحاب من الأراضى البيزنطية فى ١٧محرم ١٦٦هـ/ الأول من سبتمبر ٧٨٢م. وقداصطحب هارون معه القائد البيزنطى تاتزاتيس الذى أحضر معه زوجته ومؤيديه(٤). ودخل هارون بغداد وسط الاحتفالات، ومعه أيضا رسل إيرين يحملون الجزية من الذهب(٥). ونفذ هارون تعهداته لتاتزاتيس وأكرم وفادته، ورتب له لقـــاء الخليفة المهدى

١- خليفه بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٦٨٩؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥٢.

٢- البلخى: البدء والتاريخ، جـ٦، ص٩٦. راجع ايضا: سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٨٦؛ الفصل الثالث من هذا البحث.

٣- مثل مناطق سجستان والتبت وطخارستان وطبرستان وكابل والصغد وأشروسنة وفرغانة. انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣١؛ راجع ايضا: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٢٤٥؛ أحمد شلبى: فى قصور الخلفاء العباسيين، القاهرة ١٩٥٤م، ص٩٩.

٤- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص ١٥٤ وأيضاً Theophanes, Chronographia, col.920

٥- قيل أن هذه الفدية كانت أربعة وستين ألف دينار عدا الأشياء الأخرى، انظر:الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٥٤؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحه رقم ٣٤٧؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٥.

الذى منحه هدايا أخرى، وكان أحسن تكريم له أن عهد إليه الخليفة بقيادة أرمينيا(١).

وقد اختلفت التفسيرات حول سبب خيانة تاتزاتيس ولجوئه للعباسيين. فمن الواضح أن إيرين قد أظهرت فى الفترة الوجيزة التى مارست فيها الوصاية على ابنها حتى الآن عدم ارتياح من الموظفين البارزين والقادة الأكفاء فى جيشها، ومنهم تاتزاتيس . ويؤيد هذا أن المؤرخ الأرمينى جيفوند، الذى عاصر تاتزاتيس ويقال إنه كان على صلة به، قال إن إيرين أعلنت صراحة أنها ضد تاتزاتيس(٢). وهذه الرواية تعكس اتجاه إيرين للتخلص من القادة القدامى ، هذه السياسة التى تظهر مدى التباين الكبير فى موقف حاكمين متعاقبين على بيزنطة من كبار قادة الإمبراطورية. فإذا كان هذا هو موقف إيرين منهم، فسوف نجد أن سلفها ليو الرابع يحرص على حسن العلاقة معهم. أما المؤرخ ثيوفان فيفسر هذه الخيانة بأن تاتزاتيس تصرف بدافع الكراهية للقائد الجديد البطريق ستاوراكوس(٣). ولكن غاب عن ثيوفان التفرقة بين خيانة تاتزاتيس فرارا من إيرين، وبين خيانته بسبب الكراهية للقائد الجديد. على أن رواية جيفوند السابقة، والمجد الذى اكتسبه تاتزاتيس طوال حياته وصعوبة التخلى عنه بسهولة يجعلان من الأقرب للصواب القول إنه هرب إلى العباسيين فرارا من سياسة ايرين، حتى أن البعض يعتبره لاجئا للعرب وليس هاربا(٤).

والحقيقة أن موقف إيرين من القادة العسكريين القدامى الذين حملوا لواء الدفاع عن بيزنـــطة فترة طويلة من الزمن، يستحق وقفة من الباحث لالقاء الضوء عليه،

١- Ghevond, Guerres, p.154 الذى يذكر أن إقامته عند العرب لم تدم طويلا، إذ مات فى ٧٨٥م/ ١٦٩هـ.

٢- Ghevond, Guerres, pp. 153- 154;Cf. Also: Tritle, Tatzates' Flight, p. 296.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 920.

٤- Tritle, Tatzates' Flight, pp.280-281.

خاصة أن لهذه السياسة أثرها على بيزنطة سواء على الصعيد الداخلى فيما يتعلق بأمن واستقرار البلاد، أو على الصعيد الخارجى فيما يتعلق بمواجهة الأخطار المحدقة ببيزنطة وعلى وجه الخصوص الخطر العباسى. وسيظهر هذا الأثر على الصعيدين فى المدى القريب والبعيد أيضاً. فقد وضح من الوهلة الأولى من تولى إيرين الوصاية أنها كانت قد حددت لنفسها ثلاثة اتجاهات عامة لسياستها: الأول: إنهاء الصراع حول عبادة الصور والأيقونات الذى إستمر أكثر من نصف قرن، وذلك بتغيير السياسة الدينية للبلاد من التحطيم إلى التأييد بما يتمشى مع رغبتها. والثانى: رغبتها القوية فى الحكم طوال حياتها وبمفردها. والثالث: تذليل كل العقبات التى كانت تعترض طريقها، مهما كانت، دون النظر إلى نتائج ذلك. ولهذا فإن أى موقف تتخذه إيرين يمكن ربطه بهذه الاتجاهات(١).

كان الاتجاه الأول سببا مباشرا فى مسارعة إيرين بفصل الحكام العسكريين القدامى ذوى الخبرة والكفاءة. وقد اتبعت معهم اسلوب الإحالة إلى التقاعد، أو الفضح والتشهير للتخلص منهم، لكون أغلبهم من المؤيدين لسياسة تحطيم الصور، وأحلت محلهم أصدقاء وأقارب وأفرادا من أسرتها يحملون مودة لها. وقد وجدت فى خصيان بلاطها المصدر الذى يمدها برجال يدينون لها بالطاعة (٢) واختارت من بين هؤلاء الخصيان كبير وزرائها ستاوراكيوس الذى أصبح السيد الأول فى البلاط، وأدى دورا بارزا فى حياة بيزنطة السياسية طوال مدة حكمها(٣).

١- Theophanes, Chronographia, Cols. 920-924.

٢- Kaegi,W,E., The Byzantine Armies and Iconoclasm, in "Byzantinoslavica" , Vol XXVII 1966, P. 61;Diehl,le Monde Oriental, p. 279, Diehl, Figures, pp. 87-88; Bailly, Byzance,p. 176 Jenkins, The Imperial,p. 92; Finlay,Byzantine Empire,p. 67.

٣-عن دور ستاوراكيوس خاصة والخصيان عامة فى بيزنطة، انظر Theophanes, Chronographia, Cols. 920-932; Cf. Also: Bailly, Byzance, pp. 179- 180; Brooks, The Struggle. C.M.H., 1936,.p. 125; Bury, L.R.E., vol II,p.485.

والتفسير المحتمل لسياسة إيرين بشأن هذا التغيير فى القادة أنها لم تثق فى ولاء هؤلاء القادة القدامى، وفى استمرارهم على طاعتهم لها. فسنوات خدماتهم الطويلة لسلفيها ليو الرابع وقنسطنطين الخامس شكلت مشاعرهم ومصالحهم، مما يهدد مصالح إيرين نفسها وطموحاتها خاصة فى وجود ابنها قنسطنطين السادس، الذى اعتبر هؤلاء القادة القدامى امتداد للإمبراطورين اللذين ارتبطوا بهما. أما عن التغيير فى السياسة الدينية من تحطيم الصور إلى عبادتها بما يتمشى مع ميولها، فهذا يعكس أنه كان مستحيلا عليها أن تعيد هذه العبادة فجأة إذا لم يكن لديها من قوة الشخصية، ومن المعاونين مايجعلها تحقق هذا(١).

وهكذا ففى خلال مدة وجيزة أفل نجم قادة عظام مثل ميخائيل لاخانودراكون، وتاتزاتيس، وأرتفاذدوس الأرمينى، وحل محلهم قادة من المقربين، أقل كفاءة، مثل ستاوراكيوس، وجون الدومستيقى، ونيكيتاس، وبيتر. ولا يمكن تجاهل أثر تغيير أولئك القادة القدامى سلبا فى أحوال الجيش البيزنطى. فقد تدهورت قدرات هذا الجيش البيزنطى، حتى أنه فى السنوات التالية تمكن العرب من شن عدد من الهجمات على الإمبراطورية البيزنطية، وتعرضت الحدود لأعمال السلب والنهب بعد أن أصبحت بيزنطة تفتقر إلى قادة قادرين على مجارة العرب ولاح فى الأفق أن التنظيم العسكرى الكفء الذى خطط له ليو الثالث الأيسورى وأنشأه قنسطنطين الخامس وليو الرابع حاق به الخطر، خاصة فيما يتعلق بمستويات القيادة العليا؛ فقد شكلت العبقرية العسكرية لأولئك الأباطرة الثلاثة جيشا قاوم قوات الخليفتين المنصور والمهدى بشكل واضح(٢).

١-لم يكن يعوز إيرين – فيما يتعلق بالسياسة الدينية – الذكاء اللازم لكى تتحول إلى عبادة الصور بحذر وحيطة شديدين لأنه كان عليها أن توجه قواتها لمواجهة المطالبين بالعرش، والحروب الداخلية مع السلاف فى اليونان، ومواجهة بعض رجال الجيش من أنصار التحطيم لأنهم من أنصار قنسطنطين الخامس قائدهم العظيم. انظر Kaegi,The Byzantine Armies, , p. 61; Vasiliev Byzantin Empire,p.263; Finlay, Byzantine Empire, p. 67, Bury, L.R.E., VOL.II,p485;Bailly, Byzance, p. 178; وأيضا:عمركمال: الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٦.

٢- Theophanes, Chronographia, Cols. 872-920. ;Cf. Also: Brooks, The Struggle, C.M.H,. 1936, P. 125.

وكان هناك مايؤكد هذا المعنى منذ البداية، سواء من حيث خطأ إيرين بشأن الإقدام على استبعاد القادة القدامى الأكفاء، أو من حيث ضعف مستوى القادة الجدد الذين وقعوا فى خطأ عسكرى بسيط أثناء التفاوض مع هارون فوقعوا فى الأسر. وقد حاول المؤرخ اليونانى زوناراس تبريرموقف إيرين بقوله إنها وقعت شروط الصلح مجبرة، تحت وطأة القبض على القادة(١). ونتساءل: هل تعتبر ايرين مسئولة عن تلك النتيجة ؟ لاشك أنها مسئولة عن تعيين أولئك القادة. كذلك لا يمكن القول بأن إيرين قد بذلت من الجهد ما يجعل الموقف فى صالحها فى هذه الحملة. فلاشك أن موقف هارون كان صعبا للغاية، ولكنه استخدم الحيلة ليقلب الأوضاع لصالحه. وفى المقابل لم تحاول ايرين المقاومة، وكأنه لم تعد هناك حلول لانقاذ عاصمتها وقادتها سوى الاستسلام ودفع الجزية (٢).

ومهما يكن من أمر، ومن خلال هذه الحملة، يتأكد القول إن الخليفة العباسى المهدى قطع بالفعل شوطا كبيرا فى سياسة الجهاد التى كان قد شرع فى بعثها، كما سبقت الإشارة فى الفصل السابق. كما أنه أكد بهذه الحملة أيضا تحول كفة ميزان القوى فى الصراع البيزنطى الإسلامى لصالح العباسيين فى تلك الحقبة من حكم الخلافة، الأمر الذى ربط هذا الإنجاز باسم الخليفة المهدى ليخلد فى التاريخ ، ومن بعده ابنه هارون الذى سار على نفس النهج الذى نشّأه عليه أبوه (٣).

لم يكن نشاط الخليفة المهدى مقصورا على الجانب الحربى. ففى غمرة هذه الأحداث لم يهمل انشاء وترميم القلاع والحصون وشحنها بالجنود، سيرا على نهج

١- Zonaras,Annalium, Col. 1344.

٢- Theophanes, Chronographia, Col . 920; Zonaras, Annalium, Col. 1344.

٣- يكرر هنا المؤرخ فنلاى رأيه عن حملة ١٦٤هـ/٧٨٠م السابقة من أن هدفها أيضا هو السلب والنهب وتجارة العبيد. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الرأى، ويضيف الباحث هنا أنه من المستحيل أن تخرج حملة بكل هذا الاستعداد وتصل إلى مشارف القسطنطينية من أجل السلب وتجارة العبيد. ولكن المعالجة الموضوعية تقتضى منا القول بان للمهدى دورا بارزا فى انعاش حركة الجهاد، وهو ما دفعه لهاتين الحملتين. انظر Finlay, Byzantine Empire, p. 83.

الخليفة المنصور. وكانت الهدنة التى وقعت بين الطرفين البيزنطى والعباسى فى١٦٦هـ/ ٧٨٢م فرصة طيبة للعباسيين للسير قدما فى هذا الاتجاه. فبعد الحملة السابقة مباشرة خرج هارون وقام بترميم مدينة المصيصة وأحاطها بالقلاع والحصون، وبنى لها مسجدا، وزاد من اعداد رجالها(١). كما أعاد بناء القلعة الحامية لجسر أدنة على نهر سيحان التى تبعد عن المصيصة بحوالى أربعة وعشرين كيلومترا(٢). كذلك أتم هارون الرشيد أثناء خلافة أبيه بناء حصن منصور، وزوده بالرجال(٣)، كما أمر المهدى ابنه هارون بالشروع فى بناء عين زربة و تزويدها بالجند(٤). وقد كانت هذه الأعمال تدخل فى نطاق النشاط السياسى للخلافة العباسية لمواجهة بيزنطة، أوالتصدى لهجماتها ودفعها إذا أقدمت على ذلك.

كذلك انتهزت الإمبراطورية البيزنطية فرصة هذه الهدنة لإقرار الأوضاع فى بعض مناطق القلاقل . فقد حرصت إيرين على اخضاع المستوطنين السلاف، الذين أسسوا مستوطنات داخل حدود الإمبراطورية فى تراقيا ومقدونيا وشبه جزيرة البليبونيز، مشكلين مجتمعات مستقلة (٥). فتمكن ستاوراكيوس من اخضاعهم واجبارهم على دفع الجزية وأسر

١- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، صفحات ١٩٩-٢٠٠.

٢- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، صفحات ١٩٩-٢٠٠، وأيضا: Canard, Byzantium and the moslim World, C.M.H., 1967, p. 706; Brooks, The Struggle, C.M.H., 1936, p. 124 وأيضا : السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٢، ص٢١٨.

٣- ينسب هذا الحصن إلى بانيه منصور العيش ؛ وهو من قادة الجند فى عهد آخر الأمويين مروان الثانى. وهذا الحصن من الثغور الجزرية غرب الفرات قرب سميساط، تفصل بينه وبين زبطرة مسافة ٤٦,٥كم وهو عبارة عن مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب، وفى وسطها حصن، وقلعة عليها سوران. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص٢٠٣؛ لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٥٥.

٤- عين زربة من الثغور الإسلامية الاستراتيجية لما لها من أهمية، إذ تعتبر مفتاح الطريق إلى سوريا من جهة البيزنطيين. ويذكر أن هارون قد انتهى من بنائها وتزويدها بالمقاتلين بعد أن أصبح خليفة. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، صفحات ٢٢٨-٢٢٩.

٥- حتى أن هذه المجتمعات نادرا ما اعترفت بولائها للسلطة المركزية فى القسطنطينية Theophanes, Chronographia, Col, 917; Cf. Also: Charanis, p. The slavic Element in Byzantine Asia Minor in the Thirteenth Century, in "B" Bruxelles, 1948, tome XvIII,p71 انظر أيضا: علية عبد السميع الجنزورى: المرأة فى الحضارة البيزنطية، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ط١، ١٩٨٢، ص٢٩؛ علية عبد السميع الجنزورى: إيرين، ص٣٥.

أعداد كبيرة منهم فى ٧٨٣م/١٦٧هـ (١) . وفى العام التالى أرسلت إيرين ابنها قنسطنطين السادس مكررة المحاولة التأديبية فى هذه المناطق(٢)، ومستهدفة اظهار قوتها وتاكيد شخصيتها فى أرجاء الإمبراطورية. وبالطبع كان هذا على حساب الجبهة الشرقية العباسية(٣) التى كانت تستغل هذه الهدنة بما يفيدها إذا ما استؤنف النشاط السياسى مرة أخرى. ولعل إيرين كانت تحاول كسب حب شعوب إمبراطوريتها بدليل أنها اصطحبت ابنها وجابت البلاد فى العام التالى، فزارت مناطق متفرقة منها تراقيا(٤)، وبعض الولايات الأوربية الأخرى حيث أقامت بعض المنشآت مثل تلك المدينة التى سميت باسمها(٥).

ساد الهدوء على الجبهة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية. فقد أجمعت آراء معظم المصادر العربية على أن الهدنة التى عقدت بين القوتين المتصارعتين فى ١٦٦هـ/ ٧٨٢م لمدة ثلاثة سنوات، استمرت سارية المفعول حتى ١٦٨هـ/ ٧٨٤م. وقد نقض

١- وكان معظم الأسرى من الإقليم المحيط بسالونيكا. وقد عاد بهم ستاوراكيوس وسط مظاهر الاحتفال والتكريم. واستخدم هؤلاء الأسرى كجنود فى الجيش، أو كجواسيس أو كانو يباعون كعبيد. ومن استخدام المصادر لألفاظ أسرى وغنائم نستنتج أن شبه جزيرة البلوبونيز كانت أجنبية عن بيزنطة مستقلة إداريا انظر؛ Theophanes, Chronographia, Cols 916-921; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 960 Cedrenus, Historiarum, Col . 903; Cf Also: jenkins, The Imperial p. 92; Diehl, Le monde oriental, p. 279; Diehl, Figures, p. 89;Finlay, Byzantine Empire, p. 83; Guilland, Patrices, p.334. راجع أيضا: وسام عبد العزيز فرج: دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى، الإسكندرية ١٩٨٥،ص٩١.

٢- Cedrenus, Historiarum, Col . 903 ; Zonaras,Annalium, Col.1344

٣- Zonaras, Annalium, Col. 1344; Cf. Also: Finlay, Byzantine Empire,p.81.

٤- استقبلت تراقيا الوصية وابنها وسط مظاهر الاحتفال. انظر: Georgius Hamartolus: Chronicon, Col. 960; Zonaras, Annalium, Col. 1344.

٥- Theophanes, Chronographia, Col, 921; Georgius Hamartolus, Chronicon, Cols. 960; Zonaras, Annalium, Col. 1344.

البيزنطيون هذا الصلح بعد مرور اثنين وثلاثين شهرا من توقيعه وعلى ذلك تذكر هذه المصادر أنه لم يكن فى عامى١٦٦هـ/٧٨٢م،١٦٧هـ/٧٨٣م صوائف بسبب تلك الهدنة(١) ولكن نلاحظ أن اليعقوبى يختلف عن الطبرى بشأن تواريخ الصوائف،كما اختلفا فى تسمية قادتها.إذ يذكر اليعقوبى أنه سيرت صائفة فى عام١٦٦هـ/٧٨٢م(٢)، وصائفة فى عام١٦٧هـ/٧٨٣م؛أنه لايرى أن الهدنة قد احترمت من الطرفين،كما لم يمدنا بشىء يحدد الطرف الذى بدأ بنقض الهدنة(٣)، ولم نستدل على أسباب ذلك.

نقض البيزنطيون الهدنة فى رمضان ١٦٨هـ/مارس٧٨٤م، فأمر الخليفة المهدى بتوجيه جيش بقيادة على بن سليمان والى العراق وقنسرين إلى الأراضى البيزنطية. فأرسل هذا القائد عامله يزيد بن البدرة بن البطال، وعبر الحدود البيزنطية، وتمكن من أسر أعداد كبيرة من البيزنطيين، وعاد بالكثير من الغنائم (٤).

ومرة أخرى بدأ البيزنطيون بالهجوم على منطقة الحدث عام٧٨٥م/١٦٩هـ، وهدموا سورها واجتاحوها وهدموها وسووها بالأرض، وكان العباسيون قد فرغوا من

١- يؤيد هذه المصادر العربية المؤرخ ثيوفان من المصادر اليونانية. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٦٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٠، ط ١ القاهرة ١٩٣٢، ص١٥٠؛ العينى: عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم٣٤٨ ؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٨. وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col. 921.

٢- يذكر انها كانت بقيادة ثمامة بن الوليد، ولم يذكر تفاصيل أخرى، انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣٥.

٣- يذكر أن صائفة سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م كانت بقيادة الفضل بن صالح، دون ذكر التفاصيل. انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣٥.

٤- من الممكن الربط بين هذا الهجوم الذى نقض المعاهدة وبين ماتعرضت له الخلافة من مشاكل داخلية، مثل الثورة التى قامت فى بلاد الموصل فى ١٦٨هـ/٧٨٤م بقيادة ياسين بن تميم وأعوانه، ولكن المهدى تمكن بعد جهد كبير من اخمادها فى العام التالى. كما تعرضت الخلافة أيضا فى أواخر ١٦٨هـ/٧٨٤م لوباء. انظر : اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٣٤؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٦٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٧٨؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٦؛ ابن خلدون: العبر، ص٤٥٢؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٨؛ وأيضا: Theophanes, Chronographia,Col. 921; Zonaras, Annalium, Col. 1344.

بنائها في ذلك العام. وقد أثار هذا الهجوم البيزنطي الرعب في قلوب سكان الحدث حتى أن واليها وجندها وسكانها تركوا المدينة هاربين طلبا للنجاة(١) وعلى الرغم من أن الخلافة العباسية كانت تعاني آثار وفاة الخليفة المهدي في سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م،(٢) فإن خليفته الهادي(٣) سير صائفة في نفس عام ١٦٩هـ بقيادة معيوف بن يحيى، الذي خرج بجيشه عن طريق درب الراهب، وعبر من دابق، ودخل الحدث(٤). ووصلت أنباء ذلك إلى البيزنطيين الذين كانوا يعملون له حسابا خاصا نظرا لسمعته بينهم، فكان لتكرار صوائفه الناجحة أثرسيئ في نفوسهم كلما سمعوا أخباره. لذلك انصرف البيزنطيون تاركين مدينة الحدث، فدخلها معيوف بسهولة مستوليا على الكثير من السبايا والغنائم، ثم استولى أيضا على مدينة أشنة المجاورة لها وغنم منها أيضا(٥).

لم تستمر حياة الخليفة الهادي طويلا،إذ توفي ١٧٠هـ/٧٨٦م. وتولى

١- Bar Hebraeus, Chronography, p. 118.

٢- عن وفاة المهدي، وأسباب موته، وتفاصيل أخرى انظر:خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٦٩٢؛ الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٧١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٦٩؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٢٧٩-٢٨٠؛ العيني. عقد الجمان، جـ١١، لوحة رقم ٣٤٧؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١١٨-١١٩؛ ابن العمراني: الأنباء، ص٦٩

٣- هو محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الذى حكم ١٦٩هـ/٧٨٩م- ١٧٠هـ/٧٨٦م، ولم يحكم أكثر من أربعة عشر شهرا. انظر الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص١٨٧؛ المسعودي، مروج الذهب، مجلد ٣، بيروت ١٩٧٣م ط٥، ص٣٣٤ ؛ ذي النسبيين: كتاب النبراس، ص٣٥؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٢١

٤- Honigmann. Ostgrenz, p. 47.

٥- كذلك يذكر أن معيوف كان ضمن عشرة أشخاص علقت بيزنطة صورهم في بعض الكنائس حتى يعلم الناس أوصاف أعداء بيزنطة فيسهل الاستدلال عليهم، كما علقت أيضا صورة الحسن بن قحطبة. انظر. خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٠٤؛ البلاذري. فتوح البلدان، ص١٩٨؛ الطبري. تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٠٣، ٢٠٤؛ ابن الأثير الكامل، جـ٦ ص٩٤؛ ابن شداد الأعلاق، ص٥٦

بعده هارون الرشيد في ربيع الثاني ١٧٠هـ/ ديسمبر٧٨٦، وحكم حتى جمادى الآخرة١٩٣هـ/مارس ٨٠٩م(١). وقد حرص على استمرار النشاط الإسلامى على الجبهة البيزنطية، حتى شاع أنه إذا لم يغز بنفسه سيّر أحد كبار قادته. وانتظم هذا النشاط سنويا(٢) حتى اختلط الأمر على بعض المصادر في تحديد قادة الصوائف. فبعد ثلاثة أشهر من اعتلائه العرش خرج على رأس صائفة وفقا لبعض المصادر(٣) وترى مصادر أخرى أنه أرسل قائده سليمان بن عبد الله البكائى(٤)، والأرجح أن الخليفة أرسل قائده من نقطة الحدود. وينفرد المؤرخ خليفة بن خياط برواية مؤداها أنه حدث تبادل للأسرى، وأن فداء تم في ذلك العام. ولكن لاتوجد تأكيدات لهذه الرواية في المصادر الأخرى، كما لاتوجد شواهد تعززها. لذا فالغالب أن خليفة بن خياط يقصد تبادل الأسرى الذى سبق أن تم بمقتضى معاهدة الصلح بين الطرفين البيزنطى والعباسى في عام ٧٨٢م/١٦٦هـ(٥).

ولكن الخلافة العباسية تعرضت لبعض المشاكل الداخلية التى عادة ماتثور عند اعتلاء حاكم جديد للعرش،ثم سرعان ما تخمد إذاأثبت هذا الحاكم قدرة على اخمادها. فقد شهدت السنة الثانية من حكم هارون الرشيد ثلاثة حوادث داخلية من ذلك النوع في

١- هوأبو جعفر هارون بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس. وقد سبقت الإشارة إلى كيفية تلقبة بالرشيد. عن هارون وسيرته ومواهبه المختلفة انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٠٩؛ المسعودى: مروج الذهب، ص٣٤٧؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٢؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٢٥؛ ابن العمرانى: الأنباء، ص٧٥؛ الزهرى: كتاب الجغرافية، B.E.O، جـ٢١، ص٥٢-٥٤؛ ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية، ص١٦٩.

٢- يقول عنه المؤرخ اليونانى ثيوفان " وهوالذى أنزل مصائب كثيرة بالبيزنطيين " انظر Theophanes, : Chronographia,Col. 928

٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٠٩؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٦٤؛ ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٤٧٦؛ القرمانى: كتاب أخبار الدول وآثار الأول ص١٥٠.

٤- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧١١؛ الطبرى:تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٤، أيضا:.Michel Le Syrien, Chronique, tome III , p.8

٥-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٠٩.

عام١٧١هـ/٧٨٧م.الأول:قيام ثورة خطيرة فى الموصل(١)، والثانى:هجرة أعداد كبيرة من الأرمن يقدر عددهم بأثنى عشر ألف شخص إلى بيزنطة واستقرارهم فيها(٢)، والثالث: تعرض الحدود الإسلامية فى منطقة أرمينيا لهجوم من قبل الترك الخزر وأسر أعداد كبيرة من المسلمين (٣). وقد تمكن هارون من التصدى بكفاءة لهذه المشكلات ونظرا لهذا الوضع الداخلى، فلم يتم فى تلك السنة تسيير أى صائفة.

هذا، ولم تحاول ايرين الوصية على العرش النظر إلى مايدور شرق حدودها، بداية من موت المهدى وحتى هذه الحوادث. فلم تنتهز الفرصة المواتية لازعاج جارتها عبر الحدود، على عكس ماجرت عليه العادة المعروفة فى تاريخ الصراع بين العالمين البيزنطى والإسلامى، إذ كانت ايرين نفسها مشغولةبأمور أخرى منها المجمع المسكونى السابع الذى دعت إلى عقده فى نيقية فى ٧٨٧م/ ١٧١هـ، وهو آخر مجمع عالمى فى تاريخ الكنيسة المسيحية بوجه عام والكنيسة الشرقية على وجه الخصوص لتنفيذ سياستها الدينية الرامية إلى إلغاء قرارت مجمع ٧٥٤م/١٣٧هـ، والتحول من سياسة تحطيم الأيقونات إلى عبادتها(٤).

١- نجح هارون فى اخماد هذه الثورة. انظر :الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٤٢-٢٤٣.

٢-كان والى هارون على أرمينيا قد أثقل كاهل الأرمن بالضرائب، وكان معظمهم من الفلاحين فتركوا أراضيهم وهربوا. وعبثا حاول المسلمون تعقبهم، وإن تمكنوا من قتل أعداد منهم ؛ أما الباقون فقد استقبلهم الإمبراطور البيزنطى بنفسه. انظر Ghevond, Guerres,p. 162; Tournelize, F., Histoire Politique et Religieusede L'Armenie, Paris, 1911, p. 101; Finlay, Byzantine Empire, p. 85.

٣- كان خطر الخزر فى تلك الآونة هادئا، ثم بدأ يأخذ شكل اغارات صغيرة. ويذكر أنه قتل القائدالبيزنطى تاتزاتيس الذى سبقت الإشارة إليه، ثم حدث هذا الهجوم الذى تمكن هارون من صده عن طريق سد الطرق الرئيسية أمام الخزر. انظرGhevond, Guerres, p. 154راجع أيضا : سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٨٩، محمد الشيخ: الخزر، ص٣٧٢.

٤- لم يشأ الباحث التعرض لمؤتمر نيقيه والحوادث التى ارتبطت به، والنتائج التى تمخضت عنه، نظرا لأن من هذا إن حدث من شأنه أن يبعدنا، ويزج بنا فى موضوعات تحتاج إلى دراسات منفصلة. ونرجو أن يحالفنا التوفيق لدراستهافى المستقبل مستعينين بالمصادر والمراجع التى بين يدينا وعن=

وانغمست ايرين فى هذه الأمور حتى أنها نقضت اتفاقها السابق مع الفرنجة، بشأن علاقة المصاهرة بينها وبين شارلمان. وقد تراجعت دون أن تضع فى اعتبارها مغبة هذا التراجع، وبعد أن تمكنت من تسوية مشكلة عبادة الصور فى مجمع نيقية المسكونى(١).

= هذا المجمع انظر: Theophanes, Chronographia, Cols 920- 932; Georgius Hamartolos, Chronicon, Cols. 960 -961; Cedrenus, Historiarum, Cols. 903-905; Zonaras, Annalium, Cols. 1344-1352; vita Tarasius , Ed . p. G, tome Xcvlll, paris, 1860, Cols.. 1385-1424; Annales Regum Pippini et Caroli, Vulgo' Eginhardo adscripti, R.H.F.G, Tome V, P. 211; Cf. Also: Jeen Darrouzes, listes Episcopales du Concile de Nicee 787, in R.E.B.,Tome 33, pp.I-76; Alexander, paul, j., Religious Persecution and Resistance in the Byzantine Empire of the Eighth and Ninth Centuries, Methods and Justif ications, in speculum a journal of Medieval Studies, vol III, No 2, April 1977, Cambridge, p.244; Lamb, Charlemagne, London,1963, p. 168; Mauglais Byzantine, pp.96- 99; Finlay, Byzantine Empire, pp. 68-78; Jenkins, The Imperial, pp. 94-102; Diehl, le Mondo Oriental, p. 280-281; Diehl, Figures, pp.91-92; Bury, L.R.E., Vol I.I pp 483-498; Vasiliev, Empire, pp.263-264; Rice, Tamara, Talbot, Byzantium, london, 1969, p.81; Bailly, Byzance, pp. 181- 182; أيضا : هارتمان .ل.م.، وباركلاف ج : الدولة و الإمبراطورية فى العصور الوسطى، ص٣٦؛ ديفز: شارلمان، ص١٤٤؛ أسد رستم: حرب فى الكنائس، ص٤١؛ عمر كمال: الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٧؛ حسنين ربيع: الدولة البيزنطية، ص١١٨؛ نبيه عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، دمشق ١٩٦٩، ص١٧٢؛وسام عبد العزيز فرج: دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩١.

١- فى ٧٨٨م/١٧٢هـ قامت بتزويج ابنها من احدى بنات الأسر النبيلة فى ثيم أرمينيا، وتسمى مريم انظر: Cedrenus, Historiarum, Col.905. Cf. Also: Warren Bride Shows, p. 399; Jenkins, The Imperial. p98

وهكذا شمل التخبط سياسة بيزنطة مع اطراف عديدة غير المسلمين، ووصلت الأمور إلى ذروة التردى عندما انتهز البلغار فرصة هذا الضعف وهاجموا ثيم تراقيا، محققين نصرا بسبب قلة كفاءة القائد البيزنطى الذى واجههم فى عام ٧٨٨م/١٧٢هـ ، إذ لم يسرع من مقر اقامته لدفع خطرهم (١).

وفى نهاية العام نفسه أدى الصدام مع الفرنجة إلى كارثة، حين فشلت قوة عسكرية بيزنطية كانت قد أرسلت إلى ايطاليا فى محاولة لإخضاع الأمير اللمباردى اديليخيس Adelchis وهزمت هذه القوة وذبح قائدها (٢).

وعلاوة على هذه الضربات، لم تعد البابوية تعترف بالنفوذ البيزنطى فى ايطاليا، واعتمدت على قوة الفرنجة ويمكن ارجاع هذه الهزائم إلى فقدان إيرين لشعبيتها بين رجال الجيش، بالإضافة إلى القصور فى القوة العسكرية نفسها، وإلى السياسة الخارجية المتخبطة التى اتبعتها وعادت بعواقب وخيمة على الإمبراطورية (٣).

كان انشـــغال بيزنطة عن العباســيين على هذا النحـــو، فرصة للخليفة العباســـى هارون الرشيد لترتيب أوضــــاع الخلافة العباسية، استعدادا لجولة جديدة من جولات الصـــــراع السجال بين القوتين. فلم تشغله المشكلات الداخـــلية عن الاهـــــتمام بترميم الحصـــــون وإعادة بنائها، خاصــــة تلك التى لـم تكن قد أخذت حـــــقها من الاهتمام مثل مدينتى الحـــدث وزبطرة؛ فقد أخـــلاها من الســـكان وأعاد بناءهمـــــا فى ١٧٠هـ/٧٨٦م (٤)، كمـــــا أعــــاد بناء مــدينة

١- تعرض الجيش التراقى لخسائر ضخمة نتيجة لعدم اتخاذ القائد البيزنطى الحيطة أثناء تمركزه بلا مبالاة على شاطىء ستريمون Stremone غرب أدرنة. انظر Theophanes, Chronographia, Cols 933; Cf .Also:Finlay,Byzantine Empire,p. 84.

٢- عمر كمال: الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٩. Guilland , Patrices, p. 320.

٣- Theophanes, Chronographia, Col . 933.

٤- سبقت الإشارة إلى موقع الحدث . أما زبطرة فهى من الثغور الجزرية، وبينها وبين ملطية أربعة وعشرون كيلومترا، وتقع فى منطقة أرمينيا الصغرى. انظر: Michil Le Syrien, Chronique,Tome III, P. 8; Hebraeus, Chronography. p. 120 وقد تهدم ســـور المدينتين من جـــراء شــــتاء ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. انظر البلاذرى: فتوح البلـــدان، القسم =

كفربيا وتحصينها بخندق فى ١٧١هـ/٧٨٧م (١) . و هناك رواية تقول إن بداية هذا العمل الأخير كان فى خلافة المهدى، ثم غير الرشيد بناءها وحصنها بالخندق(٢). والحقيقة أن تقارب سياسة الخليفتين المهدى وهارون يؤكد أن سياسة الخلافة العباسية فى هذا المجال، كانت ثابتة لم تتغير ، مما يعكس أن حركة الجهاد، التى أعطاها المهدى دفعة قوية، قد استمرت فى عهد ابنه هارون الرشيد أيضا.

كذلك فكر هارون فى ترميم طرسوس(٣)، فسارع بتسيير صائفة فى عام ١٧١هـ / ٧٨٧م بقيادة قائده هرثمة بن أعين وأمره ببناء طرسوس. وقد نفذ هذا على يد فرج بن سليم الخادم التركى(٤). إذ كانت بيزنطة مشتتة ما بين تهديدات المسلمين والبلغار

= الأول،ص٢٢٧؛الحميرى:الروض المعطار،٢٨٥؛ لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٥٤؛ وإيضا : Canard, Byzantium and The Muslim world, C.M.H., Vol Iv, 1967, p. 706; Brooks, the Struggle, C.M.H ., vol IV, 1936, p. 125. ويذكر بشأن إعادة بناء الحدث أن الخليفة هارون أرسل قوة إلى حصن كيسوم بقيادة عبد الملك، الذى هدم الكنيسة العظمى لهذا الحصن وكذلك خمسة عشرة هيكلا، وقام بنقل حجارتها على الفى عربة إلى الحدث التى أعيد بناؤها وتعميرها بالسكان مثلها مثل زبطرة، تحت اشراف القائد نفسه. انظر Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,p. 8;Bar Hebraeus, Chronography, p.118. راجع أيضا : ابن شداد: الأعلاق، ص٣٩-٤٠؛ انظر أيضا :الجنزورى: الثغور، ص٨٨-٩٠. انظر الخريطة رقم (١٠)

١- محمد بن أحمد بن الشحنة ت٨٨٣هـ/١٤٧٨م: مختصر تاريخ ابن الشحنة، مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية تحت رقم ٣٧٩٩جـ ، ص٤٢، وايضا: Canard, Byzantium, and The Muslim, C.M.H,. VOL Iv , 1967, p. 706.

٢- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٩٧، راجع أيضا: فتحى عثمان: الحدود، جـ١، ص٢٥٠.

٣- مدينة بالشام تقع بين انطاكية وحلب، وبين الحدود البيزنطية، بينها وبين ادنة ستة وثلاثون كيلومترا، ويقسمها نهر البردان قسمين. انظر البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٠٠؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص ٥٣٦.

٤-خليفة بن خياط: تاريخابن خياط: القسم الثانى، ص٧١١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٠٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٢٦؛ ابن الفقية (أبى بكر أحمد بن محمد الهمزانى) مختصر كتاب البلدان، ليون ، بريل ١٣٠٢م، ص١١٣.

وثورات اليونان . وقد كان اتمام هذا العمل فى عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م (١). ثم عهد هارون بحراسة أبواب المدينة إلى ثمانية آلاف جندى(٢)، كما زودها بالجند بعد أن زاد من أرزاقهم، ووفر للمدينة مايلزمها من مخزون حتى أصبحت فى نظر المسلمين أفضل حصن يصمد أمام غارات البيزنطيين(٣).

ومنذ بداية تولى هارون الرشيد للعرش وهو يبذل كل جهده من أجل تقوية الحصون ودفاعات المدن، وامدادها بسكان مستوطنين جدد. هذا، إلى جانب اهتمامه بأن يكون الجيش العباسى على مستوى فنى وتدريبى مرتفع، خاصة فيما يتعلق بالتكتيك العسكرى (٤) ونظام الجاسوسية(٥).

١- إذ زودت بحوالى سبعة وثمانين برجا، على كل برج عشرون شرفة، بين كل برجين ستة وخمسون شرفة، عرض كل منها ذراعان ونصف الذراع، وللمدينة خمسة أبواب. انظر: محمد بن أحمد : تاريخ ابن الشحنة، ص٤٣؛ الحميرى: الروض المعطار، ص٣٨٨؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٣٤.

٢- كما تم تقوية المدينة بجدران مزدوجة محاطة بخندق. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٣٨٨؛ Bury, E.R.E., Vol ,II , P.245.

٣-البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٠٠؛ راجع أيضا: عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢١-٢٢٢؛ عليه عبد السميع الجنزورى: الثغور، ص٣٢، ١٤٥؛ فازيلييف: العرب والروم، ص٨٩؛ Fahmy, Muslim Naval.p. 56.انظر الخريطة رقم (١٠)

٤- مثل الحيطة، والسرعة، والهجوم المكثف، والدفاع فى حالة الهجوم المتوقع، والمطاردة، والرمى بالنفط. انظر الهروى: كتاب التذكرة الهروية B.E.O جـ١٧، عام ١٩٦١-١٩٦٢، ص١٩-٢١؛ Finlay, Byzantine Empire, p. 83.

٥- حرص كل من البيزنطيين والمسلمين على تنظيم دائرة معلوماتهم. وفى هذا المجال استعان الطرفان بعدد من السكان الذين أجادوا التحدث باللغتين اليونانية والعربية، أتوا بهم من المناطق الممتدة على طول الحدود المشتركة بينهما. ومن الروايات المشهورة أن الخليفة هارون استخدم شخصا يدعى عبد الله السيدى على مدى عشرين عاما باعتباره جاسوسا فى بيزنطة. وبصفة عامة، فبقدراهتمام العباسيين باستطلاع أخبار عدوهم، بقدر ماحرصوا على اتقاء نشاط جواسيس بيزنطـة فى أرض الخلافة، والعكس صحيح. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص١٥٦-١٥٧، ص٢٦٠؛ راجع أيضا: حسينى: الإدارة، ص٤١٩؛ فتحى عثمان: الحدود، جـ٢، ص٣١٠-٣١١؛ هل (ى): الحضارة العربية، ترجمة إبراهيم أحمد العدوى، مراجعة حسين =

ومن المناسب هنا أن نعطى وصفا سريعا لمنطقة الحدود، حتى يمكننا تصور حركة الرجحان والهبوط فى موازين القوى خلال فترة الصراع بين الدولتين. فالمعروف أن الخلافة العباسية استخدمت أسلوبا دفاعيا محكما، يتمثل فى نظام اقامتها فى منطقة حدودها المشتركة مع بيزنطة من ناحية آسيا الصغرى، وأشهرها ثغور الشام (١)، التى كان الخليفة نفسه يوليها عناية خاصة لأن ذلك مقرون ببقاء قوة الخلافة نفسها(٢). وكانت هذه الثغور عبارة عن حصون مزودة بحاميات دائمة خاصة بها. وكانت تقطع للرجال والعائلات المقيمين فيها أرض لزراعتها، بالإضافة إلى مرتباتهم العالية التى منحتها لهم الخلافة حتى عمرت هذه الثغور بالسكان (٣). وكان الخليفة يحرص على حسن اختيار ولاة الثغور بنفسه، مثلما كان يحرص على عدم استمرار بقائهم فى الثغر حتى لايستبدوا بالرعية، أو يصعب عزلهم، أو تسول لهم نفوسهم بسبب طول بقائهم فى هذه الثغور مكاتبة أصحاب الأطراف المجاورين لثغره (٤).

وقد حرص الخليفة العباسى هارون الرشيد على أن يجمع بين سياسيتين متوازيتين هجومية ودفاعية فى الوقت ذاته.فإلى جانب نشاطه الهجومى المكثف ضد بيزنـــطة، ســـــواء قام به بنفسه او بتكليفه لآخــــرين، فقد اهتم بتدعيم الدفاعـات

= مؤنس، القاهرة ١٩٥٦م، ص٨٦.وأيضا Christides, V.,Arabic Influence on TheArabic Cycle, in "B" Vol, 49; Bruxelles, 1979, pp. 94-109; Christides, V., The Raids of The Moslems of Crete, in "B", Bruxelles, 1981, Vol , 51,pp.79-80 ; Rene, Byzantium, p. 107, Finlay, Byzantine Empire, p. 83.

١- عن إقليم الشام وكوره وثغوره، انظر: المقدس (ت٣١٨هـ/٩٧٧م) شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن ، بريل ١٩٠٩م،ص١٥١-١٧٩.

٢- يذكر أن الخليفة كان دائم القول لحاجبه " لاتحجب عنى رسول الثغر، وإن كنت نائما أيقظنى ليلا أو نهارا ". انظر: الحسن بن عبد الله:آثار الأول فى ترتيب الدول، القاهرة ١٢٩٥هـ ، ص١١٦.

٣- الهروى: كتاب التذكرة الهروية ، B.E.O. جـ ١٧، ص١٩-٢١ .

٤- الهروى: كتاب التذكرة الهروية ، B.E.O. جـ ١٧، ص٧ ؛ ابن خرداذبة المسالك، ص٢٥٣.

عن الأقاليم الإسلامية فأنشأ مناطق على الحدود داخل وحدات إدارية تتمتع بحرية ذاتية فى تسيير شئونها، وهى منفصلة عن إقليم سوريا الشمالية وإقليم العراق. ومثلما فعل المسـلمون، فقد عمل البيزنطيين على تحصين مناطق الحدود بينهما، والسيطرة على حصون سلسلتى جبال طوروس الموجودة فى مناطـق الحدود، لما لهـا من أهمية حربية واضـحة. وقام على حماية هذه الحدود خط طـويل من القلاع المعروفة بالثغور، يمتد من ملـطية فى أعالى الفرات إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط، وهى ثغور الجزيرة وتسـمى أيضا الثغور الجزرية، وتوجد فى الشمال الشرقى وأهم حصونها: الحدث، وزبطرة، ومنصور، وملطية، ومرعش، وكيسوم. وهذه القلاع مخصصة للدفاع عن شـمال العراق(١)؛ وكذلك ثغور الشـام وتسمى أيضا الثغور الشامية، وتوجد فى الجنوب الغربى وأهم حصونها: المصيصة، وأذنة، والهارونية، والكنيسة(٢) وعين زربة (٣)، وطرسـوس، وسـيس،

١- ابن خرداذبة: المسالك، ص٢٥٣؛ انظر ايضاً: لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٦٠-١٦١؛ فتحى عثمان: الحدود، جـ١،ص٢٣٧-٢٤٥. انظرالخريطة رقم(٤). ;Bury, E.R.E.,P.244 Baynes and moss, Byzantium, P.20.

٢- إستكمالا لبناء الحصون، قام هارون ببناء حصن الهارونية الواقع جنوب غرب مرعش، وأسس الكنيسة السوداء شمال خليج الإسكندرونة، وندب المقاتلين للحصنين. انظر البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٠٣، ابن الفقيه: كتاب بطر بورغ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، ص٢٠٦؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٣٦. راجع أيضاً: فتحى عثمان: الحدود، جـ١، ص٢٤٩؛ لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٦٠-١٦١؛ إبراهيم العدوى: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص٧٠ أيضاً: ,Bury E.R.E.,P.20. انظر الخريطه رقم (٤).

٣- حصن عين زربة فى ١٨٠هـ/٧٩٦م. وهو من الثغور الإسلامية الهامة، لأنه مفتاح الطريق إلى الشام من جهة بيزنطة، ويبعد عن المصيصة بحوالى إثنين وعشرين كيلومتراً من ناحية الشمال الشرقى، وقد زود بالجند والحامية العسكرية اللازمة، وأعطيت لحاميته المنازل وهيأت لهم الظروف حتى يقدر الحصن على أداء واجبه العسكرى. انظر البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٠٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٥٢؛ ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص١١٣؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٣٥، وأيضاً: Canard, Byzantium, and the muslim world, C.M.H.,Vol. IV, 1967, P.706.

وهذه القلاع مخصصة للدفاع عن الشام(١).

ويفصل بين هذين النوعين من الثغور الجزرية والشامية جبل اللكام، وهو الجبل المشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس(٢). وبشكل عام اهتم العباسيون بتشييد الرباطات والحصون، وتزويدها بالحاميات. ونظرا لأهمية الطرق والمفارق التى تسيطر عليها هذه القلاع والحصون وبوصفها ممرات تستخدم فى حركة القوات البيزنطية، فقد فرضت رقابة صارمة على أفراد الحامية وعائلاتهم، وتم تعيين موظف مهمته مراقبة حدود هذه المناطق. ولم يدخر هارون الرشيد وسعا فى هذا المجال، بل أنه اجتهد فى اقامة الجهاد وانفاق الأموال(٣).

قطع هارون الرشيد شوطا كبيرا فى مجال الاهتمام بمناطق الحدود، حتى أنه استهل عهده فى ١٧٠هـ/٧٨٦م بانشاء العواصم. فقد جعل من منطقة الحدود نظامين: الأول النظام الأمامي ويضم ثغور الجزيرة والشام التى خصصت لمواجهة الثغرات والمنافذ البيزنطية، وقد سبقت الإشارة إليها. والثانى هو النظام الخلفى، ويوجد خلف الثغور السابقة ويضم الأقاليم الخلفية والحصون الجنوبية بطرقها الحربية، وتسمى العواصم، ويمتد هذا الإقليم من أنطاكية إلى الفرات(٤). وسميت هذه الحصون

١- تقترب هذه الثغور من خليج الإسكندرية. انظر: ابن خرداذبة: المسالك، ص٩٩-١١٧، ص٢٥٣-٢٥٥؛ ابن شداد : الأعلاق، جـ٣، القسم الثانى، ص٨٨٩؛ الأنصارى: نخبة الدهر، ص٢١٤، راجع ايضا: لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٦٠-١٦١؛ فتحى عثمان: الحدود، جـ١، ص٣٧٣-٣٧٤

٢- محمد بن أحمد : تاريخ ابن الشحنة، ص٤٣؛ راجع أيضا: أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون، ص٣٢.

٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٠٨؛ قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج، ص٢٥٣-٢٥٥؛ انظر كذلك : حسينى: الإدارة، ص٢٥٩-٢٦٠؛ فتحى عثمان : الحدود، جـ١، ص٢٨٧.

٤-بالتحديد من أنطاكية إلى الساحل غربا ، وإلى حلب ومنبج شرقا. وأهم مدن اقليم العواصم منبج، ودلوك، ورعبان، وقورش، وأنطاكية، وتوزين، وباليس، وجزء من أرض قنسرين. انظر: فتوح البلدان، القسم الأول، ص١٥٦؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٤؛ ابن خرداذبة: المسالك، ص٢٥٣؛ ابن الفقيه: مختصر كتاب البدان، ص١١١؛ قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، ليدن ١٣٠٩هـ، ص٢٥٣-٢٥٥؛ ابن شداد:الأعلاق، جـ٣،القسم الثانى، ص٨٨٩ راجع أيضا: فتحى عثمان: الحدود، جـ٣، ص٤١؛ Canard,Byzantium and The Muslim World, C.M.H,vol IV,p. 706. انظر ايضا:الخريطة رقم ١٠.

بالعواصم لأنها تعصم الحدود من الوقوع فى قبضة البيزنطيين كما قصد من هذه التسمية التمييز بينها وبين الحصون الشمالية الخارجية الملاصقة للحدود البيزنطية، المعروفة باسم الثغور(١). وكانت هذه العواصم تمد الثغور بما يلزمها من مؤن أثناء الحرب. وقد اتخذ من منبج عاصمة للعواصم، ثم أصبحت أنطاكية بعد ذلك، واختار هارون ابنه أبا القاسم أميرا على العواصم(٢). وقد حشد المرابطون لهذه الحصون ومنحت لهم العطايا وارتبط بحرص هارون الرشيد نفسه على استكمال تنظيم الجيش العباسى(٣).

لقد نجح هارون فى امداد هذه المناطق بالأموال وبالجند، وضروريات الدفاع الخاصة بها، وغيرها من ضروريات القيام بغزوات الصوائف. واعتمد على الضرائب كمورد أساسى لمواجهة هذه المتطلبات. ويقال إن إيرادات الخلافة العباسية كانت تفوق مثيلتها فى بيزنطة فى هذه الفترة (٤)، حتى أمكن تزويد كل ثغر أو حصن أو موقع هام بحامية دائمة خاصة به.كما منحت هذه الحاميات أرضا تستثمرها هى وعائلاتها. ويذكر أنه فى عهد الخليفة لعباسى هارون الرشيد انتقل كثير من السكان من الأطراف البعيدة إلى هـــذه الحصـــــون، وتحولت مناطـــق الحدود هذه من مناطق مهجورة بفعل

١- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص١٥٦؛ ابن خرداذبة: المسالك و الممالك، ص٢٥٣.

٢- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٠٨؛ راجع:سرور: الحياة السياسة، ص٢١٦.

٣- توجد احصائيات عن أعداد المرابطين فى هذه الحصون، وهى أربعة آلاف فى ملطية، وستة آلاف فى الحدث، وثلاثة آلاف فى المصيصة، وستة آلاف فى طرسوس. انظر: ابن خرداذبة: المسالك، ص٧٥؛ راجع أيضا: محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية، ص٢٨.

٤-تقتضى الحقيقة ذكر أن نظام الضرائب قد اتهم بالقسوة- على الأقل فى بعض العهود- كما أن هذا الرخاء المالى العباسى، الذى وصل إلى الذروة فى عهد هارون الرشيد، ولم يدم طويلا، وأخذ فى التناقص حتى وصل إلى حافة الانهيار بعد قرنين، فى حين استمرت بيزنطة محافظة على كفاءة النظام المالى فيها. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص١٩٣؛ راجع أيضا: فازيلييف: العرب و الروم، ص٩٠-٩١.

تخريب الحروب المتكررة، إلى مناطق عامرة بالسكان حتى تظل خطا دفاعيا أماميا لمقاومة أى خطر قادم(١). والحقيقة أن هذا الاهتمام من هارون الرشيد شمل أيضا الثغور البحرية الموانى، ومراكز صناعة السفن على ساحل البحر المتوسط فى الشام ومصر، وذلك فى اطار استراتيجية استرجاع أمجاد البحرية الإسلامية التى تزعزعت منذ ١٣٥هـ/٧٥٢م. ويقال إن الخليفة هارون فكر فى شق قناة تربط بين البحرين المتوسط و الأحمر عبر برزخ السويس، ولكنه عدل عن ذلك على أساس أن البيزنطيين قد يجدون فى هذه القناة طريقا مفتوحا لهم للوصول إلى البحر الأحمر، يستغلونه لارسال حملات إلى الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة ومنع الحج(٢).

ولا شك أن عهد هارون يعتبر فى مجال حركة بناء الحصون امتدادا لعهدى المنصور والمهدى،حتى أنه يمكن القول إن حجم حركة البناء الضخمة فى تلك الفترة تساوى كل مابنى فى العصرالأموى(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م)والحقيقة أن آثار الخلافتين الأموية والعباسية مجتمعتين تدل على مدى القوة المعمارية الحربية، التى تؤكد صحة مقولة أن العرب كانوا بناة حصون من الطرازالأول، سواء فى مجال الترميم أو الإنشاء(٣).

قام البيزنطيون، أمام هذه الحصون العباسية، بوضع الأطراف المواجهة للمسلمين تحت اشراف قادة عسكريين، مكونين خطا دفاعيا لمواجهة الثغور العباسية بقسميها، وهذا الخط يضم سلسلتى جبال طوروس ويمتد من الفرات حتى قيليقية. وينقسم هذا الخط الدفاعى إلى قسمين: الأول يمتد من ملطية إلى عين ذرية ويضم حصونا أهمها ملطية، وهو مخصص

١- ابن خرداذبة: المسالك، ص١١٠، ١١٣؛ راجع أيضا: هل : الحضارة العربية، ص٨٧؛ فتحى عثمان: الحدود، جـ١، ص٢٠٢.

٢- خاصة وأن بيزنطة قد امتلكت فى تلك الفترة بحرية لايستهان بها، انتشرت فى موانيها والجزر التابعة لها. للمزيد انظر: محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية، ص١٥؛ حسنين ربيع: بحر الحجاز فى العصور الوسطى، مقالة بمجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٤٠٠؛ أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون، ص٣٥؛ هايد. ف: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، عربه عن الفرنسية: أحمدمحمد رضا ،مراجعة وتقديم: عز الدين فودة، جـ١ ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص٥٨.

٣- محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية، ص٢٧.

لمواجهة الخطر العباسي الذى يهدد بيزنطة من جهة شمال العراق(١). أما الثانى فهو مخصص لمواجهة الخطر العباسي الذى يهدد بيزنطة من جهة الشام (٢).

وقد ضمت منطقة الحدود الفاصلة بين القوتين طرفى الصراع، التى اجتازها كل من البيزنطيين والمسلمين أثناء حروبهم ضد بعضهم البعض، حصون أدنة على نهر سيحان والمصيصة على نهر جيحان، ومرعش شمال المصيصة، والهارونية التى بناها الخليفة هارون بعد ذلك غرب جبل اللكام، والحدث وملطية شمال شرقى مرعش(٣)، ثم مدينة طرسوس التى هى أهم هذه الحصون ، وكان يفصلها عن الحدود البيزنطية ممر قيليقيا الجبلى. وقد استخدم فى عبور القوات طرقا وممرات جبال طوروس وأهم هذه الطرق الدرب المعروف باسم درب بوابات قليقية الذى يبلغ طوله حوالى مائة وأربعين كيلومترا، وهو يبدأمن سفح هضبة آسيا الصغرى جنوبى الطوانة، وينتهى عند السفح الجنوبى لجبال طوروس(٤). وبالقرب من الطرف الشمالى لهذا الدرب تقع قمة عالية يبلغ ارتفاعها حوالى ألف قدم، أقيمت عليها قلعة لؤلؤة(٥). والدرب الثانى هو المعروف باسم درب الحدث، ويمتد من مرعش إلى البستان، وكان يحمى حصن الحدث(٦). وفيما وراء هذه الحصون تمركز

١- Anderson, J.G.C., The road system of east Asia Miner, in J.H.S., Vol. XVII, 1897. PP.22-44 انظر الخريطة رقم (٤) والخريطة رقم (١٠).

٢- Anderson, The road system,PP.22-30;Bury,E.R.E.,PP.244-246.

٣- فازيلييف: العرب والروم، ص٨٩-٩٠.

٤- يعرف القسم الجنوبى له بإسم درب السلامة، وهو متصل بالأبواب القيليقية وسبب هذه التسمية السلمية أنه استخدم فى عبور سعاة البريد والسفارات المتبادلة. انظر: ابن خرداذبة: المسالك، ص١١٠-١١٣؛ راجع ايضا: لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٦٠-١٦٤؛ فتحى عثمان: الحدود، جـ١، ص٢٠٢؛ Bury, E.R.E., P.245.

٥- تشرف على السهول الجنوبية فى قبادوقية، وعلى منحدرات جبال طوروس الشمالية، ومن يسيطرعليها كأنه سيطر على الدرب، فهى مفتاح هذه المنطقة كما تحكمت فى الطريقين اللذين يلتقيان بالقرب منها وهى الطريق الشمالى المؤدى إلى الطوانة، والطريق الغربى الذى ينتهى إلى هرقلة. هذا، بالإضافة إلى أن الضوء اللامع على قمتها يراه المراقبون فى القسطنطينية، واستخدم للإنذار عن أى هجوم محتمل. انظر: ابن خرداذبة: المسالك، ص١٠٠؛ الحميرى: الروض المعطار، ص٥١٣؛ لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٦٦، أيضاً: Bury, E.R.E., P.246

٦- سمى بهذا الإسم بسبب ما لقيه العرب عند هذا الممر من هزائم متكررة زمن الفتوحات الإسلامية الأولى. انظر: لسترانج: بلدان الخلافة، ص١٥٤-١٥٥؛ أيضاً: Bury, E.R.E., P.248.

البيزنطيون فى تلك المواقع فى جبال طوروس وفى آسياالصغرى يطل منها فى الأوقات التى كان فيها العباسيون يعيشون ساعات الضعف،ويتقهقرون إليها فى فترات القوة(١)

وإزاء الظروف السياسية التى عاشتها بيزنطة فى تلك الآونة، وما صاحب ذلك من تقهقر فى حركة المد، وهبوط كفة الميزان البيزنطية فى الصراع بين القوتين، استمر الخليفة العباسى هارون الرشيد فى النشاط الإسلامى على شكل صوائف وشواتى فى عام ١٧١-١٧٢م/٧٨٨م، أو على شكل غارت بحرية(٢).

فيذكر المؤرخ ميشيل السريانى فى رواية عن غارة بحرية إلى شاطىء البحر بقيادة أيوب بن سليمان بن على، الذى قام بأعمال السلب و النهب. ولم يحدد المؤرخ، الذى انفرد بهذه الرواية، أي تفاصيل عن مكان هذه الغارة أو نتائجها، وان كان قد حدد تاريخها بشهر رمضان ١٧١هـ/ فبراير ٧٨٨م(٣).

ثم زاد هارون نشاطه فى ١٧٢هـ/٧٨٨م. فأمّر على الصائفة قائده اسحاق بن سليمان بن على (٤)، الذى أرسل بدوره عامله يزيد بن عنبسة الحرشى. وتمكنت هذه الصائفة من دخول الحدود البيزنطية والتوغل فى آسيا الصغرى، والوصول إلى ثيم الأناضول بالقرب من أيسورية. وتقابل الجيش العباسى مع القـــــوات البيزنطية التى

١-حسنن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى، ص١٦١-١٦٢.

٢- لم يشأ الخليفة هارون أن ينشغل عن الجبهة البيزنطية رغم نشوب ثورة فى نفس العام فى مراكش، وتأسيس دولة مستقلة عن العباسيين هى دولة الأدارسة. فقد كان على دراية وحكمة؛ فتمكن بفضلها من التصدى لهذه الثورة. انظر: أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، القاهرة، دار الكتب ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، جـ١، ص١٢٩.

٣-Michel le Syrien, Chronique, Tome. III, p.8.

٤- يذكر اليعقوبى أن قائد هذه الصائفة هو العباس بن محمد بن إبراهيم، بينما يرى الطبرى وابن الأثير أنه اسحاق بن سليمان. وهذا الاختلاف يؤكد أن القائمة التى يوردها اليعقوبى عن أسماء قادة الحملات تختلف عن قائمة كل من الطبرى وابن الأثير . انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٦ ؛ ابن الإثير: الكامل ، جـ٦، ص١٢١. انظر: الخريطة رقم (٢).

كانت مكونة من قوات ثيمى الأناضول والأوبسيكيون فى منطقة كبيدنادوس Capidnadus بالقرب من ثيم الأناضول. وقد تصدى الجيش البيزنطى لهذا الهجوم، خاصة الفرقة الأناضولية التى كانت بقيادة ديجينيس Degenis الذى عرف بالشجاعة، ولكنه قتل فى هذه المعركة مع عدد من البيزنطيين، وتمكن القائد العباسى من الرجوع بالكثير من الغنائم والسبايا، وذلك فى ربيع الثانى عام ١٧٢هـ/سبتمبر ٧٨٨م(١). وكان موت هذا القائد البيزنطى فى هذه الحلقة من حلقات الصراع بين العالمين البيزنطى والإسلامى مصدرا لابداع بعض قصص البطولة البيزنطية المشهورة التى دارت حول شخصيته . وارتبطت هذه الملحمة من الأغنيات الشعبية التى تصور الحرب، وهى غنية بالمعلومات المتنوعة عن العلاقات بين العالمين البيزنطى والإسلامى، وعن حياة المحاربين فى منطقة آسيا الصغرى(٢).

ثم شهد عام ١٧٤هـ/٧٩٠م ذروة النشاط السياسى المتبادل بين العالمين البيزنطى والإســـلامى، سواء كان نشاطا بريا أو بحريا. فتتحدث المصادر العربية عن

١- يذكر المؤرخ ثيوفان القائد البيزنطى باسم ديوجينيس Diogenes انظر: Theophanes,Chronographia, Col. 932; راجع أيضا: ابن خلدون: العبر جـ٥، ص٤٦٧، وكذلك: Canard,Byzantium and The Muslim world,C.M.H., vol.IV1967,p.706; Brooks ,The Struggle, C.M.H.,vol,IV,1936,p. 125.

٢- Norman, H. Baynes and Moss.L.B, Byzantium: An Introduction to the East Roman Civilization, Oxford, 1946, p. 320; Gregoire, H., " Le Probleme de la version Originale De L' Epopee' Byzantine de Digenis Akritas," Revue des Etudes Byzantines, Tome VI, Bucarest, 1948, pp.27-35.

صائفة أرسلها هارون الرشيد، وصلت إلى الحدود البيزنطية عن طريق الصفصاف إلى ثيم خالديا(١) ، وأسرت أعدادا كبيرة من الجنود البيزنطيين، كما غنمت كثيرا من الماشية ورغم هذا النجاح الذى حققته هذه الصائفة، إلا أن جنودها عانوا البرد الشديد فى رحلة العودة عن طريق درب الحدث. وتصف المصادر أنه من فرط البرد سقطت أيادى الجند ، وقطعت أرجلهم رغم أنها كانت صائفة(٢). وربما كانت هذه الظروف الصعبة التى تعرض لها المسلمون من بين الأسباب التى أدت إلى حرص المسلمين على أن تكون معظم غزاواتهم صوائف لا شواتي. ولاشك أن هذه الظروف تعكس صورة للحياة الصعبة التى عاشها السكان فى منطقة الحدود. ومن جهة أخرى، فهذه الرواية تعكس معنى آخر يتعلق بمستوى الأداء العسكرى البيزنطى، الذى اهتز بحيث إنه لم يطبق فى هذه الصائفة أسلوبه المعروف، وهو استغلال ظروف البرد الذى لا يتحمله المسلمون ونصب الكمائن لهم أثناء عودتهم من حملة فى مثل هذه الظروف(٣).

ثم حدث فى نفس عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م أثناء إبحار الأسطول العربى من مصر إلى بلاد الشام حاملا بعض القوات العسكرية، حين كانت الاستعدادات تتم فى سرية لشن هجوم بحرى على قبرس. أن تعرض هذا الأسطول لمهاجمة الأسطول البيزنطى، الذى تمكن من أسر عدد من جنود البحرية المصرية، مما يعنى أن الأسطول البيزنطى كان يراقب التحركات الإسلامية البحرية، وكان يتوقع شن الحملة على قبرس(٤).

لم يهمل هارون هذا الهجوم البحرى البيزنطى على أسطوله فى البحر المتوسط، فبادر فى نفس العام بالرد عليه. إذ أرسل أسطوله – وخاصة أسطوله الشامى– إلـــى

١- خلطت المصادر فى تسمية قائد هذه الصائفة بين عبد الملك بن صالح ، وابنه عبد الرحمن. والأرجح أن الرشيد كلف الأب عبد الملك بقيادة الصائفة، فخرج حتى وصل الحدود ومنها سير ابنه عبد الرحمن واجتاز الحدود. انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧١٣-٧١٥؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣، ص١٦١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٤١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٢١.

٢- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١، الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٤١. انظر الخريطة رقم (١) عن موقع خالديا.

٣- Lot, L'art Militaire, p. 60.

٤- Theophanes , Chronographia, Col. 936 .

قبرس ووصل الى خليج أطاليا Attaliaعلى الشاطىءالجنوبى لآسيا الصغرى(١)، فوجهت إيرين قوة بحرية بيزنطية لمهاجمة الأسطول الإسلامى، ونشبت معركة حامية بين الطرفين تكبدا فيها خسائر كبيرة، وتمكن العباسيون من أسر أمير البحر ثيوفيلوس Theophilus، وهو فى نفس الوقت ستراتيجوس لثيم كيبرهايوت. وتحقق النصر للعباسيين رغم ما تكبدوه من خسائر كبيرة ولم يسمع عن حملات هجومية للأسطول الشامى لمدة ست عشرة سنة بعد ذلك(٢).

وهناك رواية تذكر أن الخليفة هارون الرشيد عرض على القائد البيزنطى الأسير ثيوفيلوس الانضمام إلى المسلمين مقابل الأمان والهدايا، ولكنه رفض فقتله الخليفة. وبعد أن فرغ الجيش من حملته على قبرس توجه على الفور إلى آسيا الصغرى. ولم تحدد المصادر تفاصيل ذلك (٣).

ونظرا لهزيمة بيزنطة فى قبرس، وافقت إيرين على دفع الجزية من جديد، وتعهدت بتبادل الأسرى، وتم هذا التبادل على ضفاف نهر صغير فى منطقة قيليقية(٤).

١- لاتبعد اطاليا (اضاليا- انطاليا) كثيرا عن قبرس كما يقول ابن بطوطة التى زارها . ويقول إن لها تجارة واسعة مع مصر وقبرس، ومازال المصريون يسمون الليمون كبير الحجم باسم ليمون أضاليا لأنهم استوردوه منها . انظر: حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل:حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩. لمزيد من التفاصيل انظر: Theophanes ", Chronographia, Col. 936; Bar Hebraeus, Chronography, p. 118 الذى لم يحدد مكان وصول الأسطول العباسى على شاطىء البحر. انظر الخريطة رقم (٩٠٨) .

٢- Theophanes , Chronographia, Col. 936 ; Brooks, E.w., Ralations Between Byzantine Empire and Egypt, in " Byz-Zeit", 1913, pp. 385 ff; Canard, Byzantium and The Muslim World, C.M.H., Vol Iv, 1967, p. 706 . راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٦ جـ١، ص١٣٧؛ حسينى: الإدارة، ص٤٠١.

٣- Theophanes , Chronographia, Col. 936 Cf. Also: Finlay, Byzatine Empire, p. 83.

٤- سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٨٧ وأيضا: Brooks, The Struggle, C.M.H., Vol iv, 1936, p. 125.

ومن هذا يتضح أن المسلمين تطلعوا لاستعادة مركزهم فى جزيرة قبرس، هذا المركز الذى كان قد تزعزع منذ أواخر العصر الأموى. كما كانت هذه الحملة بداية لاستئناف النشاط البحرى الإسلامى على الجزيرة، الذى كان قد شهد هدوءا منذ عهد المنصور إثر حملته عليها فى ١٥٧هـ/٧٧٣م. وقد استمر هذا الهدوء مايقرب من عشرين عاما ورغم أن هارون لم يحقق نجاحا كاملا فى هذه الحملة، إلا أن أهم ماترتب عليها أنها أكدت طبيعة العلاقة بين أهالى قبرس والمسلمين، التى تقوم على التزام أهالى الجزيرة الحياد فى العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين، وأن يكون حكم الجزيرة مشاركة بين القوتين طرفى الصراع، بحسب ما اتفق عليه منذ عهد عثمان بن عفان(١).

أثبتت الأحداث فشل سياسة إيرين. فعلى الصعيد الداخلى ساد الاضطراب والتمزيق أرجاء الإمبراطورية خاصة بين رجال الدين، وأيضا بين رجال الجيش. وعلى الصعيد الخارجى زاد خطر البلغار مهددا حدود الإمبراطورية عبرالبلقان، وزاد النشاط الإسلامى ضد الجبهة البيزنطية برا وبحرا. كما فشلت سياستها فى ايطاليا، وانهزمت القوة البيزنطية، وذبح قائدهـــــا اديليخيس(٢). وقد ترتب على هذه الكارثة أن قوات

١- قام معاوية بن أبى سفيان فى عهد الخليفة عثمان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤- ٦٥٦م) باحتلال قبرس فى ٢٩هـ/٦٤٩م حتى نجح جستنيان الثانى (٦٨٥-٦٩٥م/٦٥-٧٦هـ) فى الانتصار على المسلمين فى ٦٨٩م/٧٠هـ ، واضطر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥) إلى الموافقة على أن يكون حكم قبرس مشتركا بينهما. ولكن تحدد النشاط الإسلامى على قبرس من حين لآخر إما لتاكيد قوتهم، وإما لنشر الهدوء ، وإما لتأديب السكان لموقف عدائى لهم ضد المسلمين. فقام هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) بحملة فى ١٠٧هـ/ ٧٢٥م ؛ ثم الوليد الثانى (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣- ٧٤٤م) بحملة فى ١٢٥هـ/٧٤٣م؛ ثم مروان الثانى (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م) بحملة فى ١٢٩هـ/٧٤٦م؛ ثم المنصور فى ١٥٧هـ/٧٧٣م؛ وأخيرا هارون فى ١٩٠هـ/٨٠٥م. للمزيد انظر : الواقدى: فتوح الإسلام، ص١٤٤-١٤٧؛ البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص١٥٤؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٧، ص٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٣٠٦، جـ٥، ص٢٧٤؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢١، ص٤٠٦، ص٤٦٨؛ راجع أيضا: Nicephorus, Breviarum, Col. 972;Theophanes , Chronographia, Cols. 822, 847, 900; Agapius, Al-Unvan,P. O., p.407,511- 512;Cf.Also:Brehier,Le Marin de Byzance, p.3.

٢- Theophanes,Chronographia,Col.933;Zonaras,Annalium,Col.1348.

الجيش- التى كانت مخلصة لأمجاد الأباطرة العظام خاصة قنسطنطين الخامس- بصفة عامة، والقوات التى هزمت فى ايطاليا بصفة خاصة، قد سادها التذمر. وترجع هذه الأوضاع السيئة إلى ضعف الحكومة البيزنطية التى ترأسها امرأة(١).هذا،فى الوقت الذى كان الإمبراطور قنسطنطين السادس قد بلغ فيه سن الرشد(٢)،ولم يكن قد باشر سلطة من أى نوع لأن أمه كانت تسيطر على الحكم، ولم تكن لديها الرغبة فى التخلى عنها(٣).فطالبت عناصر الجيش المتذمرة تنصيبه إمبراطورا منفردا، فانتهز قنسطنطين السادس الفرصة وبدأ المواجهة مع أمه ومع مستشارها ستاوراكيوس(٤). ولكن إيرين تمكنت من اخماد التمرد، وحددت اقامة ابنها(٥)، وطلبت من الجيش أن يُقسم لها معترفا بها كحاكمة أولى،فأقسمت قوات العاصمة على ذلك(٦).ولكن كان هناك معارضون لها خاصة سكان ثيم أرمينية، الذى لم يكن مؤيدا لها أو لسياستها الدينية(٧).

١- Zonaras, Annalium, col. 1348.

٢- لأنه ولد فى يناير ٧٧٠م/محرم١٥٣هـ، وبذلك يكون قد وصل إلى سن العشرين انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, col.964; Cedrenus, Historiarum, col.905; Zonaras, Analiium, col.1345; cf. also: Warren, The Bride, P.396.

٣- Theophanes, Chronographia, col. 933; Georgius Hamartolus, Chronicon, col.964.

٤- Theophanes, Chronographia, col.933; Zonaras, Anallium, col. 1348 وقد ناصره القادة القدامى، ورجال المعارضة خاصة ميخائيل لاخانودراكون. ويحاول المؤرخ كدرينوس ألا يظهر إيرين بمظهر الطامعة فى الحكم. بل يقول إنها وقعت فريسة لبعض الأفكار كان الغرض منها الوقيعة بينها وبين إبنها. ويؤيد هذا الرأى أيضاً ثيوفان، ولكن الأول يعطينا نصاً يونانياً كاملاً. انظر: Theophanes, Chronographia, col.933; Cedrenus, Historiarum, col.905.

٥- Theophanes, Chronographia, cols.933-936; Georgius Hamartolus Chronicon,col.964;Cedrenus Historiarum, col.905, Zonaras Anallium, col.1348.

٦- Theophanes, Chronographia, col.936; Georgius Hamartolus, col.964.

٧- Theophanes, Chronographia, cols.933-936; Georgius Hamartolus Chronicon. col.964; Cedrenus, Historiarum, col.905; Zonaras, Anallium, col.1348.

وقد أرسلت لهم إيرين أحد خصيانها وهو ألكسيس موسيلى Alexius Mosele ليجبرهم على الطاعة (١)،ولكن أهل الثيم عينوه قائدا عليهم بدلا من قائدهم الأصلى نقفور، ونادوا بقنسطنطين السادس إمبراطورا منفردا، وحذا جنود الثيمات الأخرى حذوهم(٢). وتمكن رجال الجيش من محاصرة البلاط الإمبراطورى، وخشيت إيرين من اتفاق الفرق ضدها فأخرجت ولدها (٣). ولم تجد بداً من التنازل عن العرش حفاظا على حياتها وحياة مستشاريها(٤).وسيطر قنسطنطين السادس على زمام الأمور فى الإمبراطورية كإمبراطور منفرد فى أكتوبر ٧٩٠م/جماد ١٧٤هـ(٥)، واستعان بمن بقى من القادة القدامى مستشارين مخلصين له(٦)، كما رقى ألكسيس موسيلى بطريقا على الثيم الأرمينى(٧).

وأثناء حكم قنسطنطين السادس منفردا، قاد جيشه فى سبتمبر ٧٩١م/جمادى الأولى ١٧٥هـ عن طريق عمورية قاصدا غزو طرسوس، وبالفعل وصل إلى صحراء ليكونيا(٨).

١-هو قائد فرقة العيون والطلائع، انظر:
Theophanes,Chronographia,Col.936;Zonaeas, Annalium, Col. 1348.

٢- Theophanes,Chronographia, Col. 936 ; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.964; Zonaras, Annalium, Col. 1348.

٣- Theophanes,Chronographia,Col.937;Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 964

٤-مثل ستاوراكيوس وأيتيوس، وقد أبعدا إلى أرمينية انظر: Cedrenus Historiarum, Col, 905. ويذكر أنه قد تحددت اقامة إيرين فى قصر اليثريوس Eleutherius الذى كانت قد شيدته لنفسها تحسبا لأى ظروف طارئة مثل هذه، وقد أخفت فيه أموالا طائلة انظر: Theophanes , Chronographia, Col. 937;Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 964 ; Cedrenus, Historiarum, Col, 905

٥- Theophanes,Chronographia, Col. 937 ; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 964.

٦- مثل ميخائيل لاخانودراكون الذى رقاه قنسطنطين السادس إلى منصب كبير. انظر: Theophanes,Chronographia, Col. 937.

٧- Theophanes,Chronographia, col. 937 ; Georgius Hamartolus, Chronicon,col. 964.

٨- Theophanes,Chronographia, Col. 940 ; Georgius Hamartolus, Chronicon,Col. 965; Cedrenus, Historiarum, Col. 908; Zonaras Annalium, Col. 1348.

ولكن الروايات اليونانية اختلفت في استكمال تفاصيل هذه الغارة. فمنهم من يقول إنه عاد بعد أن أسر منهم عددا كبيرا من العباسيين (١)، ومنهم من يقول إنه لم ينجز شيئا يذكر في مسيرته هذه ضد العرب(٢). وهناك اثنان من كبار المؤرخين الغربيين الحديثين هما كنار وبروكس، يؤيدان الرأى الثانى، ويؤكدان أنه لم يحقق أى نجاح، إذا أنه بعد وصوله إلى ليكونيا عاد أدراجه في أكتوبر من نفس عام٧٩١م/جمادى الآخرة ١٧٥هـ. ويؤيد الباحث هذا الرأى. فقد ثبت أنه كان من أسباب الثورة على قنسطنطين السادس- فيما بعد- هزائمه المتكررة على أيدى العرب والبلغار أيضا(٣). ويرجح المؤرخان كنار وبروكس سبب عودته هكذا إلى قلة المياه(٤).

ورغم ما أبداه الإمبراطور قنسطنطين السادس من شجاعة في قيادة الجيش، إلا أنه افتقر إلى الكفاءة وحسن الادارة، والقوة والمقدرة على الاستمرار في حكم الإمبراطورية، خاصة بعد أن لقى هزيمتين على أيدى المسلمين والبلغار في عام ٧٩١م/١٧٥هـ. ولذلك استجاب لتوسلات أمه، وأفرج عنها وعن مستشاريها لتشاركه في الحكم من جديد في ١٥ يناير ٧٩٢م/ أول رمضان ١٧٥هـ ، دون أن يضع في الحسبان خطر أمه التى كانت تستهدف أولا السيطرة على الحكم ولو كان ذلك على حساب ابنها(٥). وأمر بالهتاف لأمه

١- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 965.; Gedrenus, Historiarum, Col. 908.

٢- Theophanes,Chronographia, Col. 940 , Zonaras Annalium, Col. 1348.

٣- في عام ٧٩١م/١٧٤هـ قاد جيشه ضد البلغار ولكن دون نتيجة إيجابية، واستمر خطر البلغار يهدد حدود بيزنطة. انظر: Theophanes, Chronographia, col.937; Georgius Hamartolus, Chronicon, 964; Cedrenus, Historiarum, col.908; Zonaras, Annalium, col.1348.

٤- Canard, Byzantium and the muslim world, C.M.H., Vol IV, 1967, P.707; Brooks, The struggle, C.M.H., Vol IV, 1936, P.125.

٥- Theophanes, Chronographia, col.940; Georgius Hamartolus, Chronicon,col.965;Zonaras,Annalium,col.1348;cf.also: Anastos, Imperial Rule, C.M.H., VOL IV, 1967, P.88; Pargoire L'Eglise Byzantium, P.280. ويرى كل من ميشيل السريانى، وابن العبرى أن قنسطنطين =

"العمر المديد لقنسطنطين وايرين"، ورحبت بذلك جميع فرق الثيمات ما عدا ثيم أرمينية الذى نادى سكانه باتخاذ قائدهم ألكيس موسـيلى إمبراطوراً(١). فوشت ايرين عند ابنها للتخلـص منه، خاصة وأن ألكسيس كان راجعاً من حـملة فاشلة ضد البلغار(٢)،وفى نفس الوقت لتنتقم منه لأنها لم تنسى له تحوله عنها؛ فقام قنسطنطين السـادس بسجنه وسمل عينيه. فاندلعت الثورة فى الثيم، واسـتمرت حوالى نصف عـام من نوفمبر إلى مايو ٧٩٣م/شعبان إلى صـفر ١٧٧هـ، وانتشرت فـى أرجـاء آسـيا الصـغرى ممـا دعا الإمبراطـور لمواجـهتها

= السادس سبق له نفى أمه، بسبب ما تردد من أن بطريق صقلية البيديوس – الذى سبقت الإشارة إليه – قد ارتكب المعصية معها، ولذلك هرب خوفاً من البطش. ثم اكتشف الإمبراطور أن هذا لم يكن إلا مجرد اشاعة كاذبة، فأعادها، ولكنها لم تنس لابنها هذا العمل. ويرى الباحث عدم جدية هذه الرواية، لأن البيديوس هرب فى ٧٨١م/١٦٥هـ أى قبل ذلك التاريخ بتسع سنوات. فلماذا لم ينتقم قنسطنطين السادس لشرفه طوال هذه المدة؟ انظر Michel le Syrien, Choronique, Tome III,P.9; Bar Hebraeus, Chronograpy, P.119.

١- Theophanes, Chronographia, col. 940.

٢-خرج قنسطنطين السادس على رأس جيشه لمحاربة البلغار، وكان ألكسيس موسيلى يقود الجيش. وبعد مواجهة مع ملك البلغار الذى يدعى كاردام Cardame فى صيف ٧٩٢م/النصف الأول من ١٧٦هـ، لقى هزيمة نكراء وقتل قائده ميخائيل لاخانودراكون. بل ان الامبراطور نفسه نجا بحياته بصعوبه بعد هزيمته عند حصن ماركيلاى Marcellae عند الحدود البلغارية، وأجبر على دفع الجزية. ثم وافقت بيزنطة مرة أخرى على طلب البلغار زيادة الجزية، مما يعكس مدى ما وصلت إليه أحوال بيزنطة من التردى بعد أن كانت مكانتها مرموقة زمن قنسطنطين الخامس. ويقال أن أداء الإمبراطور فى هذه المعركة لم يكن من البطولة فى شىء، مما أثار سخط قواته عليه. بل يذكر كل من السريانى وابن العبرى أن القادة الذين شاركوه هذه المعركة نقلوا لإيرين تخاذل ابنها واستسلامه للفسق، وقد وعدتهم ايرين بعقابه. عن هذا الموضوع انظر: Theophanes, Chronographia, col. 940; Georgius Hamartolus, Chronicon, Cols. 964-965; Cedrenus, Historiarum, Col. 908; Monasses, Compendium, Col. 386;Michel le Syrien, Tome III,P.12; Bar Hebraeus, Chronograpy, P.120. ونتيجة لهذه الهزيمة تجمعت الفرق العسكرية وبدأت المشاورات بشأن المناداة بالقيصر نقفور (عم الإمبراطور) إمبراطوراً. وكشفت هذه المحاولة، وحرضت إيرين ابنها على سمل عين عمه، وقطع ألسنة أعمامه الباقين، وذلك ضمن سلسلة محاولاتها لتحريضه على أرتكاب أفعال تسىء إليه.انظر Theophanes, Chronographia, col. 940; Cedrenus, Historirium, Col. 908; Zonaras, Annalium col. 1349.

بنفسه بمنتهى العنف، وبذلك أصبح اليوم خصماً لأصدقاء الأمس(١). وهكذا نجحت إيرين فى الاساءة إلى ابنها فى علاقته مع رجال الجيش، مثلما نجحت فى هذا أيضاً مع رجال الدين(٢).

وبذلك وجد فى بيزنطة ثلاث قوى تسيطر على مجريات الأمور السياسية فيها. وهى قنسطنطين السادس، وإيرين، وبعض قادة الجيش. وما بين هذه القوى عاشت البلاد حالة من التمزق، خاصة أن هذه القوى كان يحكمها الصراع الشخصى من أجل المصالح الخاصة، دون اعتبار لمصلحة الإمبراطورية.

وبينما بيزنطة غارقة هكذا فى مشاكلها وصراعاتها ، وبينما خطر البلغار آخذ فى تهديد الحدود البيزنطية، كان الخليفة العباسى هارون الرشيد ماضياً فى سياسة تهديد حدود بيزنطة من ناحية الشرق. واستمرت هذه السياسة حتى نهاية حكم قنسطنطين السادس فى

١-قام الامبراطور بنفي قادة التمرد إلى صقلية وإلى جزر أخرى، وعين أحد اصدقائة ستراتيجوس على الثيم الأرمينى وهو البطريق ثيودور، وذلك فى ٧٩٣م/١٧٧هـ، ولكن أهل الثيم سجنوه انتقاماً لقائدهم الكسيس موسيلي. انظر Theophanes, Chronographia, col. 945; Georgius Hamartolus, Chronicon, Cols. 965-968; Cedrenus, Historiarum, Col.908; Zonaras, Annalium col. 1349; cf. also: Adontz, le Taronites en Armenie, P. 535; Anastos, M.V., Studies in Byzantine Intellectual History Variarum reprints, London, 1979, P.P.88-89; Ostrogorsky, Byz State, P.160; Diehl, le Mond Oriental, P. 283; Diehl, leo III, C.M.H. Vol.IV, 1936, P.23.

٢-مهدت له الطريق ليطلق زوجته مريم ويتزوج من عشيقته ثيودوت Theodote مما عرضه لغضب الرأى العام بصفة عامة، وغضب رجال الدين بصفة خاصة، لخروجه على القوانين الكنسية. ويذكر أن قنسطنطين السادس أختلق قصة من تلك القصص التى شاعت فى الحياة البيزنطية ليتخلص من زوجته، قائلاً إنها أرادت التخلص منه بدس السم له. انظر: Theodore de Stoudion, P.G., Tome, IC, Col. 329; Cedrenus, Historiarum, col. 908; Zonaras, Annalinn, Col. 1349; Monasses, Compendium, col. 386; Michel le Syrien, Chronique, Tome III, P. 9; Bar Hebraeus, Chronography, PP. 119-120.

٧٩٧م/١٨١هـ. ولم يكن هذا التهديد منصباً على النشاط العسكرى البحرى فقط، وانما كان بحرياً أيضاً فى بعض الأحيان.

ففى ١٩٦هـ/٧٩٢م خرجت صائفة عباسية بقيادة القائد هاشم بن الصلت مهددة حدود بيزنطة، وان لم تحدد المصادر لتفاصيل هذه الصائفة. وفى نفس العام شن هارون هجوماً بحرياً على جزيرة كريت، وكان قد انتهى لفوره من هجومه على قبرص وأسر الاميرال ثيوفيلوس(١).

ثم تعرضت بيزنطة أيضاً فى شعبان ١٧٦هـ/ أكتوبر ٧٩٢م لصائفة هامة بقيادة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح بن العباس، الذى توغل على رأس قوة إسلامية فى منطقة قبادوقيا، حيث نشبت معركة مع قوة بيزنطية بقيادة ضابط يدعى تيبازا Tebaza ولكن عبد الرحمن بن عبد الملك تمكن من حصار حصن يدعى ربسه، ويسمى ثيباسا Thebasa عند البيزنطيين(٢). وطال الحصار، وتعرضت الحامية البيزنطية لنقص المياه حتى هلك أربعمائة بيزنطى بسبب العطش، وخارت قوى بقية رجال الحامية(٣). فتسللت قوة من الجيش العباسى إلى داخل الحصن، واستولت على قلعته. وسقط الحصن، وأسر عبد الرحمن عدداً كبيراً من رجال حاميته، وغنائم نفيسه مثل الذهب. وأمام استسلام القائد البيزنطى وسقوط الحصن، أعطى عبد الرحمن الأمان لجنود الحامية البيزنطية وقائدهم(٤).

١-اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١ك راجع أيضاً: فتحى عثمان: الحدود جـ٢، ص٣٤٨؛ حسينى: الإدارة، ص٤١٠.

٢-مصدرنا فى هذه الصائفة ثيوفان من البيزنطيين والطبرى من المصادر العربية. وابن شداد ولكنه لم يذكر اسم الحصن، ثم السيوطى وان اعتبر ربسه مدينة لا حصنا.. كما سماها دبسه (بالدال). انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٥٤؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٦؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٨، وأيضاً: Theophanes, Chronographia, cols. 941 - 944.

٣- Michel le Syrien, Tome III,P.9; Bar Hebraeus, Chronograpy, P.119.

٤-نلاحظ أن القادة كانوا يورثون أبناءهم مهام الغزو مثل عبد الملك بن صالح وابنيه عبد الرحمن والفضل-وفى صوائف أخرى سليمان بن على وابنيه إسحاق وأيوب-وهذا كان بسبب صلة =

واستمراراً للصوائف العباسية الناجحة، التى شنها العباسيون منتهزين فرصة المشاكل التى كانت بيزنطة غارقة فيها بسبب تلك الأخطاء التى ارتكبها المهيمنون على السلطة الإمبراطورية، استغل العباسيون هذه المرة فرصة أخرى لتوجيه ضربة جديدة. فقد سبقت الإشارة إلى هجرة مجموعة من الأرمن من الدولة العباسية إلى بيزنطة، واستقبلهم الإمبراطور بنفسه فى ٧٨٧م/١٧١هـ. ولكن بيزنطة لم تنجح فى منح هؤلاء الأرمن الأمان والاستقرار - رغم أنها كانت تنتهج سياسة تحريضية لمثل هذه العناصر ضد الخلافة الإسلامية - ولم توفر لهم المناخ المناسب لاقامتهم، ووصلت قمة الاساءة اليهم حينما قرر الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين السادس فى ٧٩٤م/١٧٨هـ نقل أعداد كبيرة منهم بالقوة إلى صقلية، مما أغضبهم، وتحولت مشاعرهم تجاه المسلمين(١). لذا كانت الفرصة مواتية للعباسيين عندما أرسلوا صائفة إلى بيزنطة فى ١٧٧هـ/٧٩٣م بقيادة محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى - وهو عامل عبد الملك بن صالح - وتمكن من دخول قبادوقية(٢)

= القربى بين الخليفة وقادة هذه الحملات. ولكن لم تخل هذه العلاقة من خلافات أدت إلى عدم الاستقرار، فكثرت التولية والعزل. ونجد أن عبد الملك بن صالح نفسه تعرض لهذه المشكلة. فقد عينه هارون ثم عزله وأعاده ثم عزله فى ١٨٧هـ /٨٠٢م حتى أفرج عنه المأمون (١٩٣ - ١٩٨هـ/٨٠٩-٨١٣م) وعقد له على الشام لتكون هذه ولايته الثالثة. ورغم أحداث هذه الصائفة التى نتناولها، فإن المؤرخ خليفة بن خياط يذكر أنه لم يتم تسيير أى صائفة فى ذلك العام. أما اليعقوبى فيذكرها مكتفياً بأن قائد هذه الصائفة هو داود بن النعمان من قبل عبد الملك. للمزيد من التفاصيل أنظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧١٦؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣، ص١٦١. أيضاً: Theophanes, Chronographia, cols. 941 - 944. Michel le Syrien, Chronique, Tome III, P. 9;

١- سبقت الإشارة فى الفصول السابقة إلى فلسفة الأرمن فى تحالفهم مع القوى المجاورة. فهم يتحالفون مع الطرف الأقوى. وقد عرف عنهم أنهم قوم متقلبون غير مستقرين على وتيرة واحدة فى سياستهم لذلك فقد كان لفترة ازدهار القوة العسكرية العباسية وتحول ميزان القوى لصالح الخلافة العباسية فى تلك الآونه، أكبر الأثر فى تحول تأييد الأرمن من البيزنطيين إلى المسلمين.أنظر: Ghevond, Guerres: PP. 338. راجع أيضاً: فايز نجيب أسكندر: أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص٢٠؛ صابر دياب: أرمينية، ص٩٣.

٢- البلاذرى: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٢٠. أنظر الخريطة رقم (١١).

واستفاد من الأرمن المستوطنين في هذه المنطقة، فقد خانوا البيزنطيين – انتقاماً منهم وسلموا مدينة كمخ إلى المسلمين، وتمكن القائد العباسي من أسر قائد المدينة(١). وكان لهذه الهزيمة أسوأ الأثر في القوات البيزنطية، خاصة أن الامبراطور قنسطنطين السادس لم يتمكن من نجدة قائده الذي وقع في الأسر، وآثر الإمبراطور الرجوع إلى العاصمة ناجياً بحياته(٢).

وعلاوة على هذه الصائفة، شهد نفس عام١٧٧هـ/٧٩٣م ثلاث إغارات أخرى، اثنتان منها بريتان، والثالثة بحرية. وكانت الأولى صائفة بقيادة عبد الرازق بن عبد الحميد الثعلبي، ولم تزودنا المصادر بتفاصيلها(٣)-والثانية صائفة بقيادة سار بن سقلاب، الذي خرج ومعه أهل المصيصة إلى الصفصاف ثم إلى طوانة، وغنم الكثير من الأسرى والأسلاب(٤).أما الثالثة فهي غارة بحرية بقيادة عمرو العربي، الذي غزا بحراً البصرة وظفر ببارحة من قطع أسطول البحرية البيزنطية في منطقة تسمى رأس الجمجمة(٥).

وجدير بالذكر أن الخلافة العباسية كانت تحاول من حين لآخر أن تظهر قوتها البحرية.ففي عهد هارون الرشيد ظهر هذا الدور ابتداء من عام١٧٢هـ/٧٩٠م في الحملة على قبرص، ثم على بحر البصـــرة في عام١٧٧هـ/٧٩٣م كما أشـــرنا ثم حـــدثت

١- Ghevond, Guerres, P.339; Theophanes, Chronographia, Col. 941.

٢-البلاذري: فتوح البلدان، القسم الأول، ص٢٢٠؛ وأيضاً Canard, Byzantium, and the Muslim World, C.M.H., Vol.IV, 1967,P.707 ; Anastos, Imperial Rule, C.M.H., Vol. Iv, 1967, P.83 ; Ostrogorsky, Byz State, P.162

٣-الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨ ، ص٢٥٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦ ص، ١٤٠؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٧٧.

٤-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧١٧.

٥-هي بروز في البحر في أقصى عمان بالقرب من عدن، أنظر خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧١٧. ونلحظ أن الخلافة العباسية – رغم هذا النشاط الكثيف – كانت تتعرض لبعض الاضطرابات التي كانت تخمدها دون انتظار، مثل تلك التي حدثت في الموصل وفي مصر. عن تفاصيل هذه الاضطرابات انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧١٨؛ الطبري تاريخ الأمم، جـ٨، ص٢٦٦؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٢٩؛ ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١، قسم ١، القاهرة١٩٨٢، ص١٣٩

غارة بحرية أخرى فى عام ١٧٨هـ/٧٩٤م بقيادة القائد العباسى مسلم بن زياد الأصم على بحر البصرة - أيضاً - وقد تمكن من أسر إحدى عشرة بارجة بيزنطية(١).

كما شهد عام ١٧٨هـ / ٧٩٤م شاتية هامة، إذ خرج جيش عباس كبير بأمر من الخليفة هارون وبقيادة أحد كبار قادته،، هو سليمان بن راشد الثقفى (٢)، وصحبه فى هذه الحملة القائد البيزنطى البيديوس(٣). وكان الجيش يتكون من أربعين ألف رجل(٤). وقد عبر الحدود البيزنطية، وتوغل فى قلب آسيا الصغرى مارا بملطية، حتى وصـــل الى منطقة على البحر الاسود تسمى باميسون Bamison (٥) وطالت الحملة وتعرض الجيش العباســى لمطر الشتاء، وقاس الجـــنود كثيرا بســـبب البرد، وحـــدث عصـــيان بين الجـــنود ضد قادتهم. وهلك الكثير من الرجـــال بســـبب البرد، وكان هذا فى خـــريف ٧٩٤م/ النصـــف الثانى من ١٧٨هـ وبلغ عدد من مـــات من المســـلمين حـــوالى أربعة آلاف رجل(٦). ويقول المـــؤرخ ابن العـــبرى أنه بســـبب هذا المأزق الذى كانت فيه قوات سليمان،لجأ بعض الجنود إلى البيزنطيين الذين عـــاملوهم معاملة كـريمة ولم نجد تأييداً لهـــذه الروايـــة فـــى

١- مصدرنا عن هذه الغارة هو نفس مصدر الغارة البحرية السابقة. انظر: خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٧١٧ .

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٠؛ ابن الأثير : الكامل، جـ٦، ص١٤٥ .

٣- سبق الحديث عنه عندما فر للعرب ، ويقال ان القائد سليمان اقسم أمام هذا الأمير انه سيسلم جزيرة صقلية للعرب. انظر: Theophanes, Chronographia, Cols. 917- 920; Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,p.9.

٤- ابن شداد: الأعلاق، ص٥٦. انظر الخريطة رقم (١).

٥- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧١٧. ويطلق السريانى عليها اسم ساميسون Simison, ويكتبها ابن العبرى Samsoun انظر Michel Le Syrien Chronique, Tome III, p.9; Ber Hebraeus, Chronography, P.119; Cf. Also: Gregoire, H., Rapport Sur un Voyage D, Exploration dans le pont et en Cappadoce, Bulletine de Correspon dance Hellenique, Tome, XXXIII, 1909, pp. 141- 142.

٦- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص ١٤٥؛ وأيضا: Michel Le Syrien, Chronique, Tome III, p.9.

المصادر العربية أو اليونانية، ولذا يجب تناولها بحذر، خاصة أن المؤرخ ميشيل السريانى يقول إنه شاهد بنفسه أثر هذا البرد على هؤلاء الجنود"إذ تشققت أقدام كبار القوم منهم بسبب الجليد". ويضيف المؤرخ ابن العبرى أنه شاهد منهم أربعمائة فى مدينة الرها بهذا الشكل(١). ولا يعقل أن يكون السريانى الذى كان بطريركا للكنيسة اليعقوبية لمدينة أنطاكية فيما بين عامى١١٦٦-١١٩٩م/٥٦٢- ٥٩٦هـ وأيضا ابن العبرى المتوفى فى ١٢٨٦م/٦٨٥هـ(٢) قد شاهدا هؤلاء الأسرى فى ٧٩٤م/ ١٧٨هـ ولعل الخسائر التى منى بها العباسيون فى تلك الشاتية كان لها أثر فى عدم تكرار مثل هذه الشواتى. ومن ناحية أخرى، فقد أرسل هارون صائفة- يبدو أنها للتعويض عن الهزيمة السابقة- بقيادة عبد الله بن صالح بن على، وفى رواية أخرى معاوية بن زفر ابن عاصم. ولم تذكر المصادر تفاصيل هذه الصائفة، إلا أنها أشارت إلى أنها لم تحقق نتائج ذات قيمة ، كما لم تعوض خسائر الشاتية السابقة(٣).

فأرسل الخليفة هارون الرشيد حملة أخرى فى ربيع الأول ١٧٩هـ/ابريل٧٩٥م بقيادة الفضل بن محمد، ووصلت إلى أورجوب Urgub جنوب الأناضول(٤)،وقام الإمبراطور قنسطنطين السادس بشن حملة مضادة، ولكنه لم يحقق نجاحا فيما يتعلق بالشق الهجومى،إلا أنه من الناحية الدفاعية تمكن من صد حملة الفضل بن محمد ومنعها من الوصول إلى

١- Michel Le Syrien , Chronique, Tome III, p.9; Ber Hebraeus, Chronography, P.119.

٢- Cahen, C., La Syrie du Nord a l' Epoque des Croisades, Paris, 1940. pp. 96- 97.

٣- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى،٧١٧ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٤٥؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٦.

٤- يلاحظ صمت الطبرى عن أحداث هذا العام. انظر:الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦١؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص١٦١؛ وأيضا: Theophanes, Chronographia, Col. 945; Greogoire, Rapport. p. 142, Cf. Also: Canard, Byzantium and The Muslim World, C.M.H., Vol. IV, 1967, p. 707; Brooks, The Struggle, C.M.H., Vol. IV, 1936, p125.

الساحل الغربى، وأجبره على التراجع، وذلك فى ٨مايو٧٩٥م/٤ربيع ثان١٧٩هـ(١).

ثم أرسل هارون أسطوله البحرى- فى نفس السنة أيضا- بقيادة مسلم بن زياد الأصم. ولم تحدد المصادر العربية هدف هذا الأسطول ووجهته، وإن ذكر خليفة بن خياط، وهو مصدرنا الوحيد لهذه الغارة ، أن الأسطول العباسى تمكن من إصابة أربع بوارج بيزنطية(٢).

ثم انشغل الإمبراطور قنسطنطين فى٧٩٦م/١٨٠هـ بحرب جديدة ضد البلغار(٣). فانتهز هارون الفرصة وأرسل قائده معاوية بن زفر بن عاصم(٤). على رأس صائفة وتمكن الجيش من الوصول إلى عمورية (٥). وأعمل السلب والنهب فيها وفى المناطق المجاورة لها. وحصل معاوية على بعض الأسرى، ولكنه عاد دون استكمال الفتح (٦). فلم يكن ضمن استراتيجية الخلافة العباسية فتح مناطق جديدة.

١- Theophanes, Chronographia, Col. 945; Zonaras,Annalium, Col. 1348; Canard, Byzantium and The Muslim World, C.M.H., Vol. IV 1967, P. 707.

٢- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧١٩.

٣- رغم أنه انتصر هذه المرة، إلا أنه لم يعوض هزيمته السابقة. انظر : Theophanes, Chronographia, Cols. 945-948 ; Georgius Hamartolus, Col 968; Cedrenus Historiatum, Cols. 908-909; Zonaras, Annalium Col. 1348 ; Bar Hebraeus, Chronography, p. 120; Cf. Also: Diehl, Le Mond Oriental, p.283; Finlay. Byzantine Empire , p.85.

٤- الطبرى : تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٦. ويسمى اسماعيل بن القاسم عند اليعقوبى ومحمد بن معاوية عند ابن شداد. انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٥٧.

٥- هى مدينة بها قلعة حصينة فى ثيم الأناضول، وبساتين ونهر وعيون جارية. وتميزت بمناعتها بسبب تحصيناتها القوية وأبراجها العالية الكثيرة، التى بلغت أربعة وأربعين برجا . كما أنها محاطة بخندق واسع كبير. للمزيد عن عمورية انظر: Theophanes, Chronographia, Cols. 948. راجع أيضا: ابن خرداذبة: المسالك، ص١٠٧؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ٣ ص٧٣؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص٣٥٣ ؛ لسترانج : بلدان الخلافة، ص١٧٠. وأيضا: Bury, E.R.E., P.267; Ostrogorsky, Byz State, 185. انظر الخريطة رقم (٨).

٦- Theophanes, Chronographia, Col. 948; Zonaras, Annalium Col. 1348, Gregoire, Rapport, p.142; Cf. Also: Canard, Byzantium and The Muslim World, C.M.H., VOL IV, 1967, p. 707; Brooks The struggle, C.M.H ., VOL IV, 1936, P. 125.

وازاء هذا النشاط الإسلامي المستمر، فضَّل هارون ابتداء من عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م أن تكون اقامتة في مكان على نهر الفرات يسمى الرافقة على مقربة من الرقة- بدلا من بغداد- ليكون قريبا من مسرح العمليات العسكرية، وليكون أقرب إلى مراقبة تقدم قواته على الحدود، هذا علاوة على مميزات هذا الموقع الجديد(١) ولعل ماشجعه على ترك بغداد أنه فوض أمور الخلافة إلى يحيى بن خالد بن برمك(٢)،. حتى يطمئن على شئون الدولة التي لم تكن خالية من بعض المشاكل(٣).

لاشك أن قرار الخليفة هارون الرشيد الانتقال إلى الرقة، كان يرجع بالدرجة الأولى أنه قد بيت النية لتنشيط حركة التوغل الإسلامي، ودفعها إلى داخل الحدود البيزنطية، مستفيدا مما تعانيه بيزنطة داخلها، بسبب معارضة كثير من طوائف الشعب

١- تمتع بمميزات جغرافية وجمالية عديدة. انظر: مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص٣٠١، الأصفهاني: الأغاني، جـ١٨، تحقيق عبد الكريم العزباوى، القاهرة : (الهيئة المصرية العامة) ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٣٠٨. وللمزيد انظر: Michel Le Syrien Chronique, Tome III, p.10; Ber Hebraeus, Chronography, P.120; Cf Also: Canard, Byzantium and The Muslim World C.M.H, Vol IV, 1967, P. 707; Muir, The Caliphate, p.477; Diehl, Le Mond Oriental, p. 283.

٢- كان المهدى قد اختاره مربيا لابنه هارون في ١٦٢هـ/٧٧٨م. انظر الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٥٦؛ راجع أيضا: محمد جمال سرور: الحياة السياسية، ص٢١٩. ثم قلده الخليفة هارون الوزارة في ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. انظر الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٠٨، ١٠٩؛ مؤلف مجهول:العيون والحدائق، ص٢٩١؛ الأصفهاني: الأغاني، جـ٢٠، ص٤٦ . وعن البرامكة ونشأتهم وازدهارهم وموقف هارون منهم حتى القضاء عليهم، انظر : الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٨؛ راجع أيضا: حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي؛ القاهرة بدون تاريخ؛ ص١٠٥؛ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الصغرى، القاهرة ١٩٧٢، ص١٦٢؛ محمد عبد الهادى شعيرة، الممالك الخلفية ، مجلة كلية الآداب بالاسكندرية، مجلد ٤ ، عام١٩٤٨م ، ص٧٣-٧٤. عن موقع الرقة انظر الخريطة رقم (١٠) .

٣- مثل صراع العصبيات في بلاد الشام في ١٨٠هـ/٧٩٦م ، وأيضا خروج جماعة المحمرة في جرجان واستمرارها . كان هذا مقدمة لظهور حركة بابك الخرمي (الحركة الخرمية). ولعله كان من أخطاء الخلافة العباسية أن هناك ثورات لم تتصد لها بحسب أهميتها مثل هذه الأخيرة، التي كانت خطورتها أنها جمعت بين العنصر الفكرى القائم على الجدل والدين والعنصر العسكرى واهتمت الخلافة باخمادها عسكريا وليس فكريا. للمزيد من التفاصيل عن هذه الثورات ، انظر:الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٢-٢٦٦، وأيضا محمد جمال سرور: الحياة السياسة، ص١٨٩-١٩٠؛ محمد سالم العوتى: الخرمية، ص٤٢- ٤٣.

والجيش لسياسة إيرين، ومشكة عبادة الصور العتيقة التى مزقت المجتمع البيزنطى. أما فى الخارج فقد كان الخطر البلغارى يفرض نفسه على بيزنطة، بالإضافة إلى المشاكل التى يمثلها الأرمن والخزر على الحدود البيزنطية؛ فقد بدأ تحول الأرمن للمسلمين حسبما أسلفنا، وبدأ تهديد الخزر لحدودها حتى أن بيزنطة صدت هجوما خزريا بصعوبة على الحدود الشمالية الشرقية(١) .

وقد شهد عام ١٨١هـ/٧٩٧م نشاطا كثيفا شارك فيه الإمبراطور بنفسه، إذ اجتاز منطقة الثغور، واقتحم المواقع البيزنطية فى آسيا الصغرى، وتمكن من فتح حصن يسمى الصفصاف فى أقصى شمال بوابات قيليقية وهى كورة من ثغور المصيصة وقلعتها تسمى حصن العيون(٢).

كما أرسل صائفة بقيادة عبد الملك بن صالح (٣)، الذى خرج على رأس جيش كبير، وعبر الحدود البيزنطية، وتوغل فى قلب آسيا الصغرى، وتمكن من مهاجمة قبادوقية وغلاطية Galatia ، ونجح فى الوصول إلى أنقرة، وإن لم تشر المصادر إلى محاولة فتحها (٤). مع أنها ذكرت أنه تمكن من فتح مطمورة (٥) أوحصن(٦).

١- Bar Hebraeus, Chonography, p. 120; Cf. Also: Muir, The Caliphate,p. 477. راجع أيضا : سعيد عبدالفتاح عاشور : أوربا، ص١٣٧.

٢- قال الشاعر مروان بن حفصة فى هذه الغزوة :

ان أمير المؤمنين المصطفى   قد ترك الصفصاف قاعدا صفصفا

انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٨؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٣٢؛ الحنبلى: شذرات، ص٢٩٤؛ وأيضا عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢٢؛ حسنين ربيع: الدولة البيزنطية، ص١٢٢.

٣- الطبرى: تاريخ الرسل ، جـ٨، ص٢٦٨. وهناك من يقول إن قائد الصائفة اسمه عبد الرازق. انظر: مؤلف مجهول: العيون، ص٣٠١.

٤- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٥٨ انظر الخريطة رقم (٨).

٥- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٦٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٥٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٣٢.

٦- الذهبى: دول الإسلام، ص١١٦؛ الذهبى: العبر: ص٢٧٨؛ الحنبلى: شذرات ، ص٢٩٤.

ورغم أن العلاقات بين القوتين طرف الصراع كانت فى معظمها سياسية، إلا أن هذا لم يمنع وجود بعض أوجه الاتصال الحضارى بينهما بشكل أو بآخر. كانت هجمات المسلمين المتكررة على منطقة عمورية، وكان أخرها فى ١٨٠هـ/٧٩٦م، ثم على أنقرة وكان آخرها فى ١٨١هـ/٧٩٧م ، ونجاح هذه الهجمات، سببا فى حصول العرب على كثير من المخطوطات اليونانية من هذه المناطق فى وقت الحرب (١). أما وقت السلم فقد أرسل العباسيون رسلهم لشراء المخطوطات الموجودة فى بيزنطة . وقد حرص هارون على ذلك بايماء من البرامكة. وحصلت بغداد على الكثير من المخطوطات كانت الطبية منها تمثل نسبة عالية(٢).

أراد قنسطنطين السادس القيام بمحاولة لوقف النشاط العباسى. فقاد جيشا مكونا من عشرين ألف مقاتل من قوات ثيم أرمينية والاناضول فى مارس ٧٩٧م/ محرم ١٨١هـ للقاء العرب(٣). وقد أبدى الإمبراطور حماسة لمواجهة العباسيين، وخشى ستاوراكيوس ورفاقه- المشاركون له فى هذه الحملة- من هذه الحماسة التى قد تؤدى إلى تحقيق انتصار، ربما يعرقلهم عن تنفيذ مخططهم للتخلص منه(٤). فبدأ

١- حرص العرب على ترجمة هذه المؤلفات اليونانية إلى اللغة العربية، فقد كانت الحضارة الهلينية نبعا نهل منه العرب . انظر: فتحى عثمان: الحدود، جـ٣، ص٢٦٠؛ زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب" أثر الحضارة العربية فى أوربا"، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، وكمال دسوقى، راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الخورى، بيروت(دار الآفاق الجديدة)١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٧٥.

٢- عن طريق الأسرى البيزنطيين استفادت بغداد من علم بعض الأطباء البيزنطيين، مثل جرجيس بن بختيشوع (ت٧٧١م/١٥٥هـ) وهو من أطباء المنصور ، وحفيده جبريل (ت٨٠٠م/١٨٤هـ) وهو من أطباء هارون، ثم يحيى بن البطريق (ت ٨٠٠م /١٨٤هـ) وقد اختص بالقيام بأعمال الترجمة. وهكذا أدت الفتوحات دورا كبيرا فى عملية التعريب. انظر: Bar Hebraeus, Chronography, pp.122-123 راجع أيضا : اوليرى: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسام،القاهرة (مكتبة الأنجلو) ١٩٥٧، ص٢٢٩؛ توفيق سلطان اليوزبكى: التعريب فى العصرين الأموى والعباسى، الجمعية التاريخية، مجلد ٢٤، عام ١٩٧٧م، ص٧-١١.

٣- Theophanes, Chronogaphia, Col. 949.

٤- يذكر أنه فى شهر سبتمبر ٧٩٦م/ رجب ١٨٠هـ وبينما قنسطنطين السادس مع أمه فى رحلة إلى منطقة حمامات بروسا Prusa استمرت شهرا، وردت فى الشهر التالى (اكتوبر/ شعبان) =

ستاوركيوس يتصل بعيون وطلائع الجيش، وأثر فيهم بالرشاوى والهدايا لكى يقدموا للإمبراطور تقريرا مزيفا يفيد أن المسلمين قد لاذوا بالفرار. وبالفعل تلقى الإمبراطور هذا التقرير، فجمع قواته وأوقف تحركاته ولكنه اكتشف زيف التقرير فاستشاط غضباً وعاد أدراجه إلى المدينة(١).

وفى أول مايو٧٩٧م/أخرصفر١٨١هـ.توفى ابنه بعد شهور قليلة من ولادته.(٢) وهنا قررت ايرين البدء فى تنفيذ خطتها-التى اتفقق عليها- لتنهى آخر رباط شرعى يربط ابنها بالحكم، نظرا لأنه لم يكن له أولاد آخرون(٣).فكانت المؤامرة التى تم فيها سمل عين الإمبراطور قنسطنطين على يد أمه ايرين(٤).فى نفس

=أنباء تفيد بأن زوجته أنجبت ولدا سماه ليو. وكانت فرحته عظيمة، فعاد إلى العاصمة تاركا أمه وقادة الجيش. فانتهزت ايرين هذه الفرصة والتقت مع قادة الجيش، ومنحتهم الهدايا وأغرتهم بالوعود واستمالتهم للتخلص من ابنها، واعلانها إمبراطورة منفردة. وهكذا خططت لما سوف تنفذه بعد ذلك. انظر Theophanes, Chronogaphia, Col. 949; Georgius, Hamartolus, Chronicon, Col. 968; Cedrenus, Historiarum, Col. 909 ; Zonaras, Annalium, Col. 1352.

١- Theophanes, Chronogaphia, Col. 949.

٢- Theophanes, Chronogaphia, Col. 949.

٣- Theophanes, Chronogaphia, Col. 949.

٤-تناولت المصادر اليونانية مؤامرة التخلص من الإمبراطور قنسطنطين السادس بالتفصيل ورغم بشاعة هذه التفاصيل- خاصة من أم نحو ابنها - فقد فضل الباحث عدم الخوض فيها لأنها فى المقام الأول تبعدنا عن الجوهر الأصلى لموضوع البحث ويكفى القول ، فى هذا المقام، أن هذه الحوادث تعكس شراسة الصراع على الحكم، وعمق المشاكل التى غرقت فيها بيزنطة، مما أثر فى سياسة بيزنطة الخارجية بعامة وبصفة خاصة تجاه العباسيين على النحو الذى عرضناه وعلى أى حال ، تربط المصادر اليونانية بين حادثة سمل عين الإمبراطور وبين سمل عين كل من عمه وقائده ألكسيس موسيلى قبل خمس سنوات فى نفس الشهر واليوم، وتعتبر أن هذا عدالة السماء. ويقول ثيوفان انه بعد أن سملت عين الإمبراطور غابت الشمس سبعة عشرة يوما، وسارت السفن فى البحار على غير هدى. لمزيد من التفاصيل انظر: Theophanes, Chronographia, Cols. 940 - 941; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 968; Cedranus, Historiarum, Cols. 908- 909; Zonaras, Annalium, Col. 1352;Monasses,Compendium,Col.387.

الحجرة الأرجوانية الحمراء التى ولد فيها(١) وهناك رأى يقول أن أمه أرسلته إلى أحد الأديرة حيث أمضى عشرين عاما(٢)، ورأى آخر يقول إنه مات فى نفس العام(٣). وتثير هذه الجريمة ودوافعها، ونتائجها، وسلوك إيرين كأم، العديد من القضايا التى تصلح موضوعات مستقلة تنتظر المزيد من الدراسة. ولكن فى هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن أهم ما دفع إيرين إلى ذلك هو خوفها من اقدام ابنها على إلغاء قرارات المجمع المسكونى الأخير، واعادة قرارات المجمع السابق الذى عقد فى ٧٥٤م /١٣٧هـ، وكذلك حقدها الدائم عليه بسبب حب رجال الجيش له (٤) خاصة تلك القوات المرابطة على الجبهة الشرقية ومعظم رجالها لا أيقونيين (٥).، وأخيرا تخوفها من مغبة اتصال ابنها قنسطنطين السادس بشارلمان، وكانت قد سمعت عن هذه المحاولة التى كانت تستهدف تحالف الشرق والغرب دينيا وسياسيا(٦).

١- Theophanes Chronographia,Cols 940-941Georgius Hamartolus, Col. 968; Cedrenus, Historiarum, Cols. 908-909; Zonaras, Annalium, Col. 1332; Monasses, Compendium, Col. 287; Bar Hebraeus, Chronography, p .120; Mauglais, H.J., Byzantine, Christianity, Emperor, Church, and The west,London,1970,p. 98;

٢- لم تدل المصادر اليونانية بدلوها بشأن هذين الرأيين ، عن أصحاب هذا الرأى انظر: الذهبى: دول الإسلام، ص١١٧؛ راجع أيضا: عمر كمال: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٠١، وأيضا: Ostrogorsky, Byz State, p. 161

٣- يوسف الياس القديس :تاريخ سوريا ، جـ٣، مجلده، ص٤٩٤. وأيضا: Jenkins The Imperial, p 101.

٤-كانت ايرين تخشى شعبية وحب الجيش لابنها : انظر : Theophanes Chronographia Col .952.

٥- رغم تصرفات قنسطنطين السادس تجاه بعض قادة الجيش- بتحريض من أمه – إلا أن قوات الجيش احتفظت بولائها لإمبراطورها الراحل قنسطنطين الخامس، وبالتالى ولائها لحركة تحطيم الصور. لذلك كانوا يأملون دائما أن يعود قنسطنطين السادس إلى سياسة جده، وأن يبطل قرارات المجمع الأخير. انظر: Jenkins, The Imperial. p. 99.

٦- Jenkins, The Imperial, PP. 101 - 103; Baillay, Byzance,pp.179-182 Diehl, Figures, pp. 82-84. راجع أيضا: علية عبد السميع الجنزورى: المرأة، ص٣٥؛ علية عبد السميع الجنزورى ايرين، ص٤٦-٤٧.

وهكذا انفردت إيرين بالحكم. ويعلق أحد المؤرخين اليونانيين القدامى على ذلك القول إن الطموح قد سيطر عليها، وهو طموح الحكم بمفردها، وليس طموح الحكم العادل(١). وهكذا، أيضا، تنتهى فترة حكم الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين السادس.

ولم يكن من سوء حظ بيزنطة فى تلك الأونة مجرد افتقارها إلى الحاكم القوى، أو أنها عاصرت اثنين من أعظم الخلفاء العباسيين هما المهدى وهارون، بل عاصرت أيضا الملك شارل العظيم ٧٧١-٨١٤/ ١٥٥-١٩٩هـ (٢).ذلك لأن إيرين لم تتوقع خطورة ماترتب على جريمتها فى حق ابنها، ولم يكن له وريث ذكر. لذلك اعتبرت البابوية والفرنجة أن عرش بيزنطة أصبح خاليا. فانتهزت البابوية الفرصة وقامت بقطع ما كان يربط بينهما، إذ قام البابا ليو الثالث (٧٩٥-٨١٦م/١٧٩- ٢٠١هـ) بعد ثلاث سنوات بتتويج شارل العظيم فى ٨٠٠م/١٨٤هـ إمبراطورا على الفرنجة والغرب والرومان.

ولم يكن استمرار ايرين فى الحكم- منفردة- إلا استمرار لحالة الفوضى فى بيزنطة ولحالة البلبلة التى حدثت فى العالم الخارجى، مما جعل الصراع البيزنطى الإسلامى على أعتاب مرحلة جديدة، وهو ما سنتناوله فى الصفحات القادمة.

١- Monasses. Compendium, Col. 388; Cf. Also: Finlay, Byzantine, Empire, p. 66

٢- Jenkins, The Imperial. p. 90.

الفصل الخامس

العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية

(٧٩٧-٨٢٠م/ ١٨١-٢٠٥هـ)

- هارون الرشيد يهزم الجيش البيزنطي في بلاخينيا، والأوبسيكيون في عام ١٨٢هـ/ ٧٩٧-٧٩٨م.
- أحوال بيزنطة الداخلية والخارجية عند اعتلاء نقفور العرش في عام ٨٠٢م/١٨٦هـ .
- القوات العباسية تهاجم عمورية، وباب هرقلة في عام ١٨٨هـ/٨٠٤م.
- حملة الخليفة هارون الرشيد إلى هرقلة في عام ١٩٠هـ/٨٠٦م ونتائجها.
- هارون يشن هجمات برية على ريسة، وبحرية على رودس وكريت في عام١٩١هـ/ ٨٠٦م.
- الهجوم البيزنطي على مرعش عام ٨٠٧م/١٩٢هـ .
- طبيعة العلاقات بين هارون وشارلمان، وانعكاساتها على العلاقات البيزنطية العباسية.
- أحوال المسلمين وبيزنطة، بعد موت كل من هارون ونقفور، وأثر ذلك على العلاقات بين طرفي الصراع حتى عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م.

ســــــملت إيرين عينى ابنها يوم الثلاثاء ١٥من أغســــطس ٧٩٧م/١٦من رجب ١٨١هـ، وانفردت بالحـكم(١). ورغم اخلاص المؤرخ ثيوفان لها إلا أنه أحس بجرم ما فعلته، فقال:"ان الشمس قد اظلمت ســبعة عشر يوما بعد حدوث هذه الجريمة البشعة، وأن السفن التى تجوب البحار ســـــارت على غير هدى، فلم تســــتطع أن ترسو فى مرافــــئها، وذلك لأن الإمــــبراطور صـــار ضريرا"(٢). ولــكن لم يمثل هــــذا شيئا لإيرين، وأرســــلت ســــفارتين متتاليتين

١- يخطىء ثيوفان حينما يذكر أنها اعتلت العرش فى عام ٧٩٠م (أحداث ٦٢٩٠من تاريخ العالم) انظر: Theophanes Chronographia , Col.952 ;Cf.Also: Mauglais, Byzantine, p. 98. وتذكر المصادر اليونانية أنها لقبت بلقب أوغسطة، وأصبحت أول امرأة تسيطر على الإمبراطورية كحاكمة مستقلة. وحرصت على ألا تصف نفسها فى الكتابات الرسمية بصفة التأنيث Basilissa بازيليا بل جعلت اسمها بصفة التذكير بازيليوس Basileus ونظرا لأن مهام الإمبراطور كانت تتضمن أيضا وظيفة القائد العسكرى الأعلى فإن حق ايرين فى ممارسة هذه الوظيفة قد أثار جدلا. انظر: Theodorus Studites, P.G.M., Tome CIX, Col. 1124. ويضيف المؤرخ كدرينوس إلى هذا قوله إن إيرين، على الرغم من أنها قد بلغت الخمسين من العمر، فقد كانت سعيدة بحياتها،كما كانت سعيدة باسمها (ايرين) الذى يعنى باليونانية"السلام". انظر: Cedrenus, Historiarum, Col. 909. ولمزيد من التفاصيل حول هذه النقاط انظر المراجع التالية: Pierre Genier, Byzantine Empire, Paris, 1904; p. 38; Constance, H., Physical Descriptions of The Emperors in Byzantine Historical Writing, in "B" Tome L, Bruxelles, 1980, p. 231.Ostrogorsky, Byz state, P.161; Diehl, C.,Leo III, C.M.H., 1936, vol IV, PP.21-25; Diehl, C., Figuras, P.103. راجع أيضاً: أسد رستم: الروم، جـ١، ص٢٩٢؛ عفاف سيد صبرة: الإمبراطوريتان، ص٢٢٤.

٢- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.968; Zonaras Annalium, Col. 1352. يقول زوناراس أنه لايعرف هل غياب الشمس على هذا النحو كان محض صدفة أم لغضب الله من إيرين. بينما همرتولس يحمل بين سطوره روح التشفى فى الإمبراطور قنسطنطين السادس.

إلى شارلمان فى عامى ٧٩٧م و٧٩٨م/١٨١، ١٨٢هـ بغية توضيح الأمور التى تتعلق بسمل عينى ابنها، ولكنها لم تنجح فى تحقيق ما كانت تهدف إليه(١). إلا أنها حققت حلم حياتها؛ فقد مارست سلطاتها الإمبراطورية منتشية بكرس العرش، ولكى تكسب طوائف الشعب البيزنطى إلى جانبها ، فإنها ألغت كثيرا من الضرائب، ووزعت الأموال على الفقراء، وشيدت المؤسسات الخيرية(٢).

والحقيقة أن ايرين قد أستحوزت على اهتمام كتابات المؤرخين القدامى والمحدثين الذين حاولوا تحليل حياتها وشخصيتها وسياستها ومعتقداتها ولم يشأ الباحث الخوض فى هذه الجوانب خشية البعد عن الموضوع الأصلى، بالإضافة إلى انها تحتاج إلى دراسات مستقلة(٣). ويعبر عن هذا، المؤرخ فنلاى بقوله: "إن حياة إيرين تصلح موضوعا شيقا لسيرة حياة، اكثر منها موضوعا للتاريخ "(٤).

١- Annalium de Gestis Caroli Magni Libri quinque metrice scripti, R.H.F.G., tome V, p. 161; Cf. Also: Deanesly, M., A History Of Europe, London, 1960, p .380.

٢- عن الغاء الضرائب انظر: Cedrenus,Historiarum,Col.909 وعن توزيع الأموال انظر: Georgius Hamartolus,Chronicon Col. 969. وعن إنشاء المؤسسات الخيرية انظر: Theodorus Studites, P.G. M., Tome CIX,Cols. 99, 929 ويذكر المؤرخ اليونانى موناسيس أن إيرين قامت بهذه الأعمال التى تدل على الكرم، سعيا إلى الاغتسال والتطهر من جريمتها فى حق ابنها. انظر: Monasses, Cmpendium, Col. 390.

٣- لتغطية بعض هذه الجوانب انظر: Theophanes, Chronographia, Cols, 916 sqq.; Georgius Hamartolus, Chronicon, Cols. 956, Sqq.; Zonaras, Annalium, Cols. 956; sqq; Monasses, Compendium,Cols 385-386

٤- Finlay, Byzantine Empire, p.80.

هذا، وقد اكتسبت إيرين حب شعبها، واستعانت به على ثورتين داخليتين، فتغلبت عليهما بسهولة وقد تزعم الأولى أشقاء زوجها ولكنها أحبطتها(١). وتزعم الثانية واحد من القبائل السلافية، وكان ذلك فى عامى ٧٩٨-٧٩٩م/١٨٢-١٨٣هـ، وقد أخمدتها أيضا(٢).

وبينما حازت سياسة إيرين المالية رضاء الرهبان(٣)، فلم تحظ بذاك الرضى لدى بعض الطبقات ومنها طبقة العسكريين (٤). ومما هدد الأمن فى البلاد ذلك التنافس بين كبار مستشاريها الخصيان مثل ستاوراكيوس وأيتيوس، إذ وقعت تحت تأثير مختلف من قبل كل منهما، مما لم يضمن لها النجاح على الرغم من قيادتها المنفردة للحكومة بعد التخلص من ابنها. فقد انتهز ستاوراكيوس فرصة مرض إيرين ودبر ضدها مؤامرة فاشلة (٥). وبعد وفاته أصبح الجو خاليا لأيتيوس الذى كان يخطط لجعل العرش يؤول لأخيه ليو. وقد ساعده على ذلك زيادة نفوذه فى البلاد إلى الحد الذى مكنه

١- Cedrenus, Historiarum, Col. 909. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة انظر: Zonaras, Annalium, Col. 1353; Cf. Also: Macbe, J., The Empresses of Contantinople, London, 1913, p. 98.

٢- تزعمتها إحدى القبائل السلافية التى تسمى فلزتى Belzeti (Velzeti) بقيادة ثائر يسمى أكامير Acamer (Akamer) كان يهدف إلى اسقاط إيرين حتى يعتلى أحد أبناء الإمبراطور قنسطنطين الخامس العرش. ويذكر ثيوفان هذه الرواية، وهو يصف هنا قنسطنطين الخامس بأنه عدو الله . انظر: Theophanes, Chronographia, Cols. 952-3; Zonaras,Annalium, Col. 1353 .

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 956; Cf.Also: Jenkins, The Imperial, p. 103; Bury, E.R.E., pp.2-5.

٤- Theophanes, Chronographia, Col. 956; Cf. Also: Levtchenko, M.V., Byzance des Origines A 1433, Traduction de pierre Mabille, Paris, 1949, p. 146.

٥- Theophanes, Chronographia, Col. 956; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 969; Cedrenus, Historiarum, Col. 909 Bar Hebraeus, The Chronography, p. 120; Cf. Also: Ostrogorsky, Byz State, p. 161; Oman, Dark Ages, p. 320; Macbe, the Empresses, p .98.

من أن يؤدى دورا كبير فى توجيه السياسة البيزنطة(١).

وبينما كانت بيزنطة تعيش فترة انتقال جديدة بما فيها من قلق وعدم استقرار، انتهز المسلمون هذه الفرصة -خاصة وقد انخفضت الروح المعنوية للجيش البيزنطى منذ اختفاء الإمبراطور قنسطنطين السادس -فلجأ هارون إلى مجادلة البيزنطيين بالتى هى أحسن، إذ أرسل إليهم شارحا حقائق الإسلام، مؤكدا على ضرورة سيادة السلم بينهما، وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية (٢). ثم لجأ هارون بعد ذلك إلى الشروع فى ترتيب عمل عسكرى فى منطقة الحدود البيزنطية.

وكان رد فعل الإمبراطورة إيرين ازاء هذا هو تجهيز سفارة بيزنطية إلى هارون لعرض اتفاقية سلام (٣). وفى نفـــس الوقت من عام ١٨٢هـ/٧٩٧-٧٩٨م أرسل هارون حملة بقياده عبد الملك بن صالح الذى قاد جيشه مجتاحا منطقة قبادوقيا(٤). وكعادة هذا القائد فقد خرج معه ابنه عبد الرحمن، وسارا فى جيشين، تقدم أولهما تحت قياده عبد الملك ووصل إلى مالاجينا Malagina فى قبادوقيا. ويصف ثيوفان هذا الهجوم بأنه تم على يد جنود مسلمين مســــلحين بأسلحة خفيفة، ويحدد المنـــطقة

١- Georgius, Hamartolus, Chronicon, Col 969. ويذكر أن أيتيوس كان محل استتكار الوزراء الآخرين. فقد جمع فى يده قيادة اثنتين من المقاطعات الآسيوية هما ثيم الأوبسيكيون وثيم الأناضول. كما جعل أخاه ليو ستراتيجوس على كل من الثيم التراقى والمقدونى من المقاطعات الأوربية تمهيدا لاعتلائه العرش. ومن هنا كان دوره الحقيقى فى افساد المفاوضات التى تمت بين إيرين وبين شارل العظيم لإقامة علاقة زواج بينهما، وخاصة وأن الجيوش البيزنطية ازداد استياؤها، لا لأن حاكمتهم امرأه، بل لمجرد تصور حدوث زواج سياسى يؤدى إلى اتحاد مع البرابرة الغربيين. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 957; Zonaras, Annalium, Col. 1353; Bury, E.R.E., P.2; Jenkins,The Imperial, p.103.

٢- هذه الرسالة تكشف النقاب عن العلاقات السلمية والثقافية التى كانت سائدة بين الطرفين. ولم يتمكن الباحث من الحصول على نصها من منبعها الأصلى. انظر محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية، وبيروت ١٩٧٩، ص٥٣.

٣- Theophanes, Chronographia, Col. 953.

٤- Theophanes, Chronographia, Col. 953. انظر أيضا الخريطة رقم (٧).

التى هاجموها بأنها مالاجينيون Μαλαενων ويقصد بها مالاجينا. ويذكر أن القائد العباسى قد هاجم مزرعة وحظائر خاضعة للكية ستاوراكيوس فى منطقة بقبادوقيا تسمى بلاخينيا، وتمكن من الاستيلاء على محتويات المزرعة من خيول ومعدات(١). أما الجيش الثانى فقد تولّى قيادته عبد الرحمن، وانطلق حتى وصل إلى ثيم الأوبسيكيون حيث دارت مواجهة بينه وبين قوات هذا الثيم بقيادة شخص يدعى بول paul الذى لقى هزيمة ترتب عليها استيلاء المسلمين على كثير من الغنائم من معسكره فى ليديا(٢).

ولاريب أن أسـلوب المفاجآت الذى اتبعه القائدان العباسيان قد مكنهما من تحقيق النصر. وفى الوقت نفسـه عجز قادة بيزنطة عن حسن التصرف(٣)، مما أعطى الفرصة لجيش عبد الرحمن لمواصلة الزحـف حتى بلغ افسوس على الساحل الايجى(٤). ويذكر المؤرخ السـريانى ابن العبرى أن المسلمين أسروا من إفسوس سبعة آلاف رجل. ورغم ما حققه المسـلمون فى هذه الحملة من انجازات فلم تكن مجرد فسحة، إذ فقد القائد عبد الرحمن فى هجومه حوالى أربعة آلاف رجـل. ومع أن ابن العبرى يمدنا بهذه المعلومة، إلا أنه يخـطىء فى خلط الأحـداث فيذكر هـذه الحـملة ضمن أحـداث عهد الإمـبراطور ليو الرابع، وبالتـالى لم

١- تجدر الإشارة إلى أن عبدالملك لم يتمكن من الاستيلاء على مخصصات حظيرة الإمبراطورة ايرين انظر الخريطة رقم (٧). انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 953.

٢- مصادرنا فى هذه المعركة هو ثيوفان الذى لم يذكر أن قائد الجيش الثانى هو عبد الرحمن. وقال إن عبد الملك هو الذى قاد معارك الجيشين. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 953; Cf.Also: Guilland, patrices, p.332. انظر الخريطة رقم (٣)

٣- Jenkins, The Imperial, p.103.

٤- يقول عنها ابن الأثير إنها مدينة أصحاب الكهف، ويسميها الطبرى دفسوس، وينقل عنه النويرى، ويسميها ابن خلدون دقشوسوس. انظر: ابن الأثير: الكامل، ص١٦١؛ الطبرى: تاريخ الرسل جـ٨، ص٢٦٩؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٣٢-١٣٣؛ ابن خلدون : العبر، جـ٥ ص٤٧٧. راجع أيضا: Canard, Byzantium and The Muslim, world, C.M.H., 1967, Vol. IV, p. 707; Jenkins, The Imperial, p. 103; Brooks, TheStruggle,C.M.H.,1936,Vo,IV,P.136

يذكرها ضمن سياق حديثه عن عهد إيرين(١).

ولم تتخذ إيرين أو وزراؤها أى اجراء عملى لمقاومة هذا النشاط؛ إذ كانت الاهتمامات الشخصية هى الشغل الشاغل لهم، وكانت إيرين تبحث عن السلام بأى ثمن، وهو ماكانت تهدف إليه منذ إعتلائها العرش، ولكنه تأخر لأن المسلمين كانوا يملكون زمام المبادرة والقدرة على توجيه الأحداث . لذا أرسلت إيرين سفارة بيزنطية يعرض لها المؤرخ اليونانى ثيوفان(٢)، ويقول أنها ضمت راهب القسطنطينية دوروثيوس Dorotheus، ومعه رئيس الكنيسة العظمى قنسطنطين. كما يذكر أن السفارة قابلت القائد عبد الملك الذى رفض معاهدة السلام المعروضة (٣). ويرى الباحث أن ثيوفان يقصد أن هارون هو الذى رفض المعاهدة، إذ إنه من المستبعد أن يتصرف قائد عباسى فى أمر مثل هذا دون الرجوع إلى الخليفة. لذلك فالارجح -وفقا لما أورده ابن الأثير-أن مفاوضات السلام مرت بظروف صعبة وعقبات هددتها بالفشل. فبينما رفض هارون عرض السلام فى البداية رغم عرض ايرين زيادة قيمة الجزية، إلا أنه حدث ما جعل هارون يوافق على السلام(٤). ففى ١٨٣هـ/٧٩٩، وبعد معركة إفسوس تعرضت الحدود الإسلامية فى أرمينيا لهجوم الخزر الذين كبدوا المسلمين خسائر ضخمة، مما أزعج هارون فاستعد لغزوهم (٥). موافقا على عرض ايرين الخاص بالسلام. وقد تم الاتفاق على عقد هدنة بين الطرفين مدتها أربع سنوات، وتم تبادل الأسرى. وكان عدد الأسرى المسلمين حوالى

١- لذلك فقد أوجز فى حديثه عن نشاط المسلمين فى تلك السنة، قائلا:" إن العرب غزوا حدود الروم وانتصروا" انظر: Bar Hebraeus,The Chronography, p. 117, 120; Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,p.12.

٢- يقول ثيوفان إن هذه السفارة كانت" فى السنة التى تولت فيها الحكم مرة ثانية وإنها تمت فى عام ٧٩٠م/١٧٤هـ." والصحيح أن ذلك كان فى ٧٩٧م/١٨١هـ انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 952.

٣- Theophanes, Chronographia, Cols, 952- 953.

٤- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٦١؛ راجع أيضا Theophanes, Chronographia, Col. 952; Cf.Also: Brooks, the Struggle, C.M.H.,1936, Vol IV,p.126, Canard, Byzantium and The Muslim World, C.M.H., 1967, Vol. IV, p. 707; Finlay, Byzantine, Empire, p.79.

٥- خرج جيش عباس وتمكن من وقف خطرهم وطردهم من المناطق التى دخلوها. انظر: السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٨؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٠١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٣٣؛ الذهبى: دول الإسلام، ص١١٧؛ راجع أيضا: زبيدة عطا: الترك فى العصور الوسطى: بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، والقاهرة (دار الفكر العربى)، بدون تاريخ، ص١٨.

ثلاثة آلف وسبعمائة أسير(١).أما الاسرى البيزنطيون فلم تمدنا المصادر ببيانات عددية عنهم.

تولى القاسم بن الرشيد عملية فداء الأسرى، التى تمت على نهر اللامس، وحضره العلماء والأعيان وخلق من أهل الثغور وثلاثون ألفا من الجنود. واستعاد المسلمون أسراهم وسط مظاهرالفرح(٢). ويذكر أنه فى هذه المعاهدة أدخل بند جديد يلزم الطرفين باطلاق سراح كل الأسرى الزائدين على العدد المحدد للتبادل، مقابل مبلغ من المال عن كل فرد. هذا، علاوة على العدد الأصلى الذى أطلق سراحه بالتساوى من الطرفين(٣). ولم تحدد المصادر مقدار الجزية التى التزمت إيرين بدفعها للخليفة العباسى هارون الرشيد. وان كان الباحث يؤيد الرأى القائل بأنها كانت مساوية لتلك التى دفعتها قبل ذلك للخليفة العباسى المهدى وقدرها ما بين سبعين وتسعين ألف دينار(٤).

وقد اختلفت تحليلات المؤرخين لهذه المعاهدة . فمنهم من يرى أن إيرين اشترت سلما مهينا من العباسيين(٥). ومنهم من يؤكد هذا مضيفا أن هذه المعاهدات مكنت البيزنطيين من انقاذ ذويهم من" الموت والعبودية " و يتطرف فنلاى-صاحب هذا الرأى-

---

١- ابن خلدون : العبر، ص٤٧٧.

٢- ابن خلدون: العبر، ص٤٧٧. راجع أيضا:.Finlay, Byzantine Empire, p. 84

٣- على الرغم من أن ابن خلدون يذكر هذه المعلومات ويفيد بأنه قد تم بالفعل اطلاق سراح عدد من المسيحيين (زيادة على العدد الأصلى) بعد دفع المال المطلوب، إلا أنه خلط فى تحديد اسم القائد المنفذ لعملية الفداء، بين ذلك الذى يتم الآن وبين فداء تم بعد ذلك فى ١٨٩هـ/٨٠٥م- فهو يحدد هنا بأنه والى طرسوس أبو سليمان فرج. وصحته ذلك الذى أورده المسعودى وهو عياض بن سنان أمير الثغور الشامية. انظر: ابن خلدون: العبر، ص٤٧٧؛ المسعودى: التنبيه والأشراف، ص١٩٥.

٤- أسد رستم: الروم، جـ١، ص٢٩٧. انظر أيضا الفصل الرابع من هذا البحث فيما يخص هذا الجزية .

٥- السيد عبد العزيز سالم: العصر العباس الأول، جـ٣، ص٧١.

فيقول إن هذه المعاهدات أغرت العرب بغزو الإمبراطورية(١). ويرى الباحث أن هذا الرأى يبعد عن الحقيقة التاريخية.إذ يحاول فنلاى أن يعزو السبب الرئيس للحرب الإسلامية إلى التجارة والمكسب، فيقول أن الجزية أغرت العرب بالغزو ، والغزو أغرى العرب بكسب الرقيق. والحقيقة أن فنلاى فاته أن العرب لم يحصلوا على جزية من كل غزوة، وبالتالى فهى ليست قاعدة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد جعل فنلاى من موضوع الجزية السبب الوحيد للنشاط الإسلامى. وهذا أيضا بعيد عن الحقيقة لأنه لو كانت بيزنطة فى حالة من القوة لما قام العباسيون بهجماتهم على النحو الذى دفع بيزنطة إلى اللجوء لشراء السلام بالجزية والتفاوض. ولا خلاف ان صراع الحدود كان أمرا طبيعيا بين الطرفين. ولا خلاف أيضاأنه اذا أحس اى طرف بأنه الأقوى أو أن خصمه يعانى من المشاكل يبادر بتوجيه ضربة ضده، ويحاول الطرف الآخر تجنبها بشراء السلم.

وهناك من يرى أن حنكة إيرين السياسية هى التى دفعتها إلى توقيع هذه المعاهدة، مفضلة التفرغ لشئونها الداخلية على أن تُهاجم فى عقر دارها(٢). ويرى الباحث أن هذا لم يكن لحنكة سياسية بقدر ماهو ضعف سياسى. وإلا لما اعتبر المؤرخون المحدثون هذا السلام سلاما مهينا. كذلك فإن سياسة إيرين منذ وصايتها ماهى إلا سلسلة من التصرفات الخاطئة والقرارات المتضاربة والأطماع الشخصية التى أضرت بالبلاد، حتى أن الناس فى بيزنطة أيقنوا أن استمرار حكم ايرين سيؤدى إلى كارثة وخيمة(٣).

ويرى آخرون أن هذا المال لم يكن جزية. فقد كــــانت الإمبراطورة تنظر إليه على أنه استخدام حكيم للمال(٤). ولكن لايمكن الأخذ بهذا الرأى كقاعدة ، خاصة إذا كانت الســـلطة الإمبراطورية فى موقف ضعيف وليس أمامها سوى الموافقة على شروط صلح تُفرض عليها، كما هو الوضع فى هذه الحـــالة، خلافا لحالة ســـابقة اســـتخدم فيها المال أيضا ولكن لم تكن الإدارة الإمبراطورية ضـــعيفة وقتها -بل علـــى العكس -فقد لجـــأ الإمبراطـــور قنســـطنطين

١- Finlay, Byzantine Empire, p.84.

٢-علية عبد السميع الجنزورى: إيرين، ص٥٧-٥٨.

٣- Bury, E.R.E., p.I.

٤- نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة، ط١، عام١٩٥٠م، ص٣٦٢.

الخامس إلى دفع قدر من المال والذهب للمنصور فى٧٧٢م/١٥٧هـ، لتأمين الأطراف الشرقية حتى يتفرغ للجبهة البلغارية(١) وهناك فارق بين الحالتين، فإذا جاز القول بأن قنسطنطين الخامس قد استغل المال استغلالا حكيما،فإنه لا يجوز فى مثل حالة إيرين.

وهكذا تصور السنوات الثلاث الأولى من حكم الإمبراطورة إيرين منفردة ماوصلت اليه بيزنطة من ضعف، وتبرهن على ميل كفة الميزان لصالح الخلافة العباسية. وإذا كان المسلمون لم يفتحوا مناطق جديدة، فقد تحققت لهم الغلبة والتفوق والصيت كقوى كبرى فى ذاك الوقت، وتمكنوا من استرجاع بعض المناطق التى فقدوها عام ١٦٢هـ/٧٧٨م من حصون وقلاع فى منطقة قبادوقيا(٢).

ولعل تكرار اجبار بيزنطةعلى دفع الجزية إلى العباسيين قد جعل اسم الخلافة العباسية يزداد قوة وسمعة؛ وقد ذهب البعض إلى أن هارون الرشيد قد أصبح سيد الإمبراطورية الرومانية(٣). ولكن لايوجد ما يؤيد سيادة هارون على الغرب الأوربى فى أى مجال من مجالات التبعية الرسمية، وخاصة السياسية والدينية. بمعنى أن هذه المقولة لم تكن مقنعة، بل ولم يكن من السهل حدوثها. وهى مجرد صيغة مبالغة لما وصلت إليه الخلافة آنذاك من عزة ومنعة.

والمؤكد أن ضعف الإمبراطورية البيزنطية قد ساهم فى الوصول الى تلك الأوضاع، ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقة مع العالم الإسلامى، بل أيضا مع الغرب الاوربى فقد قام البابا ليو الثالث(٧٩٥-٨١٦م/١٧٩-٢٠١هـ)بتتويج شارلمان إمبراطورا فى عام٨٠٠م/١٨٤هـ، مما عرض العالم المسـيحى لأزمة تهدد العلاقات بين شطرية

١-انظر الفصل الثانى من هذا البحث.

٢-يذكر بعض المؤرخين أن كثيرا من الناس اعتبروا ما قام به هارون حين فرض هذه الجزية، هو الفتح الذى وعد الله به، كناية عن مقدار فرحتهم بهذا التفوق. انظر البلخى: البدء والتاريخ، ص٩٦.وللمزيدانظر أيضا: سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٨٦، والفصل الثالث من هذا البحث.

٣- Peeters,S.J., Un Vie Romancee de Harun Ar-Rashid, in "B" , Tome VI,part II, Bruxelles, 1931, pp. 870- 871; Bucker, Harun AL-Rashid and Charles the Great, Camb- Moss, 1927, p. 36.

الشرقى والغربى (١) وكان هذا ايذاناً بأنشاء الإمبراطورية الرومانية الغربية المقدسة التى أحيت الإمبراطورية القديمة لتكون موجودة إلى جانب الإمبراطورية الرومانية الشرقية، الأمر الذى هدد كيان ووحدة الإمبراطورية الرومانية بمفهومها القديم(٢). وقد كان لتزعزع الأوضاع فى الدولة البيزنطية أثره السيىء على مركز بيزنطة، مما أدى إلى فقدانها ممتلكاتها فى جنوب إيطاليا، وإلى التباعد بين الكنيستين الشرقية والغربية، بل وفشلت بيزنطة فى محاولتها السيطرة على الكنيسة. وكان لهذا كله أثره فى خوض بيزنطة غمار حروب عديدة ضد المسلمين. وقد أدت هذه الأوضاع إلى أن تُولى اهتمامها بالشرق على حساب الغرب الأوربى(٣). وترتب على هذا أن البابوية أرادت لإمبراطورية شارلمان الناشئة، أن تحل محل الامبراطورية البيزنطية. لذا شاع فى الغرب الأوربى أن عرش القسطنطينية يعتبر شاغرابعد عزل الإمبراطور قنسطنطين السادس فى ٧٩٧م/ ١٨١هـ، ولا يجوز أن تشغله أمرأة، ومن هنا يعتبر شارلمان وريثا له (٤).

ورغم رفض بيزنطة لهذا التتويج، إلا أنها لم تكن قادرة على القيام برد فعل، وبينما أراد شارلمان الحصول على اعتراف بيزنطة بتتويجه بالطرق السلمية، فقد

١- Einhard and Notker The Stammerer, the Introduction, by levis Thorpe, P.8 ; Theophanes, Chronographia, Col. 952.

٢-هناك من يرى فى عام تتويج شارلمان تاريخا لانتهاء العصور القديمة وبداية العصور الوسطى، التى ظهرت فيها إمبراطوريتان لم تستطيعا التعايش معا بسهولة.
ويصف اينهارد قائلاً إن هذا التعايش لم يحل دون امكان وجود سبب للشقاق. فدائماكانت قوة الفرنجة مثيرة لشكوك البيزنطيين والرومان، ومن هنا كان المثل اليونانى " إذا كان الافرنجى صديقك، فلن يكون جارك " . انظر: Einhard, The Life of Charlemagne, P.71:
Cf.Also: Bury, I.R.E., Vol II, P. 490 ; Levtchenko, byzance ,P.146.
راجع أيضا: جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى، ص ٣٠؛ حسنين ربيع: العالم البيزنطى، ص ١٢٦، عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص ١١٧-١١٩، ص ٢٩٠.

٣-حسنين ربيع: الدولة البيزنطية، ص ١٣٣.

٤-لهذا فان قوائم الأباطرة فى سجلات روما تسجل شارلمان (شارل العظيم) Carolus Magnus خلفامباشرا لقنسطنطين السادس. أنظر: Zonaras, Annalium, Col. 1352. راجع أيضا: اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية، ص ٢٢١.

عرض على إيرين مشروع زواجهما بحجة توحيد الشرق والغرب مرة أخرى، ولكن هذا المشروع انتهى بالفشل، كما لم تعترف إيرين بشارلمان إمبراطورا (١).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم تكن الخلافة العباسية تفتقر إلى كفاءة وقدرة الحاكم، المتمثلة فى الخليفة هارون الرشيد ورغم أن معاهدة ١٨٣هـ/٧٧٩م نصت على هدنة مدتها أربع سنوات، إلا أن هذا لم يحل دون القيام بنشاط محدود تمثل فى صوائف فى منطقة الحدود فى عامى ١٨٤ هـ/٨٠٠م(٢)، و١٨٥هـ/٨٠١م ، لم يكن لها نتائجحاسمة.(٣).

ولعل هارون قد تعمد تهدئة النشاط العباسى حتى يتفرغ لتنفيذ بعض الأمور التى كانت تشغل باله، ويتحين الفرصة المناسبة ليتخذ قراره بشأنها.ففى الداخل بدأ يتخذ خطوات فعالة للتخلص من نفوذ البرامكة(٤)وفى الخارج اتخذ هارون واحدامن أقوى المواقف التى تحسب له،إذ اعترف بالأغالبه أمراء مستقلين لشئون تونس(أفريقيا)

١-يشير المؤرخ ثيوفان إلى أن إيرين هى التى أرسلت سفراء لطلب هذا الزواج، بينما يذكر كدرينوس أن شارلمان كان البادىء بهذا. وعلى أى حال فإن هذا الزواج لم يتم. كما تذكر هذه المصادر أنه أثناء بحث أمر هذا الزواج فى القسطنطينية، قام نقفور بثورته وتم خلع ايرين لعدم رضاء المسئولين عنها، والذى بلغ ذروته فى اكتوبر عام ٨٠٢م/شوال من عام ١٨٦هـ. انظر : Theophanes Chronographia, Cols. 956-957, Cedrenus, Historiarum, Col. 909; Zonaras, Annalium, col. 1353.

٢-خرجت صائفتان فى هذا العام، الأولى بقيادة صالح بن بيهس الكلابى، والثانية بقيادة أحمد بن هارون الشيبانى. انظر خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٧٣١.

٣-ينفرد اليعقوبى بهذه الصائفة، بينما ينفى خليفة بن خياط وجود صوائف فى هذه السنة. ولعل الصائفتان اللتان ذكرهما ابن خياط فى العام السابق كانتا موزعتين على هاتين السنتين. انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٦١، خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص ٧٣٢.

٤-تذكر المصادر العربية أن هارون انقلب على البرامكة وقتل جعفر بن خالد بن برمك فى ١٨٥ هـ/ ٨٠١م، بعد أن استمر وجود هذه الأسرة سبع عشرة سنة من ١٧٠ هـ إلى ١٨٧هـ (٧٨٦ – ٨٠٢)م) انتقلت فيها سلطة الحكم من العرب إلى الفرس .انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ ٨، ، ص ٢٨٧، النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٢، ص ١٣٥، البلخى: البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص ١٠٤-١٠٧؛ راجع أيضا: جمال الدين سرور: الحياة السياسية، ص ٢١٩، السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ ٣، ص ١٣٣–١٤٠، محمد بديع شريف:الصراع بين الموالى والعرب، القاهرة ١٩٥٤، ص ٤٠، ص ٥١-٥٢.

ولكن فى إطار التبعية الإسمية للخلافة العباسية (١)، بل ونجح فى جعلهم وسيلة لتأديب البربر الخارجين على الخلافة العباسية، وجعل منهم قوة تقف فى مواجهة دولة الأدارسة فى فاس(٢).

وفى ٣١ اكتوبر ٨٠٢م/آخر شـــوال ١٨٦هـ - وبينما إيرين تعانى المرض- تزعم نقفور المســئول عن الخــزانة، ومعه ســبعة من الخصــيان، ثورة أجــبرت إيرين على التنازل(٣). وفى اليوم التـــالى تُوج نقفور إمبراطــورا(٤)، وتمـــكن من الحصــــول على الكــنوز التـــى أخــــفتها إيـــرين،

١-حكمت دولة الأغالبة تونس طوال القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى، وأسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى، وأعترف الرشيد بإمارته فى ١٨٤هـ/٨٠٠م.
أنظر: لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث، الدار البيضاء ١٩٦٤م، ص١٤-١٩، ص١٠٩-١٢١؛ راجع أيضا سيديو: تاريخ العرب العام، ص ١٨٩؛ شارل جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس ١٩٧٨م، جـ٢، ص ٦٠-٦١ ؛السيد عبد العزيز سالم، جـ٢ ، العصر الاسلامى دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، الإسكندرية (مطبعة محرم بك) ١٩٦٦م، ص ٣٧٢؛ جمال الدين الشيال: تاريخ الدولة العباسية، الاسكندرية ١٩٦٧، ص٦٥.

٢-أسس هذه الدولة ادريس بن عبد الله بن الحسن، الذى كان قد هرب إلى بلدة وليلى فى ١٧٢ هـ/ ٧٨٨م وبايعة بربر اوربا بالأمامة وكون دولة شيعية ضمت قبائل عديدة أخرى. وكان يهدف إلى فصل المغرب عن بقية العالم الأسلامى وتهديد الخلافة العباسية أيضا. أنظر: لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ١٢١؛ راجع أيضا: أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٥١-٥٢، جمال الدين الشيال: تاريخ الدولة العباسية، ص ٦٢-٦٤؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص ٣٧٤.

٣-كان نقفور يحمل لقب بطريق، كما كان عضوابمجلس السناتو، وشغل وظائف هامة أخرى كان آخرها مسئولية المالية فى الامبراطورية. وقد ساعده الخصيان الذين أعتبرتهم إيرين من مساعديها . انظر: Theophanes, Chronographia, Col.957, ويحدد همرتولس أسماء الخصيان السبعة.انظر : Georgius, Hamartolus,Chronicon, Cols, 968-9. Cf.Also: Guilland, Patrices, P. 331; Finlay, Byzantine Empire, P.80.

٤-لا يذكر المؤرخ سعيد بن البطريق أن حكم نقفور يأتى بعد حكم إيرين، بل يتخطى فترة حكمها ذاكرا أن نقفور خلف ليو ابن قنسطنطين السادس. ولعل المؤرخ ذكر هذا عمدا، وهو الاتجاه الذى أخذت به البابوية وغرب أوربا، والذى يرى أن الإمبراطورية الرومانية لا يمكن أن تحكمها أمرأة ويؤيد هذا القول أيضاً المؤرخ ابن خلدون. انظر سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع، ص ٥١، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص ٤٧٨. ويضيف المؤرخ اليونانى زوناراس أن وجود امرأة على عرش بيزنطة اتخذ حجة لتبرير تتويج شارل العظيم انظر: Zonaras, Annalium, Col. 1352; Cf.Also: Bury, E.R.E., P.4.

وذلك بمساعدة الابن الضرير قنسطنطين السادس(١). ولم يكن من السهل تأجيل تلك الثورة، التى عجلها الرفض الشعبى لسياسة ايرين. فلم تكن طموحاتها الشخصية فقط هى سبب هذا الانهيار. بل كان الناس كذلك هم الذين قرروا التخلص من حاكم ضعيف عاجز سيؤدى استمرار وجوده على العرش إلى كارثة قومية(٢). وتوفيت ايرين بعد أقل من عام لتطوى صفحة من صفحات التاريخ البيزنطى، فانتهى بذلك حكم واحدة من أهم الأسر التى حكمت بيزنطة،هى الأسرة الأيسورية، التى حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الإمبراطورية ضد العرب والبلغار، وغرس حياة جديدة فى التنظيم والإدارة. وقد انتهت على نحو غير كريم بعد عامين من التنصيب الإمبراطورى لشارل العظيم، ولينتهى أيضا البيت الأيسورى بعد حوالى خمسة وثمانين عاما، وتبدأ فترة اضطراب اعتلى فيها الحكم أباطرة تميزت عهودهم بالقصر واندلاع الثورات(٣).

كان اعتلاء نقفور للعرش فى عام ٨٠٢ م / ١٨٦ هـ (٤). وقد أجمعت المصادر على أنه كان من أصل عربى، وأن أسرته كانت تسكن دائما منطقة قبادوقيا فى آسيا الصغرى(٥). ولعل

١-وافق نقفور على الاستجابة لطلب ايرين ابقاءها فى قصر الاثيوريان Eutherian شريطة أن تدله على خزائن أموال الإمبراطورية التى كانت مخبأة منذ عهد ليو الثالث الأيسورى وقنسطنطين الخامس. وفى هذا السياق يذكرالمؤرخ كدرينوس أن نقفور أفرج عن الإمبراطور قنسطنطين السادس ليس بدافع الرحمة وإنما بدافع الطمع، حتى يستعين به فى معرفة أماكن هذه الكنوز، فقد سبق له أن شاهدها قبل أن تسمل عيناه، كما يضيف همرتولس أن الكنوز كانت موزعة على عدد من قصور القسطنطينية. Cedrenus, Historiarum, Col. 912; Georgius ,Hamartolus Chronicon 972; Zonaras, Annalium, 1355; Cf. Also: Finlay Byzantine Empire, pp. 87-88. وبعد أن حصل نقفور على الكنوز أحس بأنه مكروه، وخشى نشوب ثورة ضده لمصلحة إيرين ولذلك نقل منفى ايرين إلى مكان بعيد وشدد الحراسة عليها، متراجعا عن وعده السابق لها. وقد آثار هذا العمل اشمئزاز ايرين وأعلنت عن هذا له. انظر: Thoephanes, Chronographia, Col.965; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 972; Zonaras Annalium, Cols. 1353;-5 Cedrenus, Histroiarum, Cols. 912-916. راجع أيضا الملحق رقم ٨ من البحث.

٢- Bury, E.R.E., P.1.

٣- Bury, E.R.E., P.1; Oman, Dark Ages, p. 320.

٤-بالتحديد فى نوفمبر/ ذى القعدة. انظر: Michel Le Syrien,Chronique, Tome III,p. 115.

٥- طبقا لتاريخ الطبرى يرجع نقفور إلى أصل عربى، وكان أحد اسلافه قد هاجر إلى احدى =

هذه الحقيقة تعكس صحة المقولة التى تذكر أنه لم هناك حقد عنصرى بين العرب والبيزنطيين فى تلك الفترة التى يتصدى لها البحث، رغم هذه السلسة من أعمال الصراع البيزنطى الإسلامى.

كانت ثورة نقفور ذات طابع مختلف عن معظم الثورات السابقة، التى تزعمها عادة قادة عسكريون، بينما لم يكن نقفور سوى مسئول عن مالية البلاد. ولعل هذا كان له أثره فى سياسة بيزنطة الخارجية بصفة عامة، وفى العلاقات مع العباسيين بصفة خاصة، كما سيتضح فيما يلى. فقد اتخذ نقفور خطوات هامة لتطوير النظام الدفاعى للإمبراطورية(١)، وربط بين النظام المالى الذى أدخله وهو النظام الجماعى فى الضرائب، وبين نظام الخدمة العسكرية، مما كان له أكبر الأثر فى زيادة عدد جنود الجيش البيزنطى(٢). هذا، بالإضافة إلى أنه طور نظام الفرق

= ولايات آسيا الصغرى. ويضيف المؤرخون السريان والأرمن أنه سليل الملك العربى جبله الغسانى الذى استقر فى بيسيديا Pisidia بالقرب من شرق انطاكية، واعتنق الإسلام فى عهد الإمبراطور هرقل، ثم هرب إلى قبادوقيا واعتنق المسيحية مرة أخرى، وتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية. وقد ولد نقفور فى سيلوقيا Seleucia من نفس المقاطعة. ولعل هذه المنطقة التى ولد بها قد أوحت لبعض المؤرخين -الذين اتخذوا منه موقفا معاديا بسبب خلافهم معه حول موضوع عبادة الصور التى عارضها -مثل ثيوفان وهمرتولس أن يطلقوا عليه اسم راعى الخنازير انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٧؛ راجع أيضا: Michel Le syrien, Chronique,Tome III,p.12;Bar Hebraeus,The Chronography,p.120; Theophanes, Chronographia, Col.961;Georgius Hamartolus,Chronicon,Col. 969.

١- كان هذا النظام يعتمد منذ القرن السابع الميلادى/ الأول الهجرى على الاقطاعات الزراعية العسكرية، التى تحدد أساس الثروة الاقتصادية للجندى بما لايقل عن أربعة دنانير ذهبية. بمعنى أن كل فلاح يملك هذه القيمة يكلف بالمهام العسكرية، إذ يكون قادرا على تدبير احتياجات الخدمة المعروفة. ولما كان عدد الجنود الفلاحين الذين يملكون هذه الكمية من الذهب صغيرا، فقد أصبحت الإمبراطورية فى حاجة لحل مشكلة نقص الجنود. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 984.

٢-جعل نقفور نظام الخدمة العسكرية ساريا أيضا على الفلاحين الفقراء الذين تقل قيمة أراضيهم عن الأربعة دنانير ذهبية، كما طبق نظام التضامن الجماعى فى القرية الواحدة حتى يتم تغطية تكاليف تجهيزها العسكرى. ويذكر المؤرخ اليونانى زوناراس تفاصيل هذا النظام. انظر: Zonaras Annalium, Cols. 1357- 1360; Cf. Also: Ostrogorsky, Byz State, p. 169; Jenkins, The Imperial, p.119 راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا فى العصور الوسطى، ص٤٠٩.

الخاصة بالحرس الإمبراطورى (التاجماتا)، وأضاف إليها فرقة جديدة هى فرقة الهيكاناتى Hicanati (١). وقد بات واضحا أن نقفور يبذل جهودا شاقة سواء لإعادة النظام إلى دولته المضطربة، أو لاصلاح حالة الفقر التى كانت تعانيها الخزانة حتى لو اضطر من أجل هذا إلى الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة(٢). وانشغل نقفور باخماد ثورة هددت عرشة فى بداية حكمه، تزعمها واحد من اكفأ قادته هو البطريق باردانيس تروكوسBardans Turcus(٣). وقد ذاعت شهرته نظرا لأنه أبلى بلاء حسنا فى مواجهة الهجمات العباسية،حين ندرت هذه النماذج منذ حركة التصفية التى قامت بها إيرين.ونخص بالذكر هنا الرواية التى ذكرها المؤرخ المجهول صاحب صلة ثيوفان، ومفادها أن باردانيس قد نجح فى صد هجوم عباسى بقيادة القاسم ابن الرشيد وعبد الملك بن صالح فى٨٠٢م/١٨٧هـ،كما نجح فى الحصول على بعض الغنائم التى وزعها بالتساوى على جنوده، الذين استحسنوا فيه العدالة والاحترام والقيادة (٤).

١- فاصبح عددها أربع بدلا من ثلاث. انظر:.Bury, Administrative, pp.50-63

٢- قام نقفور بالفعل بحرمان الأديرة من الحصانات والامتيازات التى حصلت عليها فى عهد ايرين، وكان لساسته الماليه تجاه رجال الدين اكبر الأثر فى نسج قصص تُدينّه حتى أسيىء إلى سمعته بشكل لم يتعرض له أباطرة آخرون، ارتكبوا أفظع مما ارتكب نقفور نفسه. انظر:,Theophanes, Chronographia, Cols. 956-957; Zonaras, Annalium, Col. 1357;Cf. Also: Finlay, Byzantine Empire, p.87.

٣-كان قائدا للثيم التراقى منذ عهد الإمبراطورة ايرين، ويعرف أنه من أصل أرمينى. ولكن المؤرخ الانجليزى بيورى يقول إنه لايعرف كيف جاء الاشتقاق التركى (توركوس). انظر ,Theophanes, Chronographia, Col. 953; Cf.Also: Guilland, patrices, pp.339-340; Bury, E.R.E., PP. 10-11.

٤-كما كان يعتبر نفسه واحدا من الجنود لايتميز عنهم. يقول صاحب الصلة إنه كان دائم القول: " إن المقاتل يجب أن يحصل على معظم الغنائم " انظر: ,Theophanes, Continuatus, Historia, Ed. Migne, Patrologia, Graeca, tome. CIX, paris, 1863, Cols. 20-21. وللمزيد من التفاصيل انظر: ,Theophanes,Chronographia, Col.964; Genesius, Historia De Rebus Constantinopolitanis, Ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome CIX, paris 1863, Col. 995; Cf. Also: Hirsh, F., Byzantinische Studien, Amsterdam 1965,p. 189.

وقد منح سلطات استثنائية، إذ تولى قيادة الفرق العسكرية للثيمات الخمسة الكبرى(١).

وإذا كانت آراء المؤرخين اليونانيين قد اختلفت بشأن نزعة الطموح عند بردانيس توركوس، سعيا إلى اغتصاب العرش(٢)، فمن الثابت أن هذا الثائر قد تفاعل مع شعور الاستياء الذي ساد البيزنطيين نتيجة للسياسة المالية للإمبراطور نقفور، بل تعاطف الكثيرون مع باردانيس توركوس كإمبراطور، خاصة وأن نقفور لم يكن له اسم لامع قبل الوصول إلى العرش(٣). كما ساعده في ثورته عدد من الشباب المتفانين في خدمته، احتضنهم باردانيس ومنهم توماس السلافي، وليو الأرميني، وميخائيل العموري(٤).

وعلى الرغم من عنف البداية التي استهلت بها الثورة أحداثها بعد أن تقدم جيش باردانيس على الطريق إلى نيقوميديا(٥)، واضطرار نقفور إلى استخدام أسلوب

١-لذلك تلقب بلقب مونستراتيجوس Monastrategos أي القائد الأعلى للثيمات الخمسة الكبرى في آسيا الصغرى وكانت الأناضول، والأرميني، والأوبسيكيون، والتراقي، والسيكلاريون. أنظر Thephanes, Chronographia, col. 964' Thephanes, Continuatus, Historia, Col.20,cf. also: Ostrogorsky, Byz. State, P. 173' Guilland, Patrices, PP. 339-340.

٢-اختلط الأمر عند المؤرخين اليونانيين في هذا الشأن فمثلاً يذكر همرتولس أن الثيمات قد اختارته إمبراطوراً على غير رغبة منه. بينما يقول زوناراس أنه لا يعرف أن كان قد نودي به إمبراطوراً راضياً أم مرغماً. وفي موضع آخر من نفس مؤلفه يقول إنه كان يتحرق شوقاً للحكم، ولكن من المؤكد أن الأمل كان يداعبه لتولي عرش الإمبراطورية. انظر: Georgius Hamartouls, Chronicon, Col. 972; Zonaras, Annalium, cols.1355, 1369; Cedrenus, Historiarum, Col. 916.

٣- Thephanes, Chronographia, cols. 960-961; Cf. Also: Bury, E.R.E., P.212; Finlay, Byzantine Empire, P.87,P.91.

٤-لم يكن لأحد منهم شهرة آنذاك. ولكن يذكر أن عرافاً يدعى فيلوميليان Philomelian قد تنبأ لهم جميعاً نبوءات تحققت. فبالنسبة لباردانيس تنبأ بفشل ثورته، ولتوماس تنبأ بأنه سيعلن إمبراطوراً ولكن لن يستمر، وللآخرين تنبأ بأنهما سيحكمان الإمبراطورية. أنظر: Theophanes,Cont, Historia, cols 20-21; enesius, Rebus, Cols 996-997; Zonaras, Annalium, col. 1369; Monasses, Compendium, cols. 392-393. أما علاقة باردانيس بهؤلاء الشباب، فقد كانت في اطار ظاهرة جديدة سادت بيزنطة ابتداء من هذا القرن، وتتعلق بظهور السادة ذوي النفوذ فيها. انظر: وسام عبد العزيز فرج: الاتباع والسادة "دراسة ظاهرة التبعية الشخصية في العصر البيزنطي الأوسط" مقال في كتاب دراسات في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، الإسكندرية ١٩٨٥م، ص٢٤٨.

٥- Thephanes Cont,Historia, col.21.

الإغراء لوقف هذا التقدم نظرا لأنه كان يدرك أنه لايملك -فى ذلك الوقت- القوة الكافية لمواجهة هذه الثورة، فقد كانت جبهات المسلمين والبلغار مفتوحة، إلا أن الموازين تغيرت لصالح الإمبراطور نقفور. فقد تخلى عن الثائر باردانيس كبار مساعديه، إذ انضم ليو وميخائيل إلى الإمبراطور(١). أما توماس فقد بقى مع سيده الثائر(٢). كذلك فشل بردانيس فى السيطرعلى الساحل المقابل للعاصمة الذى كان يريد أن يجعل منه قاعدة لعملياته ضد القسطنطينية وذلك بسبب عدم ترحيب سكان المنطقة به، وتخليهم عنه بعد أن تخلى عنه كبار مساعديه، وكذلك بسبب روح الانهيار التى دبت بين صفوف جيشه. إزاء كل هذا لم يكن أمامه سوى التفاوض مع الإمبراطور لإنقاذ نفسه(٣).

١- Theophanes Cont, Historia, Col. 24; Cedrenus, Historiarum Col. 916 وقد كافأ الإمبراطور كل من ليو وميخائيل بأعلى المناصب، كما منح كليهما هدية كانت عبارة عن منزل فى القسطنطينية.

٢- Theophanes Cont, Historia, Col. 24; Cedrenus, Historiarum, Col. 916. ويعتقد أن توماس الذى شارك باردانيس ثورته هرب من نقفور إلى المسلمين فيما بين عامى ٨٠٢و ٨٠٤م/١٨٧و١٨٩هـ. وقد رحب به هارون. وهناك رواية تذكر أن توماس أخبر الخليفة أنه ابن الإمبراطور قنسطنطين، ورغم عدم اقتناع هارون بهذا القول، إلا أنه أكرم وفادته على أساس أنه ابن إمبراطور. انظر: Bar Habraeus, The Chronography, p. 121. ويضيف ميشيل السريانى لهذه الرواية -التى يذكرها أيضا- ما يفيد أن توماس طلب من هارون الرشيد أن يعطيه جيشا يستولى به على عرش الإمبراطورية البيزنطية، ولكنه لم يستجب له، بينما تم استدعاؤه فى عهد المأمون الذى لبى طلبه. ويحددالسريانى الهدف من ذلك بأنه إما للاستيلاء على بيزنطة وتسليمها إليه بعد ذلك، وإما لانها كلها فى الحرب ولعل الرأى الأخير هو الأقرب إلى الصواب. انظر Michel Le Syrien, Chronique Tome, III, p. 37. ولعل عدم اقتناع هارون بتوماس وبكفاءته قد جعله لايتحمس له بعكس المأمون. والأرجح أن هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف ظروف الخلافة فى عهديهما. للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر: وديع فتحى عبد الله : ثيوفليوس، ص٦٦-٦٨؛ راجع أيضا: Michel Le syrien Chronique, Tome III, p. 37 Cedrenus, Historiarum, Cols. 958- 963.

٣-أرسل الإمبراطور له تأمينا مكتوبا لحياته، وقعه البطريرك تاراسيوس وأعضاء مجلس السناتو. ولكن الإمبراطور لم يطمئن إلا بعد أن تخلص منه بسمل عينيه. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 964; Theophanes Cont, Historia, Col. 24; Cedrenus, Historiarum, Cols. 912-916.

وهكذا نجح الإمبراطور نقفور فى القضاء على هذه الثورة التى استمرت حوالى شهرين(١)، مجتازا بذلك أزمة صعبة. بل إنه كسب عطف الشعب بعد تغلبه على هذه الثورة(٢)، وإن لم ينجح فى كسب عطف الذين أرخوا له (٣) .

ولاشك أن هارون أحسن استغلال فرصة انشغال نقفور بمواجهة تمرد باردانيس تمشيا مع السياسة العامة للدولتين الكبيرتين فى مثل هذه الظروف، فشن هجوما على آسيا الصغرى إذ أرسل ابنه القاسم على رأس صائفة فى شعبان من عام ١٨٧هـ/ يونيو عام ٨٠٣م(٤)، فدخل من درب الصفصاف إلى قبادوقيا، ووصل إلى حصن قرة وحاصره(٥). ومن قرة أرسل قائدا يدعى العباس بن جعفر بن الاشعث فحاصر حصن سنان(٦). وأحكم القاسم حصاره حول الحصنين، وحرم سكانهما من المياه والطعام حتى ساءت حالتهم(٧).

ورغم أن نقفور أشرف بنفسه على قيادة قوات آسيا الصغرى، لأنه لم يكن يثق فى أى قائد باعطائه قيادة جيش كبير مثل جيش آسيا الصغرى، وذلك بعد أحداث ثورة باردانيس.إلا أن هذا لم يحل دون تفوق الجيش العباسى بقيادة القاسم. ولعل ذلك يعزى إلى انشغال نقفور عن المسلمين بتلك الثورة. ولذا أرسل إلى القاسم طالبا الصلح وانسحاب المسلمين مقابل الافراج عن بعض الأسرى المسلمين. واستجاب القاسم لهذا.

١- Theophanes Cont, Historia, Col. 24.

٢- فقد أيقن الشعب أن نقفور جدير بالعرش. ويذكر أن الإمبراطور استفاد من هذه الفرصة وجعل ابنه ستاوراكيوس إمبراطورا مشاركا له فى ديسمبر ٨٠٣م/ محرم ١٨٨هـ. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 965.

٣- سبب ذلك معارضته لعبادة الأيقونات، واغتصابه العرش من إيرين، تلك الإمبراطورة التى أيدت عبادة الأيقونات فأيدها هؤلاء المؤرخون الذين اجمعوا على افتقار نقفور النبل ورجاحة العقل، وصفات أخرى كثيرة اتصف بها لاتليق بإمبراطور بيزنطى. انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 976; Cedrenus, Historiarum, Col. 916; Zonaras, Annalium, Col. 1357.

٤- صحبه فى هذه الصائفة عبد الملك بن صالح الهاشمى، وابراهيم بن عثمان بن نهيك انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١.

٥- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٧ ؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٨٤. وعن نشاط هذا العام انظر الخريطة رقم(١٢).

٦- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦ ،ص١٨٤.

٧-ابن خلدون: العبر، ص٤٧٨؛ راجع أيضا: Theophanes, Chronographia, Col. 965

وأفرج البيزنطيون عن ثلاثمائة وعشرين أسيرا مسلما(١). ويقول المؤرخ ابن خلدون عن هذا الفداء أنه أصبح لا يوجد في أرض البيزنطيين مسلم إلا وفُدى به (٢). كذلك يرى أحد المؤرخين المحدثين أن القاسم رفع حصاره بسبب صعوبة موقف جيشه، إذ كان يعاني من نقص المياه والطعام، وليس بسبب ما عرضه نقفور(٣). ويرى الباحث أن عرض نقفور للصلح من ناحية، ونقص موارد جيش القاسم من ناحية أخرى، قد دفعا القاسم لرفع حصاره عن الحصنين. وبعبارة أخرى، لايمكن اغفال أحد هذين السببين. فلم يكن عدد الأسرى الذين فودى بهم قليلا حتى يتساهل في رفع الحصار، كما لم يكن موقفه العسكري طيبا حتى يستكمل ما بدأه.

ويذكر للخليفة هارون قدرته على المضي بسياسته الداخلية والخارجية قدما بشكل متوازن دون أن يهتم بجانب على حساب الجانب الآخر. فبينما واصل شن هجماته على بيزنطة، تصدى أيضا لعدد من المشاكل الداخلية. ففي ١٨٧هـ/٨٠٢م تمكن من إخماد العصبية بين المضرية واليمانية(٤)، كما تمكن في نفس العام من القضاء على ثورة الوليد بن طريف بشاري الشيباني، الذي عاث فسادا في مناطق أرمينيا وأذربيجان(٥). ثم نجح في عام ١٨٧هـ/٨٠٣م في التخلص من البرامكة(٦)، فأعاد الاعتبار بذلك للعنصر العربي، ولكنه في الوقت ذاته خسر عناصر ماهرة كانت تتولى عنه شئون البلاد سواء في الإدارة أو في الحرب،

١-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٣٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص١٥٤؛ الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٧؛ ابن خلدون: العبر، ص٤٧٨؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٤٨-١٤٩. هذا، بينما يقول المؤرخ الحميري إن الأسرى المفرج عنهم لايتجاوز عددهم ثلاثمائة أسير. انظر: الحميري : الروض المعطار، ص٤٥٦.

٢-ابن خلدون: العبر، ص٤٧٩.

٣-يذكر أن هذه الصائفة كانت في فصل الصيف، ولذلك عانت بسبب ارتفاع درجة حرارة الجو. انظر: Brooks, The Struggle, C.M.H., Vol IV, 1936, p. 126

٤-الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٢.

٥-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٥١.

٦-المسعودي: مروج الذهب، المجلد٣، ص٣٧٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص١٨٩؛ ذي النسبيين: النبراس، ص٤٢؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص١٦١-١٦٤. • راجع أيضا: أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ص١٣٥-١٦٠؛ محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسة، ص٢١٧-٢٢١.

فاضطر إلى أن يتولى ذلك بنفسه(١).

ولم يكد يمضـــى وقت طويل منذ اعتلاء نقفور العرش، حتى رفض مواصلة دفع الجزية المفروضة علـــى إيرين إلى هارون وفقا للمعاهـدة التى كـــانت قد عقـدت بين الطرفين وأرسل خطابا بهذا المعنى إلى هارون. ورغم أن المصادر اليونانية لاتذكر شيئا عن موضـــوع هذا الخطاب،إلا أن المصـــادر الإسلامية تتفق على ماجاء به وبعبارة أخـــرى، فهى تتفق على أن الحـــرب استؤنفت - بعنف - بين البيزنطيين والمســـلمين بسبب رفض نقفور مواصـــلة دفع الجزية بالشكل الذى بينه فى خـــطابه(٢).فقد كتب نقفور:"من نقفور ملك الروم إلى الرشـــيد ملك العرب.أما بعد، فان الملكة التى كانت قبلى أقـــامتك مقام الرخ(٣)، وأقامت نفســـها مقام البيدق(٤)، فحـــملت إليك مـــن أمـــوالها ما كـــنت حـــقيقا بحـــمل أمثالها إليهـــا(٥)

١- المؤلف المجهول: العيون والحدائق، ص٣٠٦؛ راجع أيضا: محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية، ص ٢٢٠.

٢-اعتمد الباحث على الطبرى فى نقل صيغة الخطاب، لأنه قريب زمنيا من تلك الأحداث وقد ورد هذا الخطاب عند مؤرخين آخرين، ولكن مع وجود اختلافات بسيطة لاتؤثر فى معنى الخطاب. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٧.

٣-" فإن هذه المرأة كانت قبلى وضعتك وإياك وأخاك موضع الملوك ". عند الأصفهانى والنويرى. انظر: الأصفهانى: كتاب الأغانى، جـ١٨، ص٢٣٩ ؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٤٨-١٤٩، ص١٥٣. أما عن الرخ فهو طائر فى جزر بحر الصين، يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع. وفى قول آخر أنه قطعة من أدوات الشطرنج الكبار. فالمعنى الأول كناية عن القوة والعظمة، والثانى يرمز إلى القطعة التى تمثل الملك، كناية عن الملوك. وهو المعنى الذى سبق أن ذكره الأصفهانى والنويرى. ولعل الخلاف فى بعض كلمات نص الخطاب من مؤرخ لآخر يرجع إلى حرص بعضهم على التصرف بوضع كلمات بديلة أكثر وضوحا. انظر: الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، ص٥٢٤.

٤- السوقة عند النويرى، وهى نفس معنى البيدق. انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٤٨-١٤٩، ص١٥٣. والبيدق (بالدال) لفظ معرب معناه من أدوات الشطرنج الصغار. أما البيذق (بالذال) فقد أوردها البعض الآخر. انظر: القلقشندى: صبح الأعشى، ص١٩٢؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٩. والبيذق كلمة فارسية معربة جمعها بياذق وبياذقة، أى الرجالة فى الحرب من غير الفرسان. وهى هنا كناية عن السوقة كما أوردها النويرى. انظر: حسنين ربيع: تاريخ الدولة البيزنطية، هـ٢ ص١٣٥.

٥-" أضعافه لها " عند النويرى. انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٤٨-١٤٩.

لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن(١). فاذا قرأت كتابى فاردد ماحصل قبلك من أموالها(٢)، واقتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".

ويشير المؤرخ ابن العبرى إلى هذا الخطاب بقوله:" وفور أن تولى نقفور الحكم أرسل خطابات إلى هارون، ودعاه إلى الحرب، واستعد كلاهما للحرب "(٣)، موضحا أن نقفور أرسل خطابات يدعوه فيها إلى الحرب. والحقيقة أنهما خطابان : واحد ترتبت عليه الحرب ، والثانى بخصوص احدى الجوارى، كما سنشير بعد ذلك. ولم يكن نقفور -كما يذكر المؤرخ ابن العبرى- يقصد بهذا الخطاب اعلان الحرب، بل كان يريد استرداد الأموال التى دفعتها إيرن لهارون. ويرى الباحث أن نقفور لو علم أن هذا الخطاب سيجلب عليه نقمة الحرب لما أرسله. ومن الواضح أن وظيفة نقفور السابقة كمسئول عن المالية قد غلبت على سياسته الإمبراطورية، التى تركزت على اصلاح انهيار الاقتصاد المالى للبلاد. ولكن لسوء حظه أنه افتقر إلى الحنكة السياسية، وبعد النظر، وسوء تقدير قوة الخصم. وبعبارة أخرى أساء نقفور تقدير وفهم خصمه الخليفة العباسى هارون الرشيد، الذى رد على هذا الخطاب بأعنف منه.

ويقال إن هارون حينما قرأ هذا الخطاب سيطر عليه الغضب حتى خشاه الحاضرون، وأمر بدواة وكتب على ظهر الخطاب(٤):

"بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين(٥)

١- "وانى واضعك بغير ذلك الموضع، وعامل على تطرق بلادك، والهجوم على أمصارك، أو تؤدى إلى ما كانت المرأة تؤديه إليك" . عند النويرى: انظر: النويرى نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٣.

٢- " اردد ماحصل لك من أموالها"، عند النويرى. انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٤٨-١٤٩.

٣- Bar Hebraeus, The Chronography, p.121.

٤-ورد نص هذا الخطاب عند مجموعة من المؤرخين. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٨؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ص٣٠٩-٣١٠، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ١، ص١٩٢.

٥- عند الأصفهانى "من عبد الله هارون" انظر: الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨ ص٢٣٩.

إلى نقفور كلب الروم(١)، أما بعد، فقد قرأت كتابك(٢)، يابن الكافرة، والجواب ماتراه لا ماتسمعه. والسلام".

لقد كان رد الفعل سريعا إذ ارسل هارون صائفة ضخمة فى جمادى الأولى من عام ١٨٨هـ/ابريل ٨٠٤(٣)، بقيادة ابنه القاسم الذى كلف بها القائد ابراهيم بن جبريل. فعبر بوابات قيليقيا، ودخل قبادوقيا متجها إلى الحدود البيزنطية. فتحرك الإمبراطور نقفور إلى كراسوس Crasos فى فريجيا فى الأناضول لمواجهة هذا الجيش(٤) وكان ذلك فى أغسطس/أواخر شعبان وتقابل الجيشان البيزنطى والعباسى، ولكن انهزم نقفور، وفقد الكثير من رجاله، بل وكاد أن يقع فى الأسر. ويقال إنه كاد أن يقتل، لولا شجاعة رجاله الذين أنقذوه ؛ وذلك وفق رواية المؤرخ البيزنطى ثيوفان(٥). أما المصادر العربية فتمدنا بعدد قتلى الجيش البيزنطى، وتقول إنهم أربعون ألفا وسبعمائة. ورغم الاتفاق على ضخامة خسائر جيش نقفور، إلا أن هذا الرقم فيه مبالغة. كما تقول ان القائد إبراهيم بن جبريل قد استولى على أربعة آلاف دابة. كذلك

١- عند ابن العبرى "... إلى نقفور زعيم الروم ..." فقد حذف وصف نقفور بأنه (كلب) وحل محلها (زعيم). ولعل تفسير ذلك هو أن ابن العبرى، الذى ظل من أحبار الكنيسة حتى وصل إلى منصب رئيس الكنائس اليعقوبية فى الشرق عام ١٢٦٤م/٦٦٣هـ، قد تعمد حذف هذه الإهانة. ويذكر فى هذا المجال أيضا أن المؤرخ ميشيل السريانى لم يذكر هذا الخطاب، واكتفى بإشارة سريعة قائلا " إن نقفور أرسل خطابا إلى هارون، ضايقه به فاستعد للقتال" انظر: ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه الأب أنطون صالحانى اليسوعى، بيروت (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين) ١٩٥٨م، ص١٣١؛ راجع أيضا: محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية، ص٥٢، أيضا: Michel Le Syrien, Chronique, p. 16.

٢-عند الأصفهانى "فهمت كتابك" انظر : الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٣٩.

٣-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣١٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٨٨. كما يقول الأصفهانى أنها ضمت أعدادا ضخمة، وقادة أكفاء. انظر : الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٣٩. راجع أيضا: Brooks, The Struggle, C.M..H., VOL IV, 1936 P.126.

٤-تعرض المؤرخ ابن عذارى لهذه الصائفة. ولكنه يلقب نقفور بلقب بطريق، فى حين أنه وقت هذه الصائفة كان إمبراطورا. انظر ابن عذارى: البيان المغرب، جـ١، ص٩٣-٩٤. وعن ثيم الأناضول انظر الخريطة رقم(١٢).

٥- Theophanes, Chronographia, Col.965; Cf. Also: Finlay Byzantine Empire, p.94.

تشير هذه المصادر إلى أن نقفور جرح ثلاثة جروح(١). ولعل هذا الجرح -الذى أوردته المصادر العربية -يفسر ماذكره ثيوفان عن صعوبة موقف نقفور الذى كاد يقتل فى المعركة. وهذا، بينما يذكر المؤرخ البيزنطى جورج همرتولس أنه تم تسيير هذه الصائفة فى العام الثالث من حكم نقفور، أى ما بين عامى ٨٠٤-٨٠٥م/١٨٨-١٨٩هـ.. كما أنه لايشير إلى تفاصيل هذه المعركة، مكتفيا بقوله : " إن القائد المسلم سار بجيش كبير إلى عمورية". ولعله جعل عمورية هدف هذه الحملة لأنها أهم مدن ثيم الأناضول(٢).

وفى أواخر عام ١٨٨هـ/أواخر ٨٠٤م توغل هارون داخل حدود بيزنطة، وزحف إلى باب هرقلة(٣)، ففتح وخرب أماكن عديدة لم تذكر المصادر أسماءها. وازاء هذا يقول كل من النويرى والأصفهانى إن نقفور أمر قادته بسرعة اقتلاع الأشجار والقائها أمام طريق هارون، واشعال النيران فيها. وبينما يذكر النويرى أن هارون حين وصلها كان أول من لبس ثياب النفاطين فخاضها، ثم تبعه الناس، يقول الأصفهانى إن محمد بن يزيد بن مزيد قائد هارون أول من فعل ذلك(٤). فطلب نقفور المصالحة مقابل غرامة مالية سنوية(٥).

١- الطبرى هو المصدر الذى اعتمد عليه الباحث فى هذه الصائفة. وقد نقلت عنه المصادر العربية الأخرى. غيرأننا لاحظنا أن ابن خلدون لم يشر إلى رواية إصابة نقفور فى هذه المعركة، وأن الذهبى رغم اشارته إلى الإصابة، إلا أنه لم يحدد عدد القتلى، وأشار إلى أنهم كانوا عدة آلوف. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣١٣؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٧٨؛ الذهبى: دول الإسلام، ص١١٩؛ الذهبى: العبر، ص٩٢؛ وللمزيد انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٠؛ الحنبلى: شذرات، ص٣١٩.

٢- Georgius Hamartolus, Chronicon, Col. 973.

٣- من ثغور الشام، وترتبط بطرق تصل بينها وبين حلب . وهى من أهم المعاقل فى منطقة قبادوقيا. وتوجد بجوارها مدينة كيبسترا التى تقع فى مكان كثير المياه، وملئ بالفواكه. انظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٩٩-١٠٠. انظر الخريطة رقم (١٢).

٤- النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٣؛ الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٤٠.

٥-تذكرها المصادر العربية باسم (جزية)، ولكنها لم تحدد مقدارها. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢ص١٤٩.

وقد وافق هارون على ذلك الصلح، ورجع إلى بلاده مكتفيا بما حققه(١). ورغم اجماع المصادر العربية على هذه الرواية، فإن المصادر السريانية لاتذكر حدوث قتال فى هذه المعركة. فيقول ابن العبرى أنه رغم استعداد الجيشين للحرب، فإن عيونهما قد جعلتهما يتوصلان فى النهاية إلى اتفاق -دون حدوث قتال- وتبادل كل من هارون ونقفور الهدايا ثم عاد إلى وطنيهما(٢). ويؤكد ميشيل السريانى هذا، بل ويضيف "أن الطرفين قدامتزجا، وتبادلا التجارة"(٣). والباحث يأخذ بالرواية العربية، فمن المعروف أن هارون سبق أن اتخذ قراره بالحرب -بل وبدأ فيها بقيادة ابنه القاسم -بمجرد أن قرأ خطاب نقفور. ومن ناحية أخرى، لاتوجد أدلة على تبادلهما الهدايا. وكيف يكون بينهما هدايا وقد أثبتت مختلف المصادر البيزنطية والعربية عنف المواجهة بين هارون ونقفور؟ ومن ناحية ثالثة، تخبرنا المصادر العربية بتفاصيل فداء الأسرى الذى سبق الاتفاق عليه بين نقفوروهارون.

فقد حدث فداء كبير للأسرى بين الإمبراطوريةالبيزنطية، والخلافة العباسية فى عام ١٨٩هـ/٨٠٥م فى مدينة اللامس(٤). ومثل الخلافة العباسية فى هذا الفداء خادم الرشيد أبو سليم فرج، وسالم البرلس، مولى بنى العباس، فى حضور ثلاثين ألفا من المرتزقة، وخمسمـــائة ألف شخص من أهل الأمصـــار والثغور، تقدموا بأفضل مالديهم من سلاح وخيل. وقد ضاقت المنطقة بهذه الحشود، حتى حضرت المراكب البيزنطية الحربية حاملة أسرى المسلمين. وبلغ عدد من تم فداؤهم من المســلمين فى اثنى عشر يومـــا ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير، حتى لم يبق ببيزنطة أسرى مسلمون(٥).

١-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٨، راجع أيضا:.Bury, E.R.E., P.250 فقال فى ذلك أبو العتاهية قصيدة مطلعها:

إمام الهُدى أصبحت بالدين معنيا   وأصبحت تسقى كل مستمطر ريا

٢-Bur Hebraeus, The Chronography, p. 121.

٣-Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,p. 16.

٤-وتقع على ساحل البحر المتوسط، وبينها وبين طرسوس حوالى ٥٦كم. وهذا الفداء أول فداء مشهور يتم بها. انظر: المسعودى: التنبيه والاشراف، ص١٨٩؛ راجع أيضا: محمد كرد على: خطط الشام، ص٤١؛ السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢٤. عن موقع نهر اللامس انظر الخريطة رقم(١٢) .

٥-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣١٨؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٦٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥١؛ الذهبى: دول الإسلام، ص٩٢؛ الذهبى: العبر، ص١٢٠؛ ابن خلدون: العبر، ص١٨٩؛ الحنبلى شذرات، ص٣٢١؛ راجع أيضا: محمد كرد على: خطط الشام، ص٤١؛ السيد عبد العزيز سالم، العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢٣- ٢٢٥.

وفى هذا يقول الشاعرمروان بن أبى حفصة(١):

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها ... مجالس ما فيها حميم بزورها

على حين أعيا المسلمين فكاكــها ... وقالوا:سجون المشركين قبورها

اثبتت هذه الأحداث أن بيزنطة كانت تعانى من ضعف الحكام، وافتقارهم إلى المقدرة السياسية، خصوصا فيما يتعلق بمواجهة خصمها التقليدى، وهو الخلافة العباسية. فنقفور الذى رفض مواصلة دفع جزية إيرين، أصبح عليه الان الالتزام بالدفع مرة أخرى بمقتضى اتفاقه مع هارون، على النحو الذى عرضنا له. بل إن نقفور يسئ تقدير المواقف مرة أخرى، معرضا بيزنطة للخطر من جانب هارون الرشيد، وذلك حينما خرق اتفاقيته السابقة مع الخليفة العباسى.

فبعدما تأكد نقفور أن هارون قد وصل إلى الرقة(٢)، بدأ فى نقض العهد.إذ أغار على حصون عين زربة والكنيسة السوداء، وأدنة جنوب آسيا الصغرى فى عام ١٩٠هـ/٨٠٥م، وحصل على غنائم كثيرة(٣).إلا أن حصن المصيصة بحاميته القوية تمكن من استرداد ماغنمه البيزنطيون(٤)، فحاول اعادة بناء بعض الحصون التى تهدمت مثل أنقرة، وربسة، وطــوانة، والصفصاف(٥).كما أرسل جيشا إلى قيليقيا حيث

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣١٨. ونلاحظ أن ابن الأثير الذى يعتمدعلى الطبرى، يذكر هذه الرواية دون هذين البيتين . انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٩٢.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠. بينما يذكر المؤلف المجهول صاحب كتاب العيون أنه وصل إلى الرصافة. انظر: مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣١٠.

٣-ينفرد المؤرخ خليفة بن خياط بذكر أسماء الحصون الثلاثة التى هاجمها نقفور، بينما يذكر الطبرى اسم اثنين فقط هما عين زربة والكنيسة السوداء. انظر : خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٣٦؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠.

٤-الطبرى:تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠.عن مواقع الحصون التى هاجمها نقفور انظر الخريطة رقم(١٠).

٥- Theophanes,Chronographia, Col.965; Michel Le Syrien, Cronique, Tome III,p. 16.

تمكن من الاستيلاء على طرسوس، وأنشأ حامية فى أحد معسكراتها(١). وأخيرا هاجم مرعش، وكبدها خسائر كبيرة(٢)، مستبعدا خطر المسلمين فى ذاك الوقت.

فكان تقدير نقفور أن شدة البرد ستمنع هارون من العودة لمحاربته.كما أن الباحث يؤيد مقولة أن نقفور قد قام بهذا العمل من قبيل محاولة الإعلان عن قوة بيزنطة(٣)، منتهزا فرصة انشغال هارون ببعض الفتن داخل الخلافة العباسية(٤). خشى مستشاروا هارون أن ينقلوا له خبر نقض نقفور للمعاهدة، مثلما خافوا العودة للحرب بسبب ضراوتها. فبذل مستشاروه أموالا للشعراء كى ينظموا أشعارا لإعلام الرشيد بذلك، فأخفقوا ماعدا شاعرا من أهل جدة هو أبو محمد عبد الله بن يوسف، الذى أخذ مائة ألف درهم لقاء قصيدته(٥)، التى من أبياتها:

نقض الذى أعـطيته نقفور	فعليه دائـرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فـــإنه	غنم أتاك به الإله كـــبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا	بالنصرفيه لواؤك المنصور(٦)

فلما سمع هارون الرشيد هذا الشعر قال :"أو قد فعل ذلك نقفور؟"(٧) .

١-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠. راجع أيضا: Michel le Syrien, Chronique ,Tome III, p.16; CF.Also: Brooks, The Struggle, C.M.H., VOL IV,1936,p.126

٢- Cedrenus, Historiarum, Col. 917; Cf. Also: Muir, The Caliphate, p. 478.

٣- الحميرى: الروض المعطار: ص٥٩٢؛ راجع أيضا: السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢٤.

٤-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٣٦؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ص٣٢٠؛ ابن خلدون: العبر، ص٤٨٠.

٥-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٨٥؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٤٩، ص١٥٣؛ الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٣٤٠- ٣٤١.

٦-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٠٨-٣٠٩؛ الحميرى: الروض المعطار، ص٥٩٢، القصيدة كاملة عند النويرى. انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٤-١٥٦. عن أقوال شعراء آخرين فى هذا الصدد انظر: الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٤١.

٧- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣١٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٨٦؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٠؛ الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨ ص٢٤٢.

وازاء ذلك قرر هارون العودة للحدود للانتقام من نقفور، مجهزا مائة وخمسة وثلاثين ألفا من الجند(١)، غير الأتباع والمتطوعة(٢). ويذكر المؤرخ البيزنطى ثيوفان أن هذا الجيش كان ثلاثمائة ألف شخص (٣). والأرجح أن ثيوفان ضمّن هذا العدد مختلف العناصر المشتركة فى هذه الحملة، مثل الأتباع والمتطوعة. ويفيدنا ثيوفان فى هذا المجال بقوله أن هذا الجيش كان من خراسان، والشام، وفلسطين، ليبيا، وغيرها(٤)، مما يعكس مدى اهتمام هارون بهذه الحملة وازكائها بروح الجهاد فى مواجهة غدر نقفور.

ترك هارون ابنه المأمون فى الرقة مفوضا إليه الأمور(٥)، ودخل الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى فى ٢٠من رجب ١٩٠هـ/١١من يونيو ٨٠٦م(٦) وأثناء سيره فتح وأحرق عددا من الحصون حتى وصل إلى مدينة هرقلة الحصينة. وفرض عليها الحصار، ولكن استماتت أهلها فى الدفاع عنها، إذ كان بابها يطل على واد، وخندقها يحيط بها مما جعل اقتحامها عسيرا(٧)، فاستخدم هارون المجانيق والسهام

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١. بينما يقول الحنبلى أن عدد الجيش كان مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا .انظر: الحنبلى:شذارت، ص٣٢٥. يقول الطبرى إن هارون اتخذ قلنسوة مكتوبا عليها "غاز حاج" فقال الشاعر أبو المعالى الكلابى فى ذلك:

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففى أرض العدو على طمرّ وفى أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق من المتخلفين على الأمور

٢-المتطوعة هم المجاهدون تطوعا .انظر:ابن الأثير:الكامل،جـ٦، ص١٩٦؛ الحنبلى: شذرات، ص٣٢٥.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.965; Cedrenus, Historiarum, Col.917.

٤- Theophanes, Chronographia, Col.965. بينما لايذكر كدرينوس هذه المناطق. انظر: Cedrenus, Historiarum,Col. 917.

٥-يقول الطبرى إن هارون كتب إلى الآفاق بالسمع للمأمون وطاعته، كما دفع إليه خاتم المنصور يتيمن به، وهو خاتمة الخاص، وقد نقش عليه "الله ثقتى .آمنت به". انظر الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ النويرى: نهاية الأرب ، جـ٢٢، ص١٥١؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣١٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٧٩.

٦-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠.

٧-النويرى:نهاية الأرب،جـ٢٢،ص١٥٥؛الأصفهانى:الأغانى،جـ١٨، ص٢٤٢. انظر الخريطة رقم (١٢).

والعرادات(١). وتذكر المصادر العربية رواية تصف مبارزة قامت بين فارسين أحدهما عباس والثانى بيزنطى(٢)، انتهت بانتصار الأول، فتحمس المسلمون لتشديد حصارهم، بينما انخذل البيزنطيون وبادروا بغلق باب المدينة. فأمر هارون قادته بوضع الكبريت والنفط الأبيض على الحجارة ولفها بالمشاقة(٣)، واشعالها ثم وضعها فى كفة المنجنيق، والقائها على سور هرقلة. فكانت النار تلتصق به وتأخذ حجارته حتى تصدع فلما أحاطت النيران بالمدينة قام الأهالى بفتح الباب طالبين الأمان(٤). فدخلها هارون فى شوال ١٩٠هـ/أخرأغسطس٨٠٦م، بعد حصار دام ثلاثين يوما(٥)، وسبى حوالى ستة عشر ألف شخص(٦)، وغنم ما فيها من خيرات خاصة وأنها كانت مركزا لتخزين القمح(٧). ورغم هذا الانجاز لم يسع هارون البقاء بها، فقد توجه إلى مناطق أخرى ليواصل اغاراته الانتقامية.

١- النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٥. أما عن العرادات فهى من آلات الحرب وتعنى منجنيق صغير. انظر: الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٤٢.

٢-عن تفاصيل هذه المبارزة انظر: النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٥-١٥٧؛ الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٤٢-٢٤٤. وجدير بالذكر أن مثل هذه المبارزات كانت أمرا طبيعيا فى العالمين الإسلامى والمسيحى فى العصر الوسيط حيث سادت الفروسية الاقطاعية.

٣- المشاقة هو ماسقط من الشعر والكتان. انظر: الأصفهانى: الأغانى: جـ١٨، ص٣١٩.

٤- النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٧؛ الأصفهانى: الأغانى، جـ١٨، ص٢٤٤-٢٤٥.

٥-اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ النويرى:نهاية الأرب، جـ٢٢،ص١٥١؛ابن خلدون:العبر،جـ٥،ص٤٧٩؛ أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ص١٨.

٦-مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص٣١٢.

٧-Michel Le Syrien, Chronique, Tome, p.16. وينفرد ابن عذارى برواية تقول أن الرشيد عندما فتح هرقلة كان على باب المدينة لوح من الرخام، انشغل مترجم الرشيد ويدعى شبيل بقراءته -دون أن يشعر بوقوف الرشيد إلى جواره -وقد كتب عليه بلغة أهل المدينة: "ياابن آدم غافص الفرصة قبل امكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولايحملنك افراط السرور على المآثم، ولاتحمل نفسك هم يوم يأت! فإنه أن يكُ من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك! فلاتكن من المغرورين بجمع المال. فكم قد رأينا جامعا لبعل خليلته وقصرا على نفسه توفيرا لخزانة غيره". وغيره من نصائح أهل الحكمة. انظر: ابن عذارى البيان المغرب، جـ١، ص٩٤٠.

فقد كان هارون حريصا على توجيه ضربات متفرقة للحصون البيزنطية أثناء حصاره لهرقلة. فوجه قائده عبد الله بن مالك إلى حصن ذى الكلام(١)، كما وجه داود بن عيسى ابن موسى متوغلا على رأس جيش مكون من سبعين ألف جندى داخل بيزنطة، وقام بأعمال التخريب والنهب ولكن المصادر لم تحدد أسماء هذه المناطق ولعل المقصود هنا مناطق الحدود(٢). كما أرسل قائده شراحيل بن معن بن زائدة ففتح حصنى الصقالبة وربسة.(٣) كذلك أرسل قائده يزيد بن مخلد وتمكن من فتح حصنى الصفصاف وملقوبية(٤). وهما من القلاع الهامة التى ضمها هارون فى منطقة آسيا الصغرى(٥).

ولم يكتف هارون بهذا، بل سار بنفسه بعد ذلك إلى الطوانة شمال لؤلؤة على الطريق إلى قيصرية، وحاصرها(٦).ثم اتخذ منها قاعدة لارسال السرايا والجند إلى سائر الجهات(٧) وبالفعل أسرع بارسال قوة عسكرية تقدر بحوالى ستين ألف جندى

١- أو (ذى القلاع) وسمى هكذا لأنه بنى على ثلاث قلاع. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان، ص٢٠٢. للمزيد انظر أيضا : الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ ابن خلدون : العبر: جـ٥، ص٤٧٩

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥١؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٧٩ . ونجد أن ابن خلدون يصف نشاط القائد العباسى داود بعبارات الإعجاب فيقول على سبيل المثال : "ففتح الله عليه، وخرب ونهب ما شاء الله".

٣-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥١؛ ابن خلدون العبر، جـ٥، ص٤٧٩، راجع أيضا: Theophanes, Chronographia, Col .969. ولكنه لا يحدد أسم القائد العباسى.أما عن حصن الصقالبة، فهو يقع على مسافة ستة عشر كيلومترا من البذندون. وينسب إلى الصقالبة الذين فروا من البيزنطيين، واتخذهم مروان الثانى حراسا على الدرب انظر: الذهبى: دول الإسلام، ص١٢٠. والخريطة رقم(١٢).

٤-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٢، الذى يحرف أسم الحصن الثانى ويجعله ملوقية، أما الذهبى والحنبلى فيسميانه مقلونية، وهو قونية عند ابن خلدون، ويذكر أن قونية قريبة من ملقوبية كما يذكر السيوطى. انظر: الذهبى: العبر، ص٩٠؛ الحنبلى: شذرات، ص٣٢٥؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٧٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٦٠ انظر الخريطة رقم(١٢).

٥- Theophanes, Chronographia, Col .969.

٦- Theophanes,Chronographia,Col.969;Cf.Also: Bury, E.R.E., P.250.

٧-كما أنشأ بها هارون مسجدا لإعلان تبعية المدينة للخلافة الإسلامية. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١؛ راجع أيضا: أسد رستم: حرب فى الكنائس، ص٥٢؛ راجع أيضا: Theophanes,Chronographia,Col.969; Cf.Also: Bury,E.R.E., P. 250.

إلى أنقرة. وتمكنت هذه القوة من تدمير كل ماصادفها فى خارج أنقرة أو داخلها(١).
ويمدنا المؤرخ خليفة بن خياط بما يفيد أن نقفور قد اتصل بهارون الرشيد أثناء تمركزه فى طوانه، وسأله الانصراف مقابل المال. إلا أن هارون اشترط عليه أن يكون المال على شكل فدية، وأن يرسل إليه جزية عن رأسه وأخرى عن رأس ابنه(٢).

لم يكتف هارون بذلك. ففى الوقت الذى عبرت فيه قواته البرية الأناضول إلى هرقلة كان هناك اسطول عباسى يضم جنودا من سوريا ومصر بقيادة حميد بن معيوف قد خرج فى عام ١٩٠هـ/٨٠٥م، ووصل إلى قبرس(٣)، وأعمل فيها الحرق والتدمير، كمـــا سبى كثيرا من أهلها(٤). وبلغت جملة الأسرى حوالى سبعة عشر ألف أسير(٥).

١- Theophanes, Chronographia, Col.969; Cedrenus, Historiarum,Col. 917; Cf .Also: Finlay, Byzantine Empire, P.95 ويقال إنه بعد هذا الهجوم أصبح سكان أنقرة لايثقون فى حراس حدودها انظر الخريطة رقم (١٢). وأيضا: Ostrogorsky, Byz State, P.173; Gregoire, H., Inscription Historiques Byzantines Ancyre et Les Arabes, in"B", Vol IV, Bruxelles, 1927-1928, pp. 438-439.

٢-خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٣٧.

٣-لأنهم نقضوا معاهدة الحياد التى أبرمت فى عام ٧٩هـ/٦٩٨م لتنظيم علاقتهم مع كل من البيزنطيين والمسلمين. انظر: البلاذرى: فتوح البلدان، ص١٨٣؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ، ص٣٢٢ . وانظر الخريطة رقم(١٠).

٤- Theophanes, Chronographia, Col.969.Cedrenus,Historiarum, Col. 920. ويضيف كدرينوس أن حميد -قائد أساطيل الخلافة العباسية فى شرق البحر المتوسط- ذبح بعض أهالى الجزيرة.

٥-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠. بينما يقول السيوطى إن عدد الأسرى كان ستة عشر ألف أسير. أما البلاذرى فلا يحدد عددا. انظر السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٤٦٠؛البلاذرى: فتوح البلدان، ص١٨٣. ونظرا لعدم دقة الإحصاءات فى تلك الفترة بصفة عامة، فيجب الحذر من المبالغات الرقمية. ولكن فيما يتعلق بهذه الرواية فالأرجح أن عدد الأسرى كان كبيرا. فمن ناحية نجد أن معيوف قد عاد بهم وباعهم، ومن ناحية أخرى يقدر أحد المؤرخين الغربيين المحدثين عدد هؤلاء الأسرى بأنهم عشرة آلاف أسير. انظر: Muir, The Caliphate,p.478.

أحضرهم القائد معيوف إلى الرافقة، حيث تمت اجراءات بيعهم(١). وتذكر الروايات أن كبير أساقفة قبرس الأسير قد بيع بمبلغ ألفى دينار(٢).

ولكن سرعان ما نقض القبارسة عهدهم مرة أخرى، مما دفع العباسيين إلى معاودة الكرة. ففى العام التالى ١٩٠هـ/٨٠٦م غزا الأسطول جزيرة قبرس بقيادة معيوف بن يحيى، واستولى على الكثير من الغنائم والسبايا(٣).

وتصف المصادر البيزنطية أثر الأحداث فى بيزنطة. فيقول ثيوفان أنه حينما وصلت تفاصيل أعمال هارون إلى نقفور سيطر عليه الرعب والضيق وأخذ يبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق(٤). ويستكمل كدرينوس هذا بأن نقفور عقد مجلسا للتشاور، وانتهى إلى أن كتب إلى هارون طالبا السلام. ورغم عدم ذكره أن هذا الكتاب حملته سفارة فإنه يذكر أن نقفور أرسل هدايا رائعة إلى هارون، مما يدل على أن الخطاب والهدايا حملتها سفارة بيزنطية(٥). وهذا ماأكده ثيوفان إذ يقول إن هذه السفارة تكونت من ثلاثة من كبار رجال الدين هم المطران سينادا Synnada، ورئيس ديرجولياس Gulaias, وأسقف أماستريس Amastris (٦).

ثم تقول المصادر العربية بعد ذلك أنه نظرا لأن الشتاء كان على الأبواب -وهو مايكرهه المسلمون- فقد نجـــح هذا الوفد فى ترتيب معاهدة صلح بين نقفور وهارون،

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠ . إذ يذكر أن الذى تولى ذلك هو القاضى أبو البخترى.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٠؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٢؛ ابن خلدون: العبر، ص٤٧٩؛ الذهبى: دول الإسلام، ص٩٣؛ الحنبلى: شذرات، ص٣٢٦. راجع أيضا: Theophanes, Chronographia, Cols.966-967. ويقول موير ان ثمنه كان الفى قطعة من الذهب. انظر Muir, The : Caliphate, p. 478.

٣-اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٦١؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨ ص٣٢٢؛ ابن خلدون: العبر، ص٤٨٠. ويذكر أنهم أثبتوا حسن نيتهم بعد ذلك للمسلمين فأعاد لهم هارون أسراهم. انظر. البلاذرى: فتوح البلدان، ص١٨٣

٤-Theophanes, Chronographia, Col.969.

٥- Cedrenus, Historiarum,Col. 917 وانظر الملحق رقم ٩

٦-Theophanes, Chronographia, Col.969. انظر أيضا الملحق رقم ٩

التزم فيها نقفور بدافع الخراج والجزية(١)، عن نفسه أربعة دنانير ، وعن ابنه وبطارقته كذلك دينارين(٢)، فكان جملة ما دفعه ثلاثون ألف نوميسما سنويا(٣).كما التزم بعدم تعمير المناطق التى خربها المسلمون، وخاصة هرقلة(٤). هذا، بينما التزم هارون بعدم تخريب حصون ذى الكلاع وصملة وسنان(٥)، وبأن يرد للبيزنطيين معسكراتهم التى كانت فى حوزته(٦). كذلك اتفقا على أن يكون بينهما هدنة مدتها ثلاث سنوات(٧). وقد بلغ ماالتزم نقفور بدفعه إلى هارون ثلاثمائة ألف دينار(٨). ويقول أحد المؤرخين البيزنطيين إن هارون قد رحب بهذه الاتفاقية، مثلما رحب بهدايا نقفور التى حملتها السفارة، فرد بالمثل مما أسعد نقفور(٩). وهذا يدل على ان اغارات هارون كانت اغارات انتقامية، وليس بهدف الفتح والاستيلاء.

١- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٨٠. وكلمة جزية لاتعبر هنا عن معناها، إذ أن البيزنطيين لم يفقدوا شخصيتهم السياسية، ولم يتحولوا إلى أهل ذمة للمسلمين. ورغم استمرارهم فى دفع هذا المال، إلا أنهم كانوا يتمتعون بالسيادة، على عكس أهل الذمة الذين يدفعون جزية. انظر: فتحى عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، جـ٢، ص٣٩٠.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٩٦، النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤٨٠. بينما يقول ثيوفان إنها كانت ثلاثة دنانير عنه ومثلها عن ابنه. انظر: الملحق رقم ٩ Theophanes, Chronographia, Col.969.

٣- Theophanes, Chronographia, Col.969; Cedrenus, Historiarum, Col.917.

٤- Theophanes, Chronographia, Col.969.

٥- Theophanes, Chronographia, Col.969.

٦- Cedrenus, Historiarum, Col.917.

٧-تجدر الإشارة إلى أن هذه الهدنة لم تُحترم كما سنعرض بعد ذلك . انظر: سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع، ص ٥١.

٨-أى انه دفع جزية مضاعفة. انظر: الطبرى:تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١ -٣٢٢؛ الذهبى: دول الإسلام، ص١٢٠؛ الحنبلى: شذرات، ص٣٢٦. ويرجح الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم أن مبلغ الثلاثمائة ألف دينار هو اجمالى ماتأخر نقفورفى سداده منذ اعتلائه العرش، انظر: السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢٦

٩- Ceorgius, Hamartolus, Chronicon Col.973. ولكن هذا المؤرخ أخطأ حين ذكر أن هذه الأحداث وقعت قبل تتويج نقفور لابنه الذى تم فى ٨٠٣م/١٨٧هـ. انظر الملحق رقم ٩.

فعقب ذلك مباشرة، أرسل الإمبراطور نقفور مع اثنين من بطارقته خطابا إلى الخليفة هارون بخصوص طلب جارية -من سبى هرقلة - خطيبة لابنه(١).فيقول : "لعبد الله هارون أمير المؤمنين. من نقفور ملك الروم. السلام عليكم. أما بعد.أيها الملك: إن لى إليك حاجة لاتضرك فى دينك ولادنياك هينة يسيرة.أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هرقلية.كنت قد خطبتها على ابنى.فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته"(٢) وقد حملت هذه السفارة عددا من الهدايا الطيبة إلى هارون(٣).

فأمر الخليفة العباسى هارون الرشيد بطلب الجارية فزينت، وأجلست على فراش فى مضرب الرشيد. وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من متاع إلى سفارة نقفور. كما رد هارون بدوره بارسال مجموعة من الهديا الطيبة إلى الامبراطور نقفور(٤). ولم لا يفعل هذا وقد بدأ نقفور خطابه "لعبد الله هارون أميرالمؤمنين"(٥).

ورغم اشارات المصادر لتلك الخطابات، إلا أن بعض المؤرخين يستبعدونها فيقول بيورى إنها مجرد دعاوى ادعاها المؤرخون العرب، نافيا صحتها نظرا لأن المؤرخ البيزنطى ثيوفان لم يشير إليها، وبصفة خاصة ذلك الخطاب الذى أهان فيه هارون الإمبراطور نقفور(٦) وقد ذكرنا أن المصـــــــادر السريانية مثل مؤلفى ميشيل

١-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص١٩٦-١٩٨.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، جـ٣، ص٣١٢؛ ويذكر أن ابن خلدون لم يورد ما جاء بالرسالة، مكتفيا بقوله إن نقفور أرسل يطلب خطبة الجارية. انظر: ابن خلدون:العبر،ص٤٧٩؛راجع أيضا:عز الدين اسماعيل:فى الشعرالعباسى، القاهرة ١٩٨٠م ص١٦٩.

٣-يذكر الطبرى هذه الهدايا فيقول "استهداه طيبا وسرادقا من سرادقاته" انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢١.

٤-يقول الطبرى إن هارون أهداه عطرا وتمرا تلبية لطلب نقفور ، علاوة على هدايا أخرى مثل بعض الاقمشة الفاخرة المنقوشة، وكذلك أربعة من كلاب الصيد. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ ٨، ص٣٢١؛ الذهبى: دول الإسلام، ص١٢٠.

٥-محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية، ص٥٣.

٦-Bury, E.R.E., P.249

السرياني وابن العبرى أشار إلى هذا الخطاب. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ذكر المؤرخ البيزنطى المعاصر همرتولس نص رسالة يطلب فيها نقفور من هارون وقف القتال، مع استعداده لدفع الأموال التى تفرض عليه. وقد أيد المؤرخ كدرينوس هذا الخطاب(١). ومن ناحية ثالثة فقد ذكر ثيوفان -كما أسلفنا -أسماء كبار رجال الدين الثلاثة الذين ضمتهم السفارة البيزنطية إلى هارون، التى حملت إليه الهدايا وتفاوضت باسم نقفور، وتوصلت إلى بنود الاتفاق السابق. ولكنه أحجم عن الإشارة إلى أن هذه السفارة كانت تحمل خطابا إلى هارون وكان ثيوفان حريصا على أن تخلو كتابته من أى نصوص لرسائل متبادلة فى تلك السنوات. واستنادا إلى ماكتبته مختلف المصادر، تتأكد صحة هذه الخطابات بأكملها.

ومهما يكن من أمر، فبعد استيلاء هارون على هرقلة وتوقيع اتفاقية الصلح، تأكد تفوق ميزان القوى لصالح الخلافة العباسية، لاسيما وأن نصوص هذا الصلح كانت تؤكد معنى الاحتقار الذى تعرض له نقفور، خاصة بدفعه جزية عن نفسه وعن ابنه، كما تؤكد عجزه عن مواجهة المسلمين. هذا، رغم محاولات بعض المؤرخين التقليل من وطأة هذه الهزيمة، فهناك من يعزوها إلى نقص القوات البيزنطية المواجهة للمسلمين نظرا لانشغالها فى محاربة البلغار(٢). ومنهم من يزيف الحقائق التاريخية. فيقول المؤرخون السريان إن هارون خشى مواجهة جيش بيزنطة، فطلب السلام من نقفور، ولذلك سلم له كل ماليديه من أسرى بيزنطيين(٣). ورغم هذه الآراء، يقول المؤرخ البيزنطى ثيوفان: "إن هارون فرح بنص اتفاقية الصلح كما لو كان حكم بيزنطة قد أصبح خاضعا له"(٤). وهذا القول يؤكد أن الخلافة العباسية كانت فى ذاك الوقت فى أوج قوتها وعظمتها تحت راية الخليفة العباسى ذائع الصيت هارون الرشيد، الذى سبق له الوصول إلى البوسفور محققا تفوقا

١- Georgius,Hamartolus,Chronicon,Col. 973;Cedrenus,Historiarum, Col.917.

٢- Bury, E.R.E.,p.250.

٣- Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,p. 16; Bar Hebraeus The Chronography. p. 122.

٤- Theophanes Chronographia,Col.969. ولذلك فلعل البعض يحلو له القول إن هارون أصبح سيد الإمبراطورية، كما أشرنا.

عسكريا ضخما، ثم مؤكدا -بهذا الاتفاقية -تفوقا أدبيا هائلا. وقد ارتبطت هذه الانجازات باسم هارون الرشيد فى صفحات التاريخ. وعن هذا الانتصار قال الشاعر المعروف أبو العتاهية(١):

ألا نادت هرقلة بالخراب	من الملك الموفق للصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا	ويبرق بالمذكرة القضاب
روايات تحل النصر فيها	تمر كأنها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم	وأبشر بالغنيمة والإياب

أدرك نقفور أن النشاط الإسلامى فى تلك الفترة قد جعل من معظم شرق قبادوقيا، وجنوب شرق الهاليس العليا، مناطق نفوذ للمسلمين حيث أقاموا نقاطا قوية، مقتربين حتى بوابات قيصرية. كما سيطروا على الطرق المؤدية إلى مرعش من جهة، وعلى الطريق من سيباستيا حتى البستان من جهة أخرى، وإن استمرت البستان فى قبضة بيزنطة(٢) ولذلك -علاوة على احساسه بمهانة الجزية -قرر انتهاز أول فرصة للقيام برد فعل ايجابى يحفظ ماء وجهه. وبالفعل شرع فى اعادة بناء الحصون، وقام بتحصين الأماكن المحرم تحصينها بمقتضى المعاهدة خارقا بذلك احد بنودها(٣).

وعندما علم المسلمون بنكث نقفور للمعاهدة، عاد هارون لتكثيف نشاطه برا وبحرا قبل أن يمضى عام واحد من الأعوام الثلاثة التى نصت المعاهدة على اعتبارها هدنة بين الطرفين. فنجح هارون فى الاستيلاء على ربسة(٤)، وخطط لغارة شنها

١-الأصفهانى: الأغانى: جـ١٨، ص٢٤٢.

٢- Bury, E.R.E.,P. 248

٣-لم تمدنا المصادر بأسماء هذه الحصون . ولكن من المؤكد أن حصن ربسة كان من بينها. إذ يشير المؤرخ البيزنطى ثيوفان بعد ذلك إلى أن هارون عندما استأنف الحرب أسقط أحد المواقع المحرمة (المحرم تحصينها وفقا للمعاهدة) وهو ربسة. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 969; Cf.Also:Canard, Byzantium and The Moslim world, C.M.H., Vol IV, Part I, 1967, p. 708.

٤- Theophanes, Chronographia, Col.969. وهكذا استولى على ربسة مرة ثانية. انظر أيضا: الحاشية السابقة. وانظر أيضا الملحق رقم ١٠

أسطول الأغالبة على البليبونيز وساعد السلافيين فى ثورتهم ضد السيادة البيزنطية(١).

ثم أرسل هارون حملة بحرية إلى رودس الواقعة تحت سيطرة بيزنطة بقيادة حميد بن معيوف الهمزانى(٢) ونظرا لأن ذلك كان خلال شهرى نوفمبر وديسمبر، فقد تعرضت الحملة فى طريقها إلى الجزيرة لعاصفة شتوية. كذلك لم يتمكن حميد من احتلال قلعة الجزيرة بسبب مناعتها(٣)؛ إلا إنه عاد بغنائم وأسرى، رغم أن رحلة العودة قد صادفتها مشاكل مماثلة لرحلة الذهاب(٤). ثم قام الأسطول العباسى بقيادة حميد أيضا بمهاجمة كريت فى نفس العام، وسيطر على بعض أجزائها، ولكن سرعان ما استعادتها بيزنطة بعد ذلك(٥).

١-بدأت هذه الثورة عام ٨٠٥م/١٩٠هـ فى شبه جزيرة البليبونيز، وهاجم الثوار مدينة باتراس patras اليونانية الواقعة على خليج باتراس على البحر الأيونى، كما هاجموا قلعتها. وقد ساهم هارون بدور فى مساندة هذه الثورة للضغط على بيزنطة. ويذكر أن هارون واصل هذا الأسلوب. فقد قام أسطول الأغالبة -بعد ذلك- بالإغارة على سردينيا فى عام ١٩٧-١٩٨هـ/٨١٢-٨١٣م، ثم على صقلية فى ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م، ثم على سردينيا ثانية فى ٢٠٦هـ/٨٢١م. وعلى الرغم من اخماد الثورة فى باتراس إلا أنه تكلف جهدا ومالا. انظر: Charanis,p., The Chronicle of Monemvasia, and The Question of The Salvonic Settlements in Greece, D.O.P., Vol V, 1950, pp. 147- 148. راجع أيضا : حسنين ربيع : تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٤١؛ وسام عبد العزيز فرج: السلاف فى شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها، مقال فى كتاب دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الإسكندرية (دار المعرفة الجامعية) ١٩٨٥، ص٩٢-٩٣. انظر أيضا الخريطة رقم ١٠.

٢- Theophanes, Chronographia,Col.972;Cf. Also: Finlay, Byzantine Empire, p. 95. راجع أيضا : سيديو : تاريخ العرب العام، ص١٨٨؛ أسد رستم : حرب فى الكنائس، ص٥٢؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى، ص١٦٧. انظر الملحق رقم ١٠.

٣- Cedrenus, Histroiaum, Col.920; Cf. Also: Canard, Byzantium and The Moslim World, C.M.H., Vol. IV, Part I, 1967. P .708. انظر أيضا الملحق رقم (١٠).

٤- Theophanes, Chronographia, Col.972; Cedrenus, Historiarum, Col. 920. إذ تعرض الأسطول لعاصفة أغرقت كثيرا من سفنه أثناء مروره بـ"ميرا" Myra فى ليكيا غرب أنطاكيا فى منطقة ثيم كيبرهايوت. انظر الملحق رقم(١٠)، والخريطة رقم (١٠).

٥- Cedrenus, Historiarum, Col. 920. لم تحدد المصادر توقيت استعادة بيزنطة لهذه الأجزاء. والباحث يؤيد راى الدكتورة اسمت غنيم القائل بأنها استعادتها أثناء الفتنة بين الأمين=

ولم يكن هذا النشاط العباسي إلا رد فعل طبيعي للحالة السيئة التي أصبح عليها الجيش البيزنطي. ومن المعروف أن قوة بيزنطة البحرية قد تراجعت منذ نهاية القرن الثامن الميلادى./ أواخر القرن الثاني الهجرى، وتجلى ذلك بصفة خاصة في نهاية عهد الإمبراطورة ايرين، وقد تسلم نقفور هذه التركة المثقلة بالمشاكل، ولم تفلح محاولاته المبذولة لاصلاحها.

وإذا لم يكن الغرض من الاغارات العباسية -المتوغلة في آسيا الصغرى -الفتح والسيطرة -رغم تفوق ميزان القوى لصالحها -فقد اقتصرت على ردع بيزنطة في اطار الصراع التقليدى السجال والمستمر بين القوتين، الذى زاد من حدته الاختلاف بين حضارتيهما. ولكن حينما انشغل هارون في أواخر أيامه بالفتن والقلاقل، اقتصرت هذه الاغارات على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية. وهذه حقيقة تؤكدها الفلسفة الاستراتيجية للخلافة العباسية -كما سبق أن عرضنا لها -التي لم يكن لها تطلعات توسعية بقدر ما حاولت الاحتفاظ بما في حوزتها ، وعدم اعطاء أى فرصة لجارتها في توجيه ضربة إليها(١).

وبينما كان الخليفة العباسي هارون الرشيد مشغولا ببعض المشاكل في منطقة خراسان، انتهز الإمبراطورنقفور الفرصة واستمر في نقض معاهدة الصلح(٢)، فهاجم حصن مرعش وأصاب عددا من المسلمين،إذ لم يتمكن سعيدبن سلم بن قتيبة من مواجهة

=والمأمون. ويذكر في هذاالمجال أنه حدثت بعد ذلك محاولة اسلامية ناجحة للاستيلاء على كريت مرة أخرى، واستمرت تحت سيادة المسلمين أكثر من مائة وثلاثين عاما . انظر: اسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، ص٤٦-٤٧؛ صابر دياب: سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط، القاهرة ١٩٧٣م، ص٥٩-٦٠؛ الطيبي: إمارة عربية أندلسية، ص٤٤.

١- إبراهيم العدوى: الإمبراطوريه البيزنطية والدولة الإسلامية، ص٨٧.

٢- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٣٨؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٤-٣٢٨،والخريطة رقم(١٢).

هذا الهجوم (١) . فقام القائد العباسي يزيد بن مخلد بن عمر بن هبيرة(٢) على رأس صائفة مكونه من عشرة آلاف مقاتل بمهاجمة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، ولكن القوات البيزنطية تمكنت من سد الطريق عليه عند بوابات قيليقيا في المضيق الذى دخله، وقتلوه ومعه خمسين رجلا، واستسلم الباقون(٣). أما هارون الرشيد فقد سار إلى درب الحدث، وأقام ثلاثة أيام من شهر رمضان من عام ١٩١هـ/ يوليو ٨٠٧م(٤)، ووجه قائده هرثمة بن أعين على رأس صائفة إلى قبادوقيا تاركا عبد الله بن مالك على الحدث(٥). وقد ضم جيش هرثمة ثلاثين ألف جندي معظمهم من خراسان(٦).

وبينما لم تتابع المصادر العربية أخبارها عن صائفة هرثمة وما حققته، فقد أشارت إلى أن القوات البيزنطية تمكنت من الاغارة على حصن مرعش. ويرجح الباحث حدوث ذلك بعد خروج صائفة هرثمة، وبعد عودة هارون إلى الرقه، مما مكنها من احراز نصر على المسلمين، واصابة أعداد منهم، والعودة مرة أخرى. ثم تؤكد هذه المصادر أن قائد هذا الحصن -سعيد بن سلم بن قتيبه -لم يتحرك من موقعه(٧). وقد سبق لهذا القائد أن فشل في مواجهة هجوم بيزنطي على نفس الحصن، مما يبين ضعفه وعدم قدرته على القيام بأعمال الدفـــــاع عن هذا الحصن الاستراتيجي، الذى يمثل أهمية

١- الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٣- ٣٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦ ص٢٠٦؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣١٢-٣١٣. راجع أيضا: Canard, Byzantium and The Muslim world, C.M.H., 1936, Vol. IV, PartI, p. 707.

٢- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٣٨. بينما الطبري يرسم اسمه (يزيد بن مخلد الهبيري). انظر: الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٣.

٣-الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٣؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٠٥؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣١٢. بينما يقول ابن خياط -عكس ذلك -إن يزيد غزا وسلم وغنم. انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٣٨.

٤-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٣، ص١٦١، انظر أيضا الخريطة رقم (١٢).

٥- أما هارون -بعد أن سير هرثمة -فقد عاد إلى الرقة. انظر: خليفة بن خياط،تاريخ ابن خياط، القسم الثاني، ص٧٣٨؛ الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٣ - ٣٢٤.

٦-الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٣؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٣١٢.

٧- الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٠٦

عسكرية للطرفين المتصارعين بحكم موقعه. كما يدل هذا على وقوع الإدارة العباسية أحيانا فى خطأ عدم اختيار أفضل العناصر الصالحة لحماية مثل هذه الحصون. ويرجح الباحث -من ناحية أخرى -أن صائفة هرثمة بن أعين لم تحقق نجاحا مما جعل المصادر العربية تسكت عن مواصلة أخبارها. وبعبارة أخرى، لم تكن صائفة هرثمة أحسن حالا من صائفة يزيد بن مخلد بن يزيد بن عمر بن هبيرة(١).

وكان ضمن ما أسفرت عنه تلك الأوضاع السياسية القائمة بين البيزنطيين والمسلمين، أن ظهرت شكل من أشكال التعصب الإسلامى ضد النصارى من سكان الثغور وكان التزمت الدينى يفرض نفسه على العالمين المسيحى والإسلامى فى العصر الوسيط بحكم مفاهيم ذلك العصر وافكاره . ففى ١٩١هـ/ ٨٠٧م أمر هارون بهدم كنائس الثغور، كما أمر بأن يرتدى أهل الذمة فى العاصمة ملابس تميزهم عن المسلمين(٢). بل استعان هارون بحجارة بعض الكنائس التى هدمها فى اعادة بناء وترميم بعض الحصون مثل حصن الحدث(٣)، مما يبين بوضوح طبيعة ذلك الصراع بين القوتين بصفة عامة، وبصفة خاصة بين نقفور وهارون الذى وجد فى نقفور ذلك الحاكم الذى يتراجع دائما عما يلتزم به من اتفاقيات .

وهكذا نجح هارون الرشيد إلى حد كبير فى مواصلة نشاط الصوائف والشواتى على الجبهة البيزنطية، وفى الوقت نفسه نجح فى السيطرة على تحركات الأرمن التى كانت مقلقة للخلافة الإسلامية(٤). كما تعرض بنجاح لخطر الخرمية، واستأصل شأفتهم

١- أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون ، ١٢٩.

٢-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٠٦؛ عليه عبد السميع الجنزورى: الثغور، ص١٦٧.

٣- Bar Hebraeus, The Chronography, p. 118.

٤-استفاد هارون الرشيد من الحوادث السابقة مع الأرمن، وعرف كيف يتعامل معهم، وانتهج سياسة ملائمة فى هذا المجال. ويلاحظ أنه لكى يوقف محاولات الأمراء العباسيين السيطرة على أرمينيا وجعلها إمارة تابعة لهم، ولكى يوقف هجرة الأرمن إلى المقاطعات البيزنطية. فقد اكتسب لصفه الأسر الأرمينية الإقطاعية، كما زاد من اهتمام الإدارة العباسية بالأراضى الأرمينية، لذلك قام بتعيين أخيه الأصغر قائدا عاما للقوات الأرمينية. انظر: Ghevond, Guerres, p. 149; راجع أيضا: Cf.Also Grousset, Histoire De l'Armenie, pp. 341-342. فايز نجيب اسكندر: أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص٢١

فى عهده(١). وبعباره أخرى فقد تمكن من المضى قدما فى مواجهة بيزنطة فى الخارج، والثورات فى الداخل، ولم يهتم بجانب على حساب آخر. وان كان هذا لايمنع من القول ان المشاغل الداخلية كانت تصرفه أحيانا -ولو بصفه مؤقتة- عن مواصلة هجماته ضد بيزنطة.

ولكن لم تتهيأ للرشيد بعد ذلك ظروف مناسبة لمتابعة نفس نشاطه الخارجى، فقد شبت فتنة خلال العامين الأخيرين من حكمه(١٩٢-١٩٣هـ/٨٠٨-٨٠٩م) فى الأجزاء الشرقية من الخلافة فى منطقة خراسان بقيادة رافع بن الليث بن نصر بن سيار(٢). ولذلك مهدت هذه الظروف لعقد معاهدة صلح بين بيزنطة والخلافة العباسية فى ٨٠٨م/ ١٩٢هـ ، بمقتضاها تم الاتفاق على تبادلهما للأسرى(٣). ويرى البعض أن هذا الفداء تم فى البدندون (٤)، وبينما يرى البعض الآخر أنه تم كالعادة فى اللامس(٥)، وهو مايرجحه الباحث إذ حدث الفداء مرارا قبل ذلك فى هذا المكان، الذى هو أصلح -من

١-بدأت تحركات الخرمية ضد هارون الرشيد فى منطقة آذربيجان التى اتخذوا منها مكانا آمنا لهم لبعدها عن بغداد. فوجه إليهم هارون قائده عبد الله بن مالك على رأس عشرة آلاف فارس، ونجح فى قتل وأسر أعداد كبيرة منهم. إذ كان يدرك خطورة هذه الجماعة. ويسمى خليفة بن خياط القائد العباسى الذى خرج إليهم خازم بن خزيمة. انظر: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٣٩؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٢٩؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٨؛ الذهبى: دول الإسلام، ص١٢١؛ راجع أيضا: محمد سالم العونى: الخرمية، ص٤٣-٤٤.

٢- عن هذه الفتنة وأسبابها ونتائجها انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣١٩-٣٢٠. ومن المعروف أنه تلا هذه الفتنة نشوب صراع داخلى بين الأمين والمأمون. وقد جنب هذا الصراع بيزنطة -لعدة سنوات- خطر أى هجوم عباسى. ولهذا يقول الطبرى إنه بعد أحداث صائفة ١٩١هـ/٨٠٧م لم يسير المسلمون أى صائفة حتى عام ٢١٥هـ/٨٣٠م. وبعبارة أخرى، يتأكد أنه لم يكن هناك حملة إسلامية هامة منذ هذه الصائفة حتى وفاة الخليفة العباسى هارون الرشيد فى ٣ من جمادى الثانية ١٩٣هـ/٢٤ من مارس ٨٠٩م. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٣٧ .

٣- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٤٠.

٤-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٠٨ الذى يسميها البنذندون (بالذال لابالدال).

٥- المسعودى: التنبيه والأشراف، ص١٩٠؛ راجع أيضا: السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٢٧. وعن موقع اللامس والبدندون انظر الخريطة رقم (١٢).

الناحية الجغرافية -لهذا العمل من البدندون. وأخيرا، رغم أن الطبرى كان معاصرا للأحداث اكثر من المسعودى، إلا أن الأخير كان أكثر اهتماما ودقة بالنسبة لمسألة فداء الأسرى. ويذكر أنه مثل المسلمين فى هذا الفداء ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشامية(١) وقد حضر الألوف من الناس، وفدى فى هذا العام من المسلمين فى سبعة أيام نحو ألفين وخمسمائة رجل وامرأة(٢).

ورغم هذه المعاهدة، وخلو عام ١٩٣هـ/٨٠٨م من أى نشاط حربى، فقد لجأ المسلمون إلى اصلاح ما أصاب ملطية من تخريب وزرعوا أرضـ . ولكن البيزنطيين أسرعوا بحرق مازرع(٣)، ربما لأنهم اعتبروا هذا العمل من جانب المسلمين. خرقا للمعاهدة. ومع ذلك لم يتوقف المسلمون عن محاولاتهم فى هذا المجال؛ ففى ١٩٤هـ/ ٨٠٩م قام العباسيون بإعادة بناء القلعة الحامية لجسر أدنة على يد أبى سليم فرج الخادم التركى(٤). ولكن فى هذه المرة لم تتناول المصادر رد فعل بيزنطة تجاه هذا العمل، مثلما حدث فى المحاولة السابقة. والباحث يرجح وجود علاقة بين الموقف السلبى لبيزنطة، وبين رواية للمسعودى مؤدها أنه حدث فداء للأسرى بين البيزنطيين والمسلمين فى هـذا العام ١٩٤هـ/٨١٠م. ورغم أنه لايؤكد هذا الفداء(٥)، فمن الواضح أن بيزنطة

١-الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٣٨.

٢-ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٠٩. بينما لايذكر الطبرى هذا الرقم. انظر:الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٣٨ ؛ راجع أيضا:السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول، جـ٢، ص٢٢٧.

٣- الحنبلى: شذرات، ص٢٠٧؛ انظر أيضا الخريطة رقم(١٠).

٤- سبق لهذا القائد أن قام بتعمير طرسوس فى عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. انظر: الطبرى تاريخ الرسل، جـ٨، ص٢٣٤. ثم مرة أخرى فى عام ١٩٢هـ/٨٠٧م حين سير إليها أيضا ثلاثة آلاف جندى من أهل خراسان، ونقل إليها ألف شخص من أهل المصيصة، ومثلهم من أهل أنطاكية، ثم بنى مسجدها. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٠٦. أما عن أدنه فهى مدينة منعطفة على نهر سيحان من ناحية الغرب، لها ثمانية أبواب وسور وخندق ، وبينها وبين المصيصة ٢٤كم ، وبينها وبين طرسوس ٢٤كم، وبها كانت منازل ولاة الثغور بسبب سعتها. انظر محمد بن أحمد: تاريخ ابن الشحنة، ص٤٣؛ الحميرى: الروض المعطار، ص٢٠؛ راجع أيضا: علية عبد السميع الجنزورى: الثغور، ص١٤٧؛ راجع أيضا: Canard Byzantium and The Moslim world. C.M.H., 1967, Vol. IV, Part I,p.706.

٥-كان ذلك تحت اشراف ثابت بن نصر -أيضا- فى ذى القعدة ١٩٤هـ/ أغسطس ٨١٠م، أى فى عهد الأمين ١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٩- ٨١٣م. انظر المسعودى التنبيه والاشراف، ص١٩٥.

كانت تتمنى استمرار حالة الصلح والسلام مع المسلمين. خاصة وأنه كان ثمة مشاكل خارجية تواجهها مثل خطر البلغار.

ويعتبر عصر هارون الرشيد تجسيداً لحالة القوة التى كانت عليها الخلافة العباسية، حتى أصبحت مرهوبة الجانب، ذائعة الصيت، وحاول خصومها أن يأمنوا جانبها بشكل أو بآخر. كما خطب اصدقاؤها ودها، وحرصوا على صداقتها. والحقيقة أن الأحوال السياسية فى العالم آنذاك ساعدت على ابراز هذه الحقيقة. فقد انقسم العالم الإسلامى إلى خلافتين العباسية فى الشرق، والأموية فى الأندلس. وانقسم العالم الأروبى إلى دولتين: البيزنطية فى الشرق والفرنجة فى الغرب. وساعدت خصومات كل شق منها على التقاء أهداف مشتركة بين هذه الأطراف، فتقاربت بيزنطة مع الدولة الأموية فى الأندلس، وتقاربت الخلافة العباسية مع الفرنجة(١) وكان لهذه التحالفات أسبابها ودوافعها وانعكاساتها فى نفس الوقت على العلاقات بين العباسيين البيزنطيين.

لذا يرى البعض قيام علاقة تحالف مهدت لها سفارات متبادلة بين شارلمان وهارون، كانت الأولى فى عام ٧٩٧م/ ١٨٠هـ(٢)، ثم كانت سفارة شـــــارلمان الثانية

١- Annalium de Gestis Caroli Magni libri quinque metripti, Scripti, R.H.F.G., tome. .v,p.178. وكان هارون يستهدف تحقيق ماسبق أن فشل المنصور فى تحقيقه، وهو القضاء على الخلافة الأموية فى الأندلس. انظر: Einhard,The life of Charlemagne, p.70. راجع أيضا : إبراهيم العدوى: السفارات الإسلامية إلى أوربا، القاهرة ١٩٥٧م، ص٩٤؛ ديفز: شارلمان، ص٩٥؛ محمد الشيخ: دولة الفرنجة، ص١٦١-١٦٨؛ عبد الحميد العبادى: صور وبحوث من التاريخ الإسلامى، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٥٣م، ص٣٣-٣٤.

٢-أرسل شارلمان هذه السفرة التى استغرقت ثلاث سنوات، وهى الفترة ما بين ٧٩٧-٨٠١م/١٨٠-١٨٣هـ. وقد تكونت من ثلاثة أفراد، اثنين من الفرنج هما سجسموند، ولانتفريد، والثالث يهودى يدعى اسحق الذى قام بأعمال الترجمة. وقد طالت رحلة السفارة بسبب الطرق الصعبة التى سلكتها. ويذكر اينهارد أن هذه السفارة ناقشت مع الخليفة كيفية تقوية التعاون بين الدولتين، كما طلبت من الرشيد تسهيل حركة الحج للزوار من الفرنجة وأتباع الكنيسة الكاثوليكية، وحماية اللاتين من عنف أتباع الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية انظر: Einhard and Notker The Stammerer , the Introduction,p.8; Einhard, The life of Charlemagne, p. 70; Notker the Stammerer, Monk of Saint Gall, Charlemagne, p. 143; Cf. Also: Bucker, F.W.,Harum Al Rashid and Charles The great, Cambridge, 1931, pp.22-23; Runciman, Charlemagne and Palestine, in E.H.R., Vol I, 1935, p.609 راجع أيضا: ديفز: شارلمان، ص٣٠١-٣٠٢؛ حسين مؤنس: المسلمون فى حوض البحر المتوسط، ص١٥٨، عزيز سوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤.

فى عام ٨٠٢م/١٨٦هـ، وعادت فى عام ٨٠٦م/١٩٠هـ(١). ويقال إنه قبل وصول هذه السفارة إلى هارون أرسل هو سفارته ردا على السفارة الأولى(٢)، وقد وصلت إلى آخن فى عام ١٩٠هـ/٨٠٧(٣). أما سفارة شارلمان الثالثة فكانت فى عام ٨٠٧م/ ١٩٢هـ. ولأن هارون الرشيد قد توفى فى عام ١٩٤هـ/٨٠٩م، لذا فقد رد على هذه السفارة ابنه المأمون حوالى عام ١٩٨هـ/٨١٣م(٤).

١- كان ضمن أعضاء هذه السفارة رجل يدعى رادبرت Radbert، وقد عادت السفارة إلى العاصمة الفرنجية آخن Aachen، ولكنه كان قد توفى. انظر: Einhard, The life of Charlemagne, p.70.

٢-ضمن هذه السفارة عضوا فارسيا، وآخر أغلبيا هو ابراهيم بن الأغلب، بالإضافة إلى اسحق اليهودى الذى لحق بهما مصاحبا للهدية الشهيرة وهى الفيل. انظر: Einhard and Notker The Stammerer, the Intorduction, p. 8; Einhard, The life of Charlemagnem p. 70; Notker The Stammerer, Monk of Saint Gall, Charlemagne, p. 145; Annales Francorum Mettenses, R.H.F.G., Tome.V,P. 333; Cf. Also: Muir,The Caliphate,p. 485. راجع أيضا: عبد الحميد العبادى: صور وبحوث، ص٣١-٣٤؛ عزيز سوريال: العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٥؛ إبراهيم العدوى: السفارات الإسلامية إلى أوربا فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٥٧م، ص٩٥؛ ديفز: شارلمان، ص٢٠٢- ٢٠٣؛ حسن محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى، ص١٧١ .

٣-كانت برياسة رسول يدعى عبد الله، وضمت عضوين آخرين اختارهما توما بطريرك بيت المقدس، الأول يدعى فيكلس Fikles والثانى اجبالد Egibald، وكانت تدور حول منح الرشيد لشارلمان حق الاشراف على بيت المقدس والضريح المقدس. انظر: Einhard and Notker The Stammerer, the Intorduction, p. 8; Cf, Also Runciman, Charlemagne and Palestine,p. 613. راجع أيضا: السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣، ص٢٤١.

٤- Einhard and Notker The Stammerer, the Intorduction, p.8.

وقد ثار جدل لم ينته حول هذه السفارات. فهناك رأى ينكرها مستندا على أنها تزامنت مع الاتصالات الدبلوماسية بين إيرين وشارلمان بشأن عقد تحالف سياسى بينهما، وعلى أن المصادر العربية لم تشر الى هذه السفارات، وعلى موضوع الهدايا من صنع التاجر اليهودى اسحق، وعلى أن هارون لا يمكن أن يتنازل عن حقوقه السياسية فى المناطق المقدسة. وأخيرا يعتمد اصحاب هذا الرأى أيضا على عدم وجود مايدعو لقيام عوامل ثقه تربط بين العاهلين(١) .. وهناك رأى يؤيدها، معتمدا على أن اينهارد – مؤرخ شارلمان وكاتب سيرته – لم يترك لنا فرصة لاستبعادها . كما أن الحوادث العالمية تؤيد وجود مثل هذا الاتصال ؛ إذا لايجب الاعتماد على سكوت المصادر العربية، فليس يصلح فى مقام التدليل التاريخى أن يرفض دليل ايجابى ومقبول عقلا من أجل دليل سلبى(٢) .

والباحث يرى أنه من الصعب الوصول إلى رأى فاصل فى هذا الموضوع. ومما يزيد الأمر صعوبة أنه على حد قول أحد المؤرخين الغربيين. فإن اغفال المصادر الإسلامية لهذه السفارات يمكن أن يقوم دليلا على عدم حدوث أى اتصالات بين الطرفين، فلا يمكن ان تصدق أن المؤرخين المسلمين المعاصرين قد أسقطوا برهانا عظيما مثل هذا بشأن ما قيل عن اشراف شارلمان على بيت المقدس تحت رعاية هارون ، مما يدل على قوته .(٣) ولكن يرجح الباحث وجود نوع من الاتصالات الدبلوماسية التى لم تأخذ شكلا من أشكال التحالف السياسى ، إذ إن المصادر اللاتينية لم تذكر ذلك صراحة ويصف اينهارد هذه العلاقة بأنها علاقة صداقة(٤)، ولهذا فهى لم تخرج عن حدود الود وحسن الصلات . ولعل شارلمان أراد أن يجعل من هذا الود منفذا لتأمين كنيسة القدسية مريم فى بيت المقدس، فأذن له هارون بإرسال المنح إلى بطريرك المدينة. وثمة رأى آخر يقول بأن اشتراك التاجر اليهودى اسحق فى هذه الاتصالات يدعو لوصفها بأنها كانت اتصالات

١- Buckler, Harun Al Rashid, PP. 22-25 راجع أيضا: السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسى الأول، جـ٣ ، ص٢٤١ – ٢٤٢؛ حسين مؤنس: المسلمون فى حوض البحر المتوسط، ص١٦٠.

٢- عبد الحميد العبادى: صور وبحوث، ص٣٣–٣٥؛ محمد الشيخ: دولة الفرنجة، ص١٦٦ – ١٦٧.

٣- Runciman, Charlemagne, and Palestine, P.607.

٤- Einhard, The life of Charlemage, P.70

تجارية(١)

لقد أثبتت هذه الأحداث أنه كان من حسن حظ الخلافة العباسية أن يجلس على عرشها خليفة مثل هارون الرشيد(٢)، يكفيه أن بيزنطة عانت الكثير من حروبه ضدها، حتى أن هذه الحروب تركت جرحا عميقا فى جسدها(٣).فيقال إنه خرج بنفسه على رأس ثمانى حملات على بيزنطة من مجموع اثنتى عشرة حملة طوال مدة حكمه التى بلغت ثلاثة وعشرين عاما وقد سيّر باقى الحملات تحت إمرة قادته،هذا بالإضافة إلى الصوائف سيّرها بانتظام.ويصف البعض نشاطه بأنه كان يغزو عاما ويحج عاما،إذ أنه حج تسع مرات(٤).ولهذا فعندما توفى هارون فى٣من جمادى الثانية ١٩٣هـ/٢٤من مارس٨٠٩م(٥).قال البعض أن نقفور جعل من يوم موته عيدا للبيزنطيين؛إذ تخلص من

١- حسين مؤنس: المسلمون فى حوض البحر المتوسط، ص١٦٢-١٦٤.

٢- يقول فنلاى إنه يعد واحدا من أعظم الحكام الذين جلسوا على العرش. انظر: Finlay, Byzentine Empire, P.95.

٣- حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الاسلامى، ص١٧٢.

٤- كانت حجته الأولى فى عام ١٧٠هـ/٧٨٧م، والأخيرة فى ١٨٨هـ/٨٠٤م. انظر الطبرى: تاريخ الرسل،جـ٨، ص٢٣٤؛ ص٣١٢ ؛ ذى النسبين: النبراس، ص٣٦؛ ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص٥١؛ ابن عبدالرحمن الروحى: كتاب بلغة الظرفاء، ط١، القاهرة١٩٠٩م، ص٤٩ الذى يضيف ان التجربة قد جعلت هارون يحترم شجاعة الجيش البيزنطى.

٥- خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٤٠-٧٥٠؛ البلاذرى فتوح البلدان، ص١٩٩؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٤٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢١١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص١٥٨م. ويقول المؤرخ ابن قتيبة الدينورى أن هارون أصيب فى عام ١٩٠هـ/٨٠٥م بحمى انتشرت فى جسمه، فاجتمع اليه أطباء العراق يعالجونه، ثم استعان بأطباء بيزنطة والهند، ولكنه مات، ودفن فى مدينة طوس وهى من مدن نيسابور. انظر : ابن قتيبة الدنيورى: الإمامة والسياسة، ص٢٠٧؛ الحميرى:الروض المعطار،ص٣٣٨-٣٣٩.ويخطىء المؤرخ البيزنطى قنسطنطين بورفيروجنتيوس القول إنه فى العام العالمى ٦٢٨٨ من خلق العالم حين كان يحكم الرومان إيرين وقنسطنطين. والصواب ان ذلك كان فى عهد نقفور. انظر: قنسطنطين بور فيروجنتيوس: إدارة الإمبراطورية، تعليق محمود سعيد عمران، بيروت ١٩٨٠م، ص٨٧-٨٨

خصم قوى عنيد أرهق الإمبراطورية البيزنطية سنوات طوالا(١).

وبعد أن اعتلى العرش الخليفة الأمين(١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٩-٨١٣م)(٢)، كادت أن تنعدم الحروب بين الدولتين. فقد انشغل الخليفة العباسى بالفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون(٣)، مما أراح الإمبراطورية البيزنطية من خطر العباسيين، فتفرغوا للجبهة البلغارية(٤). كما ترتب على هذه الفتنة أن الأمين أوقف نشاط تشييد الحصون مثل حصن هرقلة الذى كان هارون قد بدأ بناءه(٥)، وبالكاد واصل ترميم حصن أدنة وقلعة سيحان في١٩٤هـ/٨١٠م(٦).

ولكن هل استفادت بيزنطة من ظروف الفتنة الداخلية للخلافة العباسية؟رغم أن موت هارون ونشوب هذه الفتنة قد ترك تحت يدى نقفور قوات كبيرة كان يمكنه اســـتغلالها

١- الكاتب : المكافأة : القاهره ١٩٤١ م، ط١، ص ١٤٨، الذى يضيف قائلا: "أن نقفور جعل عيدا أعظم منه فى اليوم الذى تادى إليه وقوع الشر بين الأمين والمأمون. ثم عيّد عيدا ثالثا فى الوقت الذى بلغه خروج أبى السريا فى عصر المأمون"

٢- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٦٥؛ المسعودى: مروج الذهب، ص٢٩٦.

٣- بدأت الفتنة عندما أوغرت زبيدة صدر زوجها هارون بأن يعقد البيعة لابنها محمد الأمين، على أن تكون الخلافة من بعده للمأمون. وفى ١٧٥هـ/٧٩١م عقد البيعة للأمين، وفى ١٨٢هـ/٧٩٨م عقدها للمأمون، وقسمت الدولة بينهما على أن يكون العراق والشام للأمين، وخراسان حتى همذان للمأمون. ولكن عندما اعتلى الأمين العرش لم يلتزم بوصية أبيه، فبايع ابنه موسى بالخلافة بدلا من المأمون. فقامت بين الأمين والمأمون الحرب التى عرفت بالفتنة، واستمرت ثلاث سنوات (١٩٥-١٩٨هـ/٨١٠-٨١٣م) وأنتهت بمقتل الأمين بعد حكم دام أربع سنوات، يقول عنه ابن العبرى: "إنه فى الجملة لم يوجد فى سيرته ما يستحسن ذكره" انظر:خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، القسم الثانى، ص٧٥٧؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ص٢٢٧؛ ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ص١٣٤.

٤- الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٣٦٥ راجع أيضا: Finlay,Byzantine Empire,P .102.

٥- Michel Le Syrien,Chronique,Tome 5111,p.21. وعلاوه على النتائج السياسيه لهذه الفتنه، فقد غرق الأمين فى الفساد وأهمل الحكم مما كان له أثره أيضاً في توقف النشاط العربى ضد بيزنطة.

٦- Canard,Byzantium and The Moslim World, C,M,H.,1967, Vol.IV, part 1,p.708.

لاستعادة ما فقدته بيزنطة فى حروبها الخارجية سواء ضد العباسيين أو البلغار، إلا أنه تجمعت عوامل أخرى حالت دون ذلك. فقد أصبحت القوات البيزنطية تعانى من التعب والإرهاق، وضعف القيادة، وسوء التنظيم نتيجة للضربات المتتالية التى تلقتها من خصومها وضعف الإمبراطور من ناحية أخرى. كل هذه العوامل حالت دون قدرة بيزنطة على مواجهة هذه الأخطار، رغم الظروف الجديدة التى كانت تمر بها الخلافة العباسية(١).

كذلك تعرضت بيزنطة لتهديدات جديدة ساهمت فى تردى أوضاعها إلى حد بعيد. فقد تعرضت لثورة داخلية فى ٨٠٨م/١٩٣هـ بقيادة أحد النبلاء الأرمن يدعى أرسابير Arsaber الذى استهدف الإطاحة بالإمبراطور، ولكن نقفور تمكن من القبض عليه ونفيه(٢). ثم اندلعت ثورة أخرى حين قرر نقفور-بعد احدى حملاته ضد البلغار-أن تذهب الغنيمة كلها للخزانة(٣). كما استنزفت الحرب البلغارية الكثير من جهد بيزنطة، بل ولاقت فيها بعض الهزائم فى عصر نقفور، وخسرت بعض أملاكها. ففى ٨٠٩م/١٩٤هـ استولى البلغار على سرديكا Sardica فى منطقة البلقان(٤).

وعلاوة على ذلك، وبسبب رفض نقفور الاعتراف بتتويج شارلمان، فقد اشتعلت الحرب بين الدولتين البيزنطية والفرنجية، وخسرت بيزنطة البندقية، واستمرت الحرب إذ لم يصلا إلى سلام إلا فى عام ٨١٠م/١٩٥هـ (٥)، بعد أن أصبحت بيزنطة غير قادرة

١- Theophanes, Chronographia, Col. 969; Cedrenus, Historiarum, Col. 920; Cf.Also: Finlay, Byzantine Empire, PP.98-99.

٢- كما قبض على معارضيه من مجلس السناتو ، ورجال الدين الذين ساندوه فى الثورة. انظر Theophanes, Chronographia,Col.972; Cf.Also: Bury,E.R.E., P.14; Finlay, Byzantine Empire, P.93; Oman,Dark Ages,p.479; Gulland, Patrices, P.337 .

٣- Theophanes, Chronographia, Col.969; Monasses, Cmpendium, Cols. 391-392.

٤- Theophanes, Chronographia, Col.972; Cedrenus, Historiarum, Col.920; Cf.Also: Diehl, C., From Nicephorus I to the fall of ThePhrygian Dynasty, C.M.H., Vol IV,1936,P.37. عن موقع سرديكا انظر الخريطة رقم(٩).

٥- بعد مباحثات قامت بها السفارة الفرنجية فى بيزنطة، تم التوصل إلى هذا السلام وبمقتضاه أعيدت البندقية إلى بيزنطة. انظر: Einhard and Notker The Stammerer, the Introduction, P.8; Adonis, Viennensis Archieph Chronico, R.H.F.G., Tome V,P.323; Annales Francorum Mettenses, R.H.F.G. Tome V,P.336 راجع أيضا : عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص ١٢٠ - ١٢٣.

على تدبير الأموال اللازمة-بكفاءة-لحروبها في جبهتين: الجبهة الإسلامية في الشرق والجبهة البلغارية فى الشمال.

ولذلك لم تستفيد بيزنطة من الفتنة الداخلية التى أصابت الخلافة العباسية. كما شهدت منطقة الحدود البيزنطية الإسلامية ركودا يكاد يكون كاملا، اللهم إلا من حالات قليلة. فقد انتهزت بيزنطة الاضطرابات فى مصر، نتيجة لفتنة الأمين والمأمون، وشنت على ساحلها غارات لم يتمكن واليها حاتم بن هرثمة بن أعين من صدها بسبب ضعف الحاميات(١). فقام قاضى قضاة مصر يحيى بن عيسى الخضرمى بتجنيد جيش من المتطوعين، ونشره فى المناطق غير المعمورة، وتمكن من رد هذه الاغارات ابتداء من الشهور الأولى من عام ١٩٧هـ/الشهور الأخيرة من عام ٨١٢م(٢).

كذلك هاجم أمير طرسوس الأراضى البيزنطية في١٩٦هـ/٨١١م، ولكنه هزم في العام التالى ١٩٧هـ/٨١٢م، وبذلك انتقل ثغر طرسوس-لفترة من الزمن-إلى أيدى البيزنطيين الذين حققوا هذا النصر على يد استراتيجوس ثيم الأناضول ليو الخامس الأرمينى(٣) ويذكر المؤرخ البيزنطى زوناراس أن ليو قتل الفين من المسلمين، وغنم كثيرا من الأسلاب معظمها من الجياد(٤).

وفي عام٨١١م/١٩٦هـ-حين كان ليو الأرمينى نائبا لقائد الثيم الأرمينى-جمع ضرائب بلدة تدعى يوخاتيس Euchaet بلغت ثلاثة عشر قنطارا من الفضة، ولكنه تركها دون حـــراسة كافية(٥)، فسطت قوة من المسلمين على هذه الأموال، وأسرت عددا

١- ابن إياس: بدائع الزهور، ص١٤٢.

٢- Kubiak, Byzantine attack on Damietta, P.50.

٣- الذى اعتلى العرش بعد ذلك فى ٨١٣م/١٩٨هـ انظر:
Theophanes, Chronographia, Col.999. وانظر الخريطة رقم (١٢) .

٤- ينفرد زوناراس بهذه المعلومة على الرغم من أنه مقل إلى حد بعيد فى تناوله للعلاقات فى تلك السنوات. انظر: Zonaras, Annalium Col.1364.

٥- إذ كان يمضى وقته فى اللهو دون اكتراث بهذه الأموال. انظر: Theophanes Cont, Historia, P.24.

من الجنود، مما عرض ليو لعقوبة الجلد والعزل عقابا على اهماله(١).

وقد ردت بيزنطة على هذا فى نفس عام٨١١م/١٩٦هـ، إذ هاجمت كمخ وتمكنت من الاستيلاء عليها بعد أن استسلم أميرها عبدالله بن الأقطع مقابل استعادة ابنه الذى كان قد وقع فى الأسر(٢).

وعلى الرغم من المحاولات التى بذلها الإمبراطور نقفور من أجل وقف الخطر البلغارى(٣)، إلا أنها لم تكلل فى النهاية بالنجاح، بل وانتهت بذبحه فى٨١١م/١٩٦هـ(٤)، واجتاح البلغار تراقيا ومقدونيا(٥). وقد تركت حادثة موت الإمبراطور-على هذا النحو-أثرا سيئا بين البيزنطيين. فقد كانت كارثة غير متوقعة، وضربة موجهة إلى سمعة بيزنطة أخطر مما هى هزيمة عسكرية. فلم يذبح إمبراطور بيزنطى على يد البربر- البلغار أحد عناصر البربر- منذ أيام الهجمات العظيمة عندما هلك فالنس Valenis ٣٦٤-٣٧٨م فى معركة ضد القوط الغربيين فى أدرنة(٦). وبعبارة أخرى

١- لم يذكر ثيوفان هذه الحادثة، بينما يذكرها كل من كدرينوس وصاحب الصلة الذى يقول إن ليو مكث فى المنفى حتى أفرج عنه الإمبراطور ميخائيل رانجابى، الذى جعله مسئولا عن بلاطه ثم ترقى حتى أصبح وزيرا، مجددا بذلك صداقتهما القديمة منذ ثورة باردانيس توركوس. انظر: Cedrenus,Historiarum,Col.925;Theophanes Cont, Historia,Col.25

٢- Canard, Byzantium and The Moslim world, C.M.H. 1967, Vol IV, Part I,P.708. عن موقع كمخ انظر أيضا الخريطة رقم(٦) ويذكر انها لم تستمر فى قبضة بيزنطة ، بل استعادها المسلمون بعد ذلك.

٣- أنشأ نقفور ثيمات جديدة فى منطقة البلقان، كما نقل إلى البلقان بعض سكان آسيا الصغرى البيزنطيين ليقيموا فى مستعمرات تقوم بدور المدافع عن الإمبراطورية. أنظر: Oastrogorsky,Byz state, PP.169-170;Rice, D,T.,The Byzantines, p.54. راجع أيضا:سعيد عبد الفتاح عاشور:أوروبا فى العصور الوسطى، ص٤٠٩.

٤- على الرغم من أن نقفور حقق إنتصارا على البلغار فى ٨١١م/١٩٦هـ ، إلا أن كروم - خان البلغار- شن هجوما ليليا على معسكر نقفور فى ممرات البلقان، فساده الهلع وجرح الإمبراطور وابنه، ففر الجيش المهزوم تاركا الإمبراطور بين أيدى البلغار فقطعوا رأسه وملأوا من دمه أكواب الشراب فى ٨١١م/١٩٦هـ. انظـــر: Theophanes, Chronographia, Col.988; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.976.

٥- مرتكبين أعمال السلب والنهب. وقد حاول القائد ميخائيل الأرمينى صدهم،ولكنه هزم بالقرب من أدرنه فى ٨١٣م/١٩٨هـ. انظر: Theophanes, Chronographia, Col.988.

٦- Ostrogorsky, Byz state, P.174. راجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا فى العصور الوسطى، ص٨٤.

لم يكن الألم رد فعل لما حدث لنقفور كشخص، وإنما كصفة، فلم يكن الشعب يكن له ما يجعله يحزن عليه، بل يقول أحد المؤرخين البيزنطيين : "وقد خفف من هذا الحزن هلاك الإمبراطور نفسه، فقد سعد الجميع بذلك"(١). ولعله يمكن الربط بين هذا وبين قول كل من السرياني وابن العبرى أن نقفور مات على يد أحد البيزنطيين(٢)، وهو مايستبعده الباحث، إذ لم تؤكد لنا المصادر البيزنطية هذا الرأى رغم أن بعضها قد أوردته باقتضاب شديد. ولعل هذا ما جعل السرياني وابن العبرى يأخذان بهذا الرأى(٣). فلم يكتسب نقفور عطف شعبه بسبب اجراءاته المالية(٤)، كما تعرض لكراهية الرهبان بسبب محاولته فرض إرادته على الكنيسة، فقد صمم على أن تكون سيطرته كاملة على دولته(٥).

والحقيقه أن نقفور قد ورث تركة مثقلة لم تجلب محاولاته لاصلاحها سوى هذه الكراهية. فالهزائم العسكرية المتوالية فى فترة الضعف البيزنطى، والتكاليف المالية التى

١- Zonaras, Annalium, Col. 1361.

٢- Michel Le Syrien, Chronique, Tome III, P.17; Ber Hebraeus,The Chronography, P.124.

٣- يقول زوناراس: "إن الذى قتله نفر من رجاله كمنوا له لكراهيتهم إياه" إما جورج همرتولس فقد تناقضت روايته، ففى موضع يقول: "إن المسيحيين قتلوه بسبب شراهته للمال"، ويقول فى موضع آخر: ".. ولكن كيف كان مقتل الإمبراطور، لم يرو لنا ذلك أحد من الذين خدموا معه". وفى موضع ثالث يقول: "إنه قتل على يد البلغار" انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.976; Zonaras, Annalium,Col.1361.

٤- كان أحد رجال بلاطه قد حذره من أن الناس ستهتف بسقوطه بسبب سياسته المالية انظر: Zonaras, Annalium, Col.1360.

٥- أشد ماكانت تكرهه الكنيسة هو التدخل فى عوائدها وعقارها، وهو ماقام به نقفور، ولذلك تعرض لغضب الرهبان الذين صوروه بأسوأ الصور ومنهم المؤرخ ثيوفان - الذى كان راهبا أيضا - الذى هاجمه فى أماكن عديدة من حوليته. ففى صفحا: ٩٥٧، و٩٦٥ يصفه بالكذب والخداع وفى ص٩٦٩ يهاجم سياسته بصفة عامة وفى صفحة ٩٦١، و٩٩٢ يقول عنه إنه رجل مريض يحب الذهب وآماله ترتكز على جمع الثروات. وفى صفحة ٩٦٥و٩٧٦ يقول إنه لم يفعل شيئا يرضى الرب وفى الصفحة ٩٨٠ يصفه بأنه طاغية مستبد. وفى الصفحة ٩٨٤ يصفه بقوله: "يعوزه الحيلة والذكاء العسكرى والسياسى". انظر: Theophanes, Chronographia .

تكبدتها الحملات العسكرية الضخمة فى عصر قنسطنطين الخامس، والغرامات التى التزمت إيرين بدفعها، وخطر المسلمين الذى تجسد بصفة خاصة في هارون الرشيد، الذى قام بتكثيف نشاطه على نطاق واسع لم تشهده الحدود من قبل، وخطر البلغار الذى أودى بحياة الإمبراطور نفسه، بالإضافة إلى التدهور الداخلى فى الاقتصاد البيزنطى، إذ انهار الاقتصاد الزراعى والمالى بسبب هجرة الفلاحين لمساكنهم والاعفاءات الضريبية التى قررتها إيرين كل ذلك زاد الإمبراطورية ضعفا. ووسط هذه الظروف البالغة القسوة، أضيف موقف جديد حين وضعت الإمبراطورية فى إختبار قوى يمس وجودها، عندما مُنح شارلمان اللقب الإمبراطورى، وكان عليها اتخاذ موقف حيال ذلك. ولكن كان الرفض معناه الحرب، والحرب مهناها الهزيمة، وقد حدث كلاهما، فكان لهذا أثره فى أنه لم يوفق فى حروبه ضد المسلمين(١).

وسرعان ما قتل ستاوراكيوس -ابن الإمبراطور نقفور- متأثرا بجراحه(٢)، فاعتلى العرش مكانه أخوه - من أمه - ميخائيل الأول رانجابى Michael Rhangabe ‏٨١١-٨١٣م / ١٩٦-١٩٨هـ (٣)وقد سعى لاسترضاء شعبه بتوزيع الأموال على الفقراء والأديرة والمستشفيات، والمؤسسات الخيرية، والرهبان وكبار موظفى الدولة(٤).

١- Jenkins, The Imperial, PP. 117-118; Dieh, Phrygian Dynasty, C.M.H., Vol IV, P.29 .

٢- Theophanes, Chronographia, Col.988; Cedrenus, Historiarum, Col.925 ويقول همرتولس أن الجرح كان فى فخذه، لذلك لم يظهر على الملا لعدم قدرته على الوقوف. انظر: . Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.977

٣- توجه البطريرك نقفور فى كنيسة القديسة صوفيا، وجعله يلتزم أمامه بالدفاع عن الكنيسة. انظر: Theophanes, Chronographia, Col.993; Cedrenus Historiarum, Col.929. وقد التزم الإمبراطور بهذا المبدء طوال حكمه. انظر: Anonymus, Incert Auctoris Vita leonis Armeni, Ed Migne, Patrologia, Graeca, Tome CVIII, Paris 1863, Col. 1113.

٤- Theophanes, Chronographia, Col.992

وذلك كرد فعل معاكس لسياسة نقفور المالية. وتم هذا وسط مظاهر الدعاية التى تسعى لابراز عيوب الامبراطور نقفور. ورغم استجابة مجموع الناس لهذا، إلا أن القليل منهم أدرك أن نقفور كان أكثر اقتدارا من ميخائيل الأول (١) .

وفى مجال السياسة الخارجية لم يمثل ميخائيل الأول أى تهديد للحدود الإسلامية، رغم انشغال الخلافة بفتنة الأمين والمأمون، كما لم ينجح فى مواجهة البلغار، مما عرضه لاستياء شعبه(٢). هذا، علاوة على أنه فشل أيضا فى القيام بأى عمل ضد شارلمان لمواجهة توسعاته على حساب بيزنطة، واعترف به إمبراطورا، وعقد معه سلاما في ٨١٢م/١٩٧هـ. وأصبح هناك-بصفة رسمية-إمبراطوريتان: الرومانية الشرقية أى الإمبراطورية البيزنطية، والرومانية الغربية أى إمبراطورية شارلمان(٣).

وهكذا تسبب الضغط الواقع على بيزنطة من الداخل والخارج فى هذه النتيجة التى وصلت إليها، كما تسببت هذه الظروف في خلع ميخائيل الأول واعتلاء ليو الأرمينى

١- Anonymus, Vita leonis Armeni, Cols 1112-1114. كما يصفه أحد المؤرخين البيزنطيين بقوله: "إنه كان صالحا وعادلا، ولكنه كان ضعيفا جدا فى أمور الحكم، كما كان محاطا بمستشارين ضعاف." انظر: Leo Grammaticus, Chronographia, Ed. Bekker,Bonn 1842,P.206.

٢- فقد هاجم البلغار ثيمى تراقيا ومقدونيا، ووصلوا إلى أبواب العاصمة. وبالقرب من أدرنة لقى الجيش البيزنطى هزيمة جديدة على يد البلغار بسبب خيانة القائد ليو الأرمينى فى يونيو٨١٣م/ شوال١٩٧هـ. انظر: Zonaras, Annalium, Cols. 1365-1368; Anonymus, Vita leonis, Armeni, Col.1112. ويقال إنه قامت المظاهرات عند قبر قنسطنطين الخامس، حيث خرج الناس يطلبون عودته، نادمين على أيامه المجيدة حين امتلأت أسواق العبيد بالعاصمة بالأسرى البلغار. انظر: Anonymus, Vita leonis Armeni, Cols. 1009-1010; Cf..Also: Robert Browning, Notes on the "Scriptor incertus, de leone Armenio" in "B" Tome XXXV, Bruxelles, 1965, P.339.

٣- Einhard, The life of Charlemagne, P.71. ويُذكر أن شارلمان قد ضم من ممتلكات بيزنطة استريا وبعض مدن دالماشيا. انظر: Theophanes, Chronographia, Col. 989. راجع أيضا: هارتمان وباركلاف: الدولة والإمبراطورية، ص٤١.

العرش(٨١٣-٨٢٠م/١٩٨-٢٠٥هـ) (١) ولم يكن يفتقر إلى الخبرة العسكرية، لذلك سعى إلى انهاء خطر البلغار، فاهتم بتقوية دفاعاته(٢)، وهزم البلغار(٣)، مجنبا البلاد خطرهم طوال الأعوام الثلاثين التالية(٤).

ولم يكن الوضع فى الخلافة العباسية أفضل حالا. فرغم مقتل الأمين فى آخر محرم١٩٨هـ/أول أكتوبر٨١٣م، واعتلاء المأمون للعرش(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)(٥)، إلا أن الفوضى استمرت لسنوات عديدة فى أرجاء البلاد نتيجة لهذه الفتنة، بل تفرعت عنها مشاكل أخرى عديدة(٦)، كان أهمها انقسام الناس إلى فريقين: الأول كان من أنصار العنصر العربى لذا كان يؤيد الأمين على اعتبار أنه هاشمى الأبوين. والثانى

١- Theophanes, Chronographia, Col.999: Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.979: Theophanes Con. Historia. Cols. 20-24: Zonaras Annalium Col.1368; Anonymus, Vita leonis Armeni, Col.1113; Cf. Also: Ihor Sevcenko, inscription. commemorating, in "B" Bruxelles 1965 PP 573-574

٢- حصن العاصمة فأنشأ سدا منيعا حولها، بناه خارج السور الأصلى انظر Anonymus,Vita leonis Armeni, Col 1113; Young, Constantinople. P 102.

٣- لم يتمكن البلغار من اقتحام السور الجديد، فاستعد كروم خان البلغار لهجوم جديد، ولكن وافاه الأجل فى ابريل ٨١٤م/شوال ١٩٨هـ ويذهب زوناراس إلى القول بأنه قتل أثناء معركة سابقة مع جيش بيزنطى كان بقيادة القائد ميخائيل الأرمينى انظر Theophanes Cont, Historia, Cols. 24-25; Zonaras, Annalium. Col.1369

٤- Theophanes, Chronographia, Col.999; Theophanes Con. Historia, Col.44; Symeon Magister (Logothete), Chronographia, Ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome CIX, Paris,1863, Col.664; Georgius Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum, Ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome CIX, Paris,1863, Col.824.

٥- اليعقوبى. تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٧٢؛ الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٥٢٧؛ ابن الأثير الكامل، جـ٦، ص٣٠٨ وقد اكتنى فى خلافته بأبى جعفر تفاؤلا بكنية المنصور الرشيد فى طول العمر. عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلى. خلاصة الذهب المسبوك، ص١٨٦

٦- مثل ثورة إبراهيم بن المهدى فى ٢٠١هـ/٨١٧م انظر. اليعقوبى. تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٧٦-١٧٧ كما قامت دولة مستقلة عن الخلافة العباسية هى الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢٠-٨٧٢م) انظر اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٨٣-١٨٥ كذلك دخل الاندلسيون مدينة الإسكندرية،وان تمكن عبدالله بن طاهر من اخراجهم إلى كريت بعد ذلك انظر اليعقوبى. تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٧٤؛ الكندى: الولاة والقضاه، بيروت ١٩٠٨م، ص١٨٣-١٨٤ كذلك حاول والى مصر عبد العزيز الجروى الاستقلال بمصر انظر الكندى. الولاة والقضاه، ص١٧٠. ساويرس بن المقفع. سير الآباء البطاركة، ص٢٤٨

كان من انصار العنصر الفارسي، لذا كان يؤيد المأمون على اعتبار أن أمه فارسية(١).

وقد انحاز المأمون للعنصرالفارسي(٢)، فقامت العناصر العربية بثورة بقيادة نصر بن سيار بن شبث العقيلي(٣)، الذي استولى على سميساط(٤)، وهدد الخلافة العباسية بعد أن اجتاح شرق الفرات، فندب المأمون قائده طاهر بن الحسين لمحاربته(٥). واخـــطر ما فى هذه الثورة، أن زعيمها كاد يعقد تحـــالفا مع الإمبراطـــور ميخائيل الأول رانجابي، فكتب خـــطابا بهذا المعنى إلى أحد بطارقة بيزنطة ويدعى مانويل. وما أن علم الإمبراطور بهذه الرغبة حتى أرســـل إليه رســـله، فوصلوا إلى كيسوم، إلا أنهم وجدوه قد خرج إلى سروج. وكان أنصار نصر قد عارضوا فكرة التحالف مع بيزنطة(٦)، فاقتنع نصـــر بذلك، بل وأســـرع بقتل رسل الإمـــبراطور الذين كانوا فى انتظاره فى كيســوم(٧). ولعل موقف بيزنـــطة

١- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٣، ص١٧٢؛ المسعودي: التنبية والأشراف، ص٣٤٩

٢- فقد اتخذ من الفارس الفضل بن سهل وزيرا له، ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم، كما أسند لأخيه الحسن بن سهل ولاية العراق، وأصبح بنوسهل، وأهل خراسان-وهم من الفرس - يسيطرون على أمور الخلافة. ومما يذكر أيضا ان المأمون قد أقام فى خراسان، واتخذ من مرو عاصمة له انظر:ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٩٧، ص٣٠٨.

٣- عربي الأصل من بنى عقيل، كان يسكن منطقة كيسوم شمال حلب، وهناك رأى خاطىء يخلط بين نصر العقيلي، وبين شخص آخر يدعى نصر أيضا كان قد تزعم جماعة من الخرمية، وهربوا إلى بيزنطة، واعتنقوا المسيحية، ثم سمي بعد ذلك ثيوفوبوس. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٣٠٨؛ راجع أيضا: وديع فتحي: ثيوفيلوس، ص١٦٠

٤- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٩٧، ص٣٠٨

٥- لكن تخاذل طاهر فى قتاله فى البداية لأسباب تتعلق بأطماعه فى العراق، ولكن لقى نصر حتفه بعد ذلك، وانتهت الثورة. انظر: الطبري: تاريخ الرسل، جـ٨، ص٥٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٢٩٧-٣٠٨. راجع ايضا: Michel Le Syrien,Chronique Tome III,PP.52-55

٦- يذكر ميشيل السرياني أن انصاره حذروه أن هذا التحالف يغضب الله، كما يضعه فى موقف حرج. انظر Michel Le Syrien, Chronique, Tome III,PP.36-37 عن موقع كل من كيسوم وسروج انظر الخريطة رقم(١٢)

٧- Michel le Syrien, Chronique, Tome III, PP 36-37

من الثورة قد جعل المأمون- بدوره -يشجع الثائر البيزنطى توماس السلافى الذى سبق أن فر للعرب فى عهد هارون الرشيد (١).

وهكذا استمرت الصراعات العربية فى عرقلة النشاط العباسى الذى ظل مستمرا-بدرجات متفاوته - منذ سنوات بعيدة. كما تمتعت بيزنطة بالسلام فى عهد المأمون-مثلما كان الحال فى عهد الأمين-إذ لم يكن هناك نشاط عسكرى أو سياسى بينهما فيما بين عامى١٩٩ ـ٢١٤هـ/٨١٤-٨٢٩م(٢).

ولكن المؤرخ البيزنطى المجهول صاحب الصلة ذكر أن ليو الأرمينى قد شن حروبا ضد المسلمين، حالفة التوفيق فيها، مظهرا فيها شجاعة ومهارة(٣). ولكن أحداث حكم ليو الأرمينى لاتعكس عن صحة مايقوله هذا المؤرخ. فمن ناحية لم تحدث حروب كبيرة يمكن أن تصور الإمبراطور بهذه الصفات، ومن ناحية أخرى لم ترجح كفة بيزنطة فى عهد ليو الأرمينى بالدرجة التى يصورها.

ففى ٢٠١هـ/٨١٦م حين تعرضت الخلافة العباسية لقلاقل في أرمينيا(٤)، تمكنت بيزنطة من الهجوم على مدينة كمخ، وانتزعتها، ولعل تبادل الأسرى الذى تم عقب ذلك في ذى القعدة ٢٠١هـ/ابريل٨١٧م على يد ثابت بن نصر-المتخصص فى الاشـــراف على فداء الأســرى-له علاقة بالهجوم البيزنطى على كمخ(٥). وهناك أيضا

١- أيد المأمون الثورة التى قام بها توماس ضد الإمبراطور ميخائيل الثانى. انظر: Genesius, Rebus, Col. 1034; Symeon Magister, Chronographia, Col. 920 .

٢- Baynes Moss, Byzantium, P.107.

٣- Theophanes, Cont, Historia, Col.24.

٤- أسهمت هذه القلاقل فى اضطراب السيادة العباسية فى أرمينيا ابتداء من عام٢٠١هـ/٨١٧م على أثر ظهور خطر بابك وتزعمه للثورة الخرمية بمساندة الأرمن، ويذكر أن المأمون أخمد هذه الثورة فى النهاية. انظر: Grousset, Histoire de L'Armenie, P.347.

٥- المسعودى: التنبيه والاشراف، ص١٩٥؛ راجع أيضا: صابر دياب: أرمينيا، ص١٠٣.

حملة بحرية بيزنطية هاجمت دمياط حسب رواية المقريزى، غير أنه لم يمدنا بتفاصيلها(١).

وعلى الجانب الآخر، كان النشاط العباسى محدودا أيضا، ففى عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م تمكنت الخلافة العباسية -عن طريق اسطول أسرة الأغالبة في شمال أفريقيا- من الإغارة على جزيرة سردينية البيزنطية، وان خسر الأسطول عددا من مراكبه ورجاله بسبب اشتداد مقاومة أهل الجزيرة(٢). كما تعرضت كريت لهجوم المسلمين فى العام التالى ٢٠١هـ/٨١٦م بسبب الأهمال الذى كان يعانيه الأسطول البيزنطى(٣).

ورغم هذا، تمتعت بيزنطة بفترة سلام وهدوء على الجبهة الإسلامية فى الشرق، ساعد على احساسها بالهدوء -بصفة عامة- تمتعها بسلام طويل على الجبهة البلغارية فى الشمال وكان لهذا كله أثره فى أن تتهيأ للإمبراطور ليو الأرمينى الفرص لتوجيه اهتمامه للشئون الداخلية(٤). هذا، فى نفس الوقت الذى لم تتمكن فيه بيزنطة من انتهاز الفرصة المتاحة لاستعادة هيبتها على الجبهة الإسلامية إذ أنها قد أمنت جانب جيرانها المسلمين نتيجة للأوضـــاع التى كانت تمر بها الخلافة العباسية فى ذلك الوقت ومن هنا

١- المقريزى(تقى الدين أحمد بن على): المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، القاهرة (مطبعة بولاق) ١٢٧٠هـ، جـ١ ص٢١٤ ونجد أنه يجعل تاريخ هذا الهجوم فى عام ٢٠٠هـ/٨١٥م. بينما يرى كنار أنه كان عام ٨١٧م/٢٠٢هـ ويجعله بروكس فيما بين ٨١٧-٨٢٠م/٢٠٢-٢٠٥هـ، وهذه الآراء لاتبعد عن الحقيقة إذ أنها تدور حول الفترة التى أعقبت الشقاق بين اولاد هارون ونشوب الثورات فى مصر. انظر: Canard, Byzantium and The Moslim world, C.M.H., 1967, vol IV, Part I, P.709; Brooks, E.W., The Relations between The Empire and Egypt from a New Arabic Source, in Byzantinis, zeitschrift, 1913, PP. 381-382; Kubiak, Byzantine attack on Damietta, P.50.

٢- ابن الأثير: الكامل، جـ٦، ص٣٢٩.

٣- ممايذكر أن استمرار اهمال الاسطول أدى إلى سقوط صقلية فى عام ٨٢٧م/٢١٢هـ انظر: Symeon Magister, Chronographia, Col. 758; Cf. Also Ahrweiler, Byzance et la Mer, P.38-39.

٤- حصّن الثيمات الأسيوية، وعمّر بعض المدن، وقام باصلاحات أخرى. للتفاصيل انظر: Anonymus, Vita leonis Armeni, Col.1113; Genesius, Rebus, Cols. 1022-1026.

كان الهدوء على منطقة الحدود بينهما يرجع لأسباب مشتركة بين القوتين طرفى الصراع.

غير أن الاتصال الحضارى بين القوتين كان له نصيبه من العلاقات بين العالمين البيزنطى والعباسى فى تلك الفترة من الزمن. فقد حرص المأمون على مراسلة الإمبراطور ليو الأرمينى طالبا منه بعض المصنفات اليونانية القديمة، فأرسل سفارة إلى القسطنطينية مكونة من الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وصاحب بيت الحكمة، فأحسن الإمبراطور استقبالها، وأمدها بما طلبه المأمون الذى أمر بترجمة هذه الكتب فى بغداد(١).

ولكن بعد حكم قصير توفى الإمبراطور ليو الأرمينى فى عام ٨٢٠م/٢٠٥هـ(٢)، بعد مؤامرة اشـــترك فيها ميخائيل الثانى(٣)، لينتهى بذلك حكم إمبراطور حاول قدر

١- الدينورى: الأخبار الطوال، ص٣٧٨؛ الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، جـ٦، ص٧٨، راجع أيضا: إبراهيم أحمد العدوى: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص١٤٥-١٤٦؛ وكذلك Bury, E.R.E., PP.436 - 438.

٢- Theophanes Cont, Historia, Col.53 بينما كان يريد لنفسه، ولأسرته حكما طويلا. ولهذا لجأ إلى تأييد سياسة تحطيم الصور، اعتقادا منه أن عمر الأباطرة اللا أيقونيين دائما طويلا، كما أن حياتهم انتهت نهاية طبيعية فى القصر الإمبراطورى، ودفن كل منهم فى المقبرة الإمبراطورية. هذا بعكس الايقونيين الذين لقوا حتفهم أما فى المنفى أو فى المعارك الحربية، ولكن لم يتحقق له هذا الأمل، رغم أنه أيد مقررات مجمع هيريا ٧٥٤م/١٣٧هـ. كما شرع فى اضطهاد عبدة الصور حتى أنه نفى الرهبان مثل ثيودور الاستودى، وثيوفان (المؤرخ) الذى أبعد إلى سموتراقية Samothrace حيث توفى فى عام ٨١٧م/٢٠٢هـ. لذا كان عزاء رجال الدين كبيرا عندما علموا بهلاكه مقتولا ليلة عيد الميلاد. انظر: Anonymus, vita leonis Armeni, Col.1113; Georgius Hamartolus, Chronicon, Col.983; Zonaras, Annalium, Col.1372; Theodorus Studites Epistolarum libri duo, Ed. Migne, Patrologia Graeca, Tome XCIX, Paris 1860, Cols, 1152 - 1156; Theophanes, Chronographia, (Theophanes vita antique), Cols. 36-44 .

٣- كان يشغل وظيفة رئيس الحرس فى القصر، وكان صديقا للإمبراطور، ولكنه طمع فى العرش. عن تفاصيل هذه المؤامرة انظر: Theophanes Cont, Historia, Cols.33-37; Genesius,Rebus,Col.1034; Leo Grammaticus, Chronographia, C.S.H.B., P.210.

امكانه اصلاح مشاكل بيزنطة ولكن لم يسعفه الوقت (١) .

وفى عام ٨٢٠م/٢٠٥هـ اعتلى ميخائيل الثانى عرش الإمبراطورية ٨٢٠-٨٢٩م/ ٢٠٥-٢١٤هـ ، وتلقب بالعمورى نسبة إلى عمورية في آسيا الصغرى، لتبدأ فترة حكم أسرة جديدة هى الأسرة العمورية أو الفريجية(٨٢٠-٨٦٧م/٢٠٥-٢١٤هـ)التى عاشت ثلاثة أجيال ومثلها ثلاثة أباطرة هم ميخائيل الثانى وثيوفيلوس، وميخائيل الثالث(٢).

١- شهد الشعب البيزنطى بكفاءته كما شهد له البطريرك والمؤرخ فى ذات الوقت نقفور الذى يقول:"لقد تخلصت الكنيسه من عدو لدود، ولكن الإمبراطوريه فقدت حاكما نافعا". ولكن لم تشهد بيزنطه خلال حكمه ما يجعلنا نأخذ برأى نقفور. ومما يذكر فى هذا المجال أن العلاقه بين نقفور والإمبراطور كانت طيبه، إذ أنه توجه امبراطورا، ولكن تغيرت هذه العلاقه بعد ذلك إذ إنقلب ليو الأرمينى على البطريرك نقفور. انظر: Theophanes, Continuatuas, Historia, Col.44; Leo Grammaticus, Chronographia, C.S.H.B., P.208-209.

٢- Genesius, Rebus, Col.1026, Georgius Monachus, Imperatorium Col. 837; Zonaras, Annalium, Col. 1380; Cedrenus, Historiarum ,Col. 954, Symeon Magister, Chronographia, Col. 620; Leo Grammaticus, Chronographia, C.S.H.B., P.211.

الخـــــــاتمة

* نظرة شاملة من أعلى على مسرح الأحداث، ودور القوى المتصارعة فوقه .
* اهم الآراء والأفكار التي طرحت على بساط البحث،والنتائج التى تم التوصل إليها .
* فترة مابعد الأحداث حتى موت الإمبراطور ثيوفيلوس فى عام ٨٤٢م/ ٢٢٨ هـ .

مر الصراع البيزنطى الاسلامى عبر مراحل متعددة مختلفة لكل منها طبيعتها، فكان الصراع ضد بيزنطة فى الشام فى فجر الاسلام أولى هذه المراحل. ونظرا لان هذه المرحلة المبكرة شهدت مشاكل عديدة عانتها بيزنطة، وشهدت على الجانب الآخر قوة عسكرية إسلامية ناشئة، فقد كان ميزان القوة فى صالح المسلمين. واستمرت بيزنطة لمدة طويلة غير قادرة على القيام بأى عمل عسكرى لاستعادة مافقدته من أراض. وانكمشت حدودها فى الشرق حتى أن العرب واظبوا على القيام بهجمات سنوية، وكثيرا ما اضطرت بيزنطة لدفع الجزية فى محاولة لوقف هذه ا... مات من أجل تحقيق هدنة تتمكن خلالها من التقاط الأنفاس.

واذا كانت بيزنطة قد تمكنت عن طريق ثلاثة أباطرة عظام هم هرقل وقنسطنطين الثانى وقنسطنطين الرابع من صد غارات الأمويين، إلا أنه باختفائهم انتهت مرحلة التحدى الذى اظهرته بيزنطة وانتهت بالتالى مرحلة توازن القوى بين الفريقين المتصارعين لتبدأ مرحلة جديدة من الضعف كادت تفتك ببيزنطة داخليا وخارجيا استمرت أكثر من ثلاثين عاما(٦٨٥-٧١٧م/٣٨-٩٩هـ) استباحت فيها الخلافة الأموية الحدود البيزنطية، حتى كان يجرى الاستعداد قدما لغزو العاصمة البيزنطية نفسها في عام ٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م. ولكن الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى تمكن من صد هذا الهجوم محققا انجازا عظيما في التاريخ البيزنطى، وسار قدما في سياسة الاصلاح من أجل رفع مستوى بيزنطة ماديا وفكريا. هذا، في الوقت الذى تأثرت فيه الخلافة الأموية سلبا من جراء فشلها فى الاستيلاء على عاصمة قنسطنطين، وتخلت عن فكرة الغزو واكتفت بالمناوشات الحدودية. بل وتمكنت منها عوامل الضعف لتضع نهاية لها. بينما على الجانب الآخر كانت بداية الأسرة الأيسورية القوية على يد مؤسسها ليو الثالث الأيسورى.

واذا كانت الأسرة الأيسورية قد أثرت بشكل واضح على حياة بيزنطة، فان ليو الثالث ومن بعده قنسطنطين الخامس هما صاحبا الفضل في هذا التأثير. فإذا كان الأول قد دافع عن العاصمة، فقد أمّن الثانى حدوده في آسيا الصغرى إلى حد كبير فرغم التباين بين الاستراتيجية العسكرية للخلافة الأموية والخلافة العباسية، فقد

استمرت علاقات العداء بين العالمين البيزنطي والإسلامي حتى أن ميزان القوى في الصراع بينهما لم يكن ثابتا، فتارة يرجح جانب على جانب وتارة يتحول إلى صالح الجانب الآخر، وأحيانا يتعادل بينهما، وفقا لمقتضيات الظروف بينهما.

ولاشك أن العبقرية العسكرية لكل من ليو الثالث وقنسطنطين الخامس مكنتهما من تشكيل جيش قاوم قوات العباسيين في عهدي المنصور والمهدي إلى حد ما والحقيقة انه لولا التنظيم العسكري القوي الذي وضع اساسه كل منهما ماتمكنت بيزنطة من صد النشاط الاسلامي المستمر، خاصة وأنه في بعض الأحيان كانت بيزنطة مشغولة بالاشتباك مع العرب والبلغار وقوات شارلمان في وقت واحد. وكان للإمبراطور ليو الرابع أداء أفضل في حربه مع المسلمين. وذلك لانه تسلم دولة قوية تتمتع باستقرار داخلي ورخاء اقتصادي. لذا تمكن أن يؤمن بلاده من خطر البلغار، كما أصلح احوال قواته العسكرية بعد سلسلة من الحروب الطويلة استمرت أكثر من ستين عاما، وتمكن من الاعتماد على مجموعة القادة الأوفياء الذين سبق لهم أن خدموا مع والده. وتمكن من تحقيق انتصار ضد خصومه في مرعش والحدث عام٧٧٨م/١٦١هـ ، ولكن المهدي نجح في الرد على هذا بنصر مماثل حينما استولى على حصن سمالو في١٦٣هـ/٧٧٩م، ليعيد التوازن بين الطرفين المتصارعين.

وقد استغنت الإمبراطورة إيرين منذ اعتلائها العرش كوصية عن هؤلاء القادة رغم أنهم حققوا لها أداءا طيبا في موقعة ميلوس عام٧٨١م/١٦٤هـ ، وفي موقعة دارينو عام٧٨٢م/١٦٥هـ ، ثم في ضرب الحصار حول هارون الرشيد في شرق نيقوميديا في نفس السنة. ومنذ ذلك الحين لم تحقق بيزنطة مايستحق الذكر. بل على العكس عانت من ظروف صعبة، إذ نشطت القوى الخارجية المعادية لها منتهزة المشاكل التي تلاحقها في الداخل والخارج. ففي الداخل كانت المشكلة الدينية الخاصة بالأيقونات، وما ترتب عليها من آثار، كذلك المسألة المالية الصعبة بسبب الاسراف وتعدد مظاهر الترف أما في الخارج فقد كان الأعداء يتربصون بها من كل جانب. فمن الشمال البلغار، ورغم التزام بيزنطة بدفع الجزية لهم، إلا أن هذا لم يمنع من استمرار خطرهم على بيزنطة. ومن الغرب بابوية روما، إذ أن ايرين لم تتوقع خطورة ماترتب

على جريمتها في حق ابنها الذى لم يكن له وريث ذكر. لذا اعتبرت البابوية والفرنجة أن عرش بيزنطة أصبح خاليا بعد سمل عينى ابنها. ومن هنا تتابعت الأحداث حتى تم تتويج شارل العظيم فى٨٠٠م/١٨٤هـ . ومن الجانب الأسيوى انتهز العباسيون فرصة هذا الضعف العام لبيزنطة وانشغالها فى أكثر من جهة. فقد شن المهدى حملة من أخطر ماواجهته بيزنطة فى الفترة الأخيرة، إذ وصلت حملته إلى البسفور، وفرضت جزية كبيرة على بيزنطة. كما هدد الثيمات البيزنطية وعمق آسيا الصغرى، وهاجم قبرس والبحر الأسود والساحل الغربى البيزنطى.

ولاشك أن بيزنطة كانت تعانى سوء الحظ. إذ تعاقب عليها حكام ضعاف ابتداء من قنسطنطين السادس. وعلى العكس من ذلك تمتعت الخلافة العباسية بحكام محاربين أشداء، عظماء. فلم يشهد العصر العباسى الأول موت أحدا منهم في بغداد-غير الأمين- إذ تناثرت قبورهم في أرجاء أرض الخلافة، لأن الخليفة كان دائم الحركة والحرب. ولعل الخلافة الإسلامية في تلك الفترة قد تمتعت برواج اقتصادى هيأ لها معينا لاينضب من المال أسهم فى تعزيز قدراتها العسكرية في مواجهة منافستها الدولة البيزنطية. وكان من نتيجة ذلك أن تمتعت الخلافة بمركز سياسى بارز وسمعة دولية طيبة جعلت دولة الفرنجة تسعى لاقامة علاقة طيبة معها فى مواجهة الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الأموية فى الأندلس ليصبح العالم مكونا من أربع قوى غيرت التوازن الدولى وقتها

ولاشك أن لهارون الرشيد أكبر الفضل فى تلك المكانة التى وصلت إليها الخلافة العباسية آنذاك. ولم يكن نقفور أحسن حالا من إيرين. فقد فشل أيضا فى مواجهة هارون، بل أنه اساء تقدير المواقف فيما يتعلق بسياسته معه. فعلى أثر كل هزيمة كان يعقد اتفاقية صلح مع هارون ثم يخرقها ثم يعاود الكرة وهكذا، مما عرّض بلاده لمخاطر الحرب ومهانة الشروط، حتى أنه دفع جزية عن نفسه وابنه فى عام٨٠٦م/١٩٠هـ ليميل ميزان القوى بشكل واضح لصالح الخلافة العباسية. وبدأت المشاكل الداخلية فى الخلافة العباسية بوفاة هارون، إلاّ أن ذلك لم يغير من الأمر شيئا إذ عانت بيزنطة حالة من الضعف، حتى أنه تعاقب على حكمها أباطرة من أصول مختلفة، قليلى

الكفاءة .

وهناك مجموعة من القضايا ألقينا الضوء عليها فى هذا البحث نظرا لأهميتها. فمن أهمها الجهود التى بذلها كل من الأباطرة هرقل وقنسطنطين الثانى والرابع حتى تمكنوا من مواجهة الخطر الأموى، ومن بعدهم انتهت مرحلة التحدى البيزنطى لهذا الخطر لتبدأ مرحلة جديدة من التفوق الإسلامى.

كما تناولنا دور جماعة المردة Marclaites فى الصراع البيزنطى الإسلامى، عندما أرسل الإمبراطور قنسطنطين الثانى هذه الجماعة ليشكلوا خطرا على الخلافة فى عام ٦٦٦م/٤٦هـ . ولكن الخليفة عبد الملك بن مروان تمكن من الاتفاق مع الإمبراطور جستنيان الثانى على نقلهم من شمال الشام ليرتكب الإمبراطور بذلك خطأ استراتيجيا، إذ أنه كشف بذلك الحد الشرقي للإمبراطورية، ليتأكد أن عهده يعتبر فترة تحول من التحدى البيزنطى إلى التفوق الإسلامى. فقد أعلن الخليفة هذا صراحة حينما ضرب الدنانير الذهبية لأول مرة وأرسلها كجزية بدلا من العملة البيزنطية .

وتناولنا بالشرح أيضا أحوال بيزنطة الداخلية، وصراعات العرش البيزنطى حتى تعاقب على الحكم ستة أباطرة فى فترة لاتزيد عن العشرين سنة، وتردى الأحوال الداخلية في البلاد في الفترة التى سبقت الحصار الأموى للقسطنطينية فى عام٩٩هـ/ ٧١٧-٧١٨م مما شجع الأمويين للاقدام على هذه الحملة في محاولة منهم لتحقيق حلمهم الاستراتيجى وهو غزو العاصمة نفسها. وقد أدى هذا إلى وقوف كبار قادة بيزنطة لمواجهة الخطر ووقع اختيارهم على القائد ليو إمبراطورا للقيام بذلك .

كذلك أوضحنا أسباب فشل الحصار الأموى للعاصمة البيزنطية فى٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م. وركزنا على الدور الذى أدته مناعة العاصمة في صد هذا الهجوم، وكذلك النار الأغريقية، والدور الذى ساهمت به جماعة المسيحيين الذين تحولوا من جانب الأمويين إلى الإمبراطور ليو الثالث. هذا، إلى جانب تأثير الشتاء القارس ، والجليد المستمر على حالة القوات الأموية .

ومن النقاط التى تناولناها تحليل شامل لسياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز التى تأثرت بظروف خاصة تتعلق بالبلاد فى تلك الآونة. واقتضت الحقيقة الإشارة إلى

أنه نجح فى اجتياز فترة صعبة على نفوس المسلمين فى اعقاب فشل الحصار. وعرضنا بالتفصيل للحملة الإسلامية على آسيا الصغرى فى عام١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م وكيف تحولت كفة الميزان في المعركة من المسلمين إلى البيزنطين بمساعدة الخزر. وأوضحنا مدى تاثير هذه الحروب على الأدب، خاصة فى قصص الملاحم التى تناولت نموذجا لبطل قومى تحلى بالبسالة والإقدام وهو القائد عبد الله البطال الذى كاد أن يأسر الإمبراطور نفسه في هذه المعركة ولكنه مات بعد ذلك بعد أن تحولت المعركة ضده.

كما تناولنا بالتحليل ثورة ارتفاذ (ارطباذ) ضد الإمبراطور قنسطنطين الخامس، وأثر ذلك على بيزنطة، وعلى علاقاتها بالمسلمين. وعرضنا لموقف المسلمين من الثورة وتفسير ودلالات هذا الموقف. ثم أوضحنا أثر انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين على العلاقات مع بيزنطة، واختلاف استراتيجية الدولتين. وبيّنا أنه إذا كانت الخلافة الاموية تسعى للغزو والتوسع فقد كانت الخلافة العباسية تسعى لاضعاف الدفاعات البيزنطية دون تحقيق غزو أو فتح .

وعرضنا أهم ماقام به الإمبراطور قنسطنطين الخامس فى عام٧٥١م/١٣٤هـ على الجبهة الاسلامية، حينما انتهز مشاكل الخلافة العباسية واستولى على حصن ثيودوسيبوليس وهاجم حصن كمخ، واستولى على حصن ملطية، وخرّب سميساط. واوضحنا أن الغرض من هذا النشاط كان تدمير نقاط الامداد والمراكز التى يستخدمها المسلمون للهجوم على حدود بيزنطة، مما يعكس نجاح بيزنطة فى توجيه استراتيجيتها فى منطقة الحدود المشتركة مع المسلمين. وذكرنا أن الخلافة كانت حريصة على استعادة هذه المناطق مما يعكس طبيعة المرحلة التى بدأتها الخلافة العباسية بعد أن اقتربت من اكتمال تنظيم دولتها واستعادة مكانتها كند قوى لبيزنطة .

وتحدثنا عن دور الخزر والترك والأرمن فى الصراع البيزنطى الإسلامى، ومساهمتها في تحويل نتائج بعض المعارك لصالح المسلمين مثلما حدث بالنسبة للخزر فى معركة دارت بين الطرفين فى عام١٤٨هـ/٧٦٥م. وأشرنا إلى الحملة البرية البحرية الإسلامية التى توجهت إلى قبرس عام١٥٧هـ/٧٧٣م، ونجاحها فى الوصول إلى عمق آسيا الصغرى، وقبرس حيث تم أسر حاكم الجزيرة، ونظرا لانشغال الإمبراطور بحرب

البلغار فقد عرض السلام على المنصور، الذى رفض هذا العرض من مركز القوة.

كما أوضحنا المتغيرات الجديدة فى التوازن الدولى، والظروف التى أدت إليها، وتزايد أطراف قوى الصراع بين العالمين الأوربى والإسلامى. فظهرت تحالفات المصالح ومناورات الحرب فى تلك الفترة. وأشرنا إلى محاولات التقارب التى أظهرها كل من المهدى وليو الرابع، وتبادل الهدايا بينهما، والافراج عن الأسرى فى تلك السنة الأولى من اعتلائهما الحكم. ولكن هذا لم يعكس الصورة الحقيقية لهذا التقارب. فقد استؤنف القتال سريعا بين الطرفين. وعرضنا لجهود ليو الرابع فى مجال الانشاءات العسكرية واقامة التحصينات والاهتمام بالثيمات واحتفاظه بالقادة القدامى، وتوطيد علاقته معهم فزاد اخلاصهم له واعتبروه امتدادا لأبيه فعاونوه في تدعيم عرشه فى مواجهة الخطر العباسى. كما ألقينا مزيدا من الضوء على صائفة القائد العباسي ثمامة بن الوليد فى عام١٦١هـ/٧٧٧م، التى أهملت المصادر العربية معظم تفاصيلهما بينما عرضت لها المصادر البيزنطية .

ومن أهم القضايا التى عالجناها تلك التى تتناول موقف القائد البيزنطى ميخائيل لاخانودراكون في معركة دارت بين المسلمين بقيادة عيسى بن على وبين البيزنطيين لنجدة مرعش في عام ١٦١هـ/٧٧٨م. فيذكر ثيوفان أن القائد ميخائيل قد حصل على رشوة من عيسى بن على ليترك المدينة، وتناولنا هذه المسألة بالدراسة والتحليل سعيا وراء الحقيقة التاريخية، وانتهيناإلى أن ثيوفان تعمد تشويه صورة هذا القائد بسبب ما ارتكبه من أعمال التعذيب لعبدة الصور والأيقونات فى عهد الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس.

كذلك استعرضنا رأى المؤرخين الذين يعلقون على نشاط الخليفة المهدى وابنه الأمير هارون أنه كان من أجل السلب والنهب والحصول على العبيد فحسب. وأوضحنا أهمية موضوع الجهاد أثناء هذا الصراع المتواصل الممتد بين الفريقين .

وألقينا الضوء على الظروف والملابسات التى تم فيها تتويج قنسطنطين السادس إمبراطورا فى حياة أبيه ودور الجيش في هذا، ودلالات هذا الحدث. كما أوضحنا حقيقة الدور الذى قام به القائد العباسى عبد الكبير بن عبد الحميد فى عام ١٤٦هـ/

٧٨١م، واكتشفنا أن الطبرى لم يعطه حقه حينما عرض لأحداث هذه المعركة وقد توصلنا إلى ذلك بالدراسة المقارنة بين رواية الطبرى ورواية ثيوفان . وأوضحنا تفاصيل حملة المهدى التى أرسل ابنه هارون على رأسها فى عام١٦٥هـ/٧٨٢م إلى البسفور، وخط سيرها وأحداثها والصعاب التى تعرض لها هارون حتى كاد أن يقع فى الأسر.

كما تحدثنا عن الدوافع التى أدت بالقائد البيزنطى تاتزاتيس إلى خيانة البيزنطيين ومساندة هارون واخراجه من تطويق القوات البيزنطية له فى منطقة وادي نهر سانجاريوس ،وأوضحنا علاقة ذلك بسياسة إيرين تجاه هذا القائد بصفة خاصة وتجاه قادة بيزنطة القدامى بصفة عامة . كما تناولنا جهود هارون الرشيد فى مجال بناء وترميم الحصون والثغور وتزويدها بالحاميات العسكرية وما يلزمها، حتى تتمكن من مواجهة الخطر البيزنطى ،وجهوده أيضا لانشاء جيش قوى لكى يتمكن من الاستمرار فى تهديد بيزنطة.

واشرنا إلى القائد البيزنطى ديجينيس اكريتاس ومواقفه الشجاعة فى مواجهة الجيش العباسى حتى لقد اعتبر موته حلقة من حلقات الصراع التى الهمت كتاب القصص والملاحم التى ارتبطت بالعديد من الاغنيات الشعبية التى تصور قصص الحرب والبطولة. وأشرنا إلى الصراع الداخلى على الحكم بين قنسطنطين السادس وأمه إيرين، وأثر ذلك على أحوال بيزنطة الداخلية وعلى العلاقات البيزنطية الإسلامية.

وهناك قضايا تناولناها بالتحليل وتوصلنا إلى بعض الاستنتاجات. مثال ذلك ما أثير حول أصل وموطن ليو الثالث الأيسورى مؤسس الأسرة الأيسورية، وكان لدوره فى التفاوض مع القادة الأمويين باللغة العربية أثره فى ترجيح الرأى القائل أنه من سوريا.

كما تناولنا أثر فشل الحصار الأموى للقسطنطينية فى عام٩٩هـ/٧١٨م على توازن القوى بين الفريقين المتحاربين، وأثره فى تغيير تكتيك التحركات الإسلامية الحربية فى مواجهة بيزنطة، والتحول من أسلوب الهجوم إلى المناوشات التى تهدد كيان بيزنطة فى العمق. هذا على المدى البعيد، اما على المدى القريب فكان لاعتلاء الخليفة عمر بن عبد العزيز العرش فى أعقاب هذا الفشل أثره فى هدوء النشاط على الحدود بين الطرفين، فكان يرى أن الحدود لا ينبغى أن تهدد العدو بقدر ماتمنعه من الوصول

إلى الأراضى الإسلامية. ووصلنا إلى نتيجة محددة بشأن نشاط ليوالثالث الأيسورى، فقد تكررت أغاراته على سواحل سوريا في أعوام٧١٨م/١٠٠هـ و٧٣٨م/١٢٠هـ، وسواحل مصر في أعوام٧١٩-٧٢٠م/١٠١هـ و٧٢٥م/١٠٧هـ و٧٣٩م/١٢١هـ، وخلصنا أن ليو كان يستهدف أضعاف القوة البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، وأن أمكن منع احياء هذه القوة مرة أخرى. كما أعتبرنا أن موقعة اكروينون التى دارت بين طرفى الصراع فى عام١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م كانت آخر نشاط أموى توغل فى قلب آسيا الصغرى. وأصبحت المحاولات التالية عبارة عن صوائف ليس لها نتائج تذكر حتى سقوط الدولة الأموية. وهذا يعكس انتقال زمام المبادأة لجانب بيزنطة، ليتأكد تفوقها فى صراعها ضد المسلمين، وان كانت الخلافة العباسية قد تمكنت بعد ذلك من تثبيت أقدامها.

كما صححنا خطأ وقع فيه كل من اليعقوبى والطبرى. إذ يقولان إن سليمان بن هشام قابل الإمبراطور ليو فى عام١٢٤هـ/٧٤٢م، والصحيح إنه قابل ابنه الإمبراطور قنسطنطين الخامس وحددنا هدف حملة عام١٢٥هـ/٧٤٣م بأنها كانت لحماية منشآت حصن زبطرة. وصححنا خطأ آخر لليعقوبى، حينما ذكر أن الخليفة هشام أرسل غزوة في عام١٢٥هـ/٧٤٣م، والصحيح أن ذلك كان فى عهد الوليد الثانى، وأيضا حينما جعل هذه الغزوة آخرصائفة حتى عام ١٣٨هـ/٧٥٥م وقد ذكرنا أنه خرجت صوائف أخري فى عام١٣٠هـ/٧٤٧م إلى مرعش، وفى عام١٣٤هـ/٧٥١م إلى ملطية ثم إلى الطوانة .

كما أكدنا مقولة أن كل من الإمبراطور قنسطنطين الخامس والثائر ارتفاندوس قد حاول الحصول على تأييد المسلمين لنفسه ضد الطرف الآخرخاصة وأن الإمبراطور قد وجه سفارة للخليفة الوليد الثانى فى نفس الوقت الذى اندلعت فيه الثورة. وبلورنا تكتيكات الإمبراطور قنسطنطين الخامس فيما يتعلق بحربه ضد المسلمين بأنه كان يستهدف دفع حركة الضغط الإسلامى عن آسيا الصغرى تدريجيا، بأن يهاجم المسلمين فى عقر دارهم حتى يجبرهم على الدفاع والتراجع، ومنعهم من الزحف ناحية الحدود البيزنطية. وبذلك تم نقل الحرب إلى الأراضى السورية. وأوضحنا أن انشغال

الإمبراطور بالمشاكل الأخرى لم تمكنه من مواصلة هذه السياسة. كما حددنا الخسائر التى اصابت بيزنطة من جراء الكوارث الطبيعية التى هددتها في عامى٧٤٥-٧٤٦م/ ١٢٨-١٢٩هـ. وأشرنا إلى مبالغة المصادر البيزنطية حينما تناولت تفاصيل حملة أموية هاجمت قبرص فى نهاية عام١٢٩هـ/٧٤٦م قوامها ألف سفينة، بينما قاومها أسطول بيزنطى قوامه ثلاثين سفينة، وتستطرد تلك المصادر قائلة إنه لم ينج من الأسطول الأموى سوى ثلاث سفن. وقد تناولنا بالدراسة التحليلية المقارنة الآراء التى تبالغ فى نتائج هذه الهزيمة، وتوصلنا إلى نتائج محددة بهذا الخصوص .

كذلك وصلنا لنتيجة بشأن ماقيل حول موافقة المنصور على عقد هدنة مع بيزنطة مدتها سبع سنوات وعلى تبادل الأسرى بين الطرفين. وقد ناقشنا هذه القضية واستبعدنا موضوع الهدنة، مع التاكيد على حدوث تبادل للأسرى. واستنتجنا أن هذا قد تم ببطء بناء على موافقة الطرفين حتى يتمكنا من مواجهة مشاكلها الأخرى. وقد استغرق هذا التبادل ثلاث سنوات. وعرضنا بالدراسة والتحليل لصور المبالغة التى كانت تلجأ إليها المصادر البيزنطية في تصوير الخوف الذى كان يسيطر على المسلمين إذا ماعلموا بوجود الإمبراطور البيزنطى في مكان ما. وكذلك المصادر العربية فى تصوير الخوف الذى يحل بالبيزنطيين إذا ماسمعوا بوجود قوات إسلامية فى مكان مثلما حدث فى عام ١٤٠هـ/٧٥٦-٧٥٧م.

كما صححنا الخطأ الذى وقع فيه كل من الطبرى وابن الأثير وابن خلدون حينما ذكروا أن النشاط الإسلامى توقف فى الفترة من١٤٠هـ/٧٥٧م إلى١٤٦هـ/٧٦٣م أى لمدة ست سنوات، وأثبتنا قيام المسلمين بنشاط فى عامى١٤٢و١٤٣هـ/٧٥٩و٧٦٠م على التوالى، وبهذا يكون النشاط قد توقف لمدة ثلاث سنوات فقط. كما توصلنا إلى أن الخزر هم الذين شغلوا المسلمين على الحدود الشمالية بناء على توجيه بيزنطة لهم، وذلك فى عام١٤٨هـ/٧٦٥م. فقد أحسن الإمبراطور قنسطنطين الخامس استخدام أعداء المسلمين لإثارتهم حتى يتفرغ لمشاكله الأخرى خاصة مع البلغار. وتوصلنا إلى تحديد الجزيرة التى كانت هدفا للحملة الإسلامية فى عام١٤٨هـ/٧٦٥م بأنها صقلية وليست قبرص مثلما يرى السيوطى. كما حددنا منطقة نهر اللامس مكانا لتبادل الأسرى بين

المسلمين والبيزنطيين فى عام١٣٩هـ/٧٥٦م، وأوضحنا أن دافع بيزنطة من هذا التبادل هو محاولة من جانبها لانقاذ حياة الكثير من الأسرى، والتخفيف من وطأة الحرب بين العالمين البيزنطى والإسلامى. كما تصدينا بالدراسة لرأى الطبرى القائل بأن الإمبراطور قنسطنطين الخامس عرض دفع الجزية على المنصور فى عام١٥٦هـ/ ٧٧٢م تأمينا لحدوده الشرقية، خاصة وأن الشواهد لا تؤكد مثل هذا العرض، كما أن النشاط العسكرى لم يتوقف. وخرجنا برأى وهو أن الإمبراطور عرض الصلح مع دفع الجزية ولكن المنصور رفض هذا الطلب، ويؤكد هذا أن الطبرى نفسه يذكر أن المنصور أرسل صائفة كبيرة إلى بيزنطة فى العام التالى ١٥٦هـ/٧٧٣م، وأشار المؤرخ البيزنطى ثيوفان كذلك إلى حملتين حدثتا فى نفس العام، الأولى قادها المنصور بنفسه والثانية قادها ثمامة بن وقاص.

كما حددنا تاريخ الهجوم الذى قام به ليو الرابع على سميساط فى بداية اعتلائه العرش بأنه كان فى ربيع أو صيف عام٧٧٦م/١٦٠هـ. كما توصلنا إلى تفاصيل المعركة، ودور كل قائد على حده فى تحقيق الانتصار، وربطنا بين دلالات هذه المعركة والعلاقة الطيبة بين الإمبراطورة إيرين وهؤلاء القادة. وقمنا بازالة الغموض الذى يحيط برواية كل من الطبرى وابن الأثير حول فتح المهدى لأنقرة وكاسن فى عام١٦٠هـ/ ٧٧٦م.

كما صححنا صفة النشاط الذى قام به البيزنطيون فى عام ١٦١هـ/٧٧٨م. فتشير المصادر البيزنطية بأنه يتمثل فى اغارة، والصواب أنها حملة. خرجت لمواجهة جيش ثمامة بن الوليد وكان قوامها مائة ألف، وضمت قوات من خمس ثيمات . وذكرنا أنه من المستبعد أن تبذل بيزنطة الجهد من أجل اغارة عادية، إذ أنها كانت تستهدف الاستيلاء على مرعش.

كما أوضحنا الدوافع التى جعلت المؤرخ ثيوفان يناصب ميخائيل العداء أثناء المعركة حول مرعش فى عام١٦١هـ/٧٧٨م، وتعمد تشويه سمعته العسكرية. وكشفنا حقيقة الدور الذى قام به هارون حينما سيّره أبيه على رأس حملة فى عام١٦٣هـ/ ٧٨٠م. وذكرنا أنه لم يكن القائد الفعلى والمباشر فيها، إذ لم يكن وقتها قد تجاوز

السابعة عشرة من عمره لذا حرص أبوه على أن يصحبه كبار قادة الخلافة العباسية. كما توصلنا إلى تحديد مدة الحصار الذى تعرض له حصن سمالو فى عام١٦٤هـ/ ٧٨٠م. وتناولنا أيضا رواية ثيوفان عن حملة ارسلها المهدى ضد ليو الرابع بقيادة ثمامة بن الوليد مكونة من خمسين ألف مقاتل فى عام١٦٤هـ/٧٨٠م. وقد واجهها ميخائيل لاخانودراكون الذى تمكن من هزيمة ثمامة وقتل أخيه. وقد أيدنا هذه الرواية بالأدلة والبراهين على الرغم من اهمال المصادر العربية لها. ثم أوضحنا تفاصيل حملة المهدى على البسفور فى عام١٦٥هـ/٧٨٢م ودور القادة البيزنطيين فيها كل على حده، وعرضنا لمستوى كفاءة هؤلاء القادة فى ضوء هذه المعركة مما يجعلنا نقرر أن إيرين أخطأت حينما تخلصت من قادة بيزنطة القدامى.

وأوردنا شروط الصلح الستة التى تم الاتفاق عليها بين إيرين وهارون عقب الصلح الذى وقع بينهما نتيجة معركة١٦٥هـ/٧٨٢م. كما تناولنا بالتحليل آراء بعض المؤرخين فى شروط هذا الصلح، ومحاولتهم الدفاع عن إيرين واختلاق الأعذار لها، بل وتزييف الحقيقة التاريخية فى بعض الأحيان، وأسباب ذلك.

وصححنا قول كل من ابن خياط واليعقوبى إن معركة عام١٦٥هـ/٧٨٢م كانت صائفة، والصواب أنها حملة. بل من أهم حملات المهدى على الجبهة البيزنطية فى تلك الفترة. وكان لها نتائج مؤثرة سواء بالنسبة للعباسيين أو البيزنطيين .

كما أوضحنا حقيقة الخسائر التى تعرض لها المسلمون فى عام١٧٨هـ/٧٩٤م بمنطقة البحر الأسود، وأوضحنا خطأ الرأى الذى يذكره كل من ميشيل السريانى وابن العبرى فى هذا الصدد. وألقينا الضوء على الظروف التى مهدت إلى توقيع اتفاقية الصلح بين هارون وإيرين فى عام١٩٣هـ/٧٩٩م؛ وتناولنا بالتحليل آراء المؤرخين بشأن هذه الاتفاقية، ومحاولتهم الدفاع عن إيرين والتماس الاعذار لها. وألقينا الضوء على الخطابات التى أرسلها نقفور إلى هارون وفحواها ودلالاتها، وأثبتنا صحتها معتمدين فى ذلك على المصادر البيزنطية نفسها.

كما تتبعنا المرات التى التزم فيها نقفور بالصلح مع هارون ثم خرقه لتعهداته. وبيّنا أن هذا تكرر مرارا، الأمر الذى جاب على بيزنطة الحروب المستمرة وأدى إلى تكثيف هارون لنشاطه على حدود بيزنطة في آسيا الصغرى. وعرضنا في هذا المجال لتفاصيل نشاط هارون في الأعوام١٨٨-١٩١هـ/٨٠٤-٨٠٦م،وبصفة خاصة اجتياحه هرقلة، وشروط الصلح الذى فرضها على نقفور ونتائج هذا الصلح وتأثيره على توازن القوى بين الفريقين الذى أصبح يميل لصالح المسلمين.

كما أثرنا قضية أخرى تتعلق بظهور التشدد الإسلامى ضد النصارى من سكان الثغور كنتيجة طبيعية للأوضاع السياسة القائمة في بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى. ثم بيّنا الدور الذى قام به هارون الرشيد في ازدهار الخلافة العباسية حتى أصبحت مرهوبة الجانب ذائعة الصيت. ومن ثم سعى الغرب الأوربى إلى مخاطبة ودها وأقامة علاقات طيبة معها. كما ألقينا الضوء على طبيعة العلاقات بين هارون وشارلمان.

وأخيرا، حللنا الأسباب التى أدت إلى هدوء العلاقات السياسية بين الدولتين المتحاربتين بعد وفاة هارون الرشيد وحتى عام٢٠٥هـ/٨٢٠م .

على أى حال، باعتلاء الإمبراطور ميخائيل الثانى العرش في ٢٥ديسمبر عام٨٢٠م/١٤رجب ٢٠٥هـ تبدأ أسرة جديدة في التاريخ البيزنطى هى الأسرة العمورية التى استمرت من عام٨٢٠ إلى٨٦٧م/٢٠٥-٢٥٣هـ . ومن أهم الأحداث التى واجهت ميخائيل الثانى الحرب الأهليه التى قادها توماس الصقلى الذى استغل مشاكل الإمبراطورية وقتها (١). ولم يتردد المأمون فى عقد اتفاق معه ، على أساس مساعدته فى الاطاحة بميخائيل الثانى مقابل استيلاء الخلافة على مناطق معينة على الحدود البيزنطية في الجبهة الشرقية. وبناء على هذا أمر الخليفة العباسى بطريرك أنطاكية الذى يدعــــى أيوب بتتويج تومــــاس إمبراطورا(٢). ولكن ثورته فشلت، وانتهى الأمــر

١- Theophanes Continuatus, Historia, P.37; Leo Grammaticus, Chronographia, C.S.H.B., P.212.

٢- Michel le Syrien, Chronique, Tome III, P.52.

بالقبض عليه واعدامه، دون أن يتمكن المأمون من انقاذه، خاصة وأن المأمون نفسه كان يواجه هو الآخر حركة تمرد قامت بها جماعة الخرمية(١). وترتب على ثورة توماس فقدان بيزنطة لجزيرة كريت، ولم تنجح محاولات ميخائيل الثانى لاستردادها(٢). كما فقدت جزيرة صقلية بعد أن اندلعت بها ثورة تحالفت مع العرب. وهكذا أخذت قوة الإمبراطورية البيزنطية في البحر المتوسط والبحر الادرياتيكى تزول بالتدريج لتحل محلها السيطرة الإسلامية(٣).

وهكذا لم تتميز فترة حكم ميخائيل الثانى بازدهار واضح يمكن أن يضاف إلى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بل كانت المشاكل فى الداخل والخارج متلاحقة مما ترك أثره على أحوال بيزنطة فى عهد الإمبراطور ثيوفيلوس(٨٢٩-٨٤٢م/٢١٤-٢٢٨هـ) الذى انشغل بمواجهتها(٤).

ولحسن حظ بيزنطة أن الخلافة العباسية كانت تعانى آنذاك بعض القلاقل مثل محاولة بعض القادة الاستئثار بالسلطة، وقيام بعض الخارجين بجباية الضرائب لانفسهم؛ هذا علاوة على الفتن والثورات التى هددت البلاد مثل ثورة نصر بن شبث الذى كان يدين بالولاء للأمين، ولكنه أخمدها في عام٢١٠هـ/٨٢٥م(٥). كذلك محاولات الاستقلال عن الخلافة العباسية في مصر بقيادة عبد العزيز الجروى حاكم مصر(٦)، واستقلال الدولة الطاهرية(٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م)(٧)،وكذلك محـــــاولة الاندلسيين

١- Zonaras, Annalium, col.1378.

٢- Cedrenus, Historiarum, col.937.

٣- Zonaras, Annalium, col.1378.

٤- انظر: وديع فتحى عبد الله: ثيوفيلوس، ص١٠١-١٠٩.

٥- الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص٥٩٨-٦٠١.

٦- الكندى: الولاة والقضاة، ص١٧٠.

٧- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص ١٨٣-١٨٥.

دخول الإسكندرية(١).فكان على المأمون التفرغ لمواجهة هذه المشاكل، ولذلك تميزت هذه الفترة بالهدوء فى منطقة الحدود المشتركة بين بيزنطة والمسلمين فى الفترة الأولى من حكم كل من ثيوفيلوس والمأمون، ثم بدأ النشاط الحربى بين الطرفين دون أن يكون هناك تفوق واضح لأى منهما. ولكن فى عهد المعتصم(٢١٨-٢٢٨هـ/٨٣٣-٨٤٢م)استغل ثيوفيلوس ثورة بابك الخرمى، وشجعها ليضرب بها الخلافة العباسية(٢)، وهاجم زبطرة فى عام ٨٣٧م/٢٢٢هـ(٣). وكان رد المعتصم عليه هو اقتحام عمورية فى٢٢٣هـ/ ٨٣٨م(٤) ليثأر بذلك لكرامة الخلافة. ثم هدأ الصراع-مرة أخرى-بين الطرفين فى السنوات التالية وحتى وفاة ثيوفيلوس فى٨٤٢م/٢٢٨هـ(٥).

لقد كان الصراع سجالا بين المسلمين والبيزنطيين على الجبهة الشرقية، يهدأ تارة ويشتد مرات ومرات، ويتبادل فيه كل من الطرفين النصر والهزيمة. ويتحكم فى تقرير ذلك الأحوال السائدة فى كلا العالمين من سياسة واقتصادية واجتماعية ودينية. وكانت الفترة موضوع الدراسة احدى حلقات هذا الصراع الممتد المتصل منذ ظهور الإسلام فى بدايات القرن السابع وحتى سقوط القسطنطينية فى قبضة الأتراك العثمانيين فى أواسط القرن الخامس عشر الميلادى. وبسقوط عاصمة قنسطنطين تصبح الدولة البيزنطية فى خبر كان، وتأخذ خريطة العالم شكلا جديدا يعلن عن نهاية عصر وبداية عصر جديد فى تاريخ البشرية .

١- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص ١٧٤.

٢- Leo Grammaticus, Chronographia, C.S.H.B., P.215.

٣- المؤلف المجهول: العيون والحدائق، ص٣٨٩.

٤- Leo Grammaticus, Chronographia, C.S.H.B., P.222.

٥- Genesus, Rebus, col.1024-1026

الملاحق

الملحق الأول: تعيين ليو الأيسورى إمبراطورا ليواجه الحملة ضد القسطنطينية عام٧١٧م/٩٩هـ. انظر: Nicephorus, Breviarum,cols. 955,958

الملحق الثاني: فشل الحملة البحرية الأموية على القسطنطينية فى٧١٧-٧١٨م/٩٩هـ.
انظر: Nicephorus, Breviarum,cols. 958,959

الملحق الثالث: الزلزال الذى دمر أسوار القسطنطينية، وإهتمام ليو بإصلاحه.
انظر: Cedrenus, Historiarum, col.879

الملحق الرابع: قيام إرتقاذ بثورته، ونجاحه فى إعتلاء العرش لمده عام(٧٤١م/١٢٣هـ).
انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, col.934

الملحق الخامس: إستيلاء قنسطنطين الخامس على كل من ثيودوسيبوليس وكمخ وملطية فى ٧٥١م/٣٤هـ.
انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, col.938,951

الملحق السادس: الإمبراطور ليو يتوج إبنه قنسطنطين إمبراطوراً، ودور الجيش فى هذا الحدث.
انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, col.954

الملحق السابع: تخلص هارون من الحصار الذى تعرض له فى شرق نيقوميديا فى عام ١٦٥هـ/٧٨٢م.
انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, col.958-959

الملحق الثامن: إستيلاء نقفور على الكنوز والثروات الإمبراطورية من إيرين.
انظر: Cedrenus, Historiarum, col.911-914

الملحق التاسع: خطاب نقفور إلى هارون عام٥ ٨٠م/ ١٩٠هـ بشأن طلب السلام.
انظر: Georgius Hamartolus, Chronicon, col.974.

الملحق العاشر: هزيمه نقفور أمام العباسيين فى معركة٨٠٦م/١٩٢هـ، وخرقه لإتفاقية الصلح التى وقعها مع هارون.
انظر. Cedrenus, Historiarum, col.918

وقع اختيارنا على عشرة ملاحق تخدم البحث، وقد استقيناها من الأصول الأجنبية التى لاتزال بلغاتها القديمة التي دونت بها كاليونانية أو اللاتينية، وقد قمنا بنقلها للمرة الأولى إلى اللغة العربية مع التعليق عليها .

ويتناول الملحق الأول الظروف الداخلية السيئة التى عاشتها بيزنطة، وصراعات العرش، وحالة الضعف والتردى التى انتشرت بين أجهزة الحكم ومرافق الدولة والجيش، حتى أصبحت بيزنطة عاجزة عن مواجهة المسلمين . والنص يلخص أحوال بيزنطة في الفترة الواقعة بين عامي(٦٥٨و٧١٧م/٣٨-٩٩هـ) حينما كانت الحدود البيزنطية ومناطق آسيا أرضا مفتوحة للغزوات الأموية، كما يتعرض لاستعدادات الخلافة الأموية التى كانت تستعد لغزو القسطنطينية منتهزة هذه الفرصة ويشير إلى أن كبار رجال الدولة ادركوا خطورة الأوضاع التى تتعرض لها بيزنطة في ظل إمبراطور ضعيف هو ثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م/٩٦-٩٨هـ)، فاختاروا ليو إمبراطورا بدلا منه بهدوء وبدون إراقة للدماء مقابل سلامة حياته. وقد وافق ثيودوسيوس على هذا بعد تردد وبعد أن أدرك صعوبة مواجهة المسلمين؛ وبالفعل تم تتويج ليو إمبراطورا في عام٧١٧م/ ٩٩هـ. وترجع أهمية هذا النص إلى أن نقفور هو المصدر البيزنطى الوحيد الذى حدد عدد قطع الأسطول المشتركة في الحملة الاسلامية متفقا في ذلك مع المصادر العربية. أما عن تعداد الجيش فلم يذكر عددا محددا بينما ذكر أن الخليفة الأموى جمع قوات لاتحصى من الفرسان والمشاة كما أنه يبرز دور مجلس السناتو البيزنطى في مواجهة الأزمات التى تتعرض لها البلاد كما هو واضح في دوره في تعيين القائد ليو إمبراطورا في محاولة منه لإنقاذ الإمبراطورية من الأخطار التى تتهددها، وبصفة خاصة تلك التى تأتى من الشرق .

أما الملحق الثانى فيتناول بعض التفاصيل المتعلقة بالحملة الأموية على القسطنطينية في٧١٧-٧١٨م/٩٩هـ مثل خط سيرها، وتقدم الأسطول الأموى بقيادة القائد سليمان إلى أبيدوس على بوغاز الدردنيل، ثم عبوره البحر إلى تراقية، واخضاعه مدنا كثيرة حتى وصل إلى العاصمة. ويذكر نقفور في روايته أن الحصار استمر ثلاثة عشر شهرا، ويتعرض للشتاء الذى قاسى منه الأسطول الأموى وأثر الثلج

على ارتفاع نسبة الخسائر بين المسلمين وتحدث عن الامدادات التى وصلت للأسطول الأموى ويذكر أنها وصلت من مصر بقيادة سفيان حاملة القمح والأسلحة، ومن أفريقيا بقيادة يزيد حاملة الأسلحة، وكان ضمن هذه الإمدادات جماعة من المسيحين تحولوا إلى جانب ليو الذى أحسن استغلال هذه الفرصة، كما يشير النص الى أن ليو وجه نيرانه الإغريقية ضد هذا الأسطول، وحصل على غنائم وفيرة من المسلمين.

وترجع أهمية هذا النص أنه يعدد الأسباب التى أودت إلى فشل الحصار الأموى للعاصمة البيزنطية ورغم أن المؤرخ نقفور يعتبر مصدر ثقة لأحداث هذه الفترة من الزمن إلاّ أنه يبالغ حين جعل عدد قطع الأسطول البيزنطى عشرين في مواجهة ألف وثمانمائة قطعة من الأسطول الأموى. ولعله أراد أن يهول من قيمة النصر الذى احرزته بيزنطة .

أما الملحق الثالث فيتناول حادث الزلزال الذى دمر أسوار القسطنطينية في عام٧٣٩م/١٢١هـ ويتعرض للخسائر التى ترتبت عليه سواء في الأرواح أو المبانى فقط في العاصمة وإنما في عدد من المدن البيزنطية أيضا مثل تراقية ونيقية ونيقوميديا. وقد طال هذا الزلزال قرابة العام، وتسبب في كثير من الرعب الذى دب في قلوب الأهالى خوفا على حياتهم وعلى عاصمتهم. وهذا النص يعكس مدى اهتمام الإمبراطور باصلاح ماترتب على هذا الزلزال من دمار وخراب ، علاوة على اهتمامه باعادة بناء سور القسطنطينية لدرجة جعلته يفرض ضريبة خصصت لإصلاحه ثم صيانته بصفة مستديمة. كما أنه يعكس اهتمام الإدارة البيزنطية بالعاصمة حتى تستمر قوية منيعة تستطيع مواجهة الأخطار الخارجية والتى كان آخرها حصار الأمويين لها في عام٩٩هـ/٧١٧-٧١٨م.

أما الملحق الرابع فيتناول موضوع الثورة التى تعرضت لها بيزنطة بقيادة ارطباذ الذى نجح في اعتلاء عرش الإمبراطورية في عام٧٤١/١٢٣هـ منتهزا فرصة انشغال الإمبراطور قنسطنطين الخامس في السنة الأولى من حكمه. وكادت هذه الثورة تسقطه نهائيا من العرش، وكانت ايضا اختبارا قويا له في بداية حكمه، كما أكسبته خبرة في هذا السن المبكرة إذ لم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره . وأهم

مافى هذا النص أنه يشير إلى محاولة كل من الإمبراطور قنسطنطين الخامس، والثائر ارطباذ استمالة المسلمين إلى صفة. كذلك يعكس هذا النص معنى آخر يتعلق بعدم قدرة الخلافة الأموية على استثمار هذه الأزمة الداخلية التى تعرضت لها بيزنطة وقتذاك ولعل مرجع هذا هو أن الخلافة نفسها كانت تعانى من فتن واضطرابات أخطر من تلك التى تعانى منها بيزنطة. ويشير النص إلى اختلاف العناصر التى أيدت طرفى هذا النزاع، فبينما ساندت مدينة عمورية في ثيم الأناضول الإمبراطور قنسطنطين، كما سانده رجال الجيش، نجد أن ارطباذ سانده سكان الولايات الأوربية، وسكان ثيم الأبسيكيون وتراقية وارمينيا، كما سانده رجال الدين والأيقونيون. لذا كان أول مافعله ارطباذ حينما توج إمبراطورا أن قام باعادة الأيقونات. ولهذا النص دلالة خاصة وهى أنه حتى أقرب الأقارب المتعاونين مع الإمبراطور قنسطنطين الخامس مثل البطريق ثيوفان لم يكونوا متحدين فى تأييدهم له بسبب سياسة تحطيم الأيقونات التى اتبعها.

ويتناول الملحق الخامس النشاط الحربى الذى قام به الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس في عام٧٥١م/١٣٤هـ للاستيلاء على ثيودوسيبوليس فينتهز فرصة انشغال المسلمين بانتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، وباندلاع الثورة في ارمينية نتيجة سقوط الخلافة الأموية. وقد قاد الإمبراطور بنفسه هذه المعركة، وقام بنقل بعض سكان هذه الحصون إلى داخل بيزنطة في تراقية عند حدود بلغاريا في حصون أخرى أمر الامبراطور ببنائها. كما يتناول النص استيلاء الإمبراطور على حصن كمخ رغم محاولة حصن ملطية ارسال النجدة إليه، واستيلائه على حصن ملطية بعد أن حاصره ونصب عليه المجانيق وارسل إلى اهل المدينة يقول" إنى لم اتكم إلا على علم بأمركم، انزلوا على الأمان، واخلو المدينة أخيرها وامضى عنكم" وهاجم مرعش ايضا.

وأهمية هذا النص أنه برهان على مدى قوة هذا الإمبراطور الذى وصل بنفسه إلى أقصى عمق المسلمين، مدمرا تحصيناتهم، ومهددا كل النظام الثغرى الممتد من الفرات إلى البحر، منتهزا فرصة القلاقل التى كانت تعانى منها الخلافة الإسلامية ،كما يعكس النص مدى كراهية المؤرخ جورج همرتولس الذى كان مؤيدى الأيقونات

للإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الخامس الذى عارض عبادتها، حتى أنه وصف الإمبراطور بالطاغية، ووصف الذين نقلهم إلى تراقية بأنهم طائفة الطاغية. كما أنه لايذكر له هذا الانتصار بفضل؛ بل يقول إن هذا ماكان ليحدث لولا انشقاق المسلمين على انفسهم. ثم ان همرتولس، من ناحية أخرى، يصف المسلمين بأنهم بربر الشرق، مما يعنى أن التزمت الدينى قد سيطر على كتابات المؤرخين البيزنطيين، وكان هذا أحدى سمات العصر.

أما الملحق السادس فيتناول تتويج الإمبراطور البيزنطى ليو الرابع لابنه قنسطنطين ودور الجيش فى هذا الحدث. ويشير النص إلى الأسباب التى جعلت ليو الرابع محبوبا من البيزنطين جميعا، فقد اغرق على الشعب الهدايا والهبات، وكرم الأشراف، وأحسن إلى عبدة الأيقونات، وأكرم الرهبان، كما كسب رضى رجال جيشه الذين كانوا يدينون بالوفاء لابيه قنسطنطين الخامس. لكل هذه الأسباب كان قسم هذه الفئات له ولابنه. ونظراً لمكانة قادة الجيش لدى الإمبراطور، فقد وافق على رغبتهم بتتويج ابنه، ولم يكن هذا خضوعا بقدر ماكان ارضاءا لهم، وتحقيقا لرغبته في نفس الوقت، وترجع أهمية النص أيضا إلى أنه يعكس مدى قوة رجال الجيش واعتماد الإمبراطور عليهم، بالإضافة إلى عدم رغبته في تقويض البناء العسكرى الذى ورثه من قنسطنطين الخامس، وهو الأمر الذى يبرهن على ذكاء الإمبراطور، وهو ماأفتقدته إيرين -على النحو الذى تناولناه -حينما خسرت هذه المجموعة من القادة، وكان لهذا أثره على أحوال بيزنطة في عهد كل من ليو الرابع وإيرين فيما يتعلق بعلاقات بيزنطة مع المسلمين .

ويعالج الملحق السابع بعض تفاصيل حملة الخليفة العباسى المهدى التى قادها ابنه هارون الرشيد إلى خليج القسطنطينية في عام١٦٥هـ/٧٨٢م. وكانت هذه الحملة ردا على هزيمة المسلمين في معركة عند منطقة ميلوس في عام١٦٤هـ/٧٨١م. وقد أحسن المهدى تجهيزها والانفاق عليها، وتوغل هارون في الأراضى البيزنطية، فعبر بوابات قيليقيا إلى حصن ماجدة ثم إلى فريجيا في ثيم الأناضول ثم إلى ثيم الاوبسيكيون، وانتهى به المطاف عند وادى نهر سانجاريوس، ولكن القوات البيزنطية

طوقته بين هذا النهر جنوبا وبين الجبل الموجود بالقرب من نيقوميديا شمالا وبقوات أخرى من الجنوب الشرقى، هذا في الوقت الذى احتل فيه البيزنطيون بحيرة بانيس في مواجهة قوات هارون وكانت قد أرسلتها إيرين لمواجهة هذه الحملة. ويلاحظ أن المؤرخ جورج همرتولس يغفل حقيقة هامة، وهى أن هارون قد خرج من هذا المأزق بمساعدة أحد القادة البيزنطيين، بل وتحول الموقف لصالحه تماما بينما يذكر همرتولس أن هارون قبض على كبار القادة البيزنطيين الذين ذهبوا إليه للمفاوضة من أجل السلام، فأصبح الجيش بدون قيادة، وأصبح موقف إيرين سيئا واضطرت الى قبول دفع الجزية. ويعكس النص عددا من الحقائق في مقدمتها هذا العمق الاستراتيجى الذى وصلت إليه الجيوش العباسية الأمر الذى لم يحدث منذ محاولة سليمان عبدالملك في عام٩٩هـ/١١٧-٧١٨م. كما يعكس افتقار القادة الذين اعتمدت عليهم إيرين إلى الحذر الواجب والحنكة السياسية حتى انهم لم يحتاطوا بالأمان الكافى تجاه هارون. وهو دليل على أن إيرين قد تخلصت من أكفأ القادة الذين رفعوا راية بيزنطة، واعتمدت على آخرين من الخصيان الأقل كفاءة، ولم تحصد من جراء هذا سوى الهزائم.

علاوة على أن تلك المعركة قد ترتب عليها التزامها بدفع الجزية التى تتراوح ما بين سبعين وتسعين ألف دينار على دفعتين في شهرى ابريل ويونيو من كل عام، بالاضافة إلى الشروط الأخرى ويعتبر هذا الانتصار من أهم انجازات الخليفة المهدى الذى فرح ببسالة ابنه هارون فلقبه بالرشيد في عام١٦٦هـ/٧٨٢م.

أما الملحق الثامن فيتحدث عن الثروات والكنوز التى استولى عليها الإمبراطور نقفور من إيرين بعد أن اعتلى العرش في عام٨٠٢/١٨٦هـ ، وكيف استخدم معها أسلوب الموادعة، حتى تمكن في النهاية من الحصول على الثروات التى وجدت في القصور بمساعدة الإمبراطور قنسطنطين السادس ووالدته الإمبراطورة إيرين التى اعترفت بخطئها فى كثير من أمور البلاد ومنها تسامحها مع نقفور اكثر من مرة وتركه دون عقاب. وبعد أن استولى نقفور على هذه الكنوز، تخلى عن وعده لإيرين، بل اساء إليها ونفاها بعيدا حتى لفظت أنفاسها خارج البلاد. ويركز النص على اهتمامات نقفور المالية وحرصه على جمعها حتى يتمكن من تنفيذ اصلاحاته الإدارية والعسكرية

ليتمكن من صد خطر المسلمين في الشرق، والبلغار في الشمال ،كما يحمل النص بين طياته احساس إيرين بالندم ليس فقط لوجودها في المنفى بل أيضا لادراكها أنها لم تحقق شيئا يحسب لها.

أما الملحق التاسع فهو عبارة عن صيغة الخطاب الذى أرسله الإمبراطور نقفور إلى هارون في عام٨٠٤–٨٠٥م/١٨٨–١٨٩هـ بشأن طلب السلام عندما اجتاح هارون آسيا الصغرى ودخل عمورية. وفي هذا الخطاب حاول نقفور إثناء هارون عن الاستمرار في الحرب وما ينجم عنها من خسائر، مخاطبا فيه تعاليم الدين الإسلامى، عارضا عليه المال والذهب إن أراد. وأهمية هذا الخطاب، أن المصادر العربية لم تتعرض له، بالإضافة إلى كونه برهانا على أن نقفور لم يتوان في استخدام الدبلوماسية تجاه هارون لوقف الحرب وإقامة السلام. كما عكس الخطاب مدى التدهور الذى كانت تعانيه بيزنطة عامة ونقفور خاصة، حتى أنه أرسل الخطاب مصحوبا بالهدايا، مما يعنى ان توازن القوى فى الصراع بين الفريقين كان يميل لصالح المسلمين فى ذاك الوقت. ولكن همرتولس اختلف مع كدرينوس بشأن توقيت هذا الخطاب فبينما يذكر همرتولس أن نقفور أرسله في عام٨٠٤–٨٠٥م/١٨٨–١٨٩هـ إبان هجوم هارون على عمورية، نجد أن كدرينوس يحدده في عام٨٠٦م/١٩٠هـ اثناء حملته على هرقلية.

أما الملحق العاشر والأخير فيتناول حملة هارون على هرقلة في عام١٩٠هـ/٨٠٦م والتى قادها هارون بنفسه على رأس جيش من ثلاثمائة ألف مقاتل. إذ اقتحم هارون عدد من الحصون والقلاع مثل الصقالبة وربسة والصفصاف وملقوبية، ثم سار بنفسه إلى حصن الطوانة وحاصره وجعل منه قاعدة لتحركاته، ومنه اتجهت قوة اسلامية إلى أنقرة، دمرت ماصادفها. فكتب نقفور إلى هارون يطلب فيه السلام مقابل المال، كما أرسل له الهدايا التى نالت استحسان الخليفة الذى رد عليه بالمثل. وتم ترتيب معاهدة الصلح التى التزم فيها نقفور بدفع الخراج والجزية عنه وعن ابنه، فبلغ جملة مادفعه ثلاثين ألف نوميسما سنويا، كما نصت على التزام نقفور بعدم تعمير المناطق التى خرّبها المسلمون، على أن يُرد المعسكرات الإسلامية التى في حوذته مقابل التزام هارون

بعدم تخريب حصون ذى الكلاع وصملة وسنان.

وكانت مدة هذه الهدنة ثلاث سنوات وقد خرق نقفور هذه الاتفاقية فأرسل هارون جيشا إلى قبرس وسبى الكثير من الأسرى. ولم يكن هذا إلاّ نتيجة للسياسة التى ُجبل عليها نقفور الذى استمر في خرق عهوده التى قطعها على نفسه مع هارون في حالات مماثلة سابقة. وترجع أهمية هذا النص أنه يقرر حقيقة موافقة نقفور على دفع جزية عن نفسه وعن ولده، وهوماعلق عليه المؤرخون على أنه من أكثر الاتفاقيات مهانة لبيزنطة في مجال العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإ سلامية في هذه الفترة من الزمن.

الملحق الأول

تعيين ليو الأيسورى إمبراطورا ليواجه الحملة الإسلامية ضد القسطنطينية عام ٧١٧م/٩٩هـ.

نقلا عن : Nicephorus,Breviarum,cols.955,958

Col.955

Dum assiduae hunc in modum contra imperatores conjurationes exsistunt, dumque in valescente tyrannide imperii status ac rei publicae negligitur ac paulatim in deterius prolabitur, una et litterarum studia restingui atque intereidereo coeperunt, ncc minus disciplina militaris pessumdari. Ita factum ut romanum imperium bellis impune lacesseretur,ac Caedes passim promiscue et abductiones hominum et urbium eversiones fierent. (An.716) Accessit ad horum malorum cumulum saracenorum Irruptio,qui contra regiam uibem lerrestri expeditione facta infinitas equitum ac peditum copias ex subjectis sibi gentibus collegerant. Eodemque Tempore classem ingentem mille octingentarum navium circiter

Col.958

miserant, duce Musalmano: ita enim gentili eum Lingua vocabant, Quibus rebus ae coguitis, tam militiae praefecti quam civiles magistratus , cum Theodosii imperitiam animadverterent neque tantis hostium viribus sustinendis parem esse scirent,instare alque hortaricoeperunt ui imperio sese abdicaret ac tuto se in ordiuem cogi pateretur. Nec conditionem abnuit ille,sed anno imperii vertente sponte se abdicavit. Lnde de successore deligendo consilium ineunt,ac tum forte leo patricius oblatus est, Orientalibus copiis ea tempestate praefectus. hic igitur,ut imperatores sonlent, solemni pompa susceptus Aurea porta Byzantium ingreditur, qtque in Majore Ecclesia imperatoriam coronam accipit.

الترجمة العربية

ع٩٥٥. . . وبينما المؤامرات قائمة على قدم وساق ضد الأباطرة، وبينما الضعف يسرى فى جهاز الحكم، والاهمال يسود شئون الدولة ومرافقها، والتردى يشمل مظاهر الحياة والفنون والآداب، كما احتل النظام العسكرى الدولة (١)، وتهدد استقرار الحكم بسبب الاضطرابات الداخلية والحروب المستمرة بلغ الغزو الإسلامى ذروته. فقد جمع المسلمون قوات لا تحصى من الفرسان والمشاة من مختلف الولايات الإسلامية(٢)، وخرجوا على شكل حملة برية عاتية فى اتجاه المدينة الملكية (٣) وفى الوقت نفسه أرسلوا أسطولا ضخما مكونا من ألف وثمانمائة سفينة تحت

ع ٩٥٨ قيادة مسلمة، هكذا يسمونه فى اللغة العربية(٤)وحين أدرك القادة العسكريون والمدنيون مدى قصور ثيودوسيوس(٥)، وأنه أيضا غير كفء لمقاومة قوات العدو الضخمة، وأصروا على تنحيته عن الحكم وأن يمضى فى سلام، ولكنه رفض هذه الفكرة وقبل أن يكتمل العام كان قد تخلى عن الحكم (٦) فقد عقد مجلسا للتشاور، وتم اختيار البطريق ليو الذى عهد إليه بالقوات الشرقية لمواجهة خطورة هذه الحملة العاصفة. ولذا، وكما تعود الأباطرة، تحت الشعائر والمراسم الإمبراطورية، سار ليو عبر البوابة الذهبية إلى القصر، وهناك تقلد التاج الإمبراطورى فى الكنيسة العظمى (٧).

---

(١) حتى تعاقب على حكم بيزنطة ستة أباطرة فى حوالى عشرين عاما .انظر الفصل الأول .

(٢) بلغ تعداد هذه القوات ١٨٠ الف جندى. انظر الفصل الأول .

(٣) أى القسطنطينية .

(٤) احاطت شجاعة هذا القائد الكثير من الروايات. انظر ابن الاثير: الكامل، جـ ٢،ص ١٧ ، ص ١٩ . الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، جـ١ ، ص ٢٦٥.

(٥) حكم فى الفترة من ٧١٥ – ٧١٧م /٩٦ – ٩٨ هـ.

(٦) مقابل سلامة الإمبراطور المخلوع، وقد تم الاتفاق على هذا أمام البطريرك جرمانوس الأول (٧١٥–٧٣٠م/٩٦–١١٢هـ).

(٧) ليبدأ فى بيزنطة حكم أسرة جديدة هى الأسرة الأيسورية.

الملحق الثاني

فشل الحملة البحرية الأموية على القسطنطينية فى ٧١٧/-٧١٨م/٩٩هـ .

نقلا عن : Nicephorus Breiviarum, Cols.958,959.

Col,958.

AN. 717. At Saraceni multis Romanorum oppidis eversis, Pergamum insuper occupant ... Hine profecti Saraceni ad fauces Aabydi atque in Thraciam postremo delati sunt. Nec pancis illic oppidis subactis, regiam ad urbem contendunt. Quam cum operibus Cinxissent, tredecim totos menses in obsidione persistunt, et varia ad eam machinarum genera comparant. Inter haec Saraceuonum classis advenit, cujus dux erat Solyman Arabiee dietus. Ae dum postremo naves Byzantii fretum superant et a tergo sequuntur, utpote magna militum vi atque armorum onustae; dumque levi aura reflante et adverso maris impetu repellente tardius navigant, imperator, ea re animadversa, biremes conscendit, et per mediam classem elapsus numero cireiter viginti succendit. Caeterae nayes ad Thracium

Col.959.

bosporum advectae ad sosthenium portum applicant, et ibidem hiemant. Quo tempore tam aspera vis hiemis fuit, ut peae rivium copia centenis diebus videri terra non potuerit. Ex quo Saraeeni hominum atque equorum, camelorum item ac jumentorum ingentem numerum amittunt. Insequente vere (an.718) altera rursum ex Ae Egypto classis appulit Sophiano duce, frumenti atque armorum copiam ingentem adveheus; ac paulo post alia rursum ex Africa cum armorum apparatu atque annona submissa est, cui Iezidus quidam Saracenus imperabat. hi cum paratum a Romanis, ut ferunt,·ignem atque incendium metuerent, Byzantii freto ob trajiciendi desperationem relicto ad bythiniam applicant, . . Aegyptii vero, qui una cum iis navigabant, noctu lembis qui navibus

adharebant conscensis, Byzantium confugiunt, et imperatoris nomen faustis aeclamationibus prosequuntur. Quibus rebus animatus imperator incendiarias naves adversus illas ciasses immitit, atque unversas igne consumit. Ex quo ingentibus spoliis ditati, illorum armis ae commeatu in suas naves imposito ad imperatorem redeunt.

الترجمة العربية

ع ٩٥٨ . . . . أما الساراكانيون (١) فقد اجتاحوا كثير من مدن الرومان فى عام ٧١٧م، ثم احتلوا برجامة بعد أن حاصروها فترة من الوقت .... ومنها ساروا إلى حدود مدينة ابيدوس (٢) ثم انطلقوا إلى تراقية، كما اخضعوا مدنا كثيرة، وفى اليوم التالى انطلقوا إلى المدينة الإمبراطورية (٣)، وظلوا يحاصرونها ثلاثة عشر شهرا كاملة (٤)، وأخذوا يقذفونها بأنواع المجانيق. وفى تلك الاثناء وصل اسطول الساراكينيين الذى كان قائده سليمان العربى. وبينما كـــــانت سفن بيزنطة تتعرض لعاصفة جعلتها

(١) المسلمون.

(٢) على بوغاز الدردنيل .

(٣) القسطنطينية .

(٤) بينما يرى ثيوفان أن مدة هذا الحصار كانت اثنتى عشر شهرا، يرى كدرينوس انها أربعة عشر شهرا. انظر الفصل الاول .

تبحر فى مواجهة التيار، لذا فقد صعد الإمبراطور الى سطح سفينة بيزنطية ومر على سفن الاسطول التى يبلغ عددها عشرين (١). أما السفن الباقية فقد ذهبت لحمله بالمؤن ، وتمكن من قيادة كل

ع٩٥٩ الأسطول إلى ميناء البوسفور ثم إلى بيثينيا حيث قضى الشتاء هناك، ونظرا لأن هذا الشتاء كان قارصا، وظلت الثلوج تتساقط مائة يوم، لذا فقد الساراكينيون عددا ضخما من رجالهم ومن الجياد والابل. وبعد ذلك خرج أسطول آخر من مصر (٢) تحـــت قيادة ســـــفيان فى عام ٧١٨م، يحمل كميات كبيرة من القمح والاسلحة، وبعد قليل خرج أسطول آخر من أفريقيا حاملا كمية كبيرة من الاسلحة تحت قيادة ايزيدوس الساراكينى(٣)، واصيب البيزنطيون باليأس وغادروا البحر، وأنطلقوا إلى بيثينيا ولكن نظرا لان المسلمين كانوا يخشون من شىء اعده الرومان، كما قيل، هو اللهب والنار ... (٤) ولان المصريين الذين جاءوا بحرا فروا إلى بيزنطة بعد أن قطعوا الحبال التى تربط السفن، وهم يهتفون باسم الإمبراطور، فقد وجه الإمبراطور نيرانه إلى تلك السفن مستخدما المواد التى تحرق السفن فاشعل فيها النيران، فكانت الغنائم هائلة، ونقلت الاسلحة والمؤن إلى السفن البيزنطية . . . . (٥).

---

(١) يشير نقفور فى هذا النص إلى ان عدد قطع الاسطول البيزنطى فى المعركة كانت عشرين قطعة فى مقابل الف وثمانمائة قطعة من الاسطول الاموى . انظر الملحق رقم (١) ولا شك أنها مبالغة، عرض لها الباحث فى حينها. انظر الفصل الاول .

(٢) من مدينة الاسكندرية .

(٣) هو القائد يزيد .

(٤) النساء الاغريقية .

(٥) عن هذه الخسائر انظر الفصل الأول .

الملحق الثالث

الزلزال الذى دمر أسوار القسطنطينية واهتمام ليو باصلاحه ·

نقلا عن : Cedrenus ,Historiarum ,Col.879

Col.879

Die Octobris 26, quae D. Demetrio Sacra est, feria 4, horas, terrae motus ingens atque terribilis Cpoli fuit, qui templa, monasteria, domosque multas prostravit, multosque homines. Corruit etiam Arcadii statua in Xerolopho et aliae mult ae, muri etiam terrestres urbis . et in Thracia urbes atque ae atqe castella, nec non Nicarn Nicomedia et Praenetus , quin et mare quibusdam in locis a limitibus suis refugit. Obtinuit terrae motus iste menses 11. Imperator ruina murorum cogita cives ita est allocutus: Vos muris urbis reficiundis cum non sitis pares, nos quaestoribus nostris negotium dedimus ut ultra constitutum tributum in singula nomismata accipiant miliarisium unum, idque in aerarium nostrumconferant ex quo nos muros condamus.

الترجمة العربية

ع ٨٧٩ . . . . وفى ٢٦ أكتوبر من عام ٢٤(١) الذى كان عيدا قدسيا للقديس ديمتريوس، وفى الساعة الثامنة حدث زلزال رهيب في القسطنطينية دمر المعابد والاديرة وكثيرا من المنازل، وراح ضحيته كثير من الناس، كما حطم اسوار وابراج المدينة، وأحدث نفس الشيء فى مدن تراقية ونيقية ونيقوميديا وقلاعها. كما انطلق البحر وكســـر حاجز الامواج إلى بعض الاماكن، واستغرق هذا الزلزال ١١ شهرا وبين

(١) تاريخ هذا الزلزال هو ٧٣٩م/١٢١هـ . ولعل المؤرخ يقصد ٢٤ من حكم ليو وهو العام الذى تم فيه تخصيص ضريبة اصلاح سور العاصمة

حطام الاسوار وقف الامبراطور يخطب فى المواطنين قائلا: أنكم لا تملكون الامكانيات لاصلاح اسوار المدينة، لذا فقد تفاوضنا مع رجال خزانتنا (١) كى تجمعوا التبرعات من أجل هذا، وقد تقرر فرض ضريبة على كل فرد قدر بألف نوميسما(٢) ذلك من أجل إعادة بناء هذه الأسوار. . . . .

(١) بصفة عامة وزير الخزانة .

(٢) هى عمله بيزنطة تساوى $\frac{١}{٧٢}$ من رطل الذهب انظر الفصل الثالث.

الملحق الرابع

قيام ارتقاذ بثورته ونجاحه فى اعتلاء العرش لمدة عام (٧٤١م/١٢٣هـ) .

نقلاً عن : Georguis Hamortolus, Chronicon, Col 934.

Col.934.

Interea Constantino adversus Arabes cum Artabasdo in regionem opsicianam profecto mutuo sese observabant.

Et auxilium aliis ferentibus et Bisero, Socio sacrorum Constantini, ab Artabasde interfecto, constantinus perterritus Amorium aufugit.

Hinc calamitosissima inter utrumque bella. Artabasdus vero Theophani magistro, uni ex familiaribus suis et tune in urbe degenti mandavit ut eum susciperet. Et admissus ab ordinibus imperator renuntiatus est. Universus deinde populus urbem circuiens, cum pseudopatriarcha Anastasio anathematizavit Constantinum, Artabasdum vero imperatorem orthodoxum salutavit

الترجمة العربية

ع ٩٣٤ . . . وفى تلك الاثناء كان قنسطنطين يسير لقتال العرب (١) ومعه ارطباذ (٢)، فالتقى بهم فى ثيم الاوبسيكيون. ولكن ارطباذ تمرد عليه، وانضـــــم إليه

---

(١) فى عام ٧٤١م/١٢٣-١٢٤ هـ

(٢) أرمينى الأصل، وقد شغل فى عهد قنسطنطين الخامس منصب كونت ثيم الاوبسيكيون، انظر أيضا الفصل الأول وتذكره المصادر البيزنطية باسم ارطباذ.أما المصادر الارمينية فتذكره باسم ارتقازدوس

كثيرون(١). وتمكن الخوف من قلب الإمبراطور قنسطنطين فلاذ بالفرار إلى عمورية(٢). واشتد العداء بين الطرفين، وعهد أرطباذ للسيد ثيوفانس(٣) وهو صديق له، ويمت بصلة قرابه أيضاً، بالبقاء فى المدينة لإداره شئونها(٤). وقد أعلن ثيوفانيس أن أرطباذ أصبح إمبراطوراً، فذهب الشعب إلى المدينة. وصحبه البطريرك الذى قد يكون إسمه أناستاسيوس، وأخذوا يحيون الإمبراطور االورع ارطباذ(٥).

---

(١) اذ انضم إليه معظم عبدة الايقونات.

(٢) من ثيم الاناضول الذى ايده بسبب ذكريات هذا الثيم مع والده ليو الثالث.

(٣) هو البطريق ثيوفان مونوبتوس.

(٣) اخذ كل من الإمبراطور قنسطنطين الخامس، والثائر ارطباذ فى تبادل السفراء مع العرب، وكل منهما يسعى لكسبهم الى جانبه ضد خصمه.انظر : Cedrenus, Historiarum, Col. 882.

(٥) حتى ظهرت صورته على العملة البيزنطية جنبا الى جنب مع الإمبراطور قنسطنطين الخامس.

الملحق الخامس

استيلاء قنسطنطين الخامس على ثيودوسيبوليس وكمخ وملطية فى ٧٥١م/١٣٤هـ .

نقلا عن: Georgius Hamartolus, Chronican, Cols.939., 951

Col.939.

Tyrannus vero, urbe relicta, Nicomediam
concessit, ibique diu moratus, cum certior factus esset bellum civile inter Saracenos agitari, versus partes Syriae movit et Germaniciam recepit, Theodosiopolin et Melitenen, omnibus incolis in captivitatem abductis.

Et sub pestis praetextu, populares suos Armenos et Syros ad se receptos Byzantii et in Thracia collocavit, qui ad hunc asque diem in haeresi tyranni persistunt

....

....

Col.951

Posteaquam Orientales barbaros a ducibus suis dissidere comperit et civili beilo distineri, latronis more potius quam imperatoris in Armeniam et Syriam furibundus irrumpit, ibique incolarum deditione occupatis aliquot castellis eosdem illos in Thraciam transportat .Haec sunt istius hominis egregia facta,...

الترجمة العربية

ع ٩٣٨ . . . . أما الطاغية (١)، فقد ترك المدينة (٢)، وانطلق إلى نيقوميديا، حيث ظل هناك ردحا طويلا من الزمن. وحين تأكد أن ثمة حرب أهلية قد نشبت بين المسلمين (٣)، انطلق الى ربوع سوريا(٤)، واستولى علي جيرمانيكا (٥) وثيودوسيبوليس وملطية، واسر سكان هذه المناطق. وبسبب الدمار الذى الحقه بهذه المناطق، اعاد السكان المسيحيين الى داخل بيزنطة، وبنى لهم مساكن فى تراقية، وهم الذين لايزالوا حتى الآن يشكلون طائفة الطاغيه(٦)

....

....

ع٩٥١ وهكذا ولانه اكتشف أن بربر الشرق (٧)، انشقوا على قادتهم، وانشغلوا بالحرب الاهلية، ولان هذه الفرصة قد أتاحها القرصان انفسهم، ولم يخلقها هو نفسه فقد انطلق كالمجنون الى ارمينيا وسوريا، ونظرا لاستسلام السكان احتل بعض القلاع، ونقل سكانها الى تراقية. هذه هى انجازات هذا الرجل. . . .

---

(١) المقصود الإمبراطور قنسطنطين الخامس، وقد وصفه هذا المؤرخ بهذه الصفة لاختلافه معه بشأن عبادة الصور.

(٢) القسطنطينية.

(٣) يقصد قيام ثورة ارمينية نتيجة سقوط الدولة الاموية، وانشغال العباسين بتوطيد أركان دولتهم .

(٤) المقصود الشام.

(٥) مرعش.

(٦) يقصد الذين يقرون بالطبيعة الواحدة للمسيح أى الذين يسمون المونوفيزيون انظر: Cedrenus Historiaum, Col.883.

(٧) يقصدالمؤرخ هنا المسلمين فى الشرق .

الملحق السادس

الإمبراطور ليو يتوج ابنه قنسطنطين امبراطورا ودور الجيش فى هذا الحدث.

نقلا عن: Georgius Hamartolus,Chronicon, Col.954

Col.954

post Constantinum Copronymum regnavit ejus ex Chazara fillius annos quinque. Is porro magnis divitiis a patre sibi relictis liberalius utens, optimates sibi devinxit, et populo religiosus visus est et Deiparae addictus monachisque, quorum quosdam in metropolitas assumpsit.

Thematum praefecti cum populi conserta turba in urbem introeuntes, petierunt ut constantinus, filins ejus, imperator designaretur, Hic propter fratres timens, illis contra obnitebatur Filius iste mens, aiebat, unicns mibi est, et qued postulatis exsequi vercor, ne si forto fato concesscrim, illum adhuc aetate minimum e mc--dio tollatis et alium urbis principem praeficiatis. Hli cum jureirurando fidem faciunt alium ab ejus filiu nullum ipsis imperaturum. Lis in postulatis a palmarum Dominiea usque ad magnam feriam quintam perseverantibus, in die paraseeves praecepit ut in, vivfica et veneranda Linga jurarent. Et juraverunt thematum et exteriorum ordinum praefecti et omnes urbis incolae, praeter leonem et Constantinum et deductam ab eis sobolem se nullum unquam imperatorem suscepturos

....

Postera luce, quae magna Dominica fuit, ceronatus est in Hippodromo ab ejus et patriarcha, coram populo universo.

الترجمة العربية

ع ٩٥٤. . . . بعد قنسطنطين كوبرونيم (١)، تولى ابنه الحكم لمدة خمس سنوات (٢). وقد ورث عن والده ثروات هائلة، انفقها فى بذخ، وكان يكرم الاشراف، محبا للرهبان (٣) وتجمع ولاة الاقاليم (الثيمات) (٤) مع حشد كبير من الناس، ورحلوا الى المدينة (٥) وهم يطالبون بأن يتولى ابنه قنسطنطين عرش الامبراطورية أما هو فبسبب خوفه من أخوته قال: " أن ولدى، وهو وحيدى، وأنى أخاف أن أعينه فى هذا المنصب خشية أن تقوموا انتم، بعد أن أقضى نحبى، بعزله بسبب صغر سنه، وتنصبون مكانه أميرا أخر " فأقسموا له ايمانات غليظة بالاّ ينصبوا احدا غير ابنه، وانهم مصرون على ذلك وأقسم ولاة الاقاليم، وقادة الفرق، وكل سكان المدينة، وكل الناس الا يخضعوا لاى امبراطور سوى لليو ولابنه قنسطنطين(٦)........................

....

وفى صباح اليوم التالى، وكان عيد السيدة العظيمة(٧)، تُوج فى الهيدروم بحضور والده والبطريرك والناس جميعا (٨) .

---

(١)المقصود به الامبراطور قنسطنطين الخامس .

(٢) ٧٧٥-٧٨٠م/١٥٨-١٦٤هـ.

(٣) إذ بدأ حياته بمناصرة عبادة الايقونات ، لذا أحسن معامله الرهبان.

(٤) كذلك عددا كبيرا من رجال الجيش.

(٥) القسطنطينية.

(٦) كان يبلغ وقتها العاشرة من عمره .

(٧) المقصود السيدة مريم العذراء .

(٨) حضر هذا القسم مجموعات مختلفه مثل مجلس الشيوخ وأصحاب الحرف والطبقات المتميزة من المجتمع البيزنطى.

الملحق السابع

تخلص هارون من الحصار الذى تعرض له فى شرق نيقوميديا من ١٦٥هـ/٧٨٢م .

نقلا عن: Geogruis Hamartalus, Chronicon, Cols.958-959

Col.958.

Aaron vero Arabum dux , contra urbem venit cum manu valida et in Chrysopoli circumsedit.

Col.959

Imperator autem, missis copiis et Banes palude accupata, Aaron rogat pacem inter se fieri. Electi igitur ad hoc negotium stauracius logothetes, petrus magister, Antonius domesticus, et prinatum liberi, et ad Arabem non interposita fide publica egressi, ab eo in vincula conjecti sunt; itaque coacti Romani ingenii pretio eos redemerunt pacemque fecerunt, et recesserunt Arabes..

الترجمة العربية

ع ٩٥٨ . . . . أما هارون، ملك العرب (١)، فقد سار الى المدينة (٢)، ومعه قوة كبيرة وحاصر خريسيوبوليس (٣).

ع ٩٥٩ وأما الامبراطور (٤) فقد أرسل القوات (٥) واحتل مستنقع بانيس (٦). وطلب هارون عقد معاهدة السلام لما علم بذلك. وتم اختيار مجموعة

---

(١) هارون الرشيد أمير المؤمنين (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م).

(٢) يقصد القسطنطينية.

(٣) شرق مضيق البوسفور.

(٤) كان ذلك أثناء وصاية ايرين على ابنها الامبراطور قنسطنطين السادس.

(٥) تم دفع الفرق العسكرية المخصصة أصلا للدفاع عن العاصمة والمعروفة باسم التاجمات الامبراطورية.

(٦) المطل على نهر السنجاريوس.

من الرجال للتفاوض وهم اللوجوثيت ستاوراكيوس (١)، والسيد بطرس(٢)، والدومستيك أنطونيوس (٣). وساروا الى معسكر العرب، بضمير سليم خالص (٤)، فقبض عليهم، والقى بهم فى السجن. وهكذا أرغم الروماٍن (٥) على أن يفتدوهم بمقدار ضخم من المال، وتم ارساء السلام (٦) وعاد العرب أدراجهم. . . . .

---

(١) الخصى من كبار مستشارى إيرين.

(٢) أحد وزراء إيرين.

(٣) قائد قوات التاجماتا الامبراطورية.

(٤) فقد خرجوا الى هارون ليفاوضوه دون أن يتسلموا بعض كبار الأسرى من الجانب العباسى على سبيل الأمان.

(٥) المقصود بطبيعة الحال البيزنطيون وكانت المصادر اللاتينية واليونانية تطلق عليهم لفظ الرومانية باعتبار أن القسطنطينية كانت روما الجديدة أو روما ثانية.

(٦) إذ انتهز هارون هذه الفرصة وتقدم الى البوسفور المواجه للعاصمة حيث بلغ القسطنطينية، رغم التزام بيزنطة بدفع الجزية.

الملحق الثامن

استيلاء نقفور على الكنوز والثروات الإمبراطورية من إيرين .

نقلا عن : Cedrenus, , Historiarum, Cols, 911-914

Col.911.

Nicephorus patricius et generalis logotheta imperavit annos 8, dies 9. postridie quam imperium accepit. quibusdam patriciis comitatus ad Irenam se contulit, quae custodibus adservabatur, bonitatemque simulans bono eam animo esse jussit,

Col.914.

promittens, si de thesauris suis certiorem ipsum redderet, de summa se ei quiete prospecturum. Lila autem prudente animo eum qui heri perjurus servus fuerat, hodie tyrannidem gerebat. sic affata est: "Heus tu, Deum ego agnosco fuisse qui me ad imperium hoc evexerit, me vero meis delictis meruisse , ut eo exciderem. In his omnibus laus sit divino nomini. neque vero tu nescis delata ad me fuisse de tuis insidiis indicia, quibus si credidissem, nemine vetante interficere te poteram: sed partim juramentis tuis fidem adhibens. partim tibi parcens, ista omnia neglexi, Deo relinquens, quo auctore reges regnant et principes dominantur Nune etiam tibi ut pio et a Deo adimperium evecto imperatori supplico, petens utmeae imbecillitatis rationem habens, patiaris me inhabitare domum Eleutherianam a me conditam, quo incomparabilem meam consoler calamitatem." Ad haec Nicephorus respondit, quando ito cupiat, se per omnio ei liberalissime gratifcaturum, 831 juraret modo nullum se thesaurm celaturam. juravit Irena, et magnas ei opes commonstravit. Sed Nicephorus optatis potitus, statim eam relegavit in monasterium quod in Princips appellata in sula ipsa condiderat. Cernens deinde

insatiabilem suam avaritiam omnibus proceribus molestam esse, in metum venit ne populus aliquando Irenam, memoria acceptorum ab ea beneficiorum motus, ad imperium revocaret; idcirco eam absque omni miseratione Mitylenem relegavit gravissima imminente tempestate. Atque ibi illa in Lesbo insula ex animi aegritudine decessit, 9 Agusti die. Corpus ejus imperator in monasterium principis retulit, quod ab ea fuisse aedificatum ostendimus..

الترجمـــة العربيـــــة

ع٩١١ . . . . هكذا استولى نقفور على الحكم الذى استمر ثمانى سنوات وتسعة أيام(١). وفى اليوم التالى لتوليته الحكم ذهب الى الامبراطورة التى كانت في المنفى بصحبة البطارقة

ع٩١٤ واظهر لها الرقة قائلا لها أنه أجبر على هذا الفعل، اذ حمله الرجال على ذلك، وأنه لم يكن يريد هذا الأمر على الاطلاق، وقال لها إنه يعدها بحسن المعاملة والمقام الكريم طالما كانت طيبه القلب حسنة الطوية، وذلك بأن تسلمه الكنوز التى فى حوزتها. ولكنها أخذت تفكر فى ذلك الذى كان بالامس عبدا، وأصبح اليوم حاكما طاغيا. فقالت: أنى أقر بأن الله هو الذى رفعنى الى العرش، وهو الذى أنزلنى، ثم رفعك أنت، وهذا دليل على قدرة الله، وأننى قد اسلمت أمورى اليه، فقد أيقنت أن فقدانى الحكم يرجع الى خطأى (٢) إذ ان الله يعاقبنى على مااقترفت من أخطاء. وأنك لا تعلم ما كان يقال عن حيلك ودسائسك، التى لو صدقتها، لأمرت بقتلك دون أن يمنعنى أحد، ولكنى تارة أصدق عهودك، وأخرى اصفح عنك، وأفوض أمرى الى الذى رفعك الى الحكم وهو الذى بقدرته يحكم الملوك، وأنى اطلب منك أن تفكر فى أمرى جيدا وتسمح لى أن ابقى فى ديرى الذى بنيته بقية عمرى دون أذى لعل الله يعيننى على مصيبتى" فأجاب نقفور طلبها إذاماقسمت على مساعدته بأن تذكر له أماكن كنوزها والا تخفى منها شيئا. فأقسمت ايرين، وقدمت له ثروات هائلة.(٣)، وعندما نال نقفور ما أراده، نفاها الى دير قد شيدته فى جزيره الأمير. ثم أعاد نفيها الى مكان أبعد خشية أن يتآمر الناس ضده متأثرين بأعمالها المجيدة (٤). وفى الطريق داهمتها عاصفه عاتية فلفظت أنفاسها الأخيره فى جزيره ليسبوس فى يوم ٩ أغسطس، فأمر الامبراطور بنقل جثمانها الى دير الأمير الذى قلنا من قبل أنها هى التى شيدته (٥).

---

(١) ٨٠٢ - ٨١١م/١٨٦ - ١٩٥ هـ.

(٢) أدركت إيرين أنها أضاعت على نفسها فرص القبض على نقفور، وقت حكمها للبلاد.

(٣) استعان نقفور بالإمبراطور الاسبق قنسطنطين السادس (الضرير) لمساعدته فى العثور على الكنوز والثروات.

(٤) خاصة هولاء الذين يؤيدون عبادة الايقونات.

(٥) جبلت إيرين على تشييد الكثير من الأديره لتكريم الحجاج، أو للاحتفاء بالمسنين مقابل مبلغ سنوى زهيد.

الملحـــق التاســـع

خطاب نقفور إلى هارون فى عام ٨٠٤ – ٨٠٥م/١٨٨ – ١٨٩ هـ بشأن طلب السلام .

نقلا عن: Georgius Hamartahus, Chronicon, Col. 974

Col.974

Anno ejus regni tertio Saracenorum dux in manu valida contra Amorium venit.

Movit et ipse Nicephorus contra Doryiaeum et protosymbolo in hunc modum scripsit:"Quorsum injusitia et caedibus gaudes, non contentus tuis, finesque veteres et paternos transis. Quisnanm divinus vates haec te agere jussit ? Nonne Muchumet tuus vates omnem Christianum te pro fratre habere atque agnoscere jubet? An omnium opifex Deus et utrorumque curam gerens, sanguine hominum injuste fuso delectatur ? Absit ! An ideo exiisti domo injuria affecturus eos a quibus laesus non es, quia aura, argento aliisve rebus indigeas? Atqui pretiosissima quaeque et nobis magni aestimata paratuque difficilia abunde possides. Quod si qua re nostra opus hobes, statirn nos eam tibi amanter praebebimus. Non ergo perinde ac si immortales essemus nullique Deo subditi inter nos depugnemus, malorum daemonum bella adversus homines imitati; memento nos paulo post morituros et coram judice incorruptibili sistendos qui reddet unicuique secundum opera sua, "His litteris, quibus et dona quaedam erant adjecta, placatus Arabs plurima et mirabilia munera vicissim Nicephoro misit, admiratus ejus acumen, et pace facta discessit.

الترجمـــــة العربيـــة

ع ٩٧٤ . . . . وفى العام الثالث (١) من حكمه سار قائد الساراكينيين بجيش كبير إلى عمورية (٢). وتحرك نقفور بنفسه الى دوريليوم وكتب الى هارون قائلا: " لماذا تسعد بهذه المذابح الظالمة ؟ بل انك مستمر فى عبور الحدود القديمة .... أو لم يأمرك نبيك محمد (٣) بأن تعامل كل مسيحى طرفك على أنه أخ لك ؟ ذلك أن الله المهيمن على الجميع، فهل يرضى بسفك الدماء بدون وجه حق ؟ ألم تقتنع بما لديك من ذهب وفضة وغيرها ؟ لما ترتكب كل هذه الاعمال من الاذى والتنكيل ؟ أمن أجل الذهب ؟ أم من أجل الفضة والاشياء الاخرى ؟ انك تمتلك الكثير منها، انك تمتلك أثمن الاشياء واغلاها، كما اننا نحن نملك الكثير منها كما تعلم. فاذا كنت تريد أن يكون لك مالدينا من ثروة، فاننا سنبادر على الفور بتقديمها لك عن طيب خاطر. اننا لسنا خالدين، ولايجب أن نتقاتل طالما اننا خاضعون لله فلنوقف الحرب بيننا. وعلينا أن نحد من تلك الحروب التى تسبب الدمار والخسائر، واننا بعد قليلٍ سنلاقى ربنا لكى نُبعث من جديد " . وقد سعد العربى (٤) بهذا الخطاب، وماصحبه من هدايا، وبادر بالرد بهدايا عربية الى نقفور الذى أعجب بها كثيرا، وتم ابرام السلام (٥).

---

(١) عند كدرينوس "فى العام الخامس" انظر Cedrenus, Historiarum, Col. 917

(٢) فى ثيم الاناضول .

(٣) صلى الله عليه وسلم.

(٤) هارون الرشيد.

(٥) هناك خلط فى تحديد توقيت هذا الخطاب، مابين المعركة التى تمت فى هذه السنة وبين معركة هرقلة التى تمت فى ٨٠٦م/١٩٠هـ . وقد عرض الباحث لرأيه فى موضعه المناسب فى الفصل الخامس.

الملحـــــق العاشـــــر

هزيمة نقفور أمام العباسيين فى معركة ٨٠٦م/١٩٠هـ وخرقه لاتفاقية الصلح التى وقعها مع هارون.

نقلا عن: Cedrenus, Historiarum, Cols 918-919

Col.918

Hoc anno Aeron Arabum dux in Romanam ditionemtrecenta millia duxit, cumque Tyana pervenisset. aedem ibi suae impietati posuit. Infinita castra cepit; emisitque sexaginta millia, qui incursionibus Ancyram usque vagati sunt, evastatisque in quae incideret omnibus, domum rediit. Eduxit sous etiam Nicephorns, desperatis jam rebus suam virtutem ostendens; initoque consilio. ad Arabem pacis impetrandae cause litteras scripsit, quarum exemplum sequitur...

....

....

His litteris, quibus et dona quaedam erant adjecta, placatus Arabs plurima et mirabilia munera vicissim Nicephoro misit, admiratus ejus acumen, et pace facta discessit. pactum autem fuit ut Romani Arabibus quotannis triginta millia nomismatum penderent, et terna ipse imperator ejusque filius nomismata. loco census in capita. neve Romani castra ab Arabibus capta reficerent. Enimvero Arabibus digressis statim ea Nicephorus instauravit atque muniit . Quo cognito Aaron rursum misso exercitu Thebam cepit missaque in Cyprum classe templa evertit et

Col.919

Cyrios pepulit, magnaque parta praeda pacem discidit.

الترجمـــــة العربيـــــــــة

ع ٩١٨ . . . . وفى هذا العام (١) سار هارون حاكم العرب إلى الارض الرومانية يقود ثلاثمائة ألفا (٢)، حتى وصل إلى حصن الطوانة (٣)، وأقام مسجدا هناك كما أقام معسكرات لا حصر لها، ثم ارسل ستين ألفا فشنوا هجمات على انقرة ، ودمروا كل ماصادفوه فى طريقهم، ثم عاد إلى بلاده. كذلك قاد نقفور رجاله محاولا أن يظهر شجاعته بعد أن دب اليأس فى معسكره، فعقد مجلسا للتشاور. ثم كتب إلى القائد العربى يطلب منه عقد السلام.... وقد ارفق بهذا الخطاب (٤) هدايا رائعة غريبة أسعدت العرب بشكل كبير، وتم الاتفاق على أن يدفع الرومان للعرب ثلاثين ألف نوميسما سنويا، أما الإمبراطور فعليه دفع ثلاثة نوميسما ضريبة رأس (٥)، واستعاد الرومان المعسكرات التى كانت فى قبضة العرب. عندئذ قام نقفور بتدعيم المعسكرات وتحصينها فى مواجهة العرب. (٦). ولما علم هارون بذلك أرسل جيشه لاحتلال عمورية، وأرسل اسطولا إلى جزيرة قبرص(٧).

ع ٩١٩ وهدم معابدها وذبح القبارسة، واستولى على غنائم كثيرة، وانتهى السلام. . (٨)

---

(١) فى ٢٠ رجب ١٩٠هـ/١١يونيو ٨٠٦م.

(٢) كان هذا الجيش من مناطق خراسان والشام وفلسطين وليبيا وغيرها . انظر الفصل الخامس.

(٣) يوجد شمال حصن لؤلؤة على الطريق الى قيصرية ، واتخذ من الطوانة قاعدة لارسال السرايا والجند الى سائر الجهات.

(٤) هو الخطاب الذى اورده همرتولس ص ٩٧٣، ولكن جعله فى العام الثالث من حكم نقفور.

(٥) ذكرت المصادر العربية انها كانت أربعة دنانير عن رأسه، وديناريين عن رأس ابنه . انظر الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٣٢١.

(٦) لان نقفور أحس بأن الاتفاقية كانت مهينة له ولبيزنطة.

(٧) من العام التالى ١٩٠ هـ/٨٠٦ م.

(٨) انظر الفصل الخامس.

ثبت المختصرات والمراجع

اولا : بيان المختصرات

B.	Byzantion.
B.Z	Byzantinische Zeitschrift.
B.E.O	Bulletin d'Etudes Orientales.
B.M.G.S	Byzantine and Modern Greek Studies.
C.M.H.	Cambridge Medival History.
C.S.H.B.	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
D.A.I.	De Administrando Imperio
D.C.	De Cerimonus.
D.O.P.	Dumbarton Oaks Papers.
E.H.R.	English Historical Review.
J.A.	Journal Asiatique.
J.H.S.	Journal of Hellenic Studies.
J.M.S.	A Journal of Mediaval Studies.
P.G.M.	Patrologia Graeca Ed Migne.
P.L.M.	Patrologia Latina, Ed Migne.
P.O	Patrologia Orientale.
R.H.	Revue Historique.
R.E.B.	Revue d'Etude Byzantine.
R.H.G.F.	Recueil des Historiens des Gaules et du la France.

ثانيا: المصادر الاصلية الاجنبية

Adonis, Viennensis Archieph Chronico, R.H.G.F., Tome V, paris, 1869.

Anonymus, Vita Tarasius, P.G.M., Tome XCVIII, Paris, 1860, Cols. 1385-1424.

Anonymus, Incert Auctoris Vita Leonis Armeni, P.G.M., Tome CVIII, Paris, 1863, Cols. 1009-1038.

Bar Hebraeus, The Chronography of Gregory Abul-Faraj, Tr from The Syrian by E.A. Wallis Bidge, London, 1932.

Cedrenus, G., Historiarum Compendium, P.G.M., Tome CXXI-CXXII, Paris, 1864 et 1894, Cols. 23-1166, Cols 9-368.

Constantine, M., Compendium Chronicum, P.G.M., Tome CXXVII, Paris, 1863, Cols. 215-472.

Constantine VII Porphyrogenitus, De Cerimonus aulae Byzantinae, Paris 1864, Cols. 73-1416.(1)

(١) انظر : ادارة الامبراطورية البيزنطية للإمبراطور قنسطنطين السابع بورفيروجنيتوس: عرض وتحليل وتعليق : محمود سعيد عمران، بيروت (دار النهضة العربية) ١٩٨٠م.

Constantine VII Porphyrogenitus,
- De Administrando Imperio, P.G.M., Tome CXIII, Paris, 1897, Cols. 157-422-
- De Thematibus Imperii, P.G.M., Tome CXIII Paris, 1864, Cols 63-140

Damascenus, J.,
- De Fide Orthodoxa, P.G.M., Tome XCIV, Paris 1860, Cols. 783-1228
- De Imaginibus arotions, P.G.M., Tome XCIV, Paris, 1860, Cols. 1231-1420.

Denysde Tell-Mahré, (Du Anonymede Zugnin), La Chronique, Tr. Chabot, Paris, 1895.

Einhard and Notker The Stammerer, Two lives of Charlemagne, Translated with an Introduction by Lewis Thorpe, Penguin books, 1969.

Eginhardo, Annales Regum Pippini et Caroli, R.H.F.G., Tome V, Paris, 1869.

- Annalium De Gestis Carli Magni, R.H.F.G., Tome V, Paris, 1869.
- Vita Carlus Magnus, R.H.F.G., Tome V, Paris, 1869.

Genesius, J, Historia De Rebus Constantinopolitanis, P.G.M., Tome CIX, PAris, 1863, Cols 985-1156.

Georgius Hamartolus Monachus, Chronicon, P.G.M., Tome, CX, Paris, 1863, Cols. 41-1286.

Georgius Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum. P.G.M., Tome CIX, Paris, 1863, Cols. 823-984.

Ghevond, Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Arménie, Tr. G.V. Chahnazarian, Paris, 1856.

Joannes, IV, Antiochenus, De Monasterus Laicis non

Tradendis, P.G.M., Tome CXXXII, Paris, 1864

Joannes Zonaras, Annalium, P.G.M., Tome CXXXIV-CXXXV, Paris, 1864.

Leo Grammaticus, Chronographia (813-849), P.G.M., Tome CVIII, Paris, 1863, Cols. 1037-1164.

Leonis "Sapientis" Imperatoris, Tactica, P.G.M., Tome CVII, Paris, 1863, Cols. 669-1112.

Michel Le Syrien, Chronique, Editée pour la premiére fois et traduite en francais par Chabot, J.V., Vol. III, Paris, 1905.

Monasses, Constantine, Compendium, Chronicum, P.G.M., Tome CXXVII, Paris, 1863, Cols. 215-472.

Nicephrus Patriarchae, Breviarum Historicum, P.G.M., Tome C, Paris, 1860, Cols. 875-994.

Stephani III, Papae Epistolae, R.H.G.F., Tome V, Paris, 1869.

Stephani, Vita Stephani Junioris, P.G.M., Tome C, Paris, 1860, Cols. 1069-1186.

Symeon Magister (Logothete,) Chronographia, P.G.M., Tome, CIX, Paris, 1863, Cols. 663-822.

Theodorus Studites, Epistolarum Libri duo, P.G.M., Tome XICIX, Paris 1860, Cols. 9-1824.

Theophanes Abbas et Confessor,
-Chronographia, P.G.M., Tome CVIII, Paris, 1863, Cols. 9-1010.
-An English Translation of anni Mundi 6095-6305 (A.D. 602-813), with Introduction and notes by Harry Turtledove, U.S.A., Pensylvania, 1982.

Thephanes Continuatus, Historia, Tome CIX, Paris 1863, Cols. 1-517.

ثالثا : المخطوطات والمخطوطات المصورة (١)

– ابن البطريق (ت ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م) انتسيوس سعيد بن البطريق:
نظم الجواهر فى التواريخ – مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية، تحت رقم ١٧٩٧ ب.

– ابن الجزرى (ت ٨٣٢ هـ/١٤٢٩م) الشيخ محمد بن الجزرى:
ملخص تاريخ الاسلام، مخطوط بمكتبة الاسكندرية، نسخة فى مجلد بقلم نسخ. تحت رقم ٢٠٧٢ د تاريخ.

– ابن الشحنة (ت ٨٨٢ هـ/١٤٧٨م) محمد بن احمد:
مختصر تاريخ بن الشحنة، مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية تحت رقم ٣٧٩٩ جـ.

– ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م) كمال الدين ابى القاسم عمر بن احمد بن هبة الله:
بغية الطلب فى تاريخ حلب، مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة، ٣ أجزاء تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ.

– ابو حامد (ت ٨٨١ هـ/١٤٧٦م) محمد ابو حامد:
دول الاسلام الشريفة البهية وذكر ماظهر لى من حكم الله الخفية فى جلب طائفة الاتراك الى الديار المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٣٢ تاريخ – بدل.

– البغدادى (ت ١١٠٢ هـ/ ١٦٩٠م) احمد بن عبد الله:
عيون الاخبار ممن مضى من سالف العصر والازمان، مخطوط من مجلدين، نسخة تصويرشمس بدار الكتب المصريه تحت رقم ٣٨١٠تاريخ.

١– اشرنا فى هوامش الرسالة الى المخطوط بـ (ورقة) والمصور بـ (لوحة) والمطبوع بـ (صفحة).

- الحموى (ت ٦٤٢ هـ/١٢٤٤م) شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن ابى الدم:
التاريخ المظفرى، مخطوط، نسخة فى مجلد مكتوب بقلم نسخ بدون تاريخ - بمكتبة محافظة الاسكندرية تحت رقم ١٢٩٢ ب تاريخ.

- العينى (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١م) الحافظ نور الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بن أحمد حسن بن يوسف بن محمود:
عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان، مخطوط ٢٣ جزءا فى ٦٩ مجلدا بدار الكتب المصرية، تصوير شمس، تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ ٨٢٠٣ ح.

- ابن الرسول (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م) عباس بن مجاهد على بن يوسف بن عمر:
نزهه العيون فى تاريخ طوائف القرون، مخطوط من مجلدين بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٤٩٦٤ تاريخ.

- ابن منكلى (ت ٧٧٨ هـ/١٣٧٦ - ١٣٧٧م) محمد بن منكلى:
كتاب الاحكام المملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر، مخطوط تصوير شمس بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٣ تيمور.

رابعا : المصادر الاصلية العربية المنشورة

- القرآن الكريم

- ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين : الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء، القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٥٧هـ.

- ابن الخطيب (ت ٧١٣-٧٧٦ هـ/١٣١٣-١٣٧٤م) لسان الدين بن الخطيب : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاسلام من ملوك الاسلام، تحقيق احمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى، القسم الثالث، الدار البيضاء ١٩٦٤م/١٣٨٤ هـ.

- ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ابو الفرج الملطى (غريغوريوس ابو الفرج بن هارون المعروف بابن العبرى) : تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه الاب انطون، بيروت (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين) ١٩٥٨م/١٣٧٨ هـ..

- ابن العمرانى (ت فى حدود ٥٨٠ هـ/١٨٤م) محمد بن على بن محمد : الانباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم : قاسم السامرانى، نشر المعهد الهولندى للاثار المصرية، ليدن (مطبعة بريل) ١٩٧٣م /١٣٩٥ هـ.

- ابن الفقيه (ت فى اواخر القرن ٣ هـ/ اوائل القرن ١٠م) ابو بكر احمد بن محمد الهمزانى : مختصر كتاب البلدان، ليدن (مطبعة بريل) ١٣٠٢هـ./١٨٨٤م.

- ابن الكردبوس (عاش فى اواخر القرن ٦ هـ/١٢م) ابى مروان عبد الملك : تاريخ الاندلس، تحقيق احمد مختار العبادى،مدريد(معهدالدراسات الاسلامية،١٩٧١م/١٣٩١هـ.

- ابن المقفع (غير معروف تاريخ الوفاة) سيروس بن المقفع : تاريخ بطاركة الاسكندرية، نشر: شابو ج٢، باريس ١٩٠٤.

- ابن اياس (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م) ابو البركات محمد بن احمد الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. الجزء الاول، القسم الاول، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م.

- ابن بطريق (ت ٣٢٨ هـ/٩٣٩-٩٤٠م) افتشيوش المكنى بسعيد بن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٥م.

- ابن جبير (غير معروف تاريخ الوفاة) : رحلة بن جبير- بيروت ١٩٦٤م.

- ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ/١٩٧٥م) ابو القاسم النصيبى : صورة الارض، القسم الاول، ط٢، ليدن (مطبعة بريل) ١٩٣٨م /١٣٥٧ هـ.

- ابن خرداذبة (ت حوالى ٣٠٠ هـ/٩١٢م) ابو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك، ليدن (مطبعة بريل) ١٣٠٧ هـ/١٨٩٩م.

- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ

والخبر، ٧ اجزاء، بيروت (دار الكتاب اللبنانى) ١٩٨٣م/١٤٠٣ هـ.

–ابن خياط (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤م) خليفة بن خياط المعروف بالعصفورى : تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، القسم الاول والثانى، دمشق (نشر وزارة الثقافة السورية) ١٩٦٨م/١٣٨٧ هـ.

– ابن رسته (غير معروف تاريخ الوفاة) ابو على احمد بن عمر : الاعلاق النفيسه، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٩١م/١٣٠٩ هـ.

– ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ/١٢٨٥م) عز الدين محمد بن على بن ابراهيم :
–الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة،الجزء الاول القسم الثانى، نشر وتحقيق ان مارى اده، دمشق ١٩٨٢م/ ١٤٠١هـ.
– الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة، الجزء الثالث، القسم الثانى، تحقيق يحيى عمارة، دمشق (مطبعة الثقافة والارشاد القومى) ١٩٧٨م/١٣٩٨ هـ.

– ابن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩م) محمد بن على بن طباطبا المعروف بان الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية، راجعه ونقحه : محمد عوض ابراهيم وعلى الجارم، ط٢، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٩٣٨م.

– ابن عبد الله (عاش فى القرن ٨ هـ/القرن الرابع عشر الميلادى) الحسن بن عبد الله : آثار الاول فى ترتيب الدول، القاهرة (بولاق) ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨م.

- ابن عذارى (ت فى اواخر القرن السابع الهجرى/اواخر القرن الثالث عشر الميلادى) ابو محمد عبد الله بن محمد المراكش : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: كولان وليفى بروفنسال، بيروت ١٩٥٠م.

- ابن فضلان (غير معروف تاريخ الوفاة) : رساله بن فضلان، ط٢، دمشق (وزارة الثقافة السورية) ١٩٧٨م.

- ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ أو ٢٧٦ هـ/٨٨٩م) ابى محمد بن عبد الله بن مسلم :
- عيون الاخبار، المجلد الاول، القاهرة (دار الكتب) ١٩٢٥ م
- الامامة والسياسة، ٢جـ، الطبعة الاخيرة، القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩م.

- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢م) عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى : البداية والنهاية، ١٤ جزء، ط١، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٥١-١٣٥٨ هـ/١٩٣٢-١٩٤٠م.

- ابو الفدا (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل: المختصر فى اخبار البشر، ٤ اجزاء، القاهرة (المطبعة الحسينية)، ١٣٢٥ هـ.

- ابو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ /١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ط١، ٩ اجزاء، القاهرة:دار الكتب المصرية - ١٣٤٨-١٣٦١ هـ ١٩٢٩-١٩٤٢م.

- أجابيوس (غير معروف تاريخ الوفاة) محبوب المنبجى (الرومى):كتاب العنوان فى تاريخ البادان . انظر : Agapius, (Mahboub) De Menbidj, Kitab Al-Unvan "Histoire Universelle, Editeé et Traduite en Francais, A.A. Vasiliev, in, P.O., Tome VIII, PP 339-550, Paris, 1912.

- الاصطخرى (ت فى القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى) ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى : مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١م/١٣٨١هـ.

- الاربلى (غير معروف تاريخ الوفاة) عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلى : خلاصة الذهب المسبوك، مختصر تاريخ الملوك، تحقيق : مكى السيد قاسم ط٢، بغداد ١٩٦٤م.

- الاصفهانى (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦م) ابو الفرج على بن الحسين بن محمد : الاغانى، جـ ١٨، تحقيق عبد الكريم العزباوى، القاهرة (الهيئة المصرية العامة) ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م.

- الانصارى (غير معروف تاريخ الوفاة) شمس الدين ابى عبد الله محمد ابى طالب : كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، بطربورغ ١٢٨١هـ/١٨٦٥م.

- البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) احمد بن يحيى بن جابر:
- كتاب فتوح البلدان،القسم الاول، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٦م.

- انساب الاشراف واخبارهم، جـ ١١،عريفرولد ١٨٨٣م.

- البلخي (غير معروف تاريخ الوفاة) ابى زيد احمد بن سهل البلخي : كتاب البدء والتاريخ، جـ ٦، باريس ١٩١٩م.

- الحميرى (ت اواخر القرن التاسع الهجرى/ القرن الخامس عشر الميلادى): ابو عبدالله محمد بن عبد المنعم :
- كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت (مكتبة لبنان) ١٩٧٥م/١٣٩٥هـ.
- منتخبات من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار خاصة بالجزر والبقاع الايطالية، تحقيق د. امبرتوريتزيتانو، المجلد الثامن عشر - الجزء الاول القاهرة (مجلة كلية الاداب) ١٩٥٦م.

- الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) ابى الفلاح عبد الحى بن العماد : شذرات الذهب فى اخبارمن ذهب، القاهرة (مكتبة القدس) ١٣٥٠هـ.

- الدميرى (ت ٨٠٨ هـ) كمال الدين محمد بن موسى : حياة الحيوان الكبرى، ويليه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد بن محمود القزوينى، ٢ جـ، ط ٥، القاهرة (مطبعه الحلبى) ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

- الدينورى (ت ٨٨٢ هـ/١٨٩٥م) ابى حنيفة احمد بن داود:
- الاخبار الطوال، ٢ جـ، ط١، القاهرة ١٣٣٠ هـ/١٩١١م.
- عيون الاخبار، اربعة اجزاء فى مجلدين، القاهرة ١٩٢٥م.

- الذهبى (ت ٧٨٤ هـ/١٣٨٢م) الحافظ شمس الدين الذهبى:
- كتاب دول الاسلام، جزءان فى مجلد واحد، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ ، ١٣٩٤هـ.
- العبر فى خبر من غبر، جـ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠م.

- الروحى (غير معروف تاريخ الوفاة) ابو الحسن على بن ابى عبد الله محمد بن ابى السرور بن عبد الرحمن : كتاب بلغة الظرفاء فى ذكرى تواريخ الخلفاء، ط١، القاهرة (مطبعة النجاح) ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م.

- السيوطى (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م.) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٧٥م/١٣٩٥هـ.

- الطبرى (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م) ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٥، جـ٦، جـ٧، جـ٨، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة (دار المعارف) ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م.

-القرشى (ت ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٩م) محمد بن محمد بن احمد : كتاب معالم القربة فى احكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق احمد عيسى المطيعى، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٦م.

- القرماني (غير معروف تاريخ الوفاة) ابى العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي : كتاب اخبار الدول واثار الاول فى التاريخ، بيروت (عالم الكتب).

- القلقشندى (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) ابى العباس احمد بن على بن احمد عبد الله : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء، ١٤ جزء، القاهرة (المطبعة الاميرية)١٣٣١-١٣٣٨هـ/١٩١٣-١٩٢٠م.

- الكندى (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١م) ابو عمر محمد بن يوسف المصرى : كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن جست، بيروت (مطبعة الاباء اليسوعيين)١٣٢٦/١٩٠٨م.

- الكاتب (غير معروف تاريخ الوفاة) : المكافأة، القاهرة ١٩٤١م.

- المسعودى (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٦م) ابى الحسن على بن الحسين بن على:
- التنبية والاشراف، عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوى ليدن (مطبعة بريل) ١٣١١هـ/١٨٩٣م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المجلد الثالث، ط٥، بيروت (دار الفكر) ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.

- المقدسى (ت ٣١٨ هـ/٩٧٧م) شمس الدين ابو عبد الله المعروف بالبشارى : احسن التقاسيم فى معرفه الاقاليم، ط٢، ليدن (مطبعة بريل)، ١٩٠٩م/١٣٢٧هـ.

- المقرى (ت ١٠٤١ هـ/١٦٣٣م) احمد بن محمد المقرى التلمسانى : نفح

الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ١٠ اجزاء، تحقيق وتعليق : محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م.

-المقريزى (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤٢م) تقى الدين احمد بن على : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والاثار، القاهرة (مطبعة بولاق) ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م.

-النويرى (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى: نهاية الارب فى فنون الادب، الاجزاء المنشورة من ١٧ الى ٢٧، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م.

- الهرثمى (غير معروف تاريخ الوفاه) الهرثمى صاحب المأمون : مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، القاهرة ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ.

- الهروى (غير معروف تاريخ الوفاة) على بن ابى بكر الهروى : كتاب التذكرة الهروية فى الحيل الحربية، مقال فى مجموعة B.F.O. Tome XVII, Années 1961-1962, Damas 1962.

- الواقدى (ت ٢٠٧ هـ/٨١٥م) ابى عبد الله محمد بن عمر : كتاب فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان، القاهرة (مطبعة المحروسة) ١٣٠٩ هـ/١٨٩١م.

- اليافعى (غير معروف تاريخ الوفاة) : مرآة الزمان وعبرة اليقظان،

حيدراباد ١٣٣٧ هـ.

- اليعقوبى (ت بعد سنه ٢٩٢ هـ/بعد سنه ٩٠٤م) احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخبارى:
- تاريخ اليعقوبى، ٣ اجزاء بغداد (مطبعة النجف) ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م.
- كتاب البلدان، ليدن (مطبعة بريل) ١٨٦٠م.

- خواندمير (ت ٩٤٢ هـ/١٥٣٦م) غياث الدين خواندمير المؤرخ الايرانى الكبير : كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق: حربى امين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطى الصياد، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ.

- ذى النسبيين دحية (ت ٦٣٣ هـ/١٢٣٥م) ابى الخطاب عمر بن الشيخ الامام على حسن على مسبط الامام ابى البسام الفاطمى : كتاب النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس، صححه وعلق عليه: عباس العزواى، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦م.

- قدامة بن جعفر (غير معروف تاريخ الوفاة) : نبذة من كتاب الخراج، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ليدن ١٣٠٩ هـ.

- مؤلف مجهول (غير معروف تاريخ الوفاة) : العيون والحدائق فى اخبار الحقائق من خلافه الوليد بن عبد الملك الخلافه المعتصم، ويليه مجلد من تجارب الامم لمسكويه وفيه حوادث السنوات ١٩٨-٢٥١هـ، جـ٣، نسخة دى جويه (مطبعة بريل) ١٨٦٩م/١٢٨٦ هـ.

- ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩م) شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى:معجم البلدان، جـ٢، القاهرة ١٨٦٨م.

خامسا : المراجع الثانوية الاجنبية

Adontz,N.,Les Taronites En Armenie et a Byzance, in:Byzantion,TomeX,Bruxelles,1935,PP.531551.

Ahrweiler, Helene
-L'Asie Mineure et les invasions arabes, VIIe-IXe siecles, dans: Revue Historique, Tome CCXXVII Paris,1962,PP. 1-32.
-Byzance et la mer marine de guerre, la politique et les institions maritimes des Byzance aux VII au XV Siecles, Paris, 1966.

Anastos, M.V., Iconoclasm and Imperial Rule 717-842, in : C.M.H., Vol. IV, Part 1, second ed., Cambridge 1967, PP. 61-104.
-Studies in Bazantine Intellectual History "The Eithicol Theory of Images Formulated by the Iconoclasts in 754 and 815, Variorum, London, 1979, PP. 153-160.

Anderson, J.G.C., The Road-System of Eastern Asia Minor, With the evidence of Byzantine Campaings, in: J.H.S., Vol. XVII, London, 1898, PP. 22-45.

Ashburner, Walter, Farmer's Law, in: J.H.S., Vol. XXX, London 1910, PP. 85-108.

Bailly, Auguste, Byzance, Paris, 1939.

Barbier De Meynard, M.C., Ibrahim, Fils de Mahdi, Fragments Historique, in: J.A., Tome XIII, Mars-Avril Paris, 1869., 201-343.

Baynes,N.H. and Moss,L.B., Byzantium, an Introduction to The East Roman Civilization, Oxford, 1964.

Blake, R.P., Note sur l'activite litteraire De Nicéphore I,

Patriarche De Constantinople, in: Byzantion, Tome XIV,Bruxelles, 1939, PP.1-15.

Brehier, Louis, La Marine De Byzance du VIIle au XI Siecle, in: Byzantion, Tome XIX, Bruxelles 1949, PP. 1-16.
-Le monde Byzantin, Vie et Mort de Byzance, Paris, 1969.

Brooks, E.W.,
-The Campaigne of 716-717 from Arabic Sources, in: J.H.S., Vol. XIX, London, 1899.
-The Byzantines and The Arabs in the Early Abbasids, in; E.H.R., Vol. XV, London, 1900, PP. 728-747 and Vol. XV, London 1901, PP. 84-92.
-The Sources of Theophanes and Syrain Chronicles, in: B.Z., Vol. XV, Bruxelles, 1911.
-The Relations Between the Empire and the Egypt from the New Sources, in: B.Z., Vol. XVII, Bruxelles, 1913.
-The Struggle with the Saracens 717-867, in: C.M.H., Vol. IV, Cmabridge, 1936, PP. 119-138.

Brown, Peter, A Dark-Age Crisis: aspects of the Iconoclastic controversy,in:E.H.R.,Vol. LXXXVIII, London, January, 1973, PP. 1-34.

Browning, Robert, Notes on the "Scriptor incertus de Leone Armenio", in: Byzantion, Vol. XXXV, Bruxelles, 1965, PP. 389-411.

Buckler,F.W., Harun Al-Rashid and Charles The Great, Cambridge Massachusetts, 1931, PP. 29-36.

Bury, J.B., A history of The Eastern Roman Empire, from the fall Irene to the Accession of Basi II, 802-867 A.D., London, 1912.
-The Imperial Administrative System in the Ninth Century, London,1911.

-History of the Later Roman Empire 395, A.D. to 800 A.D., 2 Vols., London 1889.

Cahen, C., La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la Principaute Franque d;Antioche, Paris, 1940.

Canard, Marius, Les Expeditions des Arabes Contre Constantinople, in : J.A., Vol. CCVIII, London, 1926, PP. 61-121.

-Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, Paris, 1951.

-Byzantium and the Muslim world to the Middle of the eleventh Century, in: C.M.H, Vol. IV, Part I, Cambridge, 1967, PP. 697-737.

Charanis, Peter, on The Social Structure of the later Roman Empire,in:Byzantion,Vol.XVII, Bruxelles, 1945, PP. 39-57.

-The Slavic element in Byzantine Asia Minor in the Thirteenth Cantury, in: Byzantion, Vol. XVIII, Bruxelles, 1948, PP. 69-80.

-The Chronicle of Monemvasia and the Question of the Salvonic Settements in Greece, in: D.O.F., Vol. V, 1950.

Cheira, M.A., La Lutte Entre Arabes et Byzantins, la conquete et l'organisation des frontiéres aux VIIe et VIIIe siécles, Alexandria, 1947.

Christides, V. Arabic Influence on the Akritic cycle, in:Byzantion,Vol.IL,Bruxelles,1979,PP. 94-109.

-The Raids of the Moslems of Crete in the Aegean Sea Piracy and Conquest, in: Byzantion, Vol. LI, Bruxelles, 1981, PP. 76-111.

Constantelos, D.J., The Moslem Conquests of the Near East as revealed in the Greak Sources of the Seventh and Eighth Centuries,in: Byzantion, Vol. XLII, Bruxelles,

1972, PP. 325-357.

Darrouzes, Jean, Listes Episcopales du Concile De Nicée 787, in: R.E.B., Tome XXXLLL, Paris 1975, PP. 1-76.

David, T.R., Ancient People and places: The Byzantines, New York, 1962.

Deanesly, M., A History of Early Medival Europe, 2nd. ed., London, 1960.

Diehl,Charles,Figures Byzantines,Deuxieme ed.,Paris 1960.
-Studes sur l'histoire Byzantine, troisieme ed., Paris, 1922.
-Leo III and the Isourain Dynasty 717-802, in: C.M.H., Vol. IV, Cambrifge, 1936, 1-26.
-From Nicephorus I to the fall of the Phrygian Dynasty, in: C.M.H. Vol. IV, Cambridge, 1936, PP. 27-48.
-History of the Byzantine Empire, Translated from the French by: George B. Ives, New York, 1954.
-Byzantine, Greatness and Decline, Translated from the French by:Naomi Walford,Paris,1957.

Diehl, Charles, et Marcais, G., Histoire du Moyen Age: Tome III: Le Mone Driental de 395-1081, Paris, 1936.

Dolager, F., Byzantine Literature, in: C.M.H., Vol. IV, Part II, Cambridge, 1955.

Fahmy, aly Mohamed, Muslim Naval Organisation in the Eastern Mediterranean, from the Seventh to the Tenth Century A.D., 3rd.ed., Cairo, 1980.

Finaly, George, History of the Byzantine Empire from DCCXVI to MLVII, London, 1906.

Gero, Stephen, Notes on Byzantine Iconoclasm in the Eighth Century, in: Byzantion, Vol. XLIV, Bruxelles, 1974. PP.

23-42.

Grégoire, H., Incriptions historiques Byzantines Ancyre et les Arabes , in: Byzantion, Tome IV, Bruxelles, 1927,-1928, PP. 437-468.
-Rapport sur un voyage d'exploration dans le pont et en Cappadoce, in: Bulletin de Correspondance hellénique,Tome XXXIII,Paris, 1909.
-Comment Sayyid Battaal Mortyr Musulamn du VIIIe siécle , in: Byzantion, Vol. XI, Bruxelles, 1936, PP. 571-576.
-Le probléme de la version "Originale" de l' ´popée Byzantine de Digénis Akritas, in: R.E.B., Tome VI, Bucarest, 1948, PP. 27-35.
-Autour de l'Epopee Byzantine, Etudes sur l'Epopee Byzantine, Variorum, London, 1975,PP. 29-69.

Grenier, Pierre, l'Empire Byzantine son Evolution Sociale et politique, Tome I, l'etre Social, Paris, 1904.

Grousset, R., Histoire de l'Armenie des origines a 1071, Payot, Paris, 1947.

Guilland, Rodolphe, Tirers et fonctions de l'Empire Byzantine, patrices de leon III a Michel II, Variorum, London, 1979, PP. 317-360.

Guillou, André, La Civilization Byzantine, Arthaud, 1974.

Head, C.,
-who was the real Leo the Isaurian? in: Byzantion, Vol. XLI, 1971, PP. 105-108.
-Physical Description of the Emperors in Byzantine Historical Writing, in: Byzantion, Vol. L, Bruxelles, 1980, PP. 226-240.

Herrin, Judith, The Context of Iconoclast reform, Birmingham, 1977.

Hirsh, F., Byzantinishche Studien, Amsterdam, 1965.

Honigmann, E., Die Ostgrenze des Byzantinischen reieches von 363 bis 1071, Bruxellex, 1935.

Hussy, J., The Byzantine World, London, 1967.
-Byzantine Theological Speculation and spirituality,in: C.M.H., Vol, Iv, Part II,Cambridg, 1967.

Hutton, HiC., The Story of Old Capital, London, 1933.

Iorgo, N., Origines de l'Iconoclasme, in: Bulletin Acad Roumaine, Tome XI, 1924.

Jenkins, R., Byzantium The Imperial Centuries 610-1071 A.D., London, 1966.

John, M., Byzantine Theology, New York, 1974.

Jones, A., The Cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford, 1972.

Kige, W.F., The Byzantine Armies and Iconoclarm in: Byzantine Slavica,Vol. XXVIII,1966, PP. 48-70.

Kubiak, W.B., The Byzantine Attack on Damietta in 853 and the Egyptain Navy in th 9th Century, in: Byzantion,Vol.XI,Bruxelles,1970,PP. 45-66.

Lamb, H., Charlemagne, London, 1963.

Laurent, J.L., Armenie entre Byzance et L'Eslam ,Paris,1980.

Levtchenko,M.V., Byzance des Origines 1453 A.D., Traduction de Pierre Mabille, Paris, 1949.

Lambard, Alfred, Etudes d'Historie Byzantine: Constantin V,

Empereur des Romanis 740-775, Paris, 1902.

Lot, F., L'art Militaire et les Amrée au Moyen Age en Eurpe et dans le proche Orient, Tome Premier, Paris, 1946.

Monojlovic, G., Chronique Bulletins speciaux, Le Peuple de Constantinople, Traduit du serbo-croate, par: Henri Grégoire, in: Byzantion, Tome XI, Bruxelles, 1936, PP. 617-716.

Mauglais, H.J., Byzantine, Christianity, Emperor, Church and The West, London, 1970.

Mcabe, Joseph, The Empresses of Constantinophle, London, 1913.

Metcalf, D.M., How extensive was issu of Folles During the years 775-820?, in Byzantion, Vol. XXXVII, Bruxelles, 1967, PP. 270-310.

Migeon, Gaston, manuel d'art Musulman arts Phastiques et Industriels, Tome I, Deuxieme ed., Paris, 1927.

Millingen, A., Byzantine Constantinople, the walls of the City and Adjoining Historical rites, London, 1899.

Moeller, Witheim, History of the Christian church in the Middle Ages, translated from the German by: Andrew Rutherfurd, B.D., second ed., London, 1910.

Muir, W., The Caliphate, Its rise, decline and fall, 5th ed., London 1924.

Nersessian, S. Der, Etudes Byzantines et Armenienes, Byzantine and Armenian studies, Louvain, 1963.

Obolensky, Dimitri, The Empire and its Nothern Neighbours 575-1018 A.D., in: C.M.H., Vol. IV, Part II, Cambridge,

1967.

Oman, Ch.,
-The Dark Ages 476-918, London, 1923.
-The art of War in the middle Ages 378:1515, A.D., New York, 1953.
-The Byzantine Empire Oxford,1892.

Ostrogorsky, G., History of the Byznatine state, translated by: J. Hussy, Oxford, 1956.

pargoire, P.J., L'Eglise Byzantine de 527-847 A.D., Troisieme ed., Paris. 1923.

Pasdermadjian, H., Histoire de l'Arménie Depuis les origines jusqu'au traite de lausanne, Troisieme Ed., Paris, 1971.

Paul,Alexander,Religious persecution and Resistance in the Byzantine Empire of the Eighth and Ninth Centuries, Methods and Justifications: Speculume Journal of Medieval Studies, Vol. LII, No. 2, Cambridge, April 1977.

Paul, Alexander, Religious and Political History and Thought in the Byzantine Empire, Chruch Councils and patristic Authority the Iconoclastic Councils of Hiereia 754 and St. Sophia 815, Variorum, London, 1978, PP. 493-505.

Peeters, P. Une "Vie Romancée" de Harun ar-Rashid, in: Byzantion, Tome, VI, Part II, Bruxelles, 1931. PP. 870-871.

Pirenne, Mohamed and Charlemagne, New York, 1939.

Ramasy, W.M., The Historical Geography of Asia Minor, London, 1890.

Rene, G., Byzantium. Its Trimpls and tragedy, New York, 1962.

Rice, T.T., Byzantium, London., 1969.

Runciman, S., Cahrlemagne and Palestine, in E.H.R, Vol L, London, 1953, PP. 606-619.
-Byzantine Style and Civilization, Penguin, 1981.

Schenk, K., Kaiser Leons III Walten in Inneren in B.Z. Vol V, Bruxelles, 1896 PP. 257-301.

Tournebize F.R., Histoire Politique et Religieuse de L'Armemie, Paris, 1922.

Tritle, L.A., Tatzates' flight and Byzantine-Arab Peace Treaty of 782. in Byzantion, Tome XLVII, Bruxelles. 1977, PP. 279-300.

Tritton,A.S., Notes and communications Siege of Constantinople A.D., 714-716. In Bulletion of The School of Oriental and African Studies Vol XXII, Part, I. London, 1969.

Vasiliev, A.A.,
-on the question of Byzantine Eeudalism in B, Vol XIII, 1933.
-History of the Byzantine Empire 324-1453. 2 Vols, Madison 1970-1971.

Treadgold, W.T., The Bridge-shows of The Byzantine Emperors, in B,Tome XLIX ,Bruxelles 1979 .

William Archbishop of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea 2 Vols., translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

Young, G., Constantinople depuis les origines jusqu á nos

jours, Paris 1948.

Youssef, J.N., Studies on the History of the Middle Ages, Alexnadria, 1985.

Zenghelis, C., "Le Fue Gregeois et les Armes a Feu des Byazntines "in B, Tome VII Bruxelles, 1932, PP. 265-286.

سادسا : المراجع الثانوية العربيـة

- ابراهيم احمد العدوى (دكتور) :
  - الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية - القاهرة (مكتبة نهضة الفجالة) ١٩٥١م.
  - السفارات الاسلامية الى اوربا فى العصور الوسطى - القاهرة (دار المعارف ١٩٥٧م.)
- ابراهيم على طرخان (دكتور) :
  المسلمون فى اوربا فى العصور الوسطى- القاهرة ١٩٦٦م.
- احمد عبد الكريم سليمان (دكتور) :
  المسلمون والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجرى/ التاسع والثانى عشر الميلادى - جـ١، ط١، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.
- احمد شلبى (دكتور) :
  التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية - القاهرة ١٩٧٠م.
- احمد فريد الرفاعى (دكتور):
  عصر المأمون - ٣جـ - ط٤، القاهرة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨م.
- احمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم (دكتور) :
  تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر ،الشام - بيروت ١٩٧٢م.
- احمد مختار العبادى (دكتور) :
  - دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس - ط١- الاسكندرية ١٩٦٨م.
  - التاريخ العباسى والفاطمى - الاسكندرية (مؤسسة شباب الجامعة) ١٩٨٢م.
- اسحق تاوضروس عبيد (دكتور):
  الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة فى "مدينة الله" تقديم جورج شحاته قنواتى - ط١ - القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٢م.

- اسد رستم (دكتور) :
- الروم فى سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، جـ١، ط١، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٥م.
-حرب فى الكنائس، بيروت ١٩٥٨م.
- كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ٦٣٤-١٤٥٣م، ٣جـ، بيروت - بدون تاريخ.
- اسمت غنيم (دكتورة):
الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية، الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٨٣م.
- السيد الباز العرينى (دكتور) :
الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٩٦٥م.
-السيد احمد بن زينى دحلان :
الفتوحات الاسلامية، جـ١، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٠٤هـ.
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :
- دراسات فى تاريخ العرب: العصر العباسى الاول، جـ٣، الاسكندرية (مؤسسة شباب الجامعة) ١٣٩٨هـ.
- العصر الاسلامى- دراسة تاريخية وعمرانية واثرية، جـ٢، الاسكندرية (مطبعة محرم بك) ١٩٦٦م.
-المغرب الكبير "العصر الاسلامى" - جزءان - الاسكندرية ١٩٦٦م.
- التاريخ والمؤرخون العرب، الاسكندرية ١٩٦٧م.
- السيد ناصر النقشبندى (دكتور) :
الدينار الاسلامى- مقال بمجلة سومر، جـ٢، بغداد ١٩٤٥م.
- امين توفيق الطيبى (دكتور) :
امارة عربية اندلسية فى جزيرة اقريطش "كريت" ٢١٢-٣٥٠هـ/٨٢٨-٩٦١م، مجلة كلية التربية جامعة الفاتح ليبيا، العدد الثانى عشر، ليبيا

١٣٨٨-١٣٨٩هـ/١٩٧٩-١٩٨٠م.

- جاسم صكبان على (دكتور):

التاريخ العربى والاسلامى من خلال المصادر السريانية ، مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، الكويت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- جمال الدين الشيال (دكتور) :

تاريخ الدولة العباسية، الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٦٧م.

- جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

- تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤-١٤٥٣م، الاسكندرية (مؤسسة شباب الجامعة) ١٩٨٤م.
- دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، الاسكندرية (مؤسسة شباب الجامعة) ١٩٨٣م.
- الاسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى، ط١، الاسكندرية (دار الفكر الجامعى) ١٩٨٦م.

- حسن احمد محمود (دكتور) :

- العالم الاسلامى فى العصر العباسى، القاهرة بدون تاريخ.
- الاسلام فى اسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، القاهرة (هيئة الكتاب) ١٩٧٢م.

- حسن احمد محمود واحمد ابراهيم الشريف (دكتور) :

العالم الاسلامى فى العصر العباسى، ط٥، القاهرة (دار الفكر العربى) بدون تاريخ.

- حسنين محمد ربيع (دكتور) :

- دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية القاهرة (دارالنهضة العربيه) ١٩٨٢م.
- بحر الحجاز فى العصور الوسطى، مقال بمجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد الاول، الرياض ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.

- حسين مؤنس (دكتور) :

- المسلمون فى حوض البحر الابيض المتوسط الى الحروب الصليبية، مقال فى المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الاول، القاهرة ١٩٥١م.

-ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس، القاهرة (دار المعارف)١٩٧٩م.

- درويش النخيلى (دكتور) :

السفن الاسلامية على حروف المعجم، ط٢، الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٧٩م/١٤٠٠هـ.

- زبيدة عطا (دكتورة) :

الترك فى العصور الوسطى- بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون (دار الفكر العربى) بدون تاريخ.

- سعاد ماهر (دكتورة) :

البحرية فى مصر الاسلامية واثارها الباقية، القاهرة (دار الكاتب العربى) ١٩٦٧م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

اوروبا فى العصور الوسطى- التاريخ السياسى، جـ١، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦م.

- سيد امير على (دكتور) :

مختصر تاريخ العرب، القاهرة ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ.

- سيدة اسماعيل الكاشف (دكتورة) :

- دراسات فى النقود الاسلامية، مقال فى المجلة التاريخية المصرية المجلد الثانى عشر، القاهرة ٦٤/١٩٦٥م.

-مصادر التاريخ الاسلامى، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٠م/١٣٧٩هـ.

- صابر محمد دياب (دكتور) :
-سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى، ط١،القاهرة (عالم الكتب) ١٩٧٣م.
- ارمينيه من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- عبد الجبارمنسى العبيدى (دكتور) :
قراءة جديدة فى اسباب سقوط الدولة الاموية، مقال فى مجلة الفكر العدد الثالث، المجلد ١٥، الكويت ١٩٨٤م.
- عبد الرحمن محمد عبد الغنى (دكتور) :
ارمينية وعلاقتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ٦٥٣-١٠٦٤م/ ٣٣-٤٥٧هـ رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، الاسكندرية ١٩٨٣م.
- عبد الرحمن فهمى محمد (دكتور) :
النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، (المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ.
- عفاف السيد صبرة (دكتورة) :
الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، القاهرة - (دار النهضة العربية) ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
- عز الدين اسماعيل (دكتور) :
فى الشعر العباسى - الرؤية والفن، القاهره (دار المعارف) ١٩٨٠م.
- على ابراهيم حسن (دكتور) :
- التاريخ الاسلامى العام، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٧٢م
- استخدام المصادر وطرق البحث، ط٣، القاهرة ١٩٨٠م.
- على حسنى الخربوطلى (دكتور) :
غروب الخلافة الاسلامية، القاهرة (مؤسسة المطبوعات الحديثة) بدون تاريخ.

- على محمد فهمى شتا (دكتور) :
- المركز البحرى ودار الصناعة فى العهد الاسلامى الاول، مقال بمجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد الاول، الرياض١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- تاريخ البحرية المصرية: البحرية الاسلامية فى شرق البحر المتوسط من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادى، الاسكندرية (نشر جامعة الاسكندرية)١٩٧٤م/١٣٩٤هـ.
- عليه عبد السميع الجنزورى (دكتورة) :
- الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٧٩م.
- المرأة فى الحضاره البيزنطية، ط١، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٨٢م.
- الامبراطورة ايرين، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٨١م.
- عمر كمال توفيق (دكتور) :
- المجتمع العربى الاسلامى فى بلرمو: دراسة فى الحضارة العربية الاسلامية فى صقلية- مقال فى مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، الكويت ١٩٨٤م.
- تاريخ الامبراطورية البيزنطية، الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٦٧م.
- فاروق عمر (دكتور) :
الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية ٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٦م. ط٢، بغداد (مكتبة المثنى) ١٩٧٧م.
- فايز نجيب اسكندر (دكتور) :
- ارمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى ضوء كتابات المؤرخ الارمينى جيفوند ٦٣٢-٦٦١م/١١-٤٠هـ،جـ١الاسكندرية (دار نشر

الثقافة) ١٩٨٢م.

- ارمينية بين البيزنطيين والاتراك السلاجقة ١٠٠٠-١٠٧١م/٣٩٢-٤٦٣هـ، في مصنف اريستاكيس ، الاسكندرية ١٩٨٣م.

- فتحى عثمان (دكتور) :

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، القاهرة (دار الكتاب العربى) ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م.

- محمد ابو زهرة (الشيخ) :

العلاقات الدولية فى الاسلام، القاهرة (دار الفكر العربى) بدون تاريخ.

- محمد احمد ابو الفضل (دكتور) :

حول السفارات الاندلسية الى دول اوربا ١٣٨-٣٦٦هـ/ ٧٥٥-١٩٧٦م، فصله من مجلة كلية الاداب، المجلد ٣٢ لسنة ١٩٨٤/٨٣م، الاسكندرية ١٩٨٥م.

- محمد بديع شريف (دكتور) :

الصراع بين الموالى والعرب- وهو بحث فى حركة الموالى ونتائجها فى الخلافة الشرقية، القاهرة (دار الكتاب العربى) ١٩٥٤م.

- محمد جمال الدين سرور (دكتور) :

الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثانى بعد الهجرة، ط٦، القاهرة (دار الفكر العربى) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- محمد حمدى المناوى (دكتور) :

مصر فى ظل الاسلام من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٠م.

- محمد سالم بن شديد الحوفى (دكتور) :

الخرمية فكريا وتاريخيا، مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود العدد السابع، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.

- محمد عبد الغنى حسن (دكتور) :

علم التاريخ عند العرب، القاهرة (مطبعه التقدم) ١٩٦١م.

- محمد عبد الهادى شعيرة(دكتور):

- الممالك الحليفة او ممالك ماوراء النهر والدولة الاسلامية الى ايام المعتصم: مجلة كلية الاداب جامعة فاروق الاول، المجلد الرابع، الاسكندرية (مطبعة التجارة)١٩٤٨م.

- من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الاول والثانى للهجرة - دراسات فى الاثار الاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٩م.

- محمد كرد على (دكتور) :

كتاب خطط الشام، جـ ٥، دمشق (مطبعة الترقى) ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧م.

- محمد ماهر حمادة (دكتور) :

الوثائق السياسية، بيروت ١٩٧٩م.

- محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :

- الخزر وعلاقاتهم بالامبراطورية البيزنطية، مقال بمجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الاجتماعية، العدد الرابع، الرياض ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م.

- دوله الفرنجة وعلاقاتها بالامويين فى الاندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادى ٧٥٥-٩٧٦م/١٣٨-٣٦٦ هـ، الاسكندرية (مؤسسة الثقافة الجامعية) ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

- محمود شيت خطاب :

جيش الروم ايام الفتح الاسلامى، مقال فى مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد الحادى والعشرون، بغداد ١٣٩١ هـ/١٩٧١م.

- ميخائيل عواد :

المآصر فى بلاد الروم والاسلام، بغداد ١٩٤٨م.

-نبيه عاقل (دكتور) :

الامبراطورية البيزنطية، دراسة فى التاريخ السياسى والثقافى والحضارى، دمشق١٩٦٩م.

- وديع فتحى عبد الله:

العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الامبراطور ثيوفيلوس ٨٢٩-٨٤٢م/٢١٤-٢٢٨ هـ/ رسالة ماجستير لم تنشر، الاسكندرية ١٩٨٢.

- وسام عبد العزيز فرج (دكتور) :

- دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية من ٣٢٤-١٠٢٥م.، جـ١، الاسكندرية ١٩٨٢م.

- العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى، الاسكندرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

- دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الاسكندرية (دار المعرفة الجامعية) ١٩٨٥م.

- يوسف الياس القديس :

تاريخ سوريا فى ايام الخلفاء الى نهاية القرن الحادى عشر جـ٣، المجلد الخامس، بيروت (المطبعة العمومية) ١٩٠٠م.

سابعا : المراجـــع الثانوية المعربـــة

- اوليرى :

مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٧م.

- بارنز (هـ أ) :

تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، جـ١، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٤.

- بينز (نورمان) :

الامبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقاتها بالاسلام، ترجمة: حسين مؤنس-محمود يوسف زايد، ط١، القاهره ١٩٥٠م.

- جوليان (شارل اندرو) :

تاريخ افريقيا الشمالية تونس-الجزائر-المغرب الاقصى من الفتح الاسلامى الى ١٨٣٠م.، جـ٢ تعريب/ محمد مزالى-البشير بن سلامة، تونس ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

- حسينى (س.أ.ق) :

الادارة العربية، ترجمة: ابراهيم احمد العدوى، مراجعة: عبد العزيز عبد الحق، القاهرة (نشر مكتبة كلية الاداب ومطبعتها) ١٩٥٨م.

- ديفز (هـ.و.كارلس) :

شارلمان، نقله للعربية: السيد الباز العرينى، القاهرة (مكتبة النهضة العربية) ١٩٥٩م.

- رانسيمان ستيفن :

الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وزكى على، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٦١/١٩٨١م.

- ساليفان (ر.أ) :

ورثة الامبراطورية الرومانية (الغرب الجرمانى-العالم الاسلامى-الدولة البيزنطية)، ترجمة وتقديم: د. جوزيف نسيم يوسف، الاسكندرية (مؤسسة

شباب الجامعة) ١٩٨٥م.

- سيديو (لويس اميلى) :

تاريخ العرب العام: امبراطورية العرب وحضارتهم، مدارسهم الفلسفيه والعلمية والادبية، نقله للعربية: عادل زعيتر، فلسطين ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

- عزيز سوريال عطية :

العلاقات بين الشرق والغرب تجارية-ثقافية-صليبية، ترجمة فيليب صابر، راجعة: أحمد خاكى، القاهرة (دار الثقافة) ١٩٧٢م.

- فازيلييف (أ.أ) :

العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة: فؤاد حسنين على، القاهرة (دار الفكر العربى) بدون تاريخ.

- فلهوزن (يوليوس) :

تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، نقلة عن الالمانية: محمد عبد الهادى ابو ريدة، راجعة: حسين مؤنس، القاهرة (لجنة التأليف والنشر) ١٩٥٨م.

- لسترانج (جى) :

- بلدان الخلافة الشرقية، نقلة للعربية واضاف إليه تعليقات ووضع فهرسه: بشير فرنسيس/ كوركيس عواد، بغداد (مطبعة الرابطة) ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م.

- بغداد فى عهد الخلافة العباسية، ترجمه من الانجليزية وعلق علية بشير يوسف فرنسيس، ط١، بغداد ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م.

- لوبيز (روبرت) :

محمد وشارلمان اعادة نظر، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية "بحوث فى التاريخ الاقتصادى"، ترجمة: توفيق اسكندر، القاهرة (دار النشر للجامعات المصرية) ١٩٦١م.

- لومبار :

الذهب الاسلامى منذ القرن الثامن حتى القرن الحادى عشر الميلادى، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية "بحوث فى التاريخ الاقتصادى" القاهرة (دار النشر للجامعات المصرية) ١٩٦١م.

- لويس (ارشبالد) :

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠م.، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٠م.

- قنسطنطين السابع بورفيروجنتيوس :

ادارة الامبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمود سعيد عمران، بيروت (دار النهضة المصرية) ١٩٨٠م.

- هايد (ف) :

تاريخ التجارة فى الشرق الادنى فى العصور الوسطى، جـ١، عربة عن الترجمة الفرنسية: احمد محمد رضا، مراجعة وتقديم: عز الدين فودة، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٥م.

- هارتمان (ل.م) وباراكلاف (ج) :

الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، الاسكندرية (دار المعارف) ١٩٦٩م.

- هل (ى.) :

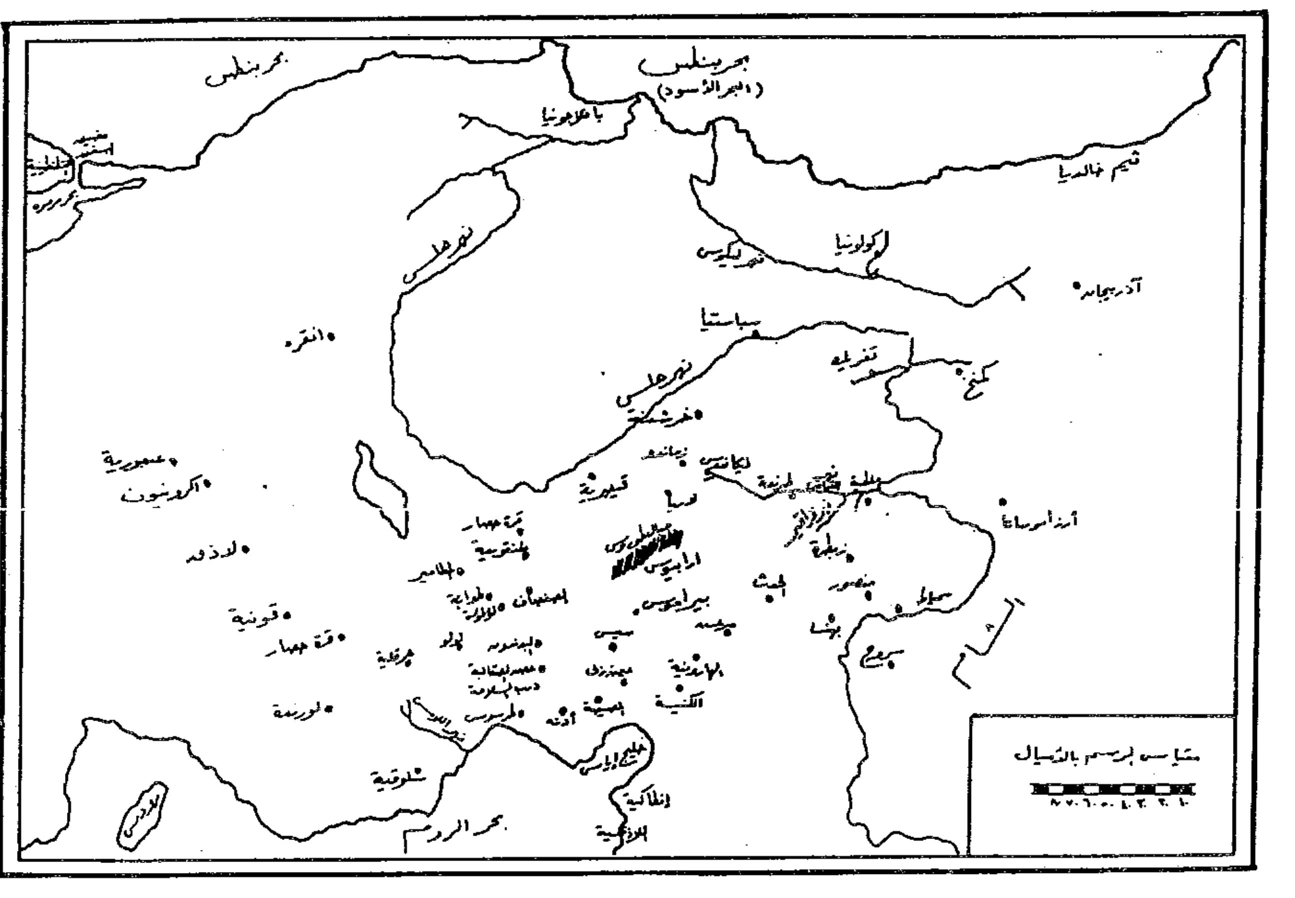
الحضارة العربية، ترجمة: ابراهيم العدوى، مراجعة: حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٦م.

- هونكة (زيغريد) :

شمس العرب تسطع على الغرب (اثر الحضارة العربية فى اوربا)، نقله عن الالمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقى راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخورى، ط٧، بيروت (دار الافاق الجديدة) ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.

- ويستنفلد (ف) :

جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بايامها وشهورها، ترجمة: عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) بدون تاريخ.

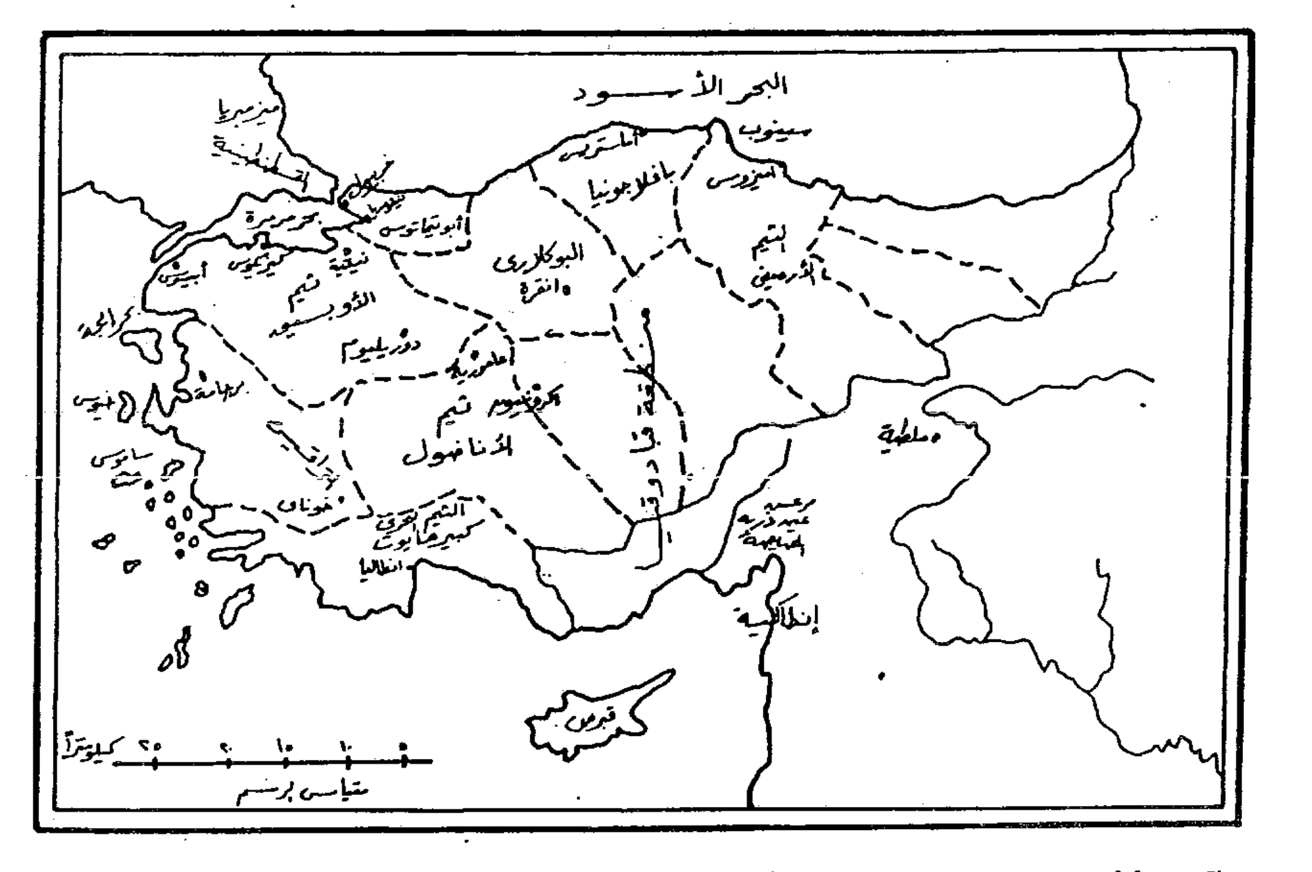


خريطة رقم "١"

خريطة توضيحية لمناطق الصراع العسكرى فى آسيا الصغرى بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية

أواخر القرن السابع الميلادى/ الأول الهجرى

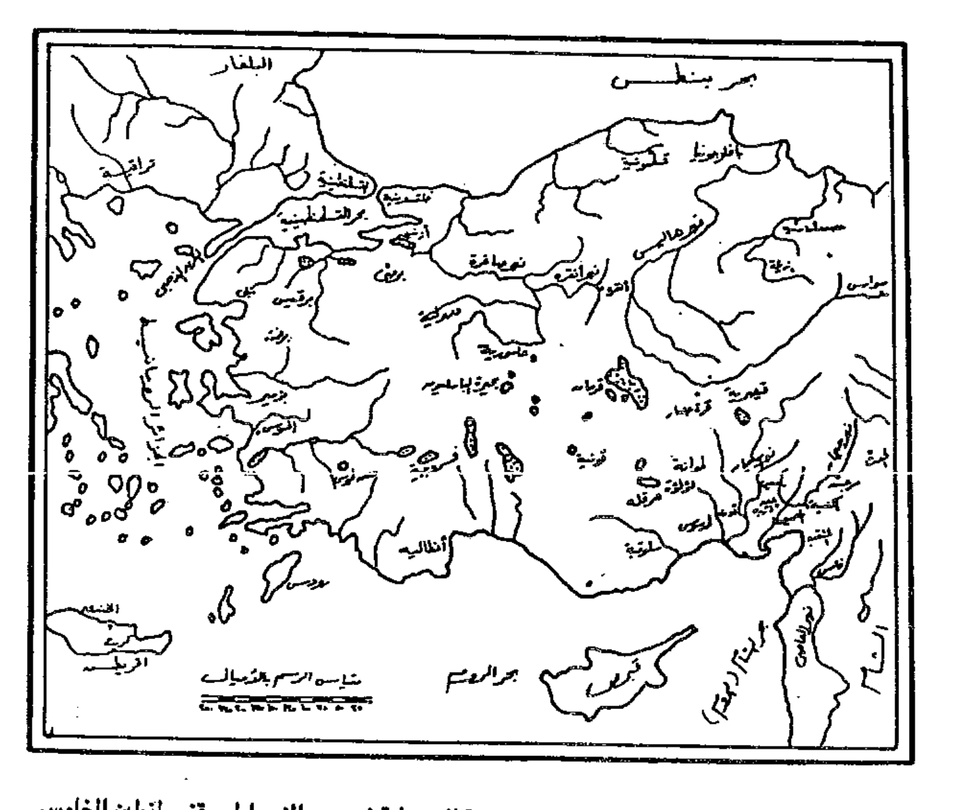
نقلاً عن: جى لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتعليق بشير فرنسيس وكوريكس عواد، بغداد، ١٩٥٤



خريطة رقم "٢"

الثيمات البيزنطية حتى نهاية عهد ليو الثالث الأيسورى

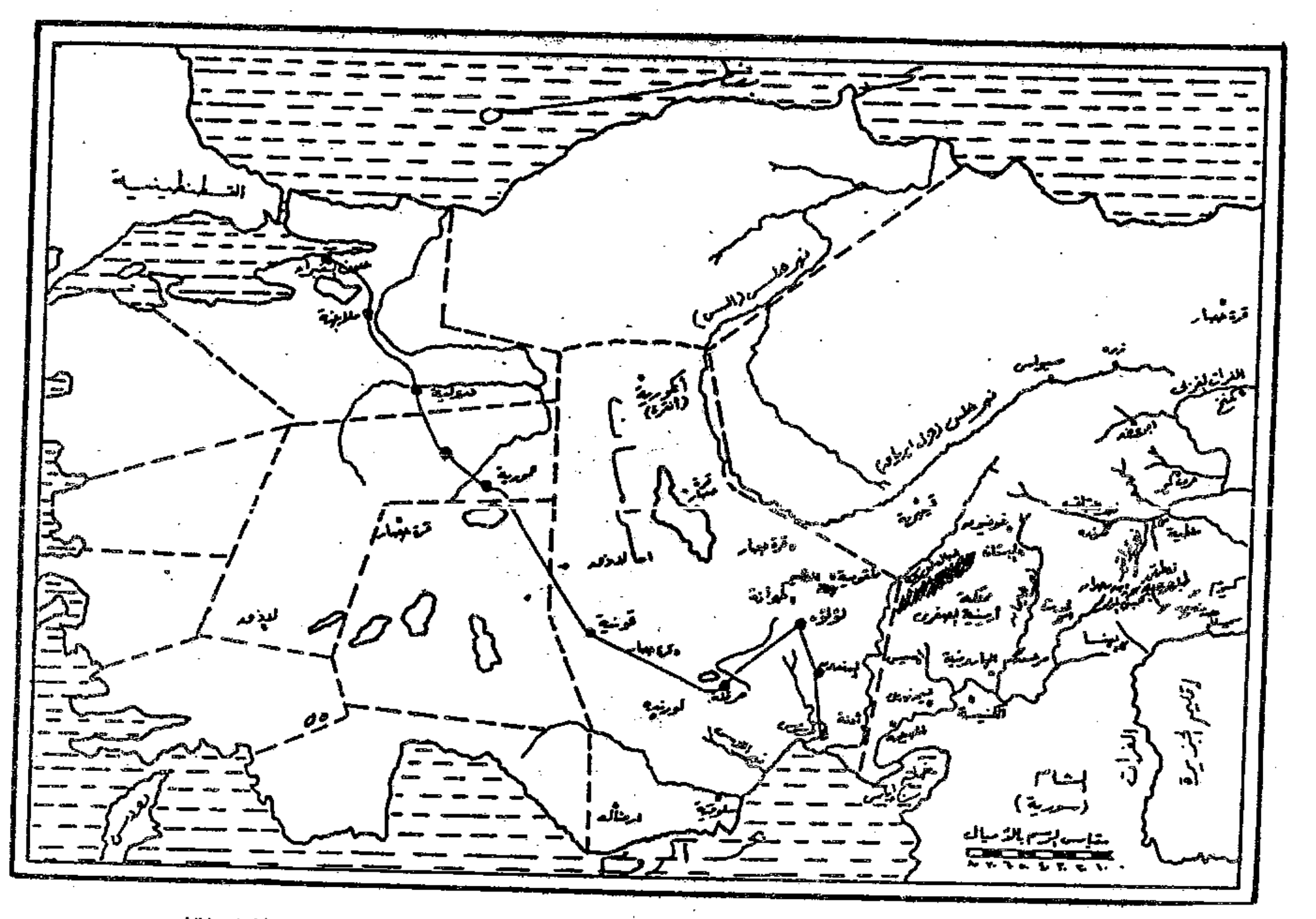
نقلاً عن: السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، القاهرة ١٩٦٥



خريطة رقم "٣"

الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس

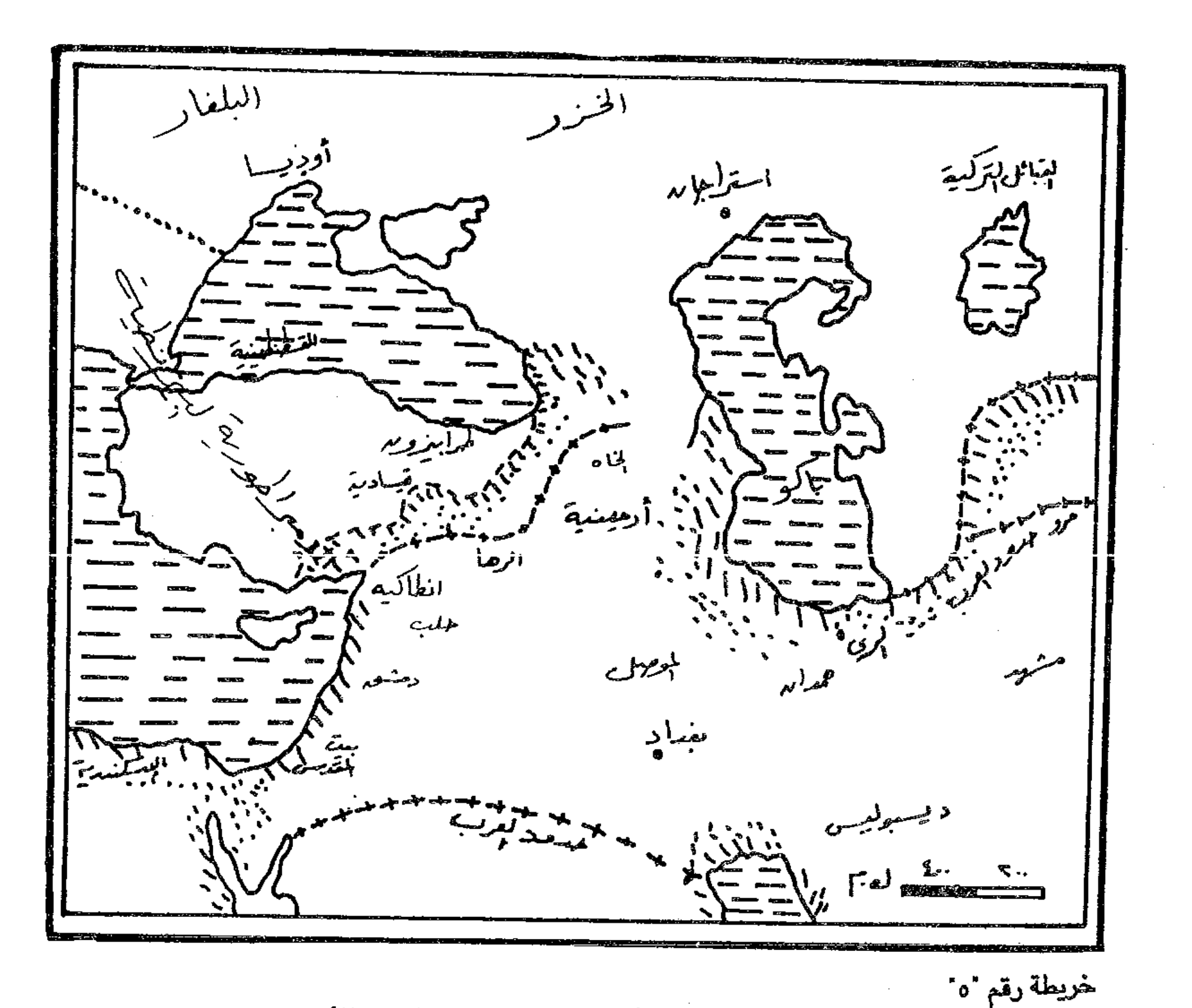
نقلاً عن: الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، صنفه وحققه عبدالمنعم ماجد، رسم الخرائط وحققه على البنا، القاهرة ط٢، بدون تاريخ.



خريطة رقم "٤" خريطة توضح الثغور الإسلامية الجزرية والشامية فى الفترة ١٢٥-١٥٨هـ / ٧٤١-٧٧٥م

نقلاً عن: جى لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وتعليق كوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤م. الثغور الجزرية ✗

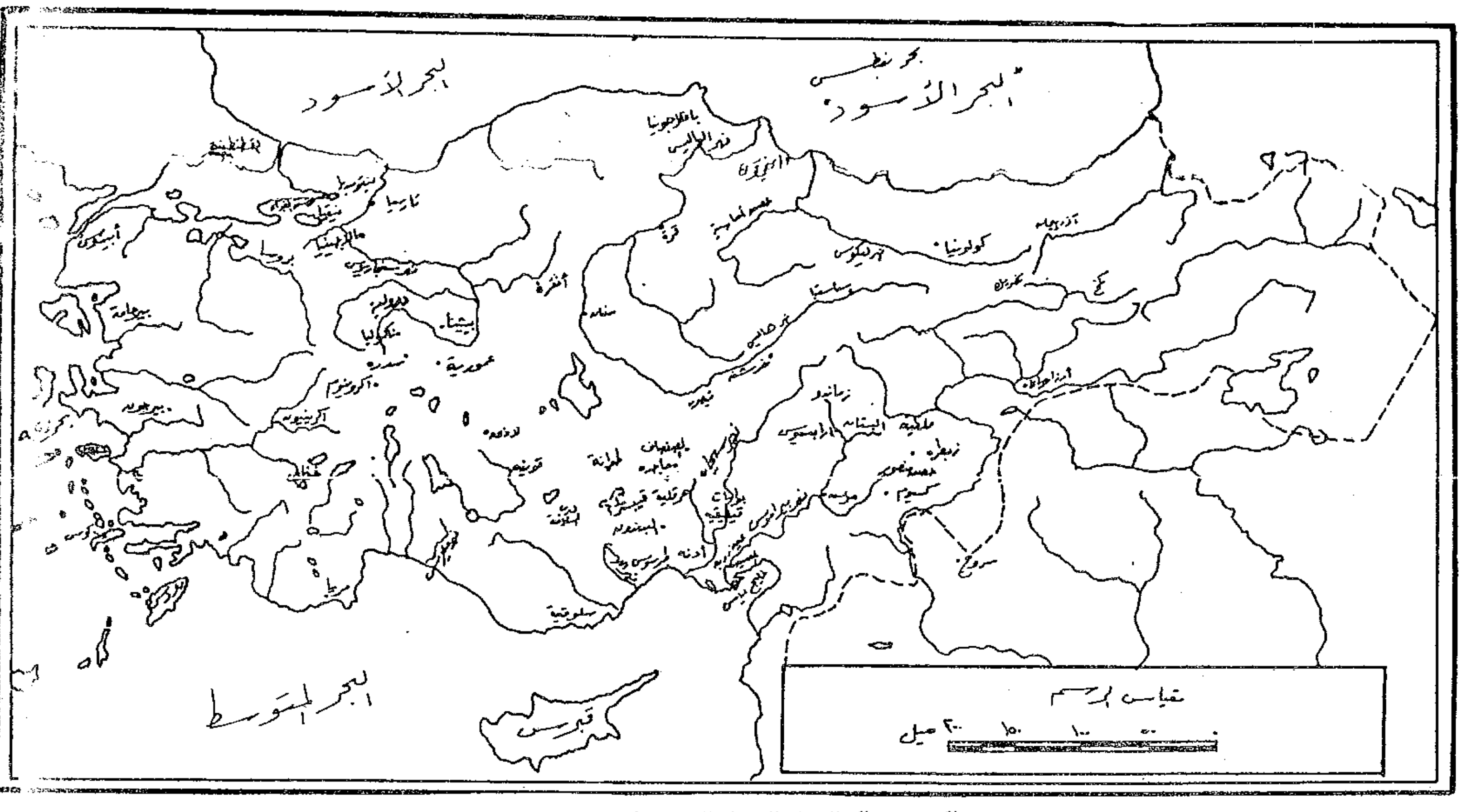
الثغور الشامية ●



خريطة رقم "٥"

الدولة الإسلامية فى أقصى إتساع لها فى العصر الأموى

Morgan, J., Histoire du Peuple Arménien, Paris,1919.

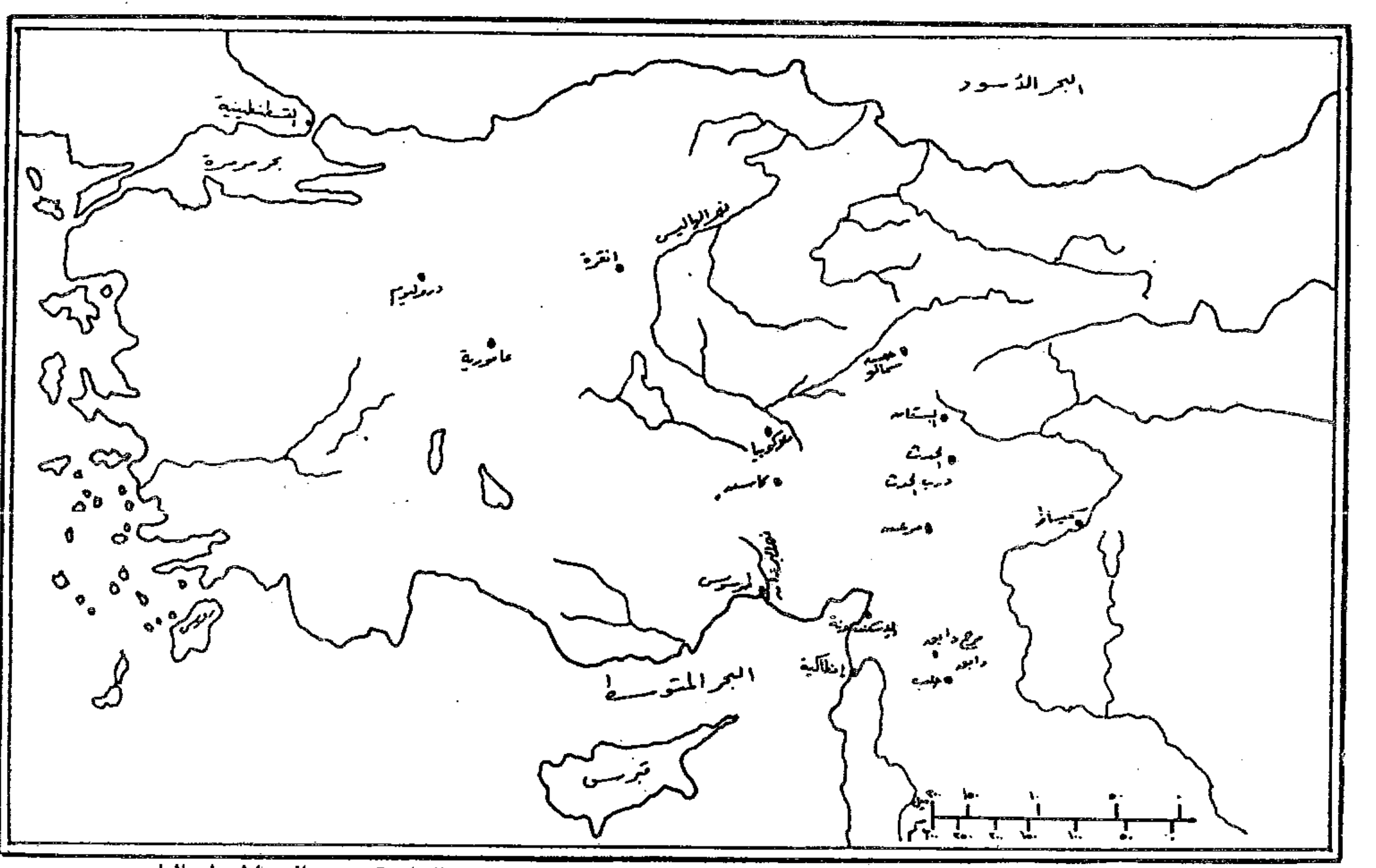


خريطة رقم "٦"

خريطة توضيح مراكز الصراع البيزنطي الإسلامي (٧٤١ - ٧٧٥م/١٢٥ - ١٥٨هـ)

نقلاً عن:

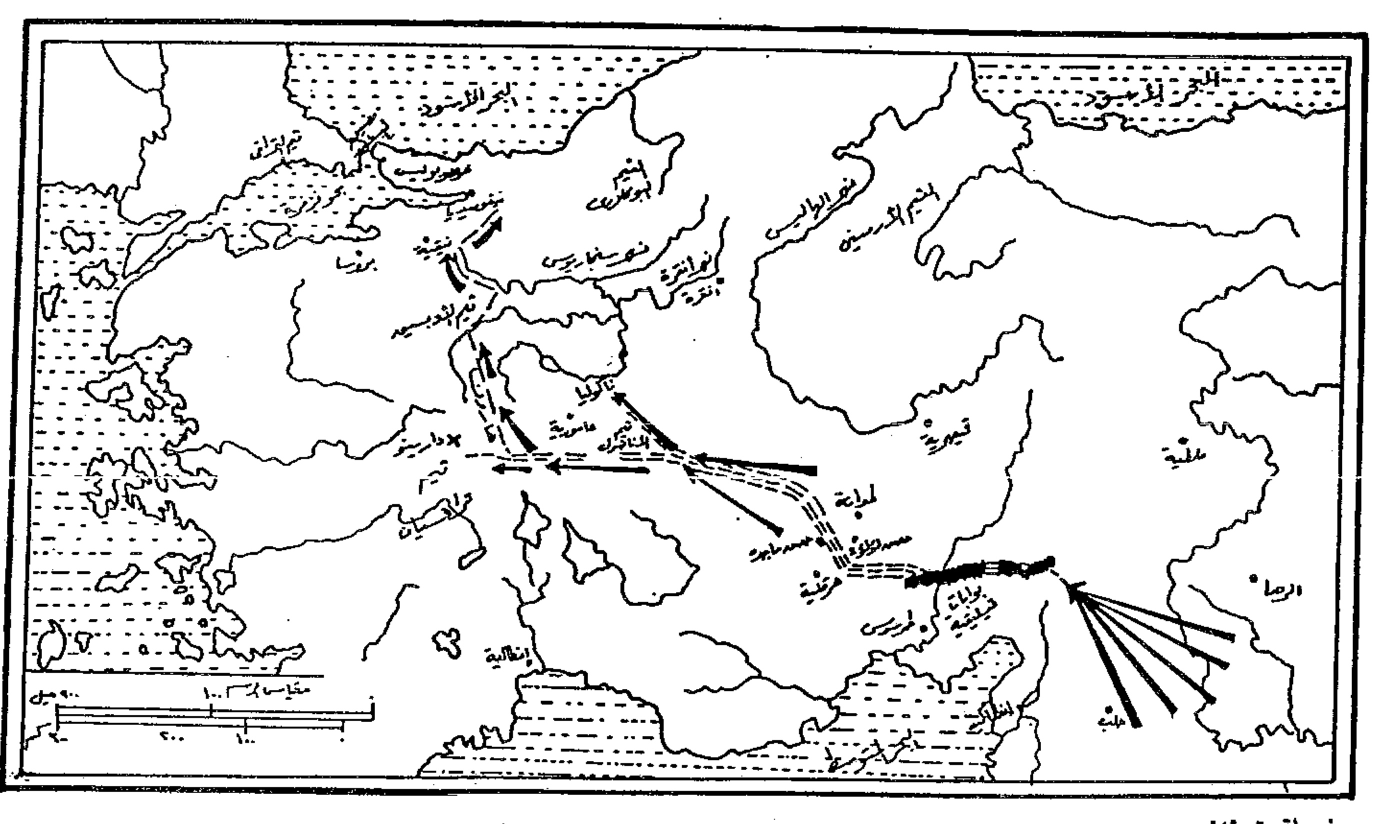
Speros Vryonis, Jr., The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh Through the Fifteenth Century, Berkeley, 1971.



خريطة رقم "٧" خريطة توضيحية لمراكز النشاط السياسي بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الإمبراطور ليو الرابع

(٧٧٠-٧٨٠م/١٠٨-١٦٤هـ)

C. M. H., Vil, IV, Part 1, London 1967.

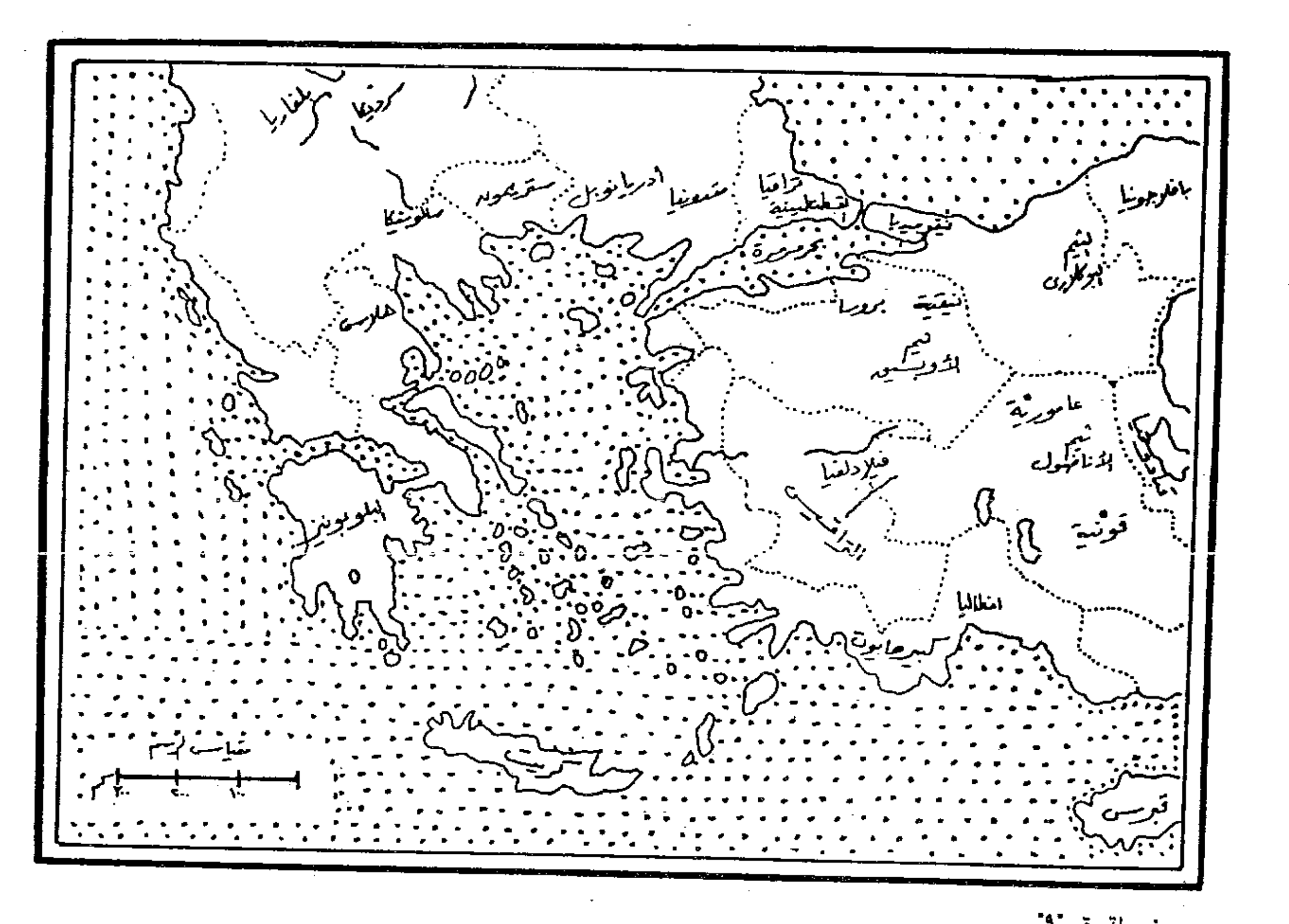


خريطة رقم "٨"

خريطة توضيحية لحملة الخليفة المهدى إلى البوسفور فى ١٧ جمادى الآخرة ١٦٥هـ/٩ فبراير ٧٨٢م.

نقلاً عن:

Hild, F, Das Bysantinische Strassensystem in Kappadokien, Wien, 1977.

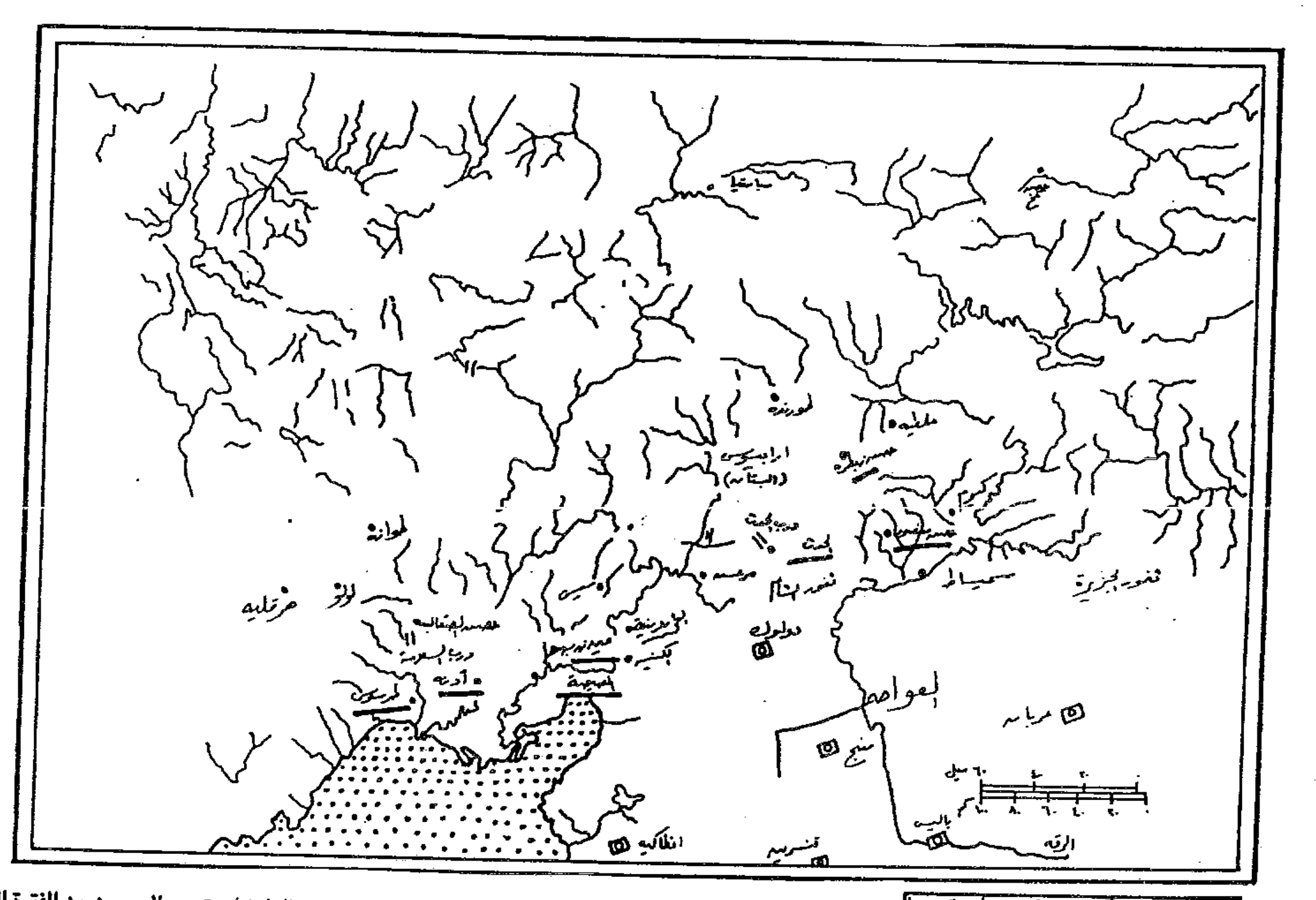


خريطة رقم "٩"

خريطة توضيحية لثيم تراقيا أثناء تعرضه لهجوم البلغار في ٧٨٨م / ١٧٢هـ.

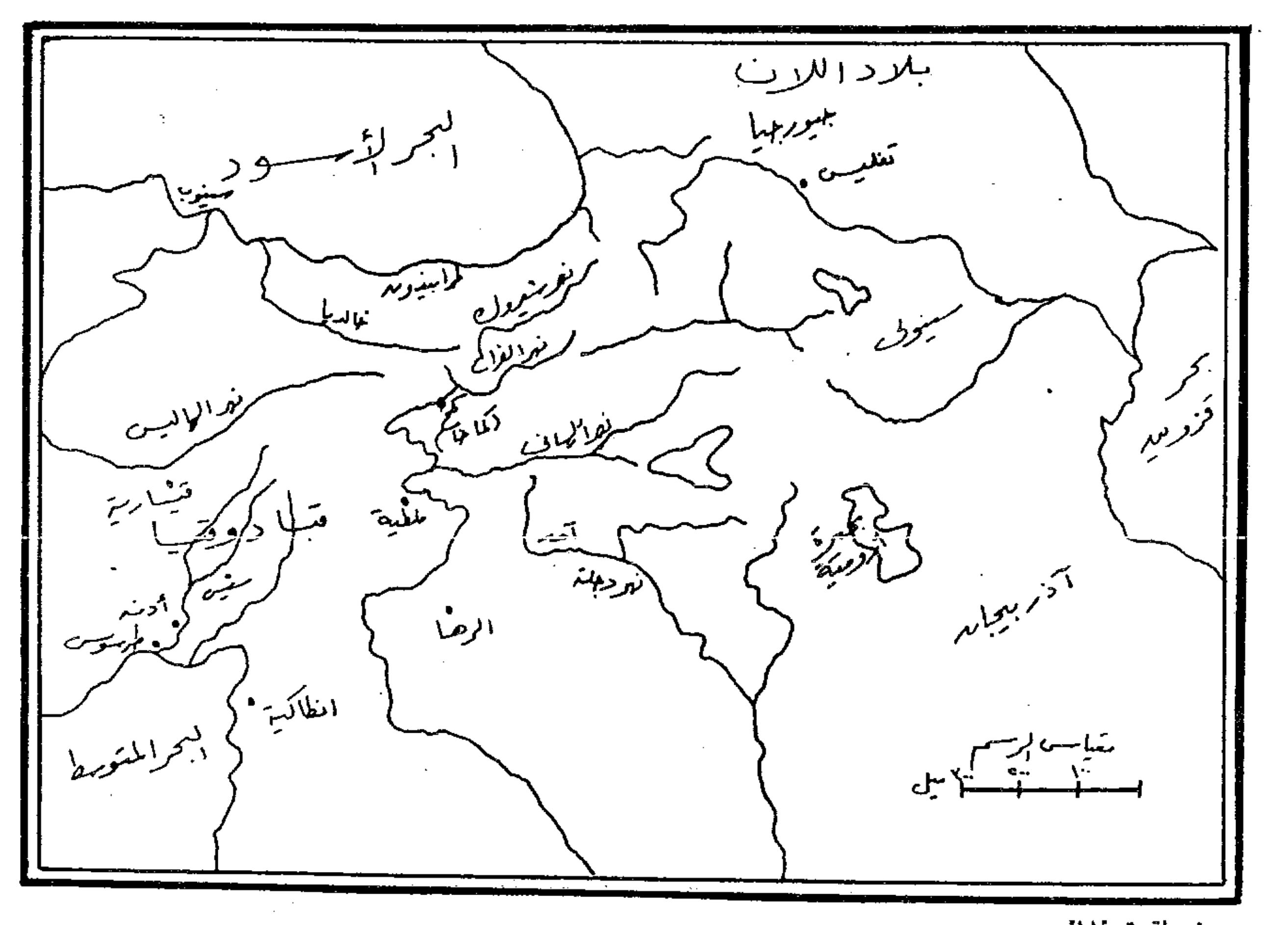
نقلاً عن:

Hild, F, Das Bysantinische Strassensystem in Kappadokien, Wien, 1977.



خريطة رقم "١٠" خريطة توضيحية لنشاط الخليفة هارون الرشيد في مجال إنشاء وترميم الحصون عن الفترة الزمنية (١٧٠ - ١٨١هـ/ ٧٨٦ - ٧٩٧م.) نقلاً عن

Hild, F, Das Bysantinische Strassensystem in Kappadokien, Wien, 1977.

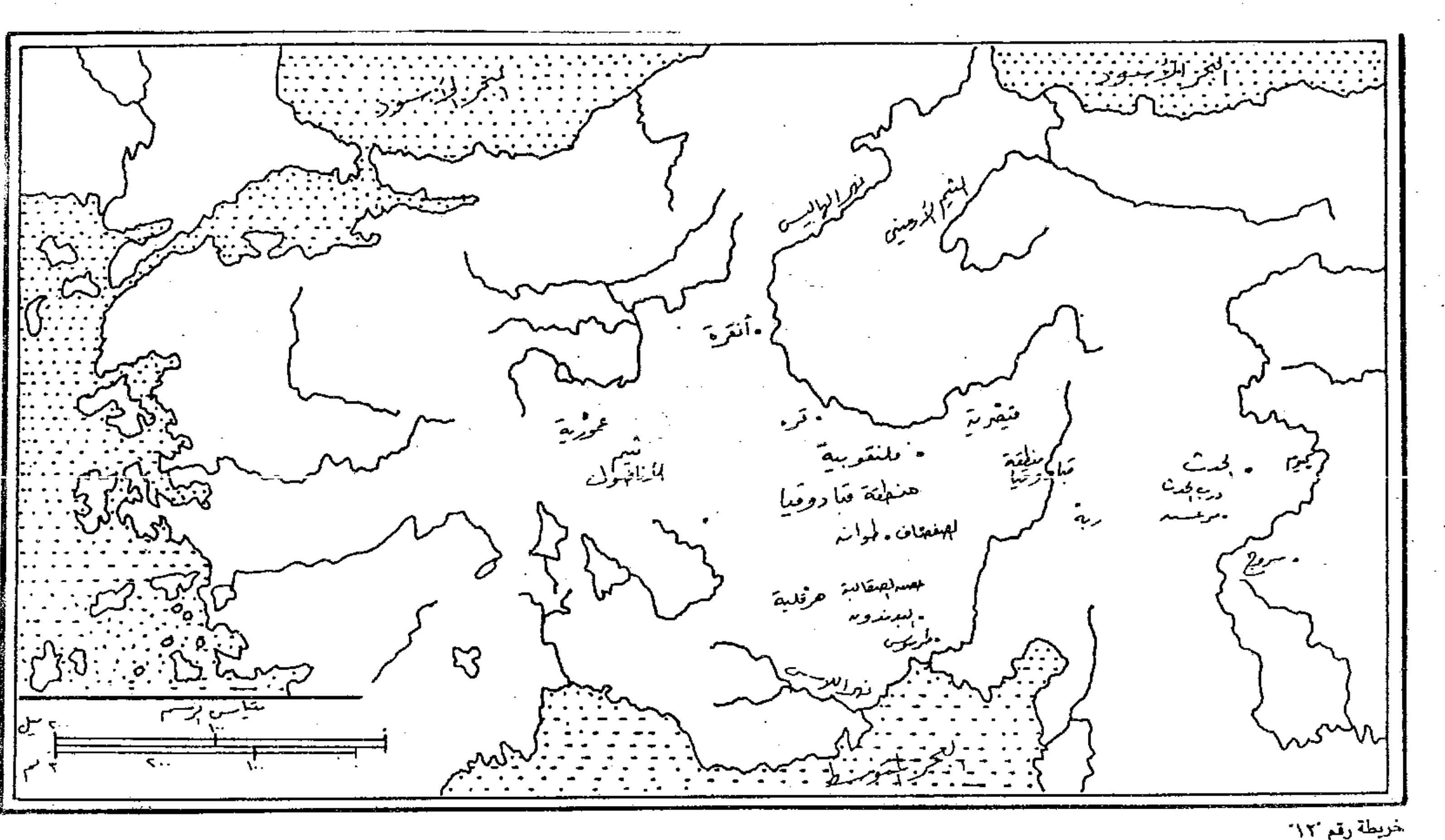


خريطة رقم "١١"

خريطة توضيحية لإستيلاء العباسيين على كمخ (كماخا) فى ١٧٧هـ/٧٩٣م.

نقلاً عن:

Thorossian, H., Histoire de L'Arménie et du Peuple Arménien, Paris 1957

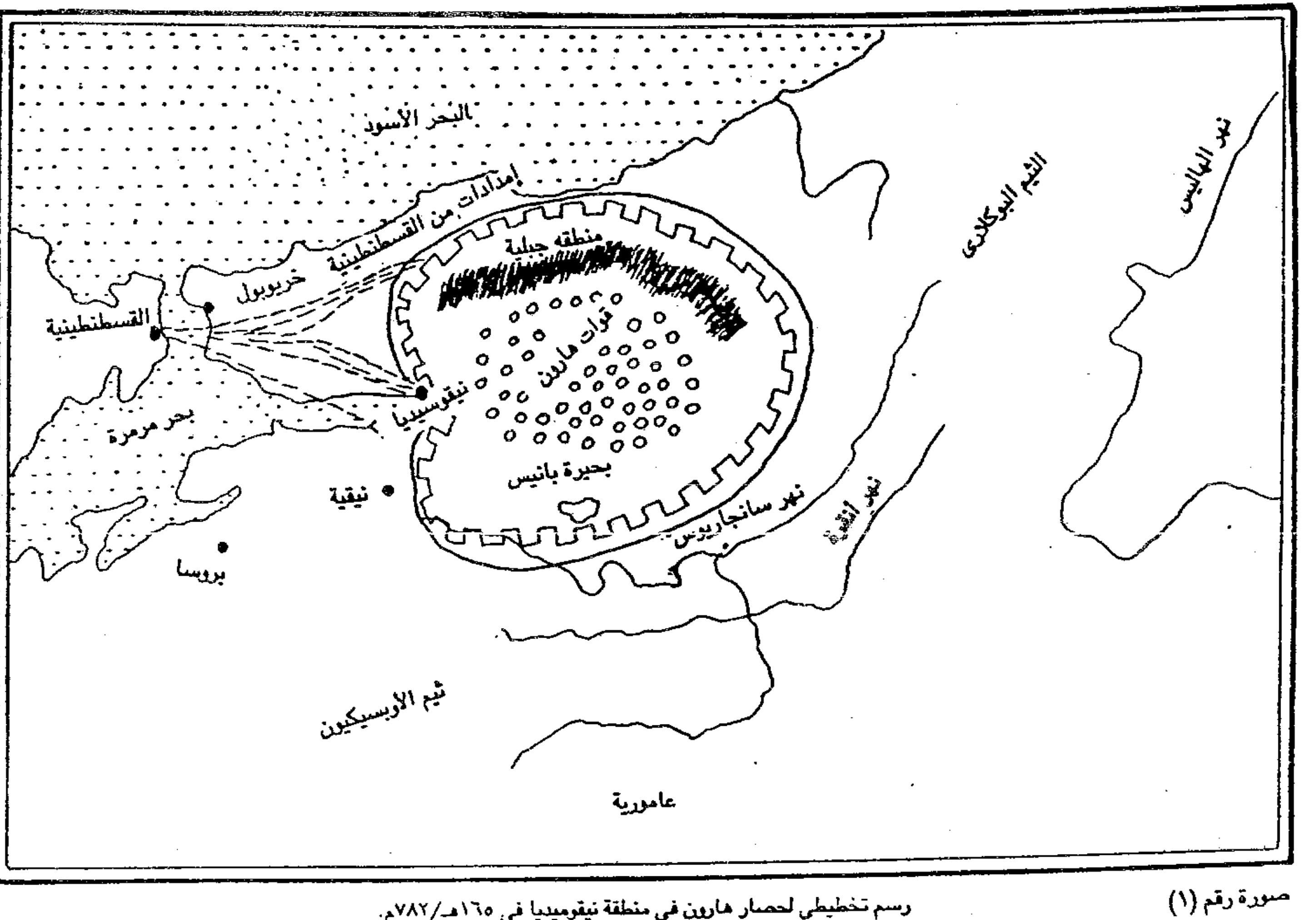


خريطة رقم "١٢"

خريطة توضيحية لمناطق الصراع البيزنطي العباسي في الفترة من ٨٠٢ إلى ٨٢٠ م / ١٨٦ - ٢٠٥ هـ

نقلاً عن:

Hild, F. Das Bysantinische Strassensystem in Kappadokien, Wien, 1977.

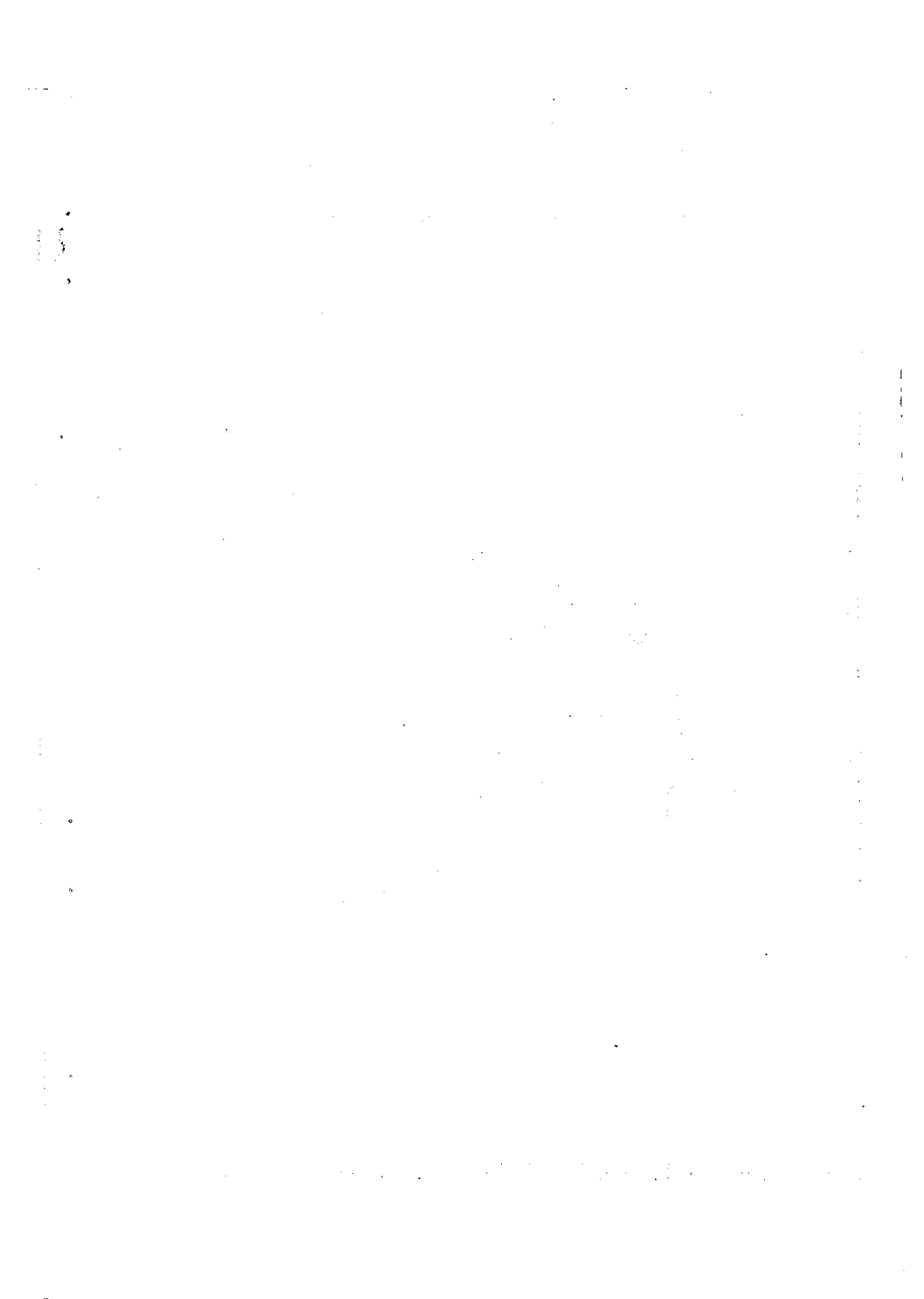


صورة رقم (١)

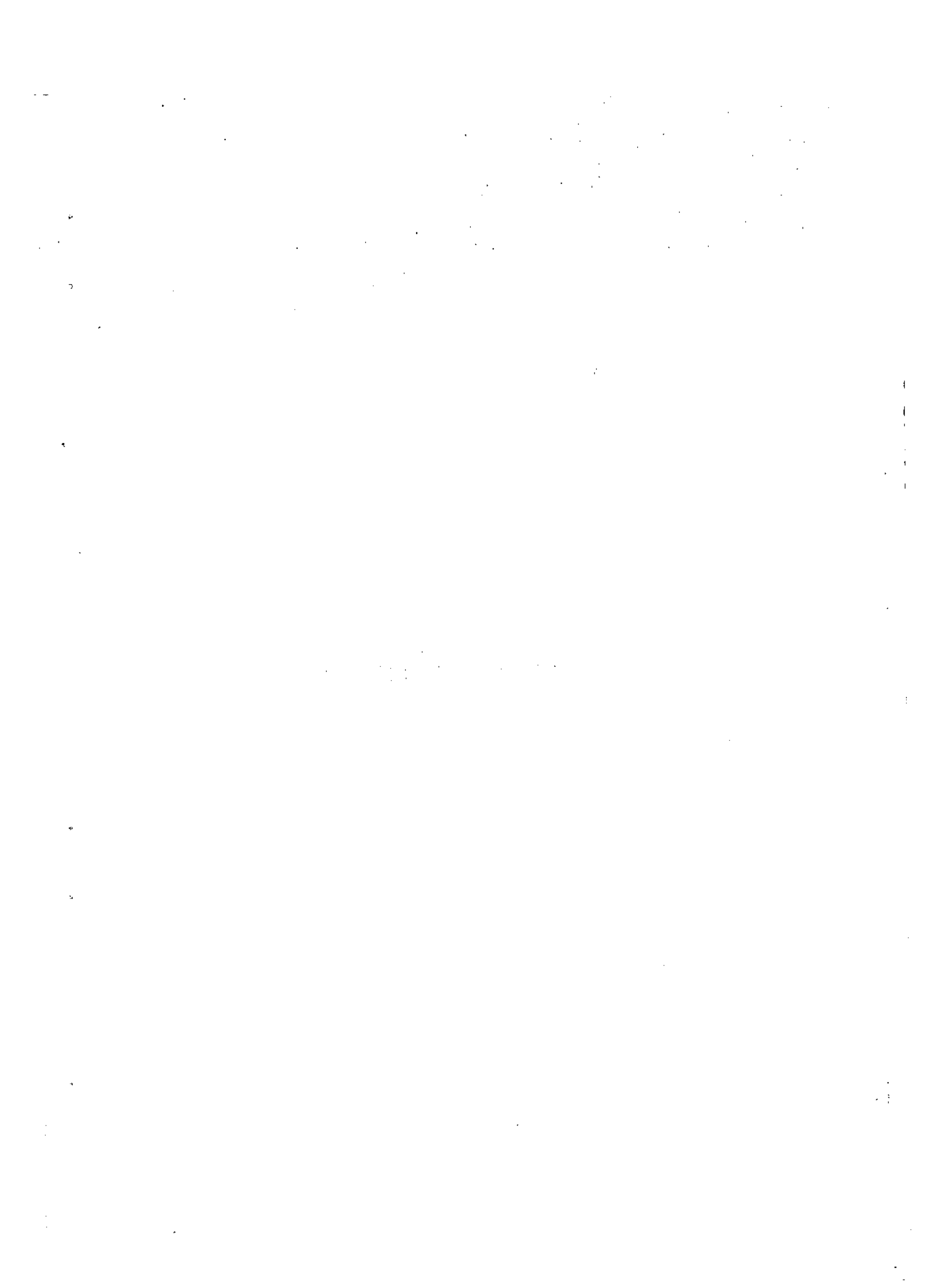
رسم تخطيطى لحصار هارون فى منطقة نيقوميديا فى ١٦٥هـ/٧٨٢م.

نقلاً عن:

Hild. F, Das Bysantinische Strassensystem in Kappadokien. Wien, 1977



محتويات الكتاب



الفهرس

الموضوع | الصفحة

الصفحة

الموضوع

الموضوع | الصفحة

الفهرس

الحمد لله رب العالمين

رقم الإيداع : ١٩٩٠/١٥٧٨

ترقيم دولى : ٩٧٧-١٥٤-٠٥٩-٩



العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي

دكتور وديع فتحي عبد الله